صحيح

تاريخ الطبري

الخلافة في عهد الأمويين

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلق عليه

محمد بن طاهر البرزنجي

بإشراف ومراجعة المحقق

محمد صبحي حسن حلاق

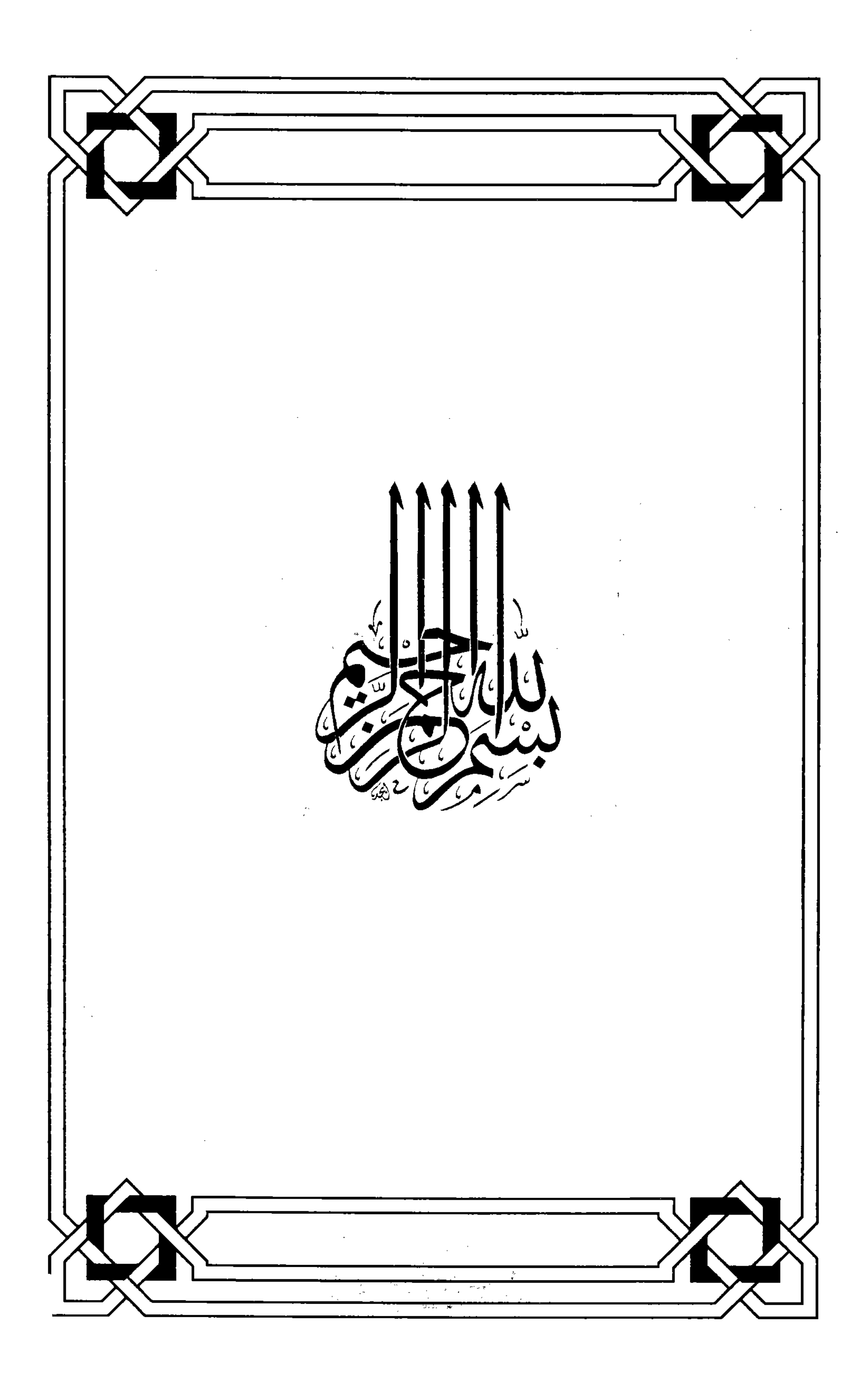
راجع فصولاً منه وأبدى ملاحظاته كل من

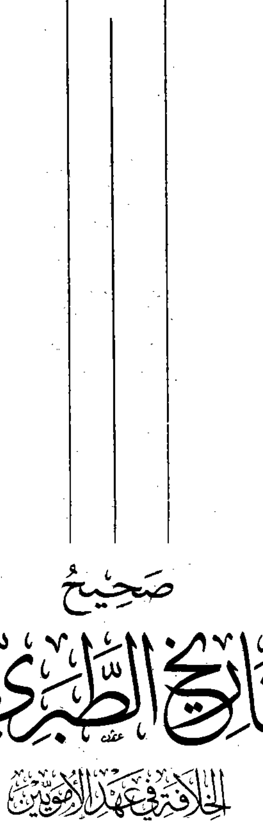
أ.د أكرم ضياء العمري و أ.د عماد الدين خليل

المجلد الرابع

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم


صحيح
تاريخ الطبري
الخلافة في عهد الأمويين



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 1\10

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

مقـدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فهذا قسم آخر من صحيح تأريخ الطبري نقدّمه للقارئ الكريم. بعد أن انتهينا من تحقيق مرويات الطبري المتعلقة بتأريخ القرن الهجري الأول وهذا الجزء الذي بين أيدينا والذي يبدأ بـ (١٠١ هـ) وينتهي إلى (١٢٦ هـ) هو تتمة لتأريخ الخلافة في عهد الأمويين ويشمل عهد أحد أبرز الخلفاء الأواخر (منهم) وهو أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك الذي به ختمت أبواب السياسة والحزم والجهاد (بالنسبة للأمويين).

ولقد راعينا في تخريجنا لمرويات هذا الجزء وتفاصيله ما ذكرنا من الشروط اللازمة لإعادة كتابة التأريخ الإسلامي كما ذكرها الأساتذة المعروفون في هذا المجال إلاّ أننا تساهلنا في هذا الجزء بعض الشيء وفي مواضع معينة (كتفاصيل بعض المعارك والفتوح ولنا في ذلك ما يبرر لأننا لاحظنا الآتي (خلال تخريجنا للروايات) ازدياد عدد الروايات التي لا إسناد لها شيئاً فشيئاً وقلة عدد المرويات المسندة تدريجياً كلما تقدمنا عند الطبري.

ولذلك أخذنا بعين الاعتبار قاعدة الأستاذ العمري (ففي الأبحاث التأريخية تعتبر الروايات المسندة من طرق رواة لا يبلغون مستوى الثقات أفضل من الروايات والأخبار غير المسندة لأن فيها ما يدل على أصلها ويمكن التحكم بنقدها وفحصها بصورة أفضل من الأخبار الخالية من السند (دراسات تأريخية ص ٢٦) وأخذنا بعين الاعتبار ما ذكره الاستاذ العمري في كتابه السابق: أما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التأريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة ففيه تعسف كثير، والخطر الناجم عنه كبير، لأن الروايات التأريخية التي دوّنها أسلافنا المؤرخون لم تعامل معاملة الأحاديث بل تم التساهل فيها وإذا رفضنا

منهجهم فإن الحلقات الفارغة في تأريخنا ستشكِّل هوة سحيقة بيننا وبين ماضينا مما يولد الحيرة والضياع والتمزق والانقطاع] ص ٢٧/ المصدر السابق.

ولكننا في الوقت نفسه أخذنا بعين الاعتبار أيضاً ما قاله الأستاذ العمري: (وعندما يقوم المؤرخون اليوم بمحاولة تدقيق مصادرنا التأريخية ونقد متونها فإن بالإمكان الاستفادة من قواعد نقد الحديث وعلم الرجال في ترجيح الروايات التأريخية المتعارضة كأن تكون إحدىٰ الروايتين المتعارضتين بإسناد متصل رجاله ثقات والأخرى وردت بإسناد منقطع أو عن طريق رواة مجروحين فعندئذ ينبغي ترجيح الرواية الأولى على الثانية) [المصدر السابق/ ص ٢٧].

وإضافة إلى هذه القاعدة الجليلة لأستاذنا فإننا قد اعتمدنا شيئاً آخر وخاصة فيما يتعلق بالتهم الكبيرة الملصقة بسيرة الخلفاء والعلماء وقادة الفتح الإسلامي (آنذاك) والفتن الكبيرة التي حصلت إذ لم تقبل في تلك المسائل إلاّ الروايات المسندة الموصولة الصحيحة ولقد استخدمنا في الجزء السابق (٤١ ـ ١٠١ هـ) قاعدة الأستاذ العمري: وكما أن استعمال قواعد المصطلح في نقد الروايات التأريخية ينبغي أن يشتد على قدر تعلّق المادة بالأحداث الخطيرة التي تؤثر فيها الأهواء ويسقط عندها الرواة كأن تكون الروايات لها مساس بالعقائد والفتن التي حدثت في حياة الصحابة... إلخ) [المصدر السابق ص ٢١١].

وأخذنا بعين الاعتبار كذلك هدفنا الذي ذكرناه من بين أهداف هذا المشروع العلمي ألا وهو الوصول إلى حقيقة الواقعة التأريخية دون تقصير أو مبالغة ولذلك جعلنا نصب أعيننا قول أستاذنا الفاضل عمر عبيد حسنة: إن من الخطأ التربوي والثقافي والديني أيضاً الاقتصار على إبراز الجوانب المشرقة وتضخيمها في التأريخ الإسلامي وتصوير مجتمع المسلمين على أنه مجتمع ملائكة معصومين من الخطأ وتغييب أو إسقاط فترات الانكسار والهزيمة والسقوط التي قد تمثل النقاط السوداء والسلبية في مسيرة الأمة إذا ما تمّت معايرتها بالقيم وإن كانت مساحتها في التأريخ الإسلامي لا تكاد تذكر أمام الإنجازات العظيمة والعطاء الحضاري [قيم المجتمع الإسلامي/ ١١] ولا داعي لتكرار القواعد والأسس التي وضعها الأساتذة الأفاضل من أمثال (الدكتور عماد الدين خليل والدكتور أكرم العمري والدكتور يحيى اليحيى والدكتور الشهرزوري والدكتور محمد أمحزون) فقد ذكرنا

أكثرها في مقدمة الكتاب وإنما أردنا التذكير ببعضها هنا ولقد ذكرنا الحوادث المتعلقة بالفتوح والمعارك التي حصلت للدفاع عن تخوم الخلافة في قسم الصحيح إذا وجدنا ما يؤيد وقوعه من مصدر تأريخي لمؤرخ ثقة كخليفة بن خياط والبسوي وابن سعد والبلاذري وغيرهم وإذا لم نجد من يؤيد الطبري في حدوث وقعة معينة ولم يذكره الطبري بسند صحيح وضعنا تلك الحادثة في قسم المسكوت عنه والضعيف ـ فإن كان ما فعلت صواباً فمن الله التوفيق وإن أخطأنا فمن أنفسنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة صفر / ١٤٢٣ هـ

* * *



ثم دخلت سنة إحدى وأربعين
ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك تسليم الحسن بن عليّ عليه السلام الأمرَ إلى معاوية ودخول معاويةَ الكوفة ، وبيعة أهل الكوفة معاويةَ بالخلافة[1] . (٥ : ١٦٢)

(١) ذكر الطبري هنا ثلاث روايات : الأولىٰ (عن الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما) (من مراسيل الزهري) وهو مرسل ضعيف كما بينا في قسم الضعيف فهو من طريق يونس بن يزيد عن الزهري وهو وإن كان من أصحاب الزهري إلاّ أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً .
وقال أحمد في روايته عن الزهري : مناكير أو كما قال . وقد ظهرت هنا بعض أوهامه عن الزهري فقد زاد عما في الصحيح زيادات لم نجد لها متابعاً أو شاهداً ، والرواية الثانية كذلك من الطريق نفسه (مرسل الزهري) حول الصلح بين معاوية وقيس بن سعد رضي الله عنهما .
والرواية الثالثة : في رجوع الحسن والحسين إلى المدينة وإسنادها ضعيف جداً ، وقد ذكرنا هذه الروايات الثلاث في قسم الضعيف أما هنا فسنذكر أصل القصة في ما جرىٰ من الصلح بين أمير المؤمنين معاوية والسيد الجليل الحسن بن علي رضي الله عنهما .
١ - أخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسىٰ قال : سمعت الحسن يقول : (استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص : إني لأرىٰ كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها ـ فقال معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس ، من لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الله بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ، فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه .
فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها ، قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك ، قال فمن لي بهذا؟ قالا نحن لك ، فما سألهما شيئاً إلا قالا نحن لك به فصالحه فقال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرىٰ ويقول : إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . (فتح الباري ٥/ ٣٦١).
٢ - ورواية أخرىٰ صحيحة تبيّن بوضوح القصد الإصلاحي لسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه إذ تنازل عن الخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين ومصداقاً لقول رسول الله ﷺ : «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» أي بصيغة الإخبار .
والحديث الذي أشرنا إليه ابتداءً هو ما أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٧٠) عن جبير بن نفير قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة فقال : قد كان جماجم=

= العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت تركتها ابتغاء وجه الله تعالىٰ وحقن دماء أمة محمد ثم أبتزها بانتاس أهل الحجاز؟
وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وذكره الحافظ ابن كثير من طريق محمد بن سعد ثنا أبو داود الطيالسي ثنا شعبة عن يزيد قال سمعت جبير بن نفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال: قلت للحسن بن علي إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة؟ فقال: كانت جماجم العرب بين يدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت ، فتركتها ابتغاء وجه الله ثم أثيرها ثانياً في أهل الحجاز. (البداية والنهاية ٨/ ٤٣).
٣ ـ وأخرج يعقوب بن سفيان قال: حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عون بن موسىٰ سمعت هلال بن خباب: جمع الحسن رؤوس أهل العراق في هذا القصر ـ قصر المدائن ـ فقال: إنكم قد بايعتموني علىٰ أن تسالمون من سالمت ، وتحاربون من حاربت وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا. (المعرفة والتأريخ ٣/ ٣١٧).
مراجعة لروايات الطبري حول صلح سيدنا الحسن مع سيدنا معاوية رضي الله عنهم أجمعين.
قبل أن نبدأ مراجعتنا هذه نود أن نذكر هنا أن مدة خلافة سيدنا الحسن رضي الله عنه متممة للخلافة الراشدة ، وذلك للحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة...» الحديث. وقال الترمذي: هذا حديث حسن [سنن الترمذي (ح ٢٢٢٦)].
وقال الحافظ ابن كثير في شرحه لهذا الحديث: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة. [البداية والنهاية (٨/ ١٦)].
قلنا: والخلافة المشار إليها في الحديث الآنف هي الخلافة الراشدة وإلاَّ فإن الخلافة الإسلامية امتدت قروناً وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن تولي آخرين بيَّنت رواية أخرىٰ عند أبي داود مرفوعاً: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك ، أو ملكه من يشاء». [سنن أبي داود (ح ٤٦٤٦)].
وكنا قد انتهينا من تحقيق وتخريج مرويات الطبري فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين وصلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما وخلافة سيدنا معاوية في نهاية سنة ١٩٩٨ م وعند مراجعتي للمسودة سنة ١٤٢٢ هـ (٢٠٠١ م) اطلعت على رسالة دكتوراه قيمة كتبها الأستاذ الفاضل الدكتور خالد بن محمد الغيث من جامعة أم القرىٰ [مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري].
وكعادتنا بعد انتهاءنا من كل جزء من أجزاء الطبري فإننا ننظر فيما كتبه المعاصرون سواء =

= كانت رسائل جامعية ، أو غيرها ، فإن زادوا علينا ولم نتوصل إليه نحن أثناء التحقيق نشير إلى ما توصلوا إليه وننسب الفضل إلى أهله.
وما لم نوافقهم عليه بيناه مع الالتزام بأدب الخلاف ـ وكذلك بالنسبة لكتاب الأستاذ غيث فموقفنا من كتابه يتضح في ثلاثة مواقف: ـ زاد علينا مرات؛ ووافقناه مرات؛ وخالفناه مرات.
أما الذي زاد علينا ، فقد كتب في صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما فصلاً ولقد أجاد في بحثه هذا ، وقسم الصلح إلى مراحل واحتج بالأدلة الصحيحة من مختلف المصادر الموثوقة وبين خطأ الروايات الضعيفة ، ولعلنا نختلف معه في شيء يسير كما سنذكر (١١٣ ـ ١٧٠) من كتابه فمن أراد أن يُلِمَّ بتفاصيل هذا الصلح فليراجعه هناك وجزى الله الأستاذ غيث عنا وعن التاريخ الإسلامي خير الجزاء.
وأما الموضع الآخر ففي فصله المعنون أو الموسوم [تراجم رجال أسانيد الطبري] فقد قال في ترجمة أبي عمر المدني ، لعله سعيد بن سلمة بن أبي الحسام العدوي مولاهم (ترجمة ٤١).
وقال في ترجمة أبي محمد الأموي: لعله إسماعيل بن عمرو بن سعيد (ترجمة ١٠١) وقد ذكر في هاتين الترجمتين احتمالاً لم يخطر على بالنا فزاد علينا جزاه الله خيراً وحلَّ لنا إشكالاً.
ووافقناه في موضع مع اختلاف يسير ، فقد قال في ترجمة عبد الرحمن بن صبح الأزدي: لعله عبد الرحمن بن صبيح الذي قال عنه الرازي: إنه سمع أبا هريرة ولم يورد فيه جرحاً ولا تعديلاً [ترجمة ٦٢].
والذي قلناه في ترجمة عبد الرحمن هذا: عبد الرحمن بن صبيح الأزدي والذي في تاريخ الطبري (صبح) وهو تصحيف والصواب ابن صبيح. والله أعلم.
وأما المواضع التي لم نوافقه فيها فهي كالآتي:
١ ـ قال الأستاذ الفاضل (الغيث) ـ في ترجمة إسماعيل بن راشد السلمي ـ: أورده ابن حبان في ثقاته في طبقة أتباع التابعين [ترجمة ١٢].
قلنا: والفرق معلوم لدىٰ الأستاذ غيث بين الراوي الذي أورده ابن حبان في الثقات وسكت عنه ابن أبي حاتم وبين الراوي الذي أورده ابن حبان في الثقات ولكن لم يسكت عنه ابن أبي حاتم كما هو الحال في هذا الراوي (إسماعيل بن راشد السلمي) فصحيح أن ابن حبان أورده في الثقات إلاَّ أن ابن أبي حاتم قال: مجهول نقلاً عن أبيه. فالأصل أنه مجهول ولا عبارة في هذه الحالة بذكر ابن حبان له في كتاب الثقات.
٢ ـ قال الأستاذ الغيث في كتابه القيم [مرويات خلافة معاوية] ـ في ترجمة أبي إسماعيل =

= الهمداني: لعله إسماعيل بن مجالد الهمداني شيخ علي بن محمد المدائني (ترجمة ١٣) أ.هـ.
قلنا: وهذا احتمال مستبعد للآتي:
لم يذكر الأئمة الذين ألَّفوا في الأسماء والكنىٰ وغير ذلك من التراجم أن كنية إسماعيل بن مجالد هو أبو إسماعيل ولكن قالوا: بأن كنيته أبو عمر.
والسبب الآخر أننا لم نجد في أسماء الرواة الذين رووا عن الشعبي من اسمه أبو إسماعيل أو إسماعيل بن مجالد.
وكذلك لم نجد في ترجمة إسماعيل بن مجالد أنه يروي عن الشعبي، وإسناد الطبري هكذا [المدائني عن أبي إسماعيل الهمداني وعلي بن مجاهد قالا، قال الشعبي].
قلنا: وإن كان هذا يحتمل الانقطاع [قالا: قال] فلم يصرحا بالتحديث والله أعلم.
٣ ـ وقال الأستاذ غيث في ترجمة عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزي: أورده ابن حبان في ثقاته. [ترجمة ٦٥].
واكتفى الأستاذ غيث بهذا القدر، (وفاته أو نسي والله أعلم) قول ابن حبان فيه: مستقيم الحديث، وفرق بين ذكره في الثقات وبين ذكره مع توثيقه.
وكذلك فاته توثيق الخطيب البغدادي له بقوله: من أئمة الحديث سمع أباه. [تاريخ بغداد (٩/ ٣٧١/ ت ٤٩٤٦)].
وعندما ترجم له ابن أبي حاتم ذكر أسماء رواة ثلاث عنه وهم ثقات:
وقال: روى عنه، علي بن الحسين بن الجنيد حافظ حديث الزهري. [الجرح والتعديل (٥/ ٦/ت ٢٧) و(١/ ١/ ٩٦، ٢٦٤، ٣١٠)].
ونحن نرىٰ لهذا الأمر أهمية فالأستاذ غيث حكم على عدد من مرويات الطبري في مسألة الصلح بأنها ضعيفة، وهي من طريق [عبد الله بن أحمد بن شبويه عن أبيه عن سليمان عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري].
وبيان سبب ضعفها، فقد ذكر في ترجمة يونس بن يزيد أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً وإن كان ثقة.
وقال في ترجمة شيخ الطبري [عبد الله بن أحمد]: أورده ابن حبان في الثقات ومعلوم أن ابن حبان متساهل في التوثيق، وقد ذكرنا ما فات الأستاذ غيث في ترجمة عبد الله.
وبالنتيجة فإن الأستاذ غيث قال عن مرويات الطبري في مسألة الصلح هذه: احتوت الروايات الضعيفة التي أخرجها الطبري عن الصلح على إساءة بالغة لشخص الحسن بن علي رضي الله عنه حيث اتهمته للصلح من أجل الدنيا ومتاعها الفاني. [مرويات خلافة معاوية/ ص ١١٣].
وللتعليق على كلام الأستاذ غيث نقول:
أما أنها روايات ضعيفة فنعم، ولقد ذكرناها في قسم الضعيف لأنها ليست على شرط الكتاب =

= (صحيح تاريخ الطبري) وخاصة فيما يتعلق بسيرة الصحابة وهم عدول ، ولكن ليست شديدة الضعف ، ولولا أنها:
أولاً: خالفت شرطنا الذي ذكرناه في قسم الصحيح.
وثانياً: لأن الرواية الصحيحة التي أخرجها البخاري في صحيحه وغيره عن أئمة الحديث والتاريخ فيها كفاية وغنية وهي تغنينا عن الروايات الضعيفة ، ولكن مرويات الطبري في هذا العلم ليست شديدة الضعف ولولا السببين الآنفي الذكر لحوّلناها من الضعيف إلى قسم الصحيح. علماً بأن الحافظ ابن حجر قد صحح إسناد الطبري هذا من باب تساهله في تصحيح الروايات التاريخية فقال: وأخرج الطبري بسند صحيح عن يونس بن يزيد عن الزهري قال: جعل علي علىٰ مقدمة أهل العراق قيس بن سعد وكانوا أربعين ألفاً بايعوه على الموت فقتل علي فبايعوا الحسن بن علي بالخلافة وكان لا يحب القتال ولكن يريد أن يشترط على معاوية لنفسه. [الفتح ١٣/ ٦٧].
٤ ـ هذا فيما يتعلق بالإسناد ، أما فيما يتعلق بالمتن فقد استوقفتنا عبارة الأستاذ الفاضل ، احتوت الروايات الضعيفة التي أخرجها الطبري عن الصلح إساءة بالغة لشخص الحسن بن علي رضي الله عنهما حيث اتهمته بالسعي للصلح من أجل الدنيا ومتاعها الفاني.
وتعقيباً على هذا القول نقول: صحيح أننا ندافع عن عدالة الصحابة لأن أئمة الحديث وفقهاء أهل السنة والجماعة اتفقوا على عدالتهم استناداً إلى النصوص الصريحة الصحيحة وهم نقلة الشريعة ولكن هذا لا يعني أن ننفي عنهم الطبيعة البشرية (الطبائع العادية) أو ننفي عنهم كل سلوك نظنه إساءة إلى عدالة الصحابة فسيدنا الحسن لم يقم بالصلح سعياً وراء متاع الدنيا الفاني ، وهذا ما اتفقنا فيه مع الأستاذ غيث.
ولكن حرص الحسن رضي الله عنه على حصوله على بعض الشروط وفيها ما فرض له من المال سنوياً لا يعني إساءة لشخص الحسن ولا خدشاً في عدالته.
والملفت للنظر أن الأستاذ غيث نفسه قد ذكر الفوائد التي استنبطها الحافظ ابن حجر من رواية الصلح عند البخاري.
ومنها: جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال ، وجواز أخذ المال علىٰ ذلك وإعطائه بعد استيفاء شروطه. [ص: ١٣٦].
وكذلك نقل الأستاذ غيث شرح الحافظ ابن حجر لقول الحسن: وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها ، وأراد الحسن بذلك كله تسكين الفتنة وتفرقة المال على من لا يرضيه إلاَّ المال ، فوافقاه على ما شرط من جميع ذلك والتزما له من المال في كل عام والثياب والأقوات [ص ١٣٥] وانظر [الفتح ١٣/ ٧٠].
وكذلك نقل الأستاذ غيث قول الحافظ: إنا (أي أهل البيت) ، جبلنا على الكرم والتوسعة =

= على أتباعنا من الأهل والموالي وكنا نتمكن من ذلك بالخلافة حتى صار ذلك لنا عادة. [ص ح ١٣٤] وانظر [الفتح ١٣/ ٦٩].
وبعد هذا التوضيح يدرك القارىء الكريم أن طلب الحسن لشروط مالية لنفسه لا ضير فيه ولا طعن فيه لعدالته رضي الله عنه وإضافة في التوضيح على كلام ابن حجر نقول:
إن أئمة أهل البيت (في حينه) كانوا من أكثر الناس سخاءً وصلةً لأرحامهم أسوةً بجدهم عليه الصلاة والسلام، (وصلة الأرحام يكون بالمال غالباً)، أضف إلى ذلك فإن الحسن وأباه رضي الله عنهما كانا إمامي عدل وخليفتين للمسلمين وتعود الناس أن يقصدوهم في طلب المال قضاءً لحاجاتهم، وتصور السخاء والإمامة والانتساب إلى النبي وعترته إذا اجتمعوا في رجل سيد كالحسن الذي شهد له جده عليه الصلاة والسلام بالسيادة فكيف يكون قصد الناس إليه وكيف يكون سخاؤه؟ وكم سيكون إنفاقه على الناس؟ وأما على نفسه فالكل يعرف زهد أئمة أهل البيت في حياتهم الخاصة رضي الله عنهم وأرضاهم.
وكذلك أشارت رواية البخاري رحمه الله أن سيدنا الحسن كان حريصاً على ضمان شروطه.
قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلاّ قالا: نحن لك به فصالحه.
وأما عن مراحل الصلح فقد أجاد الأستاذ غيث كما ذكرنا فليراجع في موضعه من الكتاب القيم [مرويات خلافة معاوية].
ولقد ذكرنا في حينه رواية البخاري في صحيحه عن هذا الصلح (ح ٢٥٥٧) ورواية الحاكم [٣/ ٣١٧] ورواية يعقوب بن سفيان (٣/ ٣١٧) في المعرفة والتاريخ.
وفيما يلي بعض الروايات في الباب.
وأخرج ابن سعد في طبقاته من طريق عبد الله بن بكر (ثقة) حدثنا حاتم بن أبي صغيرة (ثقة) عن عمرو بن دينار (ثقة): (أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح ما بينه وبينه سراً وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حيّ ليسمينه وليجعلن الأمر إليه فلما توثق منه الحسن ـ قال ابن جعفر ـ: والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبي وقال: يا هاهنا اجلس فجلست، فقال: إني قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه، قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبيني هذا الحديث فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت الأرحام والسبل وعطلت الفروج [يعني الثغور].
قال ابن جعفر: (جزاك الله خيراً عن أمة محمد فأنا معك، فقال: ادع لي الحسين...) الخبر. [الطبقات (١/ ٣٣٠)].
وانظر [سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٤)] واللفظ هنا من سير أعلام النبلاء. انظر [تهذيب ابن عساكر ٤/ ٢٢٤)].
وهذه الرواية توكيد لرواية البخاري من أن الحسن ومعاوية رضي الله عنهما كانا يرغبان في =

= الصلح وحقن دماء المسلمين. ومن أئمة أهل البيت من يؤيد الحسن كعبد الله بن جعفر ، ومن عداهم ممن لم يرغبوا في الصلح قد نزلوا على رأيه لأنه أكبر ولد عليّ وقد سماه عليه الصلاة والسلام سيداً وصدق رسول الله ﷺ.

وأخرج يعقوب بن سفيان النسوي بإسناد رجاله بين الثقة والصدوق فقال [٣/ ٣١٨]:

ثنا سعيد بن منصور عن عون بن موسىٰ عن هلال بن خباب.

وأخرج الخطيب البغدادي من طريقين:

عن سعيد بن منصور عن عون بن موسىٰ عن هلال بن خباب.

ومن طريق ابن سعد عن موسى بن إسماعيل: عن عون بن موسىٰ عن هلال بن خباب قال: (جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن فقال: يا أهل العراق لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت بقتلكم أبي ومطعنكم بغلتي (وفي الميزان ، فخذي) وانتهابكم ثقلي (أو قال: ردائي) عن عاتقي ، وإنكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا ، قال: ثم نزل فدخل القصر) واللفظ لموسى بن إسماعيل [تاريخ بغداد (١/ ١٣٦)].

قلنا: والخبر أخرجه الذهبي في الميزان في ترجمة سكين بن عبد العزيز [ت ٩٢٧٢] والله أعلم.

وقال الهيثمي: وعن ابن سيرين أن الحسن بن علي قال:

(لو نظرتم ما بين جابرس إلى جابلق ما وجدتم رجلاً جده نبي غيري وأخي وإني أرىٰ أن تجتمعوا على معاوية وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين).

قال معمر (الراوي): جابرس وجابلق: المشرق والمغرب.

رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٤/ ٢٠٨)].

وأخرج الإسماعيلي الخطيب من طريق حماد بن زيد عن علي بن زيد وهشام عن الحسن.. الخبر (في صلح الحسن ومعاوية) وفي آخره قال: (فنظر إليهم أمثال الجبال في الربد ، فقال: أضرب هؤلاء بعضهم ببعض في ملك من ملك الدنيا؟ لا حاجة لي به). [الإصابة (٢/ ٧٣)].

وأخرج ابن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب قال: (لما قتل علي سار الحسن في أهل العراق ، ومعاوية في أهل الشام فالتقوا فكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن يجعل العهد له من بعده ، فكان أصحاب الحسن يقولون: يا عار المؤمنين ، فيقول: العار خير من النار). [الإصابة (٢/ ٧٣)].

وعلى أية حال فإن الحسن لم يكن يرغب في القتال في الفتنة من أول عهده ، ولكنه انتظر =

ظرفاً مناسباً وأمراً مهيئاً كي يعلن صلحه في توقيت مناسب ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وصدقت نبوءة جده عليه الصلاة والسلام فيه.

وإذا كانت الأمة الإسلامية قد نعمت بالأمن والأمان لعقدين من الزمان في عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه فقد جعل الله لذلك ـ بقدره ـ سببين :

الأول : تفضل أمير المؤمنين الحسن بن علي للصلح على القتال وتقديم المصلحة الأخروية على الدنيوية.

والسبب الثاني : هو ما رزقه الله من الدهاء والحلم والحكمة والسياسة لسيدنا معاوية رضي الله عنه بالإضافة إلى رغبته كذلك في الصلح كما كان يرغب أخوه في الله الحسن بن علي.

وإذا اقتتل الأخوان يوماً فلا يخرجان بذلك من دائرة الإيمان لقوله تعالىٰ : ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات : ١٠].

وسبق أن ذكرنا رواية الحاكم في المستدرك (٣/ ١٧٠) عن جبير بن نفير قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة ، فقال : (قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت تركتها ابتغاء وجه الله تعالىٰ وحقن دماء أمة محمد. . .) الخبر.

وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والله أعلم.

وكما قال الحافظ ابن حجر ، فإنه (أي : الحسن) ترك الملك لا لقلةٍ ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعىٰ أمر الدين ومصلحة الأمة. [الفتح (١٣/ ٦٦)].

ولقد سرد الأستاذ الفاضل خالد بن محمد الغيث بعضاً من هذه الروايات وزاد عليها روايات لم نذكرها نحن وهي صحيحة ، وقسّم الصلح إلى مراحل وبين من خلالها أن محاولة اغتيال الحسن رضي الله عنه تكررت مرة قبل الصلح ومرة بعدها.

والذي نراه ـ والله أعلم ـ أنه جرت له محاولة اغتيال مرة واحدة ، ولو طعنوه مرتين لذكر قائلاً : وطعني في فخذي مرتين. (مثلاً) ، ولم نجد رواية صحيحة تذكر ذلك. وما ذكره البلاذري وغيره ـ مما ذكره الأستاذ غيث عند حديثه عن المرة الثانية ـ ذكر بلا إسناد ، والله أعلم.

ويبدو لنا ومن خلال الروايات أن الحسن راسل معاوية سراً في بداية الأمر كما تبين رواية ابن سعد [فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سراً] ، ثم بدأ الحسن يتحدث إلى أقرب المقربين إليه ابن عمه وأخيه ، ثم لمّا كان الوقت المناسب أعلن الصلح على الملأ.

ولقد سرد الأستاذ جميع روايات الصلح سريها وعلنيِّها إلاَّ أنه لم يشر إلى ذلك في شرحه للمراحل. وتوفيقاً بين رواية البخاري ورواية ابن سعد الصحيحة عن عمرو بن دينار نقول :

١م - حدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: أخبرني سليمان بن بلال ، عن الجارود بن أبي سَبْرة ، قال: صالح الحسنُ عليه السلام معاوية ، وشخَص إلى المدينة ، فبعث معاوية بُسْر بن أبي أرطاة إلى البصرة في رجب سنة إحدى وأربعين وزياد متحصّن بفارس ، فكتب معاوية إلى زياد: إن في يديْك مالاً من مال الله ، وقد ولِّيت ولاية فأدِّ ما عندك من المال ، فكتب إليه زياد: إنه لم يَبقَ عندي شيء من المال ، وقد صرفتُ ما كان عندي في وجهه ، واستودعتُ بعضه قوماً لنازلة إنْ نزلت ، وحملتُ ما فَضَل إلى أمير المؤمنين رحمةُ الله عليه ، فكتب إليه معاوية: أن أقبِل إليّ ننظر فيما ولِّيت ، وجرى على يديْك ، فإن استقام بيننا أمرٌ فهو ذاك ، وإلا رجعتَ إلى مأمنِك؛ فلم يأته زياد ، فأخذ بُسْر بني زياد الأكابر منهم ، فحبسهم: عبد الرحمن ، وعبيد الله ، وعبّاداً ، وكتب إلى زياد: لتقدمنّ على أمير المؤمنين أو لأقتلنّ بنيك ، فكتب إليه زياد: لستُ بارحاً من مكاني الذي أنا به حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك ، فإن قتلتَ

= الأقرب إلى الواقعة التاريخية أن فترة زمنية قصيرة كانت بين الصلح السري والعلني والله تعالى أعلم.

ولقد فصل الحافظ ابن حجر في الفتح حول هذه المسألة التاريخية ، وعلق على قول ابن بطال: ذكر أهل العلم بالأخبار أن علياً لما قتل سار معاوية يريد العراق وسار الحسن يريد الشام فالتقيا بمنزل في أرض الكوفة ، فنظر الحسن إلى كثرة من معه فنادىٰ: يا معاوية إني اخترت ما عند الله فإن يكن هذا الأمر لك . . . إلخ.

فقال ابن حجر: والمحفوظ أن كلام الحسن الأخير إنما وقع بعد الصلح والاجتماع كما أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي في الدلائل من طريقه ومن طريق غيره بسندهما إلى الشعبي قال: (لما صالح الحسن بن علي معاوية قال له معاوية: قم فتكلم ، فقام فحمد الله فأثنىٰ عليه ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس التقى وإن أعجز العجز الفجور ألا وإن الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق له مني ، أو حق لي تركته لإرادته إصلاح المسلمين وحقن دمائهم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حيين ثم استغفر الله ونزل).

[الفتح (١٣/ ٦٣)].

قلنا: والخبر أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦/ ٢٠٩) عن الشعبي بلفظ (شهدت الحسن بن علي رضي الله عنه بالنخيلة حين صالحه معاوية رضي الله عنه فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فتكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي. . .).

الخبر وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٧٥) والله أعلم.

مَن في يديك مِن وَلَدي فالمصير إلى الله سبحانه، ومن ورائنا وورائِكم الحساب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فهمّ بقتلهم ، فأتاه أبو بكْرة فقال: أخذتَ ولدي وولد أخي غلماناً بلا ذَنْب ، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب عليّ حيث كانوا ، فليس لك على هؤلاء ولا على أبيهم سبيل؛ قال: إنّ على أخيك أموالاً قد أخذها فامتنع من أدائها؛ قال: ما عليه شيء ، فاكفف عن بني أخي حتى آتِيَك بكتاب من معاوية بتخلِيتَهم ، فأجّله أياماً ، قال له: إن أتيتَني بكتاب معاوية بتخلِيتَهم وإلا قتلتُهم أو يُقبل زيادٌ إلى أمير المؤمنين ، قال: فأتى أبو بكرة معاويةَ فكلّمه في زياد وبنيه ، وكتب معاوية إلى بُسر بالكفّ عنه وتَخلية سبيلهم ، فخلاّهم[1]. (٥: ١٦٨/ ١٦٩).

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

وولّى معاوية في هذه السنة مَرْوانَ بن الحكم المدينة ، فاستقضَى مَرْوانُ عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وعلى مكّة خالد بن العاص بن هشام ، وكان على الكوفة من قبَله المغيرةُ بن شُعبة ، وعلى القضاء شُريح ، وعلى البَصْرة عبد الله بن عامر ، وعلى قضائها ، عمرو بن يثربيّ ، وعلى خُراسان قيس بن الهيثم من قِبَل عبد الله بن عامر[2]. (٥: ١٧٢).

---

(١) رجاله ثقات.

(٢) قلنا: أما المغيرة بن شعبة فقد ذكرنا في عهد سيدنا علي رضي الله عنه أنه كان والياً على الكوفة وبقي كذلك في عهد أمير المؤمنين معاوية وذلك ثابت عند علماء السنة والسير والمغازي وأخرج مسلم في صحيحه (٢/ ٦٤٣) حديثاً وفيه: (قال علي بن ربيعة أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة).
وأخرج الترمذي في سننه (٣/ ٣٢٥): مات رجل من الأنصار يقال له قرظة بن كعب ، فنيح عليه فجاء المغيرة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال النوح في الإسلام / وفي رواية أخرى لمسلم عن علي بن ربيعة: أول من نيح عليه بالكوفة قرظة بن كعب (صحيح مسلم ٢/ ٦٤٣).
وكذلك كان شريح علىٰ قضاء الكوفة وأما تولية مروان بن الحكم على المدينة من قبل أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه فثابت.

=

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من أحداث

وفيها مات عمرو بن العاص بمصرَ يومَ الفِطْر ، وقيْلَ كان عمل عليها لعمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أربعَ سنينَ ، ولعثمان أربعَ سنين إلا شهرين ، ولمعاوية سنتين إلا شهراً[(١)] . (٥ : ١٨١) .

وفيها مات محمد بن مسلَمة في صفر بالمدينة ، وصلّى عليه مروانُ بن الحكَم[(٢)] . (٥ : ١٨١) .

= كما أخرج البخاري في صحيحه عن يوسف بن ماهك قال: (كان مروان على الحجاز استعمله معاوية. . . الخبر. . .) (فتح الباري ٨/ ٤٣٩).
وأخرج النسائي في تفسيره أثراً من طريق محمد بن زياد الجمحي قال: (كان مروان عاملاً على المدينة. .) تفسير النسائي (٢/ ٢٩٠).
والأحاديث العديدة تبين أنه كان في عهد معاوية أميراً على المدينة وحفظت لنا كتب الصحاح والسنن التعامل الحسن بين مروان والصحابة كما سنذكر في حينه.
وقال الحافظ تعقيباً على رواية البخاري في صحيحه عن أبي صالح السمان قال (رأيت أبا سعيد الخدري في يوم الجمعة يصلي إلى شيء يستره من الناس فأراد شاب من بني أبي معيط أن يجتاز بين يديه. . . الحديث). فقال الحافظ: زاد الإسماعيلي (ومروان يومئذ على المدينة) قال الحافظ: ومروان إنما كان أميراً علىٰ المدينة في خلافة معاوية (فتح الباري ١/ ٦٩٣) والله تعالى أعلم.
وأما عامل معاوية على مكة فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٥٠١) عن عطاء (أن عبد الرحمن بن أبي بكر طاف في إمارة عمرو بن سعيد علىٰ مكة ـ يعني في خلافة معاوية ـ فخرج عمرو إلىٰ الصلاة. . . إلخ). وقال الحافظ في الفتح (٥/ ١٤٧): والعامل المذكور هو عنبسة بن أبي سفيان كما ظهر من رواية مسلم (صحيح مسلم ١/ ١٢٥).

(١) قلنا: وكذلك قال خليفة بن خياط (تأريخ خليفة / ٢٠٦).
واختار الذهبي فقال: فيها توفي عمرو بن العاص علىٰ الصحيح وعبد الله بن سلام الحبر ومحمد بن مسلمة (تأريخ الإسلام ـ عهد معاوية / ١١).

(٢) قلنا: وكذلك ذكر خليفة بن خياط وفاة محمد بن مسلمة الأنصاري ضمن وفيات سنة (٤٣ هـ) (تأريخ خليفة / ٢٠٦) وسبق أن ذكرنا قبل قليل اختيار الذهبي في هذه المسألة والله أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

غزو بُسر بن أرطاة البحر - ذكر الإمام المؤرخ خليفة بن خياط ذلك ضمن أحداث سنة (٣٣ هـ) إذ قال: وفيها شتّىٰ بسر بن أرطاة. بأرض الروم (تأريخ خليفة / ٢٠٦) وكذلك ذكره الذهبي ضمن أحداث سنة (٣٣ هـ) فقال: وفيها شتَّىٰ بُسر بن أرطأة بأرض الروم مرابطاً (عهد معاوية / ١١).

(استلحاق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه)

وكانت العمّالُ في الأمصار فيها العُمّال الذين ذكرْنا قبلُ أنهم كانوا العمّال في سنة ثلاث وأربعين[1]. (٥ : ٢١٥).

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة

وكانت الوُلاة والعُمّال على الأمصار في هذه السنة من تقدم ذكره قبل: المُغيرة بن شُعْبة على الكُوفة، وشُريح على القضاء، وزياد على البَصرة، والعُمّال من قد سميَّت قبلُ[2]. (٥ : ٢٢٦).

ثم دخلت سنة ست وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

اختلف المؤرخون في تحديد اسم الأمير الذي شتَّى ولكنهم اتفقوا على حدوث ذلك في هذه السنة كما ذكر الطبري[3]. (٥ : ٢٢٧).

---

(١) صحيح.

(٢) صحيح.

(٣) وخليفة بن خياط (تأريخ خليفة/ ٢٠٨).

ويبدو أن الحافظ الذهبي لم يذكر أسماء الأمراء لاختلافهم فيه ولكنه ذكر ما لا خلاف فيه عندهم وهو كما قال (وفيها شتىٰ المسلمون بأرض الروم والله أعلم) (عهد معاوية/ ١٦).

[غزوة بسر بن أرطاة (أذنة)] =

(وكان العمال والولاة فيها العمال والولاة في السنة التي قبلها)[1] (٥ : ٢٢٨)

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج[2]

= لقد ذكر الطبري هذه الغزوة ضمن أحداث سنة (٥٠) هـ إلاّ أنا ذكرناها هنا لأن يعقوب بن سفيان أخرج روايةً مسندة من طريق ابن بكير: حدثني الليث بن سعد قال: وفي سنة ست وأربعين غزوة بسر وشريك لأذنة (المعرفة والتأريخ ٣/ ٣١٩).

وكذلك أخرج ابن عساكر هذا الخبر في تأريخ دمشق (١٠/ ٦) ، والله أعلم.

(١) صحيح.

(٢) لقد ذكر الطبري هذا الخبر عن الواقدي بلا إسناد ورأينا مناسباً هنا أن نذكر أسماء ولاة مصر في عهد أمير المؤمنين معاوية (مما وجدناه بروايات مسندة والله أعلم).

١ ـ عمرو بن العاص: وليها في عهد معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وذكر الكندي اسمه مرتين الأولىٰ عندما أصبح أول أمير لمصر في عهد أمير المؤمنين ثم ذكره مرة أخرىٰ وهذه الثانية فقال: ثم وليها عمرو بن العاص ولايته الثانية عليها من قبل معاوية ، وأخرج الكندي قال حدثنا ابن قديد: حدثنا يحيىٰ بن عثمان بن صالح قال حدثني نعيم بن حماد عن المبارك عن حرملة بن عمران عن أبي فراس قال: مات عمرو بن العاص ولم يترك إلا سبعة دنانير وكانت وفاة عمرو ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين واستخلف ابنه عبد الله على صلاتها وخراجها) ـ ولاة مصر (٧٥).

قلنا: وفي إسناد نعيم بن حماد مختلف فيه وهو إلى الضعف أقرب.

ثم ذكر الكندي ثامن والٍ على مصر وهو عتبة بن أبي سفيان ، وأخرج الكندي قال: حدثني عمي الحسين بن يعقوب التجيبي قال: حدثني أحمد بن يحيىٰ بن وزير قال: حدثني عبد العزيز بن أبي ميسرة الحضرمي عن أبيه قال: لما وفد عتبة على معاوية في وجود الخبر استخلف عبد الله بن قيس التجيبي من بني زميلة على الخبر وقدم عتبة علىٰ معاوية فسأل عنه الوفد فقال: ما تقولون في أميركم؟ فقال أبو عبادة بن عوف المعافري أحد بني حليف: يا أمير المؤمنين حوتُ بحر ، ووعل برّ ، فقال معاوية لعتبة: اسمع ما تقول فيك رعيتك؟ فقال: صدقوا يا أمير المؤمنين وليتني الصلاة وزويت عني الخراج ، فأكره أن أظهر لهم فيسألوني عليها (ولاة مصر/ ٥٩) وذكر الكندي أنه عزل عن مصر سنة (٤٧ هـ).

ثم ذكر الكندي تاسع ولاة مصر وهو (عقبة بن عامر) فقال: ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها ـ =

وكانت الوُلاة والعُمّال على الأمصار الذين ذكرت أنهم كانوا العمّال والولاةَ في السنة التي قبلها[١]. (٥: ٢٢٩).

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

وحجّ بالناس في هذه السنة مَرْوانُ بن الحكم في قول عامة أهل السِّيَر[٢]. (٥: ٢٣١).

وكانت وُلاة الأمصار وعمّالُها في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلَها[٣]. (٥: ٢٣١).

ثم دخلت سنة تسع وأربعين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

فكان فيها مشتّى مالك بن هُبيرة السَّكونيّ بأرض الروم. (٥: ٢٣٢)[٤].

= ثم ذكر الكندي اسم الوالي العاشر على مصر (مسلمة بن مخلد) فقال: ثم وليها مسلمة بن مخلد الأنصاري من قبل معاوية وجمع له الصلاة والخراج والمعترب، ثم أخرج الكندي قال: حدثني علي بن سعيد قال نا ابن أبي عمر قال أخبرنا سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن سبرة قال سمعت مجاهداً يقول: صليت خلف مسلمة بن مخلد، فقرأ بسورة البقرة فما ترك ألفاً ولا واواً. (ولاة مصر/٦٣).

ثم قال الكندي: وتوفي مسلمة بن مخلد وهو والٍ عليها بخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين (٦٢) وهذا يعني أنه كان آخر والٍ على مصر في عهد أمير المؤمنين معاوية والله تعالىٰ أعلم.

(١) صحيح.

(٢) صحيح.

(٣) صحيح.

(٤) عن زيادة بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار، والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم؛ فإنه كان يحب العفو. ثم قال: أما بعد؛ فإني أتيت النبيﷺ قلتُ: أبايعك.

على الإسلام ـ فشرط عليّ والنصح لكل مسلم فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني=

لناصح لكم ثم استغفروا ثم ينزل (فتح الباري ١/ ١٦٨).
ثم عقب الحافظ على هذا الحديث قائلاً: كان المغيرة والياً على الكوفة في خلافة معاوية، وكانت وفاته سنة خمسين من الهجرة، واستناب عند موته عروة وقيل استناب جرير المذكور ولهذا خطب الخطبة المذكورة حكىٰ ذلك العلائي في أخبار زياد... وقال الحافظ: قوله (استعفوا أميركم) كذا في معظم الروايات بالعين المهملة، وفي رواية ابن عساكر (استغفروا) بغين وزيادة راء وهي رواية الإسماعيلي في المستخرج (فتح الباري ١/ ١٦٩).
قلنا: وهذه الرواية عند ابن عساكر في تأريخ دمشق (١٧/ ٤٥ ب).

(ولاية زياد على الكوفة)

قلنا: وأما جمع العراق لزياد في عهد معاوية فصحيح ولا خلاف فيه بين أئمة التأريخ أضف إلى ذلك أن خليفة بن خياط قد أخرج رواية في هذه التولية من طريق الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن مغيرة عن أبيه قالا: وجمعت العراق لزياد سنة خمسين فكان على شرطه بالبصرة عبد الله بن حصن أحد بني ثعلبة بن يربوع، وعلىٰ شرطه بالكوفة شداد بن الهيثم الهلالي، وكاتب الخراج زاذان فروخ وكاتب الرسائل عبد الرحمن بن أبي بكرة وجبير بن حية، وحاجبه مهران مولاه ومات وهو ابن ثلاث وخمسين (تأريخ خليفة / ٢١٢).
وقال الحافظ في الفتح (٣/ ٦٣٧): وأمر زياد على العراقَيْن البصرة والكوفة جمعهما له، ومات في خلافة معاوية سنة ثلاث وخمسين اهـ.
وأما عن مسألة استلحاق معاوية لزياد فقد قال الحافظ في الفتح: وقبل استلحاق معاوية له كان يقال له زياد بن عبيد، وكانت أمه سمية مولاة الحارث بن كلدة الثقفي تحت عبيد المذكور فولدت زياداً على فراشه فكان ينسب إليه، فلما كان في خلافة معاوية شهد جماعة على إقرار أبي سفيان بأن زياداً ولده، فاستلحقه وزوج ابنه ابنته، وأمر زياداً على العراقين البصرة والكوفة، جمعهما له ومات سنة ثلاث وخمسين (الفتح ٧/ ٦٣٧) وراجع صحيح مسلم (١/ ٨٠).
والمسند (١/ ٢٥ ـ ٢٦) والفتح (١٢/ ٥٣).

ـ سمرة بن جندب أمير البصرة ـ

لقد عمل الصحابي الجليل سمرة بن جندب أميراً على البصرة أيام الخليفة الأموي معاوية رضي الله عنه وكان شديداً علىٰ الخوارج الحرورية الذين خسروا معركتهم أما جيش سيدنا علي في النهروان ولقد أثنىٰ عليه علماء التابعين كالحسن البصري وابن سيرين وغيرهم أما المبتدعة الحاقدين كالخوارج ومن علىٰ شاكلتهم فقد لفقوا أكاذيب كثيرة حول سيرته ولم نجد رواية صحيحة السند تؤكد أن سمرة سفك دماء المسلمين سوىٰ الخوارج الذين أعلنوا

[خروج قريب وزحّاف]

٢م - حدّثني عمر قال: حدّثني زهير بن حرب، قال: حدّثنا وهب بن جَرير، قال: حدّثنا غسّان بن مضرَ، عن سعيد بن زيد، قال: خرج قَريب وزحّاف، وزياد بالكُوفة، وسَمُرة بالبصرة، فخرجا ليلاً، فنزلا بني يَشكر، وهم سبعون رجلاً، وذلك في رمضان، فأتوا بني ضبَيعة وهم سبعون رجلاً، فمرّوا بشيخ منهم يقال له حكّاك، فقال حين رآهم: مرحباً بأبي الشَّعْثاء! فرآه ابن حُصين فقتَلوه وتفرّقوا في مساجد الأزْد، وأتت فرقةٌ منهم رَحْبة بني عليّ، وفرقة مسجدَ المعادل، فخرج عليهم سيفُ بن وَهْب في أصحاب له، فقتَل مَنْ أتاه، وخرج على قَريب وزحّاف شبَابٌ من بني عليّ وشبابٌ من بني راسب، فرمَوْهم بالنَّبل، قال قريب: هل في القوم عبدُ الله بنُ أوس الطاحيّ؟ وكان يناضله؛ قيل: نعم؛ قال: فهلمّ إلى البراز؛ فقتله عبدُ الله وجاء برأسه، وأقبل زيادٌ من الكوفة فجعل يؤنِّبه، ثم قال: يا معشر طاحِيةً، لولا أنكم أصبتم في القوم لنفيتُكم إلى السجن. قال: وكان قَريبُ من إياد، وزحّاف من طَيّيء، وكانا ابنيْ خالة، وكانا أوّلَ من خرج بعد أهل النَّهر.

قال غسّان: سمعت سعيداً يقول: إنّ أبا بلال قال: قريب لا قرّبه الله، وايمُ

= الحرب علىٰ إمامة المسلمين منذ عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

ولقد أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب من طريقين عن طريق (أحمد بن حنبل) أحدهما قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان ثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير ثنا أحمد بن حنبل ثنا عبد الصمد ثنا أبو هلال ثنا عبد الله بن صبيح عن محمد بن سيرين قال: كان سمرة ما علمت عظيم الأمانة صدوق الحديث ـ يحب الإسلام وأهله ـ وأخرجه ابن عبد البر كذلك من طريق عبد الرحمن بن يحيىٰ حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: ثنا محمد بن علي بن مروان عن أحمد بن حنبل به (الاستيعاب / ٢/ ٢١٤).

وقال ابن الأثير الجزري: وكان شديداً على الخوارج وكان إذا أتي بواحد منهم قتله، ويقول شر قتلى تحت أديم السماء يكفرون المسلمين ويسفكون الدماء فالحرورية ومن قاربهم في مذهبهم يطعنون عليه وينالون منه (أسد الغابة ٢/ت ٢٢٤٣).

ولقد تحدثنا عن هذا الصحابي الجليل بالتفصيل في قسم الضعيف (٥/ ٢٣٧).

الله لأن أقع من السماء أحبّ إليّ من أن أصنع ما صنع ـ يعني الاستعراض[١].
(٥ : ٢٣٧/٢٣٨).

٣م ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا زهير ، قال: حدّثني وهب ، قال: حدّثني أبي أن زياداً اشتدَّ في أمر الحروريّة بعد قَريب وزحّاف ، فقتلهم وأمر سَمُرة بذلك ، وكان يستخلفه على البَصرة إذا خرج إلى الكوفة ، فقتل سَمُرة منهم بَشَراً كثيراً[٢]. (٥ : ٢٣٨).

فتح إفريقية وبناء القيروان

وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث قبل أن يولي مسلمة مصر وأفريقية

---

(١) رجاله ثقات وأخرجه خليفة بن خياط قال حدثنا وهب قال: حدثني غسان بن مضر قال: حدثني سعيد بن يزيد (تأريخ خليفة/ ٢٢١) ، مع ذكر بعض التفاصيل الأخرىٰ والسند عند خليفة (سعيد بن يزيد) بدلاً من (سعيد بن زيد) وقال المحقق في الأصل زيد والتصويب من الحاشية.
قلنا: بل الأصوب ما كان في أصل المخطوطة (سعيد بن زيد) ويؤيد ذلك ما عند الطبري (سعيد بن زيد) وهو ثقة والله تعالى أعلم.
وأخرج خليفة بن خياط قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثني أبي عن جرير بن يزيد قال خرج قريب وزحاف في إمارة زياد في سبعين رجلاً. وذلك في شهر رمضان فأتوا بني ضبيعة وهم في مسجدهم فلقوا رجلاً منهم يقول له رؤبة بن المخبل فقتلوه قال وهب فحدثني الزبير بن الخريب عن أبي لبيد: أن رؤبة بن المخبل قال في العشية التي قتل في ليلتها في شيء حدَث به:ـ
إن كنت صادقاً فرزقني الله الشهادة قبل أن أرجع إلىٰ بيتي. فلقوه تلك الليلة قبل أن يصل إلى منزله فقتلوه ثم أتوا مسجد بني قطيعة (تأريخ خليفة/ ٢٢٠).
قلنا: إن كان الراوي جرير بن يزيد فهو ضعيف ولا نظنه هو لأمرين:
الأول: أن أصل المخطوطة كما ذكر المحقق هو كالآتي: (جرير بن زيد).
الثاني: أنه كذلك عند الطبري جرير بن زيد هذا ثقة وخليفة دمج هنا روايتين من طريق وهب ، الرواية الأولىٰ من طريق وهب عن أبيه عن جرير بن زيد ورجاله رجال الصحيح. والثاني من طريق وهب عن الزبير بن خريت عن أبي لبيدة ورجاله ثقات والله أعلم. ـ وهذا لا يعني أن جرير بن حازم لم يرو عن جرير بن يزيد الضعيف بل روىٰ عنه كما سيأتي بعد قليل ، وكما أخرج خليفة كذلك في مواضع أخرىٰ والله أعلم.

(٢) إسناده مرسل صحيح ويؤيده ما قبله.

عقبة بن نافع الفهري إلىٰ إفريقية فافتتحها واختط قيروانها[1]. (٥: ٢٤٠).

وفي هذه السنة مات أبو موسى الأشعريّ ، وقد قيل: كانت وفاة أبي موسى سنة اثنتين وخمسين[2]. (٥: ٢٤٠).

---

(١) قلنا: لقد ذكر الطبري هذا الكلام بلا إسناد ونسب شطراً منه إلىٰ الواقدي وهو متروك إلا أن معناه صحيح فقد فتح القائد المسلم عقبة إفريقية واختط القيروان.
فقد قال خليفة في تأريخه: وفيها (أي: ٥٠ هـ) وجه معاوية عقبة بن نافع إلى أفريقية فخطّ القيروان وأقام بها ثلاث سنين ثم أخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا عبد الأعلىٰ بن عبد الأعلىٰ عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال لما افتتح عقبة بن نافع أفريقية وقف علىٰ القيروان فقال: يا أهل الوادي إنا جالّون إن شاء الله فاظعنوا ـ ثلاث مرات ـ. قال فما رأينا حجراً ولا شجراً إلا يخرج من تحت دابة ، حتى يهبطن بطن الوادي ثم قال: انزلوا باسم الله (تأريخ خليفة/ ٢١٠) ورجال إسناده رجال الصحيح إلا محمد بن عمرو وهو صدوق. والله أعلم ـ وكذلك اختار الذهبي سنة (٥٠ هـ) للحديث عن هذه الواقعة فقال: وفيها أنفذ معاوية عقبة بن نافع إلى إفريقية فخط القيروان وأقام بها ـ (عهد معاوية / ٢٠).
ولم نجد اختلافاً بين المصادر التأريخية في نسبة فتح إفريقية وبناء القيروان إلى عقبة بن نافع في عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وأرضاه ـ وانظر الاستيعاب (٣/ ١٠٧٦) وفتوح البلدان للبلاذري (٥٧٤) ونهاية الأدب (٢٠/ ٣٢٨).

(٢) قلنا: وكذلك ذكر خليفة بن خياط وفاة أبي موسىٰ ضمن أحداث سنة (٥٠ هـ) في الكوفة (تأريخ خليفة/ ٢١١).
وكذلك ذكر الحافظ الذهبي وفاته ضمن وفيات سنة ٥٠ هـ (تأريخ الإسلام /عهد معاوية / ١٣٩).
قلنا: ولأبي موسىٰ فضل سنّ سنة المصافحة كما أخرج أحمد في مسند (٣/ ١٥٥) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (يقدم عليكم غداً قوم أرق قلوباً للإسلام منكم) قال فقدم الأشعريون فيهم أبو موسىٰ فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون:
غـــــداً نلقـــــىٰ الأحبـــــه محمـــــداً وحـــــزبـــــه
فلما أن قدموا تصافحوا فكانوا أول من أحدث المصافحة ، وإسناده صحيح وأخرجه أحمد (٣/ ١٠٥) وابن سعد (٤/ ١٠٦) عن أنس رضي الله عنه.
وأخرج ابن عساكر في تأريخ دمشق (٤٣١) عن سعيد بن عبد العزيز: حدثني أبو يوسف صاحب معاوية أن أبا موسىٰ قدم علىٰ معاوية فنزل في بعض الدور بدمشق فخرج معاوية من الليل يستمع قراءته. =

ـ ذكر هروب الفرزدق من زياد ـ

وفي هذه السنة كانت وفاةُ الحكمِ بن عمرو الغفاريّ بمَرْوَ منصرفَه من غزوة أهل جبل الأشهل[(١)]. (٥ : ٢٥٠).

ذكر الخبر
عن غزوة الحكم بن عمرو (جبل الأشهل) وسبب هلاكه

٤م ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثني حاتم بن قَبيصة ، قال: حدّثنا غالب بن سليمان ، عن عبد الرحمٰن بن صُبْح ، قال: كتب إليه زياد: والله لئن بقيتُ لك لأقطعنّ منك طابَقاً سحتاً ، وذلك أنّ زياداً كتب إليه لما وَرَد بالخبر عليه بما غنم: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفيَ له صفراءَ وبيضاء والروائع فلا تحرّكنّ شيئاً حتى تخرِج ذلك.

فكتب إليه الحكم: أما بعد ، فإنّ كتابَك ورد ، تذكُر أنّ أمير المؤمنين كتب إليك أن أصطفيَ له كلَّ صفراءَ وبيضاء والروائع ، ولا تحرّكَنّ شيئاً؛ فإن كتاب الله عزّ وجلّ قبل كتاب أمير المؤمنين ، وإنه واللهِ لو كانت السموات والأرض رَتْقاً على عبد اتّقى الله عزّ وجلّ جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجاً.

وقال للناس: اغدوا على غنائمكم ، فغدا الناس ، وقد عزل الخُمْس ، فقسم بينهم تلك الغنائم؛ قال: فقال الحكَم: اللهمّ إن كان لي عندَك خير فاقبضني؛

= وقال الذهبي وفتحت أصبهان على يده وتستر وغير ذلك ولم يكن في الصحابة أطيب صوتاً منه (عهد معاوية/ ١٤٠).

(١) قلنا: وكذلك ذكر خليفة بن خياط وفاته ضمن وفيات سنة (٥٠ هـ) (تأريخ خليفة/ ٢١١).
وكذلك ذكره الذهبي ضمن وفيات سنة (٥٠ هـ).
وقال: للحكم صحبة ورواية ونزل البصرة وكان رجلاً صالحاً فاضلاً قد ولي غزو خراسان فسباهم وغنم وتوفي بمرو ـ وقال أيضاً وكان محمود السيرة توفي سنة خمس وأربعين وقيل سنة خمسين (عهد معاوية / ٤١) ، وانظر طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨ ، ٢٩).
(صفة الصفوة ١/ ٦٧٢).

فمات بخُراسان بمَرْو[١] . (٥: ٢٥١/ ٢٥٢) .

ـ ثم دخلت سنة إحدىٰ وخمسين ـ

ذكر استعمال الربيع بن زياد علىٰ خراسان

وكان العاملَ في هذه السنة على المدينة سعيدُ بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثربيّ[٢] . (٥: ٢٨٦) .

---

(١) في إسناده حاتم بن قبيصة مجهول الحال ، والحديث رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتأريخ قال حدثنا سليمان بن حرب قال ثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن الحسن قال: غنم الحكم بن عمرو بخراسان غنائم فيها ذهب وفضة ، فكتب زياد أو ابن زياد أن أمير المؤمنين كتب أن أستصفي كل صفراء وبيضاء. قال فقال الحكم: لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً علىٰ رجل فاتقىٰ الله عز وجل لجعل الله عز وجل له من ذلك مخرجاً. قال فدعا القوم فقسم بينهم غنائمهم. قال الحسن: فمات الحكم في الطريق ولم يلتق به (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٥).

قلنا: ورجال إسناده رجال الصحيح ـ وهذه الرواية لم تذكر الزيادة التي أخرجها الطبري من طريق حاتم بن قبيصة (كتب زياد والله لئن بقيت لك لأقطعن منك طابقاً سحتاً).

وأخرج البلاذري قال: وحدثني أبو عبد الرحمن الجعفي قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل من أهل الصغانيان كان يطلب معنا الحديث أتدري من فتح بلادك؟ قال: لا. قال: فتحها الحكم بن عمرو الغفاري (فتوح البلدان/ ٥٧٧).

وقال الحافظ ابن حجر: والصحيح أنه لما ورد عليه كتاب زياد بالعتاب دعا علىٰ نفسه فمات (الإصابة ٢/ ٩٣/ ت ١٧٨٩).

وأخرج ابن عساكر عن قتادة: لما انتهىٰ الحكم بن عمرو إلىٰ زياد كتب بذلك إلىٰ معاوية وجعل كتاب الحكم في جوب كتابه. . الخبر) وفي آخره قال معاوية: (أتأمروني أن أعمد إلىٰ رجل آثر كتاب الله علىٰ كتابي وسنة رسول الله ﷺ على سنتي فأقطع يديه ورجليه؟ بل أحسن وأجمل وأصاب فكانت هذه مما يعد من مناقب معاوية) (مختصر تأريخ ابن عساكر / ترجمة معاوية / ٥٢).

(٢) قلنا: أما زياد وشريح وعميرة بن يثربي فقد سبق أن ذكرنا ذلك ، وأما سعيد بن العاص فقد ذكر الحافظ ابن كثير من طريق سفيان الثوري عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم قال: رأيت الحسين بن علي قدم يومئذ سعيد بن العاص فصلىٰ علىٰ الحسن ، وقال: لولا أنها سنة ما قدمته (البداية والنهاية ٨/ ٤٦).

=

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

كانت عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمّال عليها الذين كانوا في سنة إحدى وخمسين[١] . (٥ : ٢٨٧) .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثي

وفي هذه السنة كانت وفاة الرّبيع بن زياد الحارِثيّ ، وهو عامل زِياد على خُراسان[٢] . (٥ : ٢٩١) .

وكان العامل فيها على المدينة سعيدَ بن العاص ، وعلى الكوفة بعد موت زياد عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة بعد موت زياد سمُرة بن جندب ، وعلى خُراسانَ خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ[٣] . (٥ : ٢٩٢) .

= قلنا : وفي إسناده سالم بن أبي حفصة صدوق الحديث إلا أنه شيعي غالي (التقريب / ت ٢١٧١) .

قلنا : وإن كان الشطر الأول من الرواية صحيحاً فإن من قوله (لولا أنها سنة ما قدمته) في النفس شيء ولعلّه من غلوّ سالم في التشيع وليس من كلام الحسن والله أعلم .

(١) صحيح .

(٢) ذكر الطبري وفاته ضمن أحداث سنة (٥٣) هـ ولكن الذهبي ذكر وفاته ضمن أحداث سنة (٦٠) هـ وقال : ولي خراسان لمعاوية وكان الحسن البصري كاتباً له .

وذكر الذهبي عن أبي أحمد الحاكم في (الكنىٰ) قوله : لما بلغ الربيع بن زياد مقتل حجر بن عدي دعا فقال : اللهم إن كان للربيع بن زياد عندك خير فاقبضه إليك وعجّل فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتىٰ مات رحمه الله (عهد معاوية / ٢٠٦) .

قلنا : وإن صح هذا فهذا يعني أن اختيار الطبري أقرب في أن الربيع توفي سنة ٥٣ هـ والله أعلم .

(٣) صحيح .

ـ ذكر عزل معاوية سعيداً واستعمال مروان ـ

ذكر الطبري عدة روايات في سبب هذا العزل ولكنها معضلة الإسناد أو في إسنادها مبهم وفي بعضها نكارة وذكرناها جميعاً في قسم الضعيف .

وأما بالنسبة لتعاقب سعيد بن العاص ومروان بن الحكم على ولاية المدينة فقد سبق وأن=

وكان على المدينة في هذه السنة مَرْوانُ بن الحَكَم ، وعلى الكوفة عبد الله خالد بن أسيد؛ وقال بعضهم: كان عليها الضّحاك بن قيس ، وعلى البصرة عبدُ الله بن عَمرو بن غَيْلان[١]. (٥ : ٢٩٨).

ثم دخلت سنة ست وخمسين

(ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد)

وفيها دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده وجعله ولي العهد[٢].

= ذكرنا ثبوت ولاية مروان على المدينة في عهد معاوية كما عند البخاري ـ وأما سعيد بن العاص فقد ذكر ابن كثير رواية من طريق سفيان الثوري عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم قال: رأيت الحسين بن علي قدّم يومئذ سعيد بن العاص فصلّى علىٰ الحسين وقال لولا أنها سنة ما قدمته (البداية والنهاية ٨/ ٤٦).

قلنا: وفي إسناده سالم بن أبي حفصة صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غالي (التقريب /ت ٢١٧١).

قلنا: ومغالاته في التشيع واضح في هذه الرواية وإن كان الشطر الأول منه صحيحاً.

(١) صحيح.

(٢) أخرج الطبري أربع روايات في هذه المسألة أسانيدها ضعيفة جداً وسنذكر هنا أصح ما ورد في الباب (وإن كان فيه مقال والله أعلم).

١ ـ أما معاوية رضي الله عنه فقد أجمع أهل الحل والعقد علىٰ بيعته أميراً للمؤمنين بعد أن صالحه سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما وسلّم له الخلافة ولم يكن ببال معاوية في بداية حكمه أن يولي ابنه يزيد ولكن تولدت في ذهنه هذه الفكرة فيما بعد فقد ذكر الحافظ ابن كثير عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال: بعثني زياد في شغل إلىٰ معاوية ، فلما فرغت من أمري قلت: يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك؟ فسكت ساعة ثم قال: يكون بين جماعة إما كريم قريش سعيد بن العاص ، وإما فتى قريش حياء ودهاء وسخاء ، عبد الله بن عامر وإما الحسن بن علي فرجل سيد كريم وإما القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله مروان بن الحكم وإما رجل فقيه عبد الله بن عمر ، وإما رجل يتردد الشريعة مع دواهي السباع ويروغ روغان الثعلب فعبد الله بن الزبير (البداية والنهاية ٨/ ٨٨).

قلنا: وعبد الملك وقبيصة كلاهما ثقة فإن صحّ هذا يعني أن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه كان لا يفكر في تولية ابنه يزيد حتىٰ وفاة الحسن بن علي رضي الله عنه لأن سياق الرواية يدل على أن الحسن كان حياً في حينه.

٢ ـ وعلىٰ ما يبدو (والله أعلم) فإن مشاركة ابنه يزيد مع كبار الصحابة في غزو القسطنطينية =

= ونجاحه في بعض مهامه المناطة به وخاصة بعد وفاة الحسن دفعت معاوية رضي الله عنه إلىٰ التفكير في تولية زياد الحكم من بعده واستتباب الأمور له قبل أن يتوفاه الله ظناً منه أن كلمة المسلمين ستجتمع على ابنه يزيد وينعم المجتمع الإسلامي بالأمن فاجتهد معاوية رضي الله عنه فاختار ابنه يزيد للخلافة من بعده ولكن اجتهاده هذا كان مرجوحاً لأنه بذلك أحدث شرخاً كبيراً بتعطيله ركناً أساسياً من أركان السياسة الشرعية وأعني ركن الشورىٰ والله أعلم ـ ونحن لا نظن بصحابة رسول الله ﷺ إلا خيراً فنقول: أراد أمير المؤمنين معاوية أن يجمع أمر المسلمين من بعده علىٰ رجل أنسب للحكم فوجد ابنه الرجل المناسب فاجتهد فلم يصب في اجتهاده وخالف الشورىٰ فلم يأخذ برأي أهل الحل والعقد قبل أن يعلن عن اجتهاده هذا، نعم هذا ما نظنه في معاوية رضي الله عنه وإن كنا أمرنا باجتناب الظن. فاجتنابنا للظن في حق الصحابة أولى ولم ترد رواية صحيحة السند تبيّن أن معاوية أراد شراً بالمسلمين حين ولاهم ابنه من بعده ولا يستبعد أن يكون لعاطفة الأبوة دور في ذلك الاختيار ولكن لا دليل على ذلك ولقد ذكر ابن كثير فقال:

ولما كان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأبهته وكان ظن أن لا يقوم أحد من الصحابة في هذا المعنى، ولهذا قال لعبد الله بن عمر فيما خاطبه به:

إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راعٍ، فقال له ابن عمر: إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً.

٣ ـ ولقد قلنا في بداية حديثنا هذا أن الروايات التي تتحدث عن أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد لا تخلو أسانيدها من مقال ولكن أعرضنا عن الروايات الضعيفة الأسانيد جداً وسنذكر أقلها ضعفاً أي أصحّ ما علمنا في الباب والله أعلم. فلقد أخرج خليفة:

حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال: حدثني أبي قال: نا النعمان بن راشد عن الزهري عن ذكوان مولى عائشة قال: لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد، حجَّ فقدم مكة في نحو من ألف رجل، فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر، فلما قدِمَ معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد فقال: من أحقُّ بهذا الأمر منه، ثم ارتحل فقدم مكة فقضى طوافَهُ، ودخل منزله، فبعث إلى ابن عمر، فتشهد وقال: أما بعد يا بن عمر فإنك قد كنتَ تحدثني أنك لا تحب أن تَبيت ليلةً سوداء ليس عليك أمير، وإني أحذرك أن تَشُقَّ عصا المسلمين، وأن تسعى في فساد ذات بينهم، فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت أنت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار، وإنك تحذِّرني أن أشق عصا المسلمين وأن أسعى في فساد ذات بينهم، ولم أكن لأفعل. =

= إنما أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم ، فقال: يرحمك الله ، فخرج ابن عمر ، وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فتشهد وأخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه فقال: إنك والله لوَدِدتَ أنّا وكلناك في أمر ابنك إلى الله ، وإنا والله لا نفعل ، والله لترُدّنَّ هذا الأمر شورى في المسلمين ، أو لنعيدنّها عليك جذعة ثم وثب فقام.

فقال معاوية: اللهم اكفنيه بمَا شئت ، ثم قال: على رِسلك أيها الرجل لا تشرفن بأهل الشام - فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك - حتى أخبر العشية أنك قد بايعت ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك. ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال: يا بن الزبير إنما أنت ثعلب روّاغ كلما خرج من جحر دخل آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما وحملتهما على غير رأيهما ، فتكلم ابن الزبير فقال: إن كنت قد مللتَ الإمارة فاعتزلها ، وهلُمَّ ابنك فلنبايعه ، أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما نسمع؟ لأيكما نطيع؟! لا نجمع البيعة لكما والله أبداً.

ثم قام ، فراح معاوية فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عواز ، زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد! قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له فقال: أهل الشام لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الناس وإلا ضربنا أعناقهم ، فقال: مه سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالسوء ، لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ، ثم نزل ، فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر ، ويقولون: لا والله ما بايعنا. ويقول الناس: بلى لقد بايعتم ، وارتحل معاوية فلحق بالشام. (تأريخ خليفة / ٢١٣ ، ٢١٤).

قلنا: ورجال هذا الإسناد رجال الصحيح سوىٰ النعمان بن راشد وهو صدوق سيىء الحفظ.

٤ - وأما ما ورد من تهديد سيدنا معاوية لأعيان الصحابة (العبادله الأربعة) وممارسة التخويف والضغط فلا يصح إسناده ومن ذلك ما أخرجه خليفة من طريق جويرية بن أسماء قال: (سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون أن معاوية. . . الخبر) وهذا يعني أن في الإسناد مجاهيل فكيف نعتمد عليها في الاحتجاج والله أعلم.

٥ - ولعلّ من قائل يقول إذا كان هذا الأمر المستحدث (ولاية العهد لابن الخليفة) مخالفاً لأصول السياسة الشرعية المتبعة في عهد الخلافة الراشدة فلماذا بايع عدد من الصحابة ليزيد وفي مقدمتهم فقيه الصحابة عبد الله بن عمر؟

قلنا: إنهم فعلوا ذلك اعتماداً على أصل من أصول السياسة الشرعية ألا وهو الأخذ بالمصلحة الشرعية الراجحة عند (خوف الفتنة) وافتراق الأمة ، كما أخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: نا سفيان عن محمد بن المنكدر. قال ابن عمر حين بويع يزيد بن معاوية: إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاءً صبرنا - (تأريخ خليفة/ ٢١٧). =

= قلنا: ورجال هذا الإسناد رجال الصحيح - وفي رواية أخرىٰ أخرجها خليفة أوضح من سابقتها إذ قال خليفة:

وحدثنا عبد الرحمن قال: نا أبو عوانة عن داود بن عبد الله الأودي عن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية فقال: أتقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد، لا أفقه فيها فقهاً ولا أعظمها فيها شرفاً؟ قلنا: نعم. قال: وأنا أقول ذلك، ولكن والله لئن تجتمع أمة محمد أحب إلي من أن تفترق، أرأيتم باباً لو دخل فيه أمة محمد وسِعهم، أكانَ يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟! قلنا: لا. قال: أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أهريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم. قال: فذلك ما أقول لكم. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأتيك من الحياء إلا خير» (تأريخ خليفة/ ٢١٧).

قلنا: ورجال هذا الإسناد رجال الصحيح غير داود بن عبد الله الأودي وهو ثقة، مجدع الأطراف (البداية والنهاية ٨/ ٨٣).

قلنا: وإن كان إسناد هذا القول إلىٰ معاوية صحيحاً فهو بيت القصيد وفي رواية أخرىٰ ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٨٧) عن ابن سيرين وقال رجاله رجال الصحيح وخلاصته أن عمرو بن حزم الأنصاري استأذن علىٰ معاوية ثم دار بينهم حوار حول من الأولىٰ بالحكم بعد معاوية هل أبناء الصحابة المعروفون ومنهم علية القوم الذين نالوا شرف الصحبة حين كانوا في مقتبل عمرهم (كعبد الله بن عمر وابن الزبير والحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر).

وتحدث معه عمرو بكل صراحة ووضوح أداءً منه لفريضة النصح لإمام المسلمين وعامتهم وتقبل معاوية هذا النصح الجريء وأبدىٰ قناعاته قائلاً (وإنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم، فابني أحق من أبنائهم).

قلنا: وهذا يعني أنه رضي الله عنه كان يرىٰ ابنه أولىٰ بالحكم منهم وبالإضافة إلىٰ حرصه على جمع المسلمين علىٰ رجل من بعده يحفظ للأمة المسلمة أمانها وأمنها فوقع اختياره علىٰ ابنه يزيد ولم يصب في اجتهاده.

وكان معاوية يدعو ربه قائلاً (اللهم إن كنت تعلم أني وليته لأنه فيما أراه أهلاً لذلك، فأتم له ما وليته وإن كنت وليته لأني أحبه فلا تتم ما وليته).

ولقد بيّن الإمام الذهبي اسم هذا الصحابي الذي روىٰ عنه حميد بن عبد الرحمن الحميري إذ قال الذهبي رحمه الله: وقال حميد بن عبد الرحمن: دخلنا على بشير وكان صحابياً حين استخلف يزيد فقال: يقولون إنما يزيد ليس بخير أمة محمد ﷺ وأنا أقول ذلك، ولكن يجمع الله أمة محمد أحب إليّ من أن تفترق. (تأريخ الإسلام / عهد معاوية / ١٦٩). =

ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان

وكان العامل على المدينة في هذه السنة مَرْوان بن الحكم ، وعلى الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى خُراسان سعيد بن عثمان[١] . (٥ : ٣٠٤)

ـ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ـ

وكان العامل على الكوفة في هذه السنة الضحّاك بن قيس ، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى خُراسان سعيد بن عثمانَ بن عفّان[٢] . (٥ : ٣٠٨)

ذكر قتل عروة بن أديّة وغيره من الخوارج

وفي هذه السنة اشتدّ عبيد الله بن زياد على الخوارج ، فقتل منهم صبراً جماعةً كثيرة ، وفي الحرب جماعة أخرى ، وممن قتل منهم صبراً عروة بن أديّة ، أخو أبي بلال مرداس بن أدَيّة .

= وأما بيعة عبد الله بن عمر فسنرجع للحديث عنها إن شاء الله عند الحديث عمّا حدث بعدما خلع الناس يزيد بن معاوية ، إذ أخرج الإمام أحمد في مسنده عن نافع قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ، ثم قال أما بعد فإنا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله . . . إلخ».

وقال العلامة شعيب أرناؤوط عن إسناده وهو إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين (مسند أحمد (٩/ ٨٠٥/ ح ٥٠٨٨) ، والله تعالىٰ أعلم.

وروىٰ أحمد ومسلم والترمذي (لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد وقال: أما بعد فإنا بايعنا هذا الرجل علىٰ بيع الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ، وإن من أعظم الغدر ، إلا أن يكون الإشراك بالله ـ أن يبايع رجل رجلاً علىٰ بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته ـ فلا يخلصن أحد منكم يزيد ، ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون الفيصل بيني وبينه).

(١) صحيح.

(٢) وكذلك قال خليفة (تأريخ خليفة/ ٢٢٤).

* ذكر سبب قتله إيّاهم:

٥م - حدّثني عمر، قال: حدّثني زهير بن حرب، قال: حدّثنا وهب بن جرير، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عيسى بن عاصم الأسديّ، أنّ ابن زياد خرج في رِهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس وفيهم عروة بن أديّة أخو أبي بلال، فأقبل على ابن زياد فقال: خمس كنَّ في الأمم قبلنا، فقد صِرْن فينا: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾. وخَصْلتين أخريين لم يحفظهما جرير. فلما قال ذلك ظنّ ابن زياد أنه لم يجترىء على ذلك إلا ومعه جماعة من أصحابه، فقام ورَكِب وتَرك رِهانه، فقيل لعُرْوة: ما صنعتَ! تعلمنَّ والله ليقتلنّكَ، قال: فتوارى، فطَلَبه ابنُ زياد، فأتى الكُوفة، فأخذ بها، فقدم به على ابن زياد، فأمر به فقطِعتْ يداه ورِجْلاه، ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال: أرَى أنك أفسدتَ دنيايَ وأفسدتُ آخرتَك؛ فقتَله، وأرسل إلى ابنته فقتلها[1]. (٥: ٣١٢/ ٣١٣).

٦م - حدّثني عمر، قال: حدّثنا زُهير بن حرب، قال: حدّثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: حدّثني يونس بن عبيد؛ قال: خرج مِرداس أبو بلال - وهو من بني ربيعة بن حنظلة - في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فبعث إليهم ابنُ زياد جيشاً عليهم ابن حصن التميميّ، فقتلوا في أصحابه وهزموه، فقال رجلٌ من بني تَيْم الله بن ثعلبة:

أَأَلْفا مُـؤمِـنٍ منكـم زَعمتـمْ ... ويَقتُلُهـمْ بـآسَـكَ أَربَعـونـا
كـذبتُـمْ ليـس ذاك كمـا زَعمتـمْ ... ولكِـنّ الخـوارجَ مـؤمِنـونـا
هـي الفِئـةُ القليلـة قـد عَلمتُـمْ ... علـى الفِئـةِ الكثيـرة يُنْصَـرُونـا

قال عمر: البيت الأخير ليس في الحديث، أنشدنيه خلّاد بن يزيدَ الباهليّ[2]. (٥: ٣١٣/ ٣١٤).

وكان الوالي على المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان، وعلى الكوفة النعمان بن بَشير، وعلى قضائها شُرَيح، وعلى البَصرة عُبيد الله بن زياد، وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة، وعلى خُراسانَ عبدُ الرحمن بن زياد، وعلى سجِستَان

---

(١) رجاله ثقات.

(٢) رجاله ثقات.

عبّاد بن زياد ، وعلى كَرْمان شريك بن الأعور من قِبَل عُبيد الله بن زياد[١]. (٥: ٣٢١)

ثم دخلت سنة ستين

قال الطبري: ففي هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ودخول جنادة بن أبي أمية رودس (٥/ ٣٢٢) ولكنه لم يذكر في ذلك رواية[٢].

ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان

وفي هذه السنة هلك معاويةُ بن أبي سُفْيانَ بدمشق ، فاختُلف في وقت وفاته

---

(١) صحيح.

(٢) لقد أخرج يعقوب بن سفيان قال: نا زيد وعبد العزيز قالا: نا ابن وهب حدثني الليث بن سعد عن رشيد بن كيسان الفهمي قال:
كنا برودس وأميرنا جنادة بن أمية الأزدي ، فكتب إلينا معاوية بن أبي سفيان: إنه الشتاء ثم الشتاء فتأهبوا له ، فقال تُبيع بن امرأة كعب الأحبار تقفلون إلى كذا وكذا ، فقال الناس: وكيف نقفل وهذا كتاب معاوية: إنه الشتاء ثم الشتاء ، فأتاه بعض أهل خاصته من الجيش فقال: ما يسميك الناس إلا الكذاب لما تذكر لهم من القفل الذي لا يرجونه. فقال تبيع: فإنهم يأتيهم إذنهم في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا ، وآيةُ ذلك أن تأتي ريح فتقلع هذه التينة التي في مسجدهم هذا ، فانتشر قوله فيهم فأصبحوا ذلك اليوم في مسجدهم ينتظرون ذلك ، وكان يوماً لا ريح فيه ، فانتظروا حتى احتاجوا إلى المقيل والغداء وملوا فانصرفوا إلى مساكنهم أو إلى مراكبهم حتى إذا انتصف النهار ، وقد بقي في المسجد بقايا من الناس ، فأقبلت ريح عصار ، فأحاطت بالتينة فاقتلعتها ، وتصايح الناس في منازلهم: خرت التينة ، خرَّت التينة ، فأقبلوا من كل مكان حتى اجتمعوا على الساحل ، فرأوا شيئاً لائحاً يتجول في الماء حتى تبين لهم أنه قارب ، فأتاهم بموت معاوية وبيعة يزيد ابنه ، وأذنهم بالقفل؛ فشكروا تُبَيْعاً وأثنوا عليه خيراً ، ثم قالوا: وأخرى قد بقيت قد دخل الشتاء ، ونحن نخاف أن تنكسر مراكبنا ، فقال تبيع: لا ينكسر لكم عود يضركم ، ولا ينقطع لكم حبل يضركم حتى تردوا بلادكم ، فساروا فسلمهم الله عز وجل. (المعرفة والتأريخ ١/ ٣٢٣).
أما خليفة فقد ذكر هذه الغزوة ضمن أحداث سنة (٥٩) هـ فقد أخرج خليفة بن خياط قال: قال بقي: وقُرىء عليٰ يحيى بن عبد الله بن بكير وأنا أسمع عن الليث قال: وفي سنة تسع وخمسين غزوة جنادة الحجري وعلقمة بن الأخثم رودس (تأريخ خليفة ٢٢٧).

بعد إجماعِ جميعهم على أنّ هلاكه كان في سنة ستّين من الهجرة[١] . (٥ : ٣٢٣) .

ذكر الخبر عن مدة ملكه

٧م ـ حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حدّثني من سمع إسحاقَ بن عيسى يذكر عن أبي معشر ، قال: بويع لمعاوية بأذْرُحَ ، بايعه الحسنُ بنُ عليّ في جُمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وتوفِّيَ معاوية في رجب سنة ستين ، وكانت خلافتُه تسع عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر[٢] . (٥ : ٣٢٤) .

ذكر العلة التي كانت فيها وفاته

٨م ـ حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ ، عن سليمان بن أيوب ، عن الأوزاعيّ وعليّ بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن ميمون ، عن أبيه ؛ أنّ معاوية قال في مرضه الذي مات فيه : إنّ رسولَ الله ﷺ كساني قميصاً فرفعتُه . وقلّم

---

(١) صحيح .

(٢) إسناده ضعيف وهو صحيح ، وقد مر بنا قبل قليل قول الطبري (فاختلف في وقت وفاته بعد إجماع جميعهم على أن هلاكه كان في سنة ستين من الهجرة وفي رجب منها) .
وكذلك أكد الحافظ ابن كثير كلام الطبري هذا (البداية والنهاية ٨/ ١١٩) .
وأخرج يعقوب بن سفيان قال نبأنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : توفي معاوية في رجب لأربع ليالٍ خلت منه سنة ستين فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر (المعرفة والتأريخ ٣/ ٣٢٤) وكذلك أخرجه خليفة عن الليث قال : وفي سنة ستين توفي أمير المؤمنين معاوية في رجب لأربع ليالٍ خلت منه (تأريخ خليفة ٢٢٩) .

ـ ذكر مدة عمره ـ

ذكر الطبري عدة روايات جميعها ضعيفة منها ما هو من طريق الواقدي وهو متروك ومنها مافي إسنادها مجهول واختلفت هذه الروايات بين الأعداد (٧٣ سنة ، ٧٥ سنة ، ٧٨ سنة ، ٨٥ سنة) ولم يرجح الذهبي أياً منها في كتابه (تأريخ الإسلام) ولكن تلميذه ابن كثير رحمه الله تعالى قال :
وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل جاوز الثمانين وهو الأشهر والله أعلم (البداية والنهاية ٨/ ١٤٦) .

أظفاره يوماً ، فأخذتُ قُلامتَه فجعلتُها في قارورة ، فإذا متّ فألبسوني ذلك القميصَ ، وقطّعوا تلك القُلامةَ ، واسحَقوها وذُرُّوها في عيني ، وفي فيّ ، فعسى الله أن يرحَمني ببَركتها! ثم قال متمّثلاً بشِعر الأشهب بن رُمَيلة النَّهشليّ يمدح به القُباع :

إذا مُتّ ماتَ الجُودُ وانقطعَ النَّدَى ... من الناس إلاَّ من قليل مصَرَّدِ
ورُدَّتْ أكُفُّ السائلينَ وأَمْسَكوا ... من الدّينِ والدنيا بخِلفٍ مُجدَّدِ

فقالت إحدى بناته ـ أو غيرها : كلاّ يا أمير المؤمنين ، بل يدفع الله عنك؛ فقال متمثلاً :

وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارَها ... ألفَيتَ كُلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

ثم أغمِيَ عليه ، ثم أفاقَ ، فقال : لمن حضره في أهله : اتقوا الله عزّ وجلّ ، فإنّ الله سبحانه يقي من اتّقاه ، ولا واقيَ لمن لا يتقي الله ، ثم قضى[١]. (٥ : ٣٢٦/ ٣٢٧).

٩م ـ حدّثنا أحمد ، عن عليّ ، عن محمد بن الحكم ، عمّن حدّثه أنّ معاوية لما حُضر أوصى بنصف ماله أن يُردّ إلى بيت المال ، كان أراد أن يَطِيب له الباقي ، لأنّ عمر قاسم عمّاله[٢]. (٥ : ٣٢٧)

ذكر الخبر عن نسبه وكنيته

١٠م ـ أما نسبه فإنه ابن أبي سُفيان ، واسم أبي سُفْيان صَخْر بن حَرْب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ، وأمّه هند بنت عتبة بن

---

(١) إسناده مركب من طريقين ، الأول فمن طريق علي بن مجاهد وهو متروك أما الثاني فمن طريق الأوزاعي عن عبد الأعلى بن ميمون عن أبيه وعبد الأعلى ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه ، وذكره ابن حبان في الثقات والله أعلم.
وأخرجه البلاذري من طريق هشام بن عمار عن عبد الحميد بن حبيب عن الأوزاعي به (الأنساب / ٤/ ١٥٣/ ح ٤٣١).

(٢) وأخرجه البلاذري فبين اسم الذي أبهمه الطبري وذلك من طريق المدائني عن محمد بن الحكم عن أبيه (أنساب الأشراف ٤/ ٢٨/ ٩٧٩).

ربيعـة بن عبـد شمس بن عبـد منـاف بن قصـيّ ، وكنيتـه أبو عبد الرحمن[١] . (٥ : ٣٢٨) .

ذكر نسائه وولده

من نسائه مَيْسون بنت بَحْدل بن أنيَف بن وَلْجة بن قُنافة بن عديّ بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبيّ ، ولدت له يزيدَ بن معاوية ، قال عليّ : ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمةً ـ ربّ المشارق ـ فماتت صغيرة ، ولم يذكرها هشام في أولاد معاوية[٢] . (٥ : ٣٢٩) .

ومنهنّ كَتْوة بنت قرظة أخت فاختة ، فغزا قُبْرُسَ وهي معه ، فماتت هنالك[٣] . (٥ : ٣٢٩) .

ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

١١م ـ حدّثني عبد الله بن أحمد بن شَبّوَيه ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان ، قال : حدّثني عبد الله بن المُبارك ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المَقْبريّ ، قال : قال عمر بن الخطاب : تذكرون كسرى وقيصرَ ودهاءَهما وعندكم معاوية![٤] . (٥ : ٣٣٠) .

١٢م ـ حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثني أبو صالح سليمان بن صالح قال : حدّثني عبد الله بن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بُرْدة ، قال : دخلتُ على معاوية حيث أصابته قَرْحتُه ، فقال : هلمّ يابن أخي نحوي فانظر ، فنظرتُ فإذا هي قد سُبِرتْ ، فقلت : ليس عليك بأس يا أميرَ المؤمنين ، فدخل يزيدُ فقال معاوية : إن وليتَ من أمر الناس شيئاً

---

(١) وراجع طبقات خليفة (١٠/١٣٩) ، (السير والمغازي / ٢٥١) والذهبي (عهد معاوية / ٣٠٦).

(٢) صحيح .

(٣) صحيح .

(٤) إسناده صحيح وأخرجه ابن عساكر ، تأريخ دمشق (١٦/ ٣٦٠).

فاستوصِ بهذا ، فإن أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أني رأيت في القتال ما لم يَرَه[١]. (٥ : ٣٣٢).

١٣م ـ حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله ، عن حرملة بن عمران ، قال: أتى معاوية في ليلة أنّ قيصرَ قصد له في الناس ، وأنّ ناتِل بن قيس الجُذاميّ غلب فلسطين وأخذ بيتَ مالها ، وأنّ المصريّين الذين كان سَجَنهم هَرَبوا ، وأنّ عليّ بن أبي طالب قصد له في الناس ، فقال لمؤذّنه: أذّن هذه الساعة ـ وذلك نصف الليل ـ فجاءه عمرو بن العاص ، فقال: لم أرسلت إليّ؟ قال: أنا ما أرسلت إليك؛ قال: ما أذّن المؤذّن هذه الساعة إلاّ من أجلي؛ قال: رُمِيتُ بالقِسيّ الأربع ، قال عمرو: أما هؤلاء الذين خرجا من سجنك ، فإنهم إن خرجوا من سجنك فهم في سجن الله عزّ وجلّ ، وهم قوم شُراةٌ لا رحلة بهم ، فاجعل لمن أتاك برجل منهم أو برأسه ديَته ، فإنك ستؤتَى بهم ، وانظر قيصرَ فوادعْه ، وأعطِه مالاً وحُللاً من حُلَل مصر ، فإنّه سيرضى منك بذاك ، وانظر ناتل بن قيس ، فلَعَمري ما أغضبه الدّين ، ولا أراد إلا ما أصاب ، فاكتب إليه وهب له ذلك ، وهنّئه إياه ، فإن كانت لك قدرةٌ عليه ، وإن لم تكن لك فلا تأسَ عليه ، واجعل حدّك وحديدَك لهذا الذي عنده دمُ ابن عمِّك.

قال: وكان القوم كلُّهم خرجوا من سجنه غير أبرَهة بن الصبّاح ، قال معاوية: ما منعك من أن تخرج مع أصحابك؟ قال: ما منعني منه بغضٌ لعليّ ، ولا حبٌّ لك ، ولكني لم أقدر عليه ، فخلّى سبيلَه[٢]. (٥ : ٣٣٣/ ٣٣٤).

١٤م ـ حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عبد الله ، وهشام بن سعد ، عن عبد الملك بن عُمير ، قال: أغلَظَ رجلٌ لمعاوية فأكثر ، فقيل له: أتَحلَم عن هذا؟ فقال: إني لا أحولُ بين الناس وألسنتِهِم ما لم يَحوُلوا بيننا وبين مُلكِنا[٣]. (٥ : ٣٣٦).

---

(١) إسناده صحيح وأخرجه ابن سعد مختصراً (٤/ ٨٣) والبلاذري في (أنساب الأشراف ٤/ ٤٦).

(٢) رجاله ثقات ومنهم الإمام عبد الله بن المبارك غير أن حرملة بن عمر لم يدرك معاوية فقد ولد بعد وفاة معاوية بعشرين سنة والله أعلم.

(٣) رجاله ثقات.

١٥م ـ حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله ، عن مَعمَر ، عن همّام بن منبّه ، قال: سمعت ابن عبّاس يقول: ما رأيت أحداً أخلقَ للمُلك من معاوية ، إن كان ليردُ الناس منه على أرجاءِ وادٍ رحْب ، ولم يكن كالضّيق الخُضْخض ، الحصِر ـ يعني ابن الزّبير[١]. (٥: ٣٣٧).

---

(١) إسناده صحيح وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (ح ٢٠٩٨٥) والخبر أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣٢٧) من طريق همام بن منبه قال: سمعت ابن عباس دون زيادة (ابن الزبير) ولعل هذه الزيادة مدرجة من أحد الرواة والله أعلم.

الخليفة المجاهد

أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤١ ـ ٦٠) هـ

لقد أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ، وأمرنا سبحانه أن نتعظ وننتفع من تأريخ السالفين الغابرين فللتأريخ البشري سنن لا نتخلف عنها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وقد وضّح القرآن الكريم عديداً من السنن التأريخية لا مجال لذكرها هنا ولكنا نريد أن نقول رداً على أستاذ للتأريخ معروف قال في إحدىٰ المؤتمرات المفتوحة: إننا نحن المسلمون نكتب أو نقرأ أحياناً تأريخنا كما نريد لا كما هو ، فنقول: أولاً هذا هو ميزان السند وماله من ضوابط نستطيع أن نميز به مبدئياً بين الغث والسمين بين الواقعة التأريخية كما هي وبين زيادة الضعفاء وافتراء الكذابين وتحريف المبتدعة الغالين.

وبالإضافة إلى السند فلمتن الرواية التأريخية قواعد أخرىٰ لا تخفى على الناقد البصير.

ونحن في تحقيقنا هذا بعد أن ميّزنا الرواية التأريخية الصحيحة السند عن ضعيفها وجدنا أن المتن المنكر لابد له من سند منكر يتكىء عليه أو على الأقل سند شديد الضعف لا ينجبر ضعفه ، ولقد تبيّن لنا في تحقيقنا لعهد الخلفاء الراشدين أن لا مطعن (على سيرة الخلفاء الأربعة) يستند إلىٰ دليل تأريخي صحيح ـ وناقشنا التفاصيل في حينها ـ وأما بالنسبة لحكم الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه فبعد فرزنا للروايات التأريخية الصحيحة (ونسأل الله أن قد وفقنا في ذلك) نقول:

لقد اجتهد معاوية رضي الله عنه بصفته إماماً أجمع المسلمون على بيعته بعد صلحه مع الحسن نقول اجتهد فأصاب في مرات عديدة ولم يصب في مرتين نسأل الله أن يرزقه أجر الاجتهاد ويغفر له ويرحمه.

أما الأولىٰ: التي اجتهد فيها ولم يصب فهو اشتراطه أن لا يبايع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حتى يقيم القصاص من قتلة سيدنا عثمان رضي الله عنه وكان يتأول بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ ولكنه لم يصب في اجتهاده هذا فلم يصب في =

= خروجه على طاعة الإمام الأعظم فكان أمير المؤمنين علي أولىٰ بتفسير الآية فهو ولي أمر عثمان قبل معاوية ، ولكن اجتهاده هذا وخروجه ذلك لا يطعن في عدالته كصحابي وهذا هو مذهب أئمة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً. عليه الصحابة من خروجه على الإمام وغير ذلك ـ وكما قال المسور: (فلم أدع شيئاً أعيبه عليه إلا أخبرته به ، فقال: لا تبرأ من الذنوب فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفرها الله لك؟ قال: قلت نعم إن لي ذنوباً إن لم يغفرها هلكت بسببها ، قال فما الذي يجعلك أحق بأن ترجو أنت المغفرة مني فوالله لما إليّ من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود والإصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والأمور العظام لا يحصيها إلا الله ولا نحصيها أكثر مما نذكر من العيوب والذنوب وإني لعلىٰ دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات والله على ذلك ما كنت لأخيرّ بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه قال: (أي المسور بين مخرمة) ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد خصمني قال: فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير).

والحديث أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ـ ورجاله رجال الصحيح (البداية والنهاية ٨/ ١٣٦).

وقال ابن كثير: وقد رواه شعيب عن الزهري عن عروة عن المسور بنحوه.

قلنا: وأخرجه ابن عساكر كذلك من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قدم المسور وافداً على معاوية. . . إلخ (مختصر تأريخ دمشق/ ترجمة معاوية/ ٤٧).

وكذب من قال من المستشرقين بأن معاوية رضي الله عنه خرج على أمير المؤمنين علي لأنه ينافسه على السلطة أو لأنه لا يحبه وغير ذلك من الأسباب الواهية وقد ذكرنا في خلاصة القول في وقعة صفين أن معاوية كان يقرّ بأحقية خلافة سيدنا علي ويرىٰ علياً خيراً وأفضل من سابقه ولكن اشتراط القصاص من قتلة عثمان قبل أن يبايع لعلي وكان ذلك منه اجتهاداً وإلا فهو يعلم فضل عليٍّ في العلم والحزم والإدارة والسبق إلى الإسلام.

وغير ذلك وقد كررنا مراراً رواية أبي مسلم الخولاني عندما قال لمعاوية: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: إني لأعلم أنه خير مني وأفضل وأحق بالأمر مني ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه وأنا أطلب بدمه. . . الخبر) (سير أعلام النبلاء ٣/ ١٤٠) و(البداية والنهاية ٨/ ١٢٩) ورجاله ثقات.

ونزيد هنا رواية أخرى أخرجها ابن عساكر في تأريخ دمشق (ترجمة معاوية) عن قيس بن أبي حازم قال: جاء رجل إلىٰ معاوية فسأله عن مسألة فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فهو أعلم ـ قال أريد جوابك. . . الخبر) وفيه ما يدل علىٰ غضب معاوية من كلام الرجل إذ تتمة الخبر كالآتي:

(قال ويحك لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغرّه بالعلم غراً ولقد قال له أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ ، إلا أنه لا نبي من بعدي ـ ولقد كان عمر بن الخطاب يسأله فيأخذ عنه ـ =

= وكان إذا أشكل على عمر شيء قال: هاهنا علي ، قم لا أقام الله رجليك ، ومحا اسمه من الديوان فبلغ ذلك علياً.
فقال جزاه الله خيراً ، سمعت رسول الله ﷺ بأذني وإلا صُمّتا يقول له: «أنت يا معاوية أحد أمناء الله ، اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد».
(مختصر تأريخ دمشق لابن منظور/ ترجمة معاوية/ ٦).
فلنا: ولم نحصل على الجزء الأصلي من تأريخ دمشق (قبل اختصاره) والذي يحتوي على هذا الخبر كي نتحقق من سنده هل صحَّ أم لا؟ علماً بأن والله أعلم.
وأخرج ابن عساكر أيضاً عن المغيرة قوله: لما جاء قتل علي إلىٰ معاوية جعل يبكي ويسترجع فقالت له امرأته: تبكي عليه وقد كنت تقاتله. فقال لها ويحك؛ إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم. (مختصر تأريخ دمشق/ ترجمة معاوية/ ٣٩).
ولقد سردنا هذه الروايات لنبين أن معاوية رضي الله عنه ما كان يقاتل علياً منافسة عليٰ السلطة ولا جهلاً ولا إنكاراً لفضله وعلمه ولا بغضاً له وإنما وقف معاوية موقفه هذا اجتهاداً منه وظناً منه أن موقفه صواب وعمل بالآي الكريم في حق ولي المقتول في الطلب بدم القتيل وكما أخرج الطبري (٥/ ٣٣٢) عن أبي بردة حين دخل علىٰ معاوية وفيه: (فإن أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أني رأيت في القتال ما لم يره). وإسناده صحيح.
قال ابن عباس:
كنتُ جالساً عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية إذْ أقبل عليٌّ بن أبي طالب فقال رسولُ الله ﷺ لمعاوية: أتحبُّ عليّاً يا معاوية؟ فقال معاوية: إي والله الذي لا إله إلا هو إني لأحبُّه في الله حُبّاً شديداً. فقال رسولُ الله ﷺ: إنها ستكونُ بينكم هنيهة. قال معاوية: ما يكونَ بعد ذلك يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: عَفُوُ الله ورضوانه ، والدخول إلى الجنة. قال معاوية: رضينا بقضاء الله ، فعند ذلك نزلَتْ هذه الآية: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
والروايات في اعتراف معاوية بأفضلية علي كثيرة منها خاصة في فضل علي ومنها عامة في فضائل علي وبقية الخلفاء الراشدين من قبله كما ذكر الذهبي رواية المدائني عن أبي عبيد الله عن عبادة بن نُسي: قال خطبنا معاوية فقال: إن من زرع قد استحصد ، وقد طالت إمرتي عليكم حتىٰ مللتكم ومللتموني ، ولا يأتيكم بعدي خيرٌ مني كما أن من كان قبلي خيرٌ مني ، اللهم قد أحببت لقاءك ، فأحبب لقائي - (تأريخ الإسلام / عهد معاوية / ٣١٦) وهو عند البلاذري (أنساب الأشراف ٤/ ١/ح ١٦٢) من طريق سعيد بن عامر الخزرجي عن عبادة بن نسي قال: خطب معاوية فقال: «إني كزرع مستحصد ، وقد طالت إمرتي عليكم حتىٰ مللتكم ومللتموني وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي ، ولن يأتيكم بعدي إلاّ من أنا خير منه كما أن من=

= كان قبلي كان خيراً مني ، وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، اللهم إني أحببت لقاءك فأحبّ لقائي وبارك لي فيه».

وقال الحافظ ابن كثير: قال ابن أبي الدنيا حدثني هارون بن سفيان عن عبد الله السهمي حدثني ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: «أيها الناس إن من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي خيرٌ مني ، وإنما يليكم من هو شرٌ مني ، كما كان من وليكم قبلي خيرٌ مني . . . الخبر» (البداية والنهاية ٨/ ١٤٤).

وكما قال الحافظ المحدث والمفسر والمؤرخ ابن كثير رحمه الله: «ثم ما كان بينه وبين علي بعد قتل عثمان على سبيل الاجتهاد والرأي فجرىٰ بينهما قتال عظيم كما قدمنا وكان الحق والصواب مع علي ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين من الطرفين ـ أهل العراق وأهل الشام ـ كما ثبت في الحديث الصحيح «تمرق مارقة علىٰ خير فرقة من المسلمين فيقتلها أدنىٰ الطائفتين إلى الحق» البداية والنهاية (٨/ ١٢٩).

قلنا: وهذا يعني أن علياً والمصلحين من جيشه هم أقرب إلىٰ الحق والصواب في موقفهم ، أما معاوية فاجتهد فلم يصب في اجتهاده ـ ولم يكن سيدنا معاوية فيما بعد مصراً على صواب اجتهاده بل كان يرىٰ أنه لم يوافق كثيراً من الصحابة في موقفهم وإن كان أخطأ في اجتهاده فهو يرجو ربه الكريم العفو الحليم ـ كما أخرج الطبري (٥/ ٣٣٢) من حديث حميد بن هلال عن أبي بردة قال: دخلت علىٰ معاوية حيث أصابته قرحته . . . الخبر وفي آخره ـ إن وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا ، فإن أباه كان لي خليلاً غير أني رأيت في القتال ما لم يره ، وإسناده صحيح ـ كما بيّنا ـ.

وكما جاء في حديث المسور بن مخرمة عندما دخل على معاوية وانتقده بما أخذ.

ثانياً: واجتهد معاوية رضي الله عنه كإمام للمسلمين فاختار ابنه يزيد خلفاً له في حكم المسلمين.

ولقد كان تولي يزيد الحكم خطوة مغايرة لما عرفه الناس في عهد الخلافة الراشدة ـ صحيح أن الناس قد بايعوا الحسن بن علي من بعد استشهاد والده رضي الله عنهما إلاَّ أن سيدنا علي لم يدع الناس إلى بيعة ابنه الحسن من بعده.

ولقد اجتهد الإمام معاوية واجتهاده ذو شقين أصاب في شقه الأول وأخطأ في شقه الثاني ، فقد خشي سيدنا معاوية على الأمة أن تمزقها الفرقة والفتنة إن لم تكن اصطلحت على خليفة من بعده وكان يرىٰ ابنه من بين بقية أبناء الصحابة أجدر الناس بسياسة الأمور وإدارة الحكم وإن لم يكن أفضلهم علماً وأورعهم وكان يرىٰ في تولية يزيد ضماناً للأمن والاستقرار والهدوء السياسي الذي دام عقدين من الزمان في ظل حكم أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه. =

= فسيدنا معاوية كان على حق وصواب عندما أيقن بضرورة اجتماع الأمة على خليفة من بعده ، ولكنه لم يصب رضي الله عنه في اختياره ليزيد.
وأما عاطفة الأبوة فلا ننفي ولا نثبت بل نسكت عن هذه المسألة ولم نهتد فيها إلى الراجح ، ولا نقول أكثر من هذا في حق صاحب رسول الله ﷺ وكاتب وحيه والخليفة الذي أجمعت الأمة على بيعته حتى سمّي ذلك العام بعام الجماعة.
وللعلامة ابن خلدون كلام نفيس رحمه الله في هذه المسألة إذ يقول: والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة العامة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ.
وقال أيضاً: وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع وإن كان الظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوىٰ ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة ، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فإنهم كلهم أجلّ من ذلك وعدالتهم مانعة منه. [المقدمة / ٢١٠].
ويبدو أن عدداً من الصحابة رفضوا ـ بداية الأمر ـ تولية يزيد من بعد أبيه ولكن عددهم تقلّص حتى صاروا على عدد الأصابع ولكنهم من أهل الحل والعقد يومئذٍ ، ولقد كثرت الروايات المكذوبة والمزيفة التي تتحدث عن تفاصيل ما جرىٰ بينهم وبين معاوية رضي الله عنهم أجمعين.
ولم نجد فيها رواية صحيحة تصلح للاحتجاج بها سوى ما أخرجه أبو نعيم عن القاسم بن محمد بن أبي بكر «أن معاوية أخبر أن عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير خرجوا من المدينة عائذين بالكعبة من بيعة يزيد بن معاوية قال: فلما قدم معاوية وسأله عن الأحوال ولم يعرض بشيء من الأمر الذي بلغه ، ثم لقي عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر فتفاوضا معه في أمر يزيد ثم دعا معاوية بن الزبير ، فقال له: هذا صنيعك أنت ، استزللت هذين الرجلين وسننت هذا الأمر ، وإنما أنت ثعلب روّاغ لا تخرج من جحر إلا دخلت في آخر. فقال ابن الزبير: ليس بي شقاق ولكن أكره أن أبايع رجلين أيكما نطيع بعد أن أعطيكما العهود والمواثيق؟ فإن كنت حللت الأمارة فبايع ليزيد فنحن نبايعه معك ، فقام معاوية حين أبوا عليه ، فقال: ألا إن حديث الناس ذات غور وقد كان بلغني عن هؤلاء الرهط أحاديث وجدتها كذباً وقد سمعوا وأطاعوا ودخلوا في صلح ما دخلت فيه الأمة» [حلية الأولياء (/ ٣٣٠)].
قلنا: ورجال إسناد أبي نعيم ثقات والله أعلم.
وسنفصل في مسألة البيعة ليزيد بولاية العهد عند حديثنا عن عهد يزيد [٦٠ ـ ٦٤] هـ إن شاء الله تعالىٰ. =

= والآن فهذه الصورة الحقيقية المشرقة لشخصية وسلوك أمير المؤمنين معاوية ـ بعيداً عن تشويه المبتدعة والضعفاء والساقطين ـ في ميزان الجرح والتعديل ـ مع شيء من مناقبه.
١ ـ وأما عن مناقبه فيكفيه رضي الله عنه منقبة ومفخرة وذخراً ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمير بن الأسود العنسي أنه أتىٰ عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام، قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبيﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. . . . الحديث» (فتح الباري ٦/ ١٢٠).
٢ ـ ولقد ثبت أن دعا له رسول اللهﷺ دعاءً طيباً مباركاً فقال عليه الصلاة والسلام لمعاوية: «اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه العذاب».
وقال الذهبي: هذا الحديث رواته ثقات (عهد معاوية / ٣٠٩) والحديث أخرجه الترمذي في سننه (كتاب المناقب / ٣٨٤) وحسّنه وأخرجه أحمد (٤/ ٢١٦).
وأخرجه البلاذري من وجه آخر عن عقبة بن رويم اللخمي ولفظه: دعا رسول اللهﷺ لمعاوية فقال: «اللهم أهده واهدِ به وعلمه الكتاب والحساب وقه العذاب». (أنساب الأشراف ٤/ ١/ح ٣٦٤).
ونقل ابن كثير قول ابن عساكر: وأصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي جمرة عن ابن عباس «أنه كان كاتب النبيﷺ منذ أسلم» أخرجه مسلم في صحيحه، وبعده حديث العرباض: «اللهم علم معاوية الكتاب» وبعده حديث ابن أبي عميرة «اللهم اجعله هادياً مهدياً» قلت (ابن كثير): وقد قال البخاري في كتاب المناقب (ذكر معاوية بن أبي سفيان): حدثنا الحسن بن بشر ثنا المعافر عن عثمان بن الأسود عن ابن أبي مليكة قال: أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولىٰ لابن عباس، فأتى ابن عباس فقال أوتر معاوية بعد العشاء بركعة فقال: دعه فإنه صحب رسول اللهﷺ حدثنا ابن أبي مريم ثنا نافع بن عمر ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس هل لك في أمير المؤمنين معاوية؟ ما أوتر إلاّ بواحدة قال: أصاب إنه فقيه. (البداية والنهاية ٨/ ١٣٥).
٣ ـ ومن مناقبه الأخرىٰ كما ذكره الحافظ ابن كثير قال: وقال الإمام أحمد: حدثنا روح ثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد قال: سمعت جدي يحدث أن معاوية أخذ الإدواة بعد أبي هريرة فتبع رسول اللهﷺ بها ـ وكان أبو هريرة قد اشتكى ـ فبينما هو يوضِّئ رسول اللهﷺ إذ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل. قال معاوية: فما زلت أظن أني سأبتلى بعمل لقول النبيﷺ حتى ابتليت». تفرد به أحمد.
ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي إسحاق الهمداني سعيد بن زنبور بن ثابت عن عمرو بن يحيىٰ بن سعيد. ورواه ابن مندة من حديث بشر بن الحكم عن عمرو بن يحيىٰ به وقال أبو يعلىٰ: حدثنا سويد بن سعيد ثنا عمرو بن يحيىٰ بن سعيد عن جده عن معاوية قال: اتبعت رسول اللهﷺ بوضوء. فلما توضأ نظر إليّ فقال: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل، =

= فما زلت أظن أني مبتلى بعمل حتىٰ وليت ، ورواه غالب القطان عن الحسن قال سمعت معاوية يخطب وهو يقول: صببت يوماً علىٰ رسول الله ﷺوضوءه فرفع رأسه إليّ فقال: «أما إنك ستلي أمر أمتي بعدي ، فإذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ، قال: فما زلت أرجو حتىٰ قمت مقامي هذا».

وروى البيهقي عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية: والله ما حملني علىٰ الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ«إن ملكت فأحسن» قال البيهقي: إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف ، إلاّ أن للحديث شواهد. (البداية والنهاية ٨/ ١٢٦).

٤ ـ والعجيب أن الدكتور يوسف العش الذي شغل مناصب منها عمادة كلية الشريعة بدمشق (وأستاذ التأريخ كذلك) فقد ألّف كتاباً قيّماً بعنوان (الدولة الأموية) واعتمد في أحداث الفتنة علىٰ الروايات الصحيحة بعد تمحيصها من الروايات الضعيفة وأجاد في مواضع كثيرة في الكتاب إلاّ أنه أخْفق في تقييمه لبعض جوانب شخصية معاوية رضي الله عنه إذ قال: إن مهمة الخلافة عند معاوية هي صيانة الأمة وإدارتها وتوطيد الحكم فيها أكثر منها توثيق الأحكام الفقهية وإدخال تلك الأحكام في حياة الأفراد والإشراف عليها في أعمالهم الجزئية ، الخلافة في نظره تخدم الفكرة الإسلامية عامة لا الأحكام الشرعية خاصة» (الدولة الأموية / ١٤٠).

ويقول الأستاذ يوسف العش رحمه الله «غاية الحكم عند معاوية هي رفع مستوىٰ الأمة بإجمالها لا تحقيق العدالة الفردية ، وهو قد يتساهل في بعض الأحكام التفصيلية أمام المصلحة العامة ، ومنذ عصر معاوية نرىٰ قاعدة في الحكم الإسلامي هي تقديم مصلحة الدولة عامة على تفاصيل الأحكام الفقهية وعلى مصلحة الأفراد الخاصة» (الدولة الأموية / ١٤٠).

ولقد تدارك الأستاذ العش بعض ما قاله هنا فقال بعد أسطر «ولا يوجد في الواقع اختلاف بين تلك المصالح العليا وبين التفاصيل الفقهية إلا في حالات معينة» (الدولة الأموية / ١٤١).

وعلى أية حال فكلام الدكتور العش ذو تشعبات طويلة وبحاجة إلى نقد كبير إلا أننا نركز هنا على قوله: «إن مهمة الخلافة عند معاوية هي صيانة الأمة وإدارتها وتوطيد الحكم فيها أكثر منها توثيق الأحكام الفقهية وإدخال تلك الأحكام في حياة الأفراد والإشراف عليها في أعمالهم الجزئية» فنقول وبالله التوفيق:

لا يوجد اختلاف بين المصالح العليا للأمة المسلمة وبين التفاصيل الفقهية حتىٰ في الحالات المعينة التي قالها الدكتور العش: هذا أولاً. وثانياً: فإن أمير المؤمنين معاوية كان مهتماً بأصول السياسة الشرعية اهتماماً بالغاً وفي الوقت عينه كان متتبعاً للأحكام الفقهية وحريصاً على تطبيقها في الحياة اليومية للناس وحتىٰ إن كانت جزئية وسنبدأ بذكر الأمثلة ابتداءً من الخطوط العامة للسياسة الشرعية وانتهاءً بالأحكام الفقهية والتفاصيل الجزئية: =

= المثال الأول: أخرج ابن عساكر (مختصر تأريخ ابن عساكر لابن منظور / ترجمة معاوية / ٥٠):
وعن أبي قَبِيل حُيَيّ بن هانىء:
أنَّ معاوية صَعِد المِنْبَر يوم الجمعة فقال عند خُطْبته: أيها الناس! إنَّ المالَ مالُنا ، والفَيءَ فيئُنا ، مَنْ شئنا أعطيناه ، ومَنْ شئنا منعناه ، فلم يُجِبْه أحد ، فلما كان الجمعة الثانية قالَ مثل ذلك ، فلم يُجِبْه أحد ، فلما كانت الجمعةُ الثالثة قالَ مثل مقالته ، فقام إليه رجلٌ ممن حضر المسجد فقال: يا معاوية! كلاً ، إنما المالُ مالُنا ، والْفَيءُ فيئنا ، مَنْ حال بيننا وبين هؤلاء بأسيافنا ، فنزل معاوية ، فأرسل إلى الرجل ، فأُدخل عليه قال القوم: هلك الرجل. ففتح معاوية الأبواب ، فدخل الناسُ عليه ، فوجدوا الرجلَ معه على السرير ، فقال معاوية للناس إنَّ هذا أحياني أحياهُ الله ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: سيكون أئمةٌ من بعدي ، يقولون فلا يُرَدُّ عليهم قولُهم ، يتقاحَمُونَ في النار كما تَقَاحَمُ القِرَدَةُ ، وإني تكلَّمْتُ أَوَّلَ جُمعةٍ فلم يردَّ عليَّ أحَد ، فخشِيتُ أنْ أكونَ منهم: ثم تكلَّمتُ الثانية فلم يردَّ عليَّ أحد ، فقلتُ في نفسي: إني من القوم ، فتكلمتُ الجمعة الثالثة ، فقام هذا الرجل فردَّ عليّ ، فأحياني أحياهُ الله ، فرجوتُ أن يُخرجني الله منهم ، فأعطاه وأجازه.
قيل: إنَّ هذا القائل لمعاوية هذا القول أبو بَحْرِيَّة عبد الله بن قيس السَّكُوني.
وقد أورد الحافظ الذهبي هذه الرواية بالسند فقال: قال سويد بن سعيد ثنا قمام بن إسماعيل بالاسكندرية سمعت أبا قبيل حييّ بن هانىء يخبر عن معاوية: وصعد المنبر يوم الجمعة. . . الحديث كما عند ابن عساكر).
ثم قال الحافظ الذهبي: هذا حديث حسن (تأريخ الإسلام / عهد معاوية / ٣١٤).
قلنا: وهذا يعني أن سيدنا معاوية رضي الله عنه كان يذكّر الناس وعلىٰ منبر الجمعة بأصل التناصح والأخذ على يد الحاكم وتقويمه إن خالف الشرع.
المثال الثاني: أخرج أبو داود في سننه (٣/ ٣٥٧) والترمذي (٣/ ٦١٩) وأبي مريم الأسدي أنه قال لمعاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاه الله من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن حاجتهم ، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة ، فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس».
وجوّد الحافظ إسناده (فتح الباري ١٣/ ١٤٣).
قلنا: وهذه من اهتمامات معاوية رضي الله عنه بمصلحة الأفراد الخاصة واتباع الحكم الشرعي متمثلاً في أوامر الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.
المثال الثالث: أخرج البلاذري في أنساب الأشراف (٤/ ١/ح ١٦٣) قال:
حدثنا هشام بن عمّار حدثنا إسماعيل بن عَيّاش عن صَفْوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الهَوْزَني عن أبي عامر الهَوْزني قال: حججنا مع معاوية ، فلمّا قدمنا مكّة أُخبر برجل قاصٍّ يقصّ على أهل مكّة ، وكان مولى لبني مخزوم ، فقال له معاوية: أُمرتَ بالقصص؟ فقال: =

= لا ، قال: فما حملك على أنْ تقصّ بغير إذْن؟ قال: إنّما ننشر علماً علّمناه الله ، قال: لو كنتُ تقدّمتُ إليك لقطعتُ طابقاً منك.

قلنا: وصفوان بن عمر وأبو عامر الهوزني ثقتان وبقية رجال الإسناد لا تنزل مرتبتهم عن الصدوق وإسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده ، وهو حمصي وشيخه الذي روىٰ عنه هنا هو صفوان وهو حمصي أيضاً فالإسناد حسن إن شاء الله تعالىٰ ـ وهذا يعني أن معاوية كان مهتماً بالتفاصيل الفقهية وكان حريصاً على إدخالها في حياة الناس خلاف ما قاله الأستاذ العش.

المثال الرابع: أخرج البخاري في صحيحه عن حمران بن أبان عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: «إنكم لتصلون صلاة لقد صحبنا النبي ﷺ فما رأيناه يصليها ولقد نهىٰ عنهما ، يعني الركعتين بعد العصر» (فتح الباري ٧/ ١٣٠).

وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٠٢) عن أبي سلمة قال: إن معاوية قال وهو على المنبر لكثير ابن الصلت: اذهب إلى عائشة فاسألها فقال أبو سلمة فقمت معه ، وقال ابن عباس لعبد الله بن الحارث: «اذهب معه ، فجئناها فسألناها» وصحح الحافظ إسناده (فتح الباري ٣/ ١٢٧) وهذا يعني أن معاوية رضي الله عنه كان مهتماً بتفاصيل الأحكام الفقهية في مختلف المجالات ويزيدنا إيضاحاً المثال الخامس.

المثال الخامس: أخرج البخاري في صحيحه عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يوم عاشوراء عام حج على المنبر يقول: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب عليكم صيامه ، وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر. (فتح الباري ٤/ ٢٨٧).

المثال السادس: أخرج البخاري في صحيحه عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان (عام حج) على المنبر فتناول قصة من شعر وكانت في يد حرسي فقال: يا أهل المدينة: أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ ينهىٰ عن مثل هذه ويقول: إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم. (فتح الباري ٦/ ٥٩١).

وفي رواية أخرىٰ عن سعيد بن المسيب «قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة آخر قدمة قدمها فخطبنا ، فأخرج كبة من شعر فقال: ما كنت أرىٰ أن أحداً يفعل هذا غير اليهود ، وإن النبي ﷺ سماه الزور ، يعني الوصال في الشعر» (فتح الباري ٦/ ٥٩٥).

وهذا اهتمام من سيدنا معاوية بأسلمة الحياة اليومية العادية حتى لو كان متعلقاً بالحياة الأسرية الخاصة.

المثال السابع: أخرج البخاري في صحيحه (فتح الباري ١١/ ٣٩٨) عن الشعبي حدثني كاتب المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن اكتب إليّ بشيء سمعته من =

= النبي ﷺفكتب إليه سمعت النبي ﷺيقول: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال؛ وإضاعة المال وكثرة السؤال».

المثال الثامن: أخرج البخاري في صحيحه عن وارد مولىٰ المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلىٰ المغيرة: اكتب إليّ ما سمعت النبي ﷺيقول: خلف كل صلاة، فأملىٰ عليّ المغيرة قال: سمعت النبي ﷺيقول: خلف الصلاة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وقال ابن جريج: أخبرني عدة أن وارداً أخبره بهذا، ثم وفدت بعد إلىٰ معاوية فسمعته يأمر الناس بذلك القول (فتح الباري ١١/ ٥٢١).

المثال التاسع: أخرج البخاري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب (فتح الباري ١٣/ ٣٤٥).

المثال العاشر: قال الحافظ ابن كثير: روىٰ أبو القاسم البغوي عن سويد بن سعيد عن همام بن إسماعيل عن أبي قبيل قال: كان معاوية يبعث رجلاً يقال له أبو الجيش في كل يوم فيدور علىٰ المجالس ـ يسأل هل ولد لأحد مولود؟ أو قدم أحد من الوفود؟ فإذا أخبر بذلك أثبت في الديوان ـ يعني ليجري الرزق (البداية والنهاية ٨/ ١٣٧).

والأمثلة كثيرة ولا نريد أن نطيل في ذكرها ولكننا ذكرناها في معرض نقدنا وردّنا على تقييم الدكتور العش رحمه الله لبعض جوانب شخصية معاوية ومنهجه في الحكم ـ وهذا لا يعني أننا وضعنا الدكتور يوسف العش في صف أعداء التأريخ الإسلامي، كلا فالرجل حاول أن يتجنب الروايات الضعيفة والمختلفة في تحليل أحداث الفتنة أيام عثمان رضي الله عنه واكتفى بالاحتجاج بالروايات الصحيحة وأبدىٰ تحليلاً قيماً في غير موضع من كتابه ولعلنا لا نلومه رحمه الله فيما أخطأ فيه وذلك للسبب الآتي:

إن توارث الروايات الضعيفة لقرون طويلة دون تقسيمها إلى شطرين صحيح وضعيف وتداولها في الكتب التأريخية المتعاقبة ثم العمل الخطير الذي قام به المستشرقون في بداية القرن العشرين الميلادي عندما جاؤوا بصفة مستشارين في وزارة المعارف في مختلف البلدان العربية (إبان الاستعمار البريطاني والفرنسي وغيرهما) وقيامهم بالإشراف على تأليف كتب التأريخ من ثم اعتماد الروايات الموضوعة والضعيفة جداً لكتابة التأريخ الإسلامي ومن تربّىٰ علىٰ تلك الكتب أجيال وأجيال أقول مع كل تلك التراكمات تكونت في أذهاننا صورة خاطئة عن الحكم الإسلامي طول تأريخنا الطويل ومن تلك الصور تلك الصورة المشوهة لسيدنا معاوية رضي الله عنه، ولو رجعنا ولو مرة واحدة إلىٰ صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح والسنن والمسانيد والمستدركات لتغيّرت الصورة تماماً في أذهاننا فهذه الكتب =

= تختلف عن كتب الأخباريين الذين يجمعون في كتبهم بين الضعيف والصحيح والغث والسمين ، والحمد لله على نعمة الإسناد.
٥ - لقد أعطتنا الروايات التي اختلقها المبتدعة والكذابون كأبي مخنف والواقدي وغيرهما صورة وهمية تبيّن لنا أن معاوية رضي الله عنه كان يرفل بالنعيم ويلبس كذا ويأكل كذا ويمشي كذا. . . إلخ ما تصوره لنا الروايات الواهية وتزيد عليها أقلام الكتاب المعاصرين المتغربين من مسلمين ونصارى ممن أطلقوا العنان لأقلامهم فصوّروا في كتبهم ومقالاتهم سيدنا معاوية رجلاً يلبس الملابس المرصعة باللؤلؤ والمرجان ويمشي في الناس في موكب مهيب ويجلس على كرسي ملكي فخم مفخم. . . إلخ.
ونحن نقول: إن كان معاوية رضي الله عنه قد اهتم ببناء دار الخلافة على طراز جديد فقد كان له مبرره «إني في بلاد لا يمتنع فيها من جواسيس العدو ، ولابدّ لهم مما يرهبهم من آلة السلطان».
ولم نجد رواية صحيحة السند تحكي عن ترف معاوية رضي الله عنه في البناء والملبس والمركب لذلك أعرضنا عنها ويبدو لنا والله أعلم أن معاوية كان يهتم ببعض الشكليات المتعلقة بدار الخلافة إظهاراً لهيبة المسلمين أمام الروم المتاخمين للشام في الحدود الشمالية والذين لا يفهمون إلاّ ظاهراً من الحياة الدنيا ولكن معاوية رضي الله عنه لم يكن ليهتم بتلك الشكليات حين ينزل إلى السوق يختلط بالناس وحين يذهب إلى المسجد أو إلى الحج وما إلىٰ ذلك ولم نجد رواية صحيحة تذكر عن موكب معاوية وخدمه وحشمه.
أخرج ابن عساكر عن يونس بن حلبس قال: رأيت معاوية في سوق دمشق على بغلة له ، وخلفه وصيف قد أردفه ، عليه قميص مرقوع الجيب وهو يسير في أسواق دمشق (مختصر تأريخ دمشق لابن منظور / ٥٣٠) وإسناده كما ذكره الحافظ ابن كثير قال: وقال هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حلبس به (البداية والنهاية ٨/ ١٣٧) وهذا إسناد ضعيف والله تعالىٰ أعلم.
وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف (٤/ ١/ ح ٢٠٣) حدثني هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن مروان بن جناح قال: قال عمرو بن العاص وذكر معاوية وهو بمصر: إن إمامكم ممن سهّل الله خليقته ، وقوّم طريقته ، وأحسن صيغته ، فمن كانت النعمة تُبطره ، إنها لتذلله وتوصره».
قلنا: وأما شيخ البلاذري (هشام بن عمار) فصدوق ، وأما الوليد بن مسلم فثقة ، وأما مروان بن جناح فلابأس به والله أعلم.
٦ - ومع كل ما ذكرنا من روايات في البخاري وغيره تدل على تواضع معاوية للعلماء وسماعه لنصيحتهم فلا زالت تراكمات القرون الطويلة تحجب الرؤية الواضحة لمكانة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وأرضاه كيف لا وهو صاحب رسول الله وكاتب الوحي عنده ولعلّ هذه=

= الرواية تزيدنا علماً بخلق معاوية الرفيع وأدبه الجم وسلوكه النبيل فقد قال الحافظ ابن كثير: قال الزهري حدثني القاسم بن محمد أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة فكلمها خاليين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكوان أبو عمرو مولىٰ عائشة. . . الخبر وفيه: «فلما قضىٰ معاوية كلامه معها تشهدت عائشة ثم ذكرت ما بعث الله به نبيه ﷺ من الهدىٰ ودين الحق والذي سنٍ الخلفاء بعده وحضت معاوية علىٰ العدل واتباع أثرهم، فقالت في ذلك فلم تترك له عذراً، فلما قضت مقالتها قال لها معاوية: أنت والله العالمة العاملة بأمر رسول الله ﷺ، الناصحة المشفقة البليغة الموعظة، حضضت علىٰ الخير، وأمرت به، ولم تأمرينا إلا بالذي هو لنا مصلحة، وأنت أهل أن تطاعي، وتكلمت هي ومعاوية كلاماً كثيراً فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال: والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله ﷺ أبلغ من عائشة (البداية والنهاية ٨/ ١٣٤).

٧ - حلم معاوية وسعة صدره وصبره علىٰ من طعن فيه وأغلظ له.

قال الحافظ الذهبي: وكان يضرب المثل بحلم معاوية، وقد أفرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية (تأريخ الإسلام / عهد معاوية / ١٣٥).

وأخرج ابن عساكر في تأريخ دمشق (١٦/ ٣٦٧/ أ) عن قبيصة بن جابر قال: صحبت معاوية فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ولا أبطأ جهلاً، ولا أبعد أناة منه.

وأخيراً فلنتعرف على رأي إمامين كبيرين من أئمة السلف وهما: (الإمام الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز التنوخي) وكلاهما من أعلم الناس بأهل الشام: فقد أجادا وأوجزا وأبلغا في مقالهما ـ.

أخرج أبو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي قال: أدركت خلافة معاوية وعدة من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت وسلمة بن مخلد وأبو سعيد ورافع بن خديج وأبو أمامة وأنس بن مالك، ورجال أكثر وأطيب ممن سمينا بأضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم حضروا من الكتاب تنزيله، ومن الدين جديده، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويل القرآن، ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله، منهم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب وعبد الله بن محيريز، وفي أشباه لهم لم ينزعوا يداً من جماعة من أمة محمد ﷺ (البداية والنهاية ٨/ ١٣٦).

وقال الحافظ ابن كثير أيضاً: وقال أبو زرعة عن دحيم عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما قتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو، حتى كان عام الجماعة فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة، تذهب سرية في الصيف ويُشَتوا بأرض الروم، ثم تقفل وتعقبها أخرىٰ وكان في جملة من أغزىٰ ابنه يزيد ومعه خلق من الصحابة، فجاز بهم الخليج وقاتلوا أهل القسطنطينية علىٰ بابها، ثم قفل بهم راجعاً إلى الشام، وكان آخر ما أوصىٰ به معاوية =

= أن قال: شد خناق الروم (البداية والنهاية ٨/ ١٣٦).
٨ - مقتل حجر بن عدي رضي الله عنه في عهد سيدنا معاوية.
ولعل البعض من أهل الأهواء والبدع يطعنون في حكم سيدنا معاوية وعدله ويقولون: إنه رضي الله عنه قتل حجراً وأصحابه وليس له ذلك.
قلنا: إذا كان جمهور أهل السنة والجماعة يرون اجتهاد الإمام علي في قتال معاوية لأنه خرج عليه اجتهاداً صائباً، فبالطريقة نفسها وبالمكيال نفسه نقول: إن الروايات التاريخية صحيحها وضعيفها تبين أن حجراً قد أعلن العصيان والخروج على ولي الأمر الذي أجمعت الأمة قاطبة على بيعته كما قال ابن حزم رحمه الله:
ثم سلَّم الحسن الأمر إلى معاوية وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منه بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل فكلهم أولهم عن آخرهم بايع معاوية ورأى إمامته) [الفصل (٥/ ٦)].
قلنا: والشريعة التي أجازت للإمام علي أن يقاتل من بغىٰ وخرج عليه كذلك تجيز لمعاوية أن يقاتل من خرج عليه، وحرَّض الناس على العصيان المسلح مصداقاً لقوله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحدٍ يريد أن يشق عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه» [صحيح مسلم مع شرح النووي (٢/ ٢٤٢)].
علماً بأن سيدنا معاوية اشتهر بالحلم والصفح وهذا يعني أن حجراً قد جاوز الحد وبلغ مبلغاً غير مأمون على وحدة الأمة فرأى معاوية في قتله ضماناً لوحدة الأمة كما أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الإمام أحمد بن حنبل عن عفان بن مسلم عن ابن علية عن أيوب بن كيسان عن عبد الله بن أبي مليكة قال: «لما قدم معاوية دخل على عائشة فقالت: أقتلت حجراً؟ قال: يا أم المؤمنين إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خيرٌ من استحيائه في فسادهم» وهذا إسناد صحيح والله أعلم.
وأخيراً فإن سيدنا معاوية رضي الله عنه خليفة من الخلفاء الاثني عشر الذين أخبر عنهم ﷺ لاعتبارات كثيرة.
منها: كون الأمة قد أجمعت على بيعته فسُمّي ذلك العام عام الجماعة، ومعلوم أن إحدى روايات حديث الخلفاء الاثني عشر بلفظ: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة» كما في سنن أبي داود.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكاً ولم يكونوا خلفاء الأنبياء، بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا يكون نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فُوا ببيعة الأول فالأول...» الحديث. =

= فقوله ﷺ: «فتكثر» دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيراً. [مجموع الفتاوىٰ (٣٣/ ١٤)].

قلنا: ولو أضاف الإمام ابن تيمية رحمه الله دليلاً آخر لكان أحسن ألا وهو ما أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش» [صحيح البخاري كتاب الأحكام (ح ٧٢٢٢)].

وفي رواية مسلم: «اثنا عشر خليفة» وفي رواية أبي داود في سننه «اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة».

قلنا: ولقد أجمعت الأمة على بيعة أمير المؤمنين معاوية وسمي ذلك العام بعام الجماعة فكيف لا يطلق عليه اسم خليفة؟

قال المباركفوري: المراد بخلافة النبوة هي الخلافة الكاملة وهي منحصرة في الخمسة فلا يعارض الحديث «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يملك اثنا عشر خليفة» لأن المراد به مطلق الخليفة. [تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٦)].

ولقد استوقفتنا عبارات الأستاذ الفاضل محمد قطب ومنها قوله: ولقد عمل الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز على تصحيح الأوضاع والرجوع إلى الصورة المثالية التي كانت عليها زمن الخلفاء الراشدين... إلخ.

ولا أحد يختلف مع الأستاذ محمد قطب في عدالة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وصلاحه وزهده... إلخ، ولكن الذي يعاتب عليه الأستاذ محمد أنه في الوقت الذي أشاد بعامين ونصف من عهد عمر بن عبد العزيز وأثنى عليه.. فإنه لم يول ذلك الإهتمام بعقدين من الزمان من عهد أمير المؤمنين معاوية نَعِمَ الناس فيها بالأمن والأمان والجهاد قائم، والمسلمون في عز وكرامة وفي مقدمتهم أئمة أهل البيت.

وإذا صار عمر بن عبد العزيز خليفةً راشداً ـ بالقياس لا بالنص وهو تابعي فإن أمير المؤمنين معاوية أولىٰ بذلك اللقب وهو صحابي جليل وكاتب وحي رسول الله ﷺ، وهو خير من عمر بن عبد العزيز بنص حديث رسول الله ﷺ «خير القرون قرني».

ولقد سئل المعافي بن عمران، أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟

فقال: أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟! معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله [البداية والنهاية (٨/ ١٣٨)].

وإذا كان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أكرم آل بيت رسول الله ﷺ لسنتين ونصف فإن أمير المؤمنين معاوية قد أكرم آل بيت رسول الله ﷺ وحباهم بكرمه وسخائه واحترامه لعقدين من الزمان حكم فيها أرض الخلافة الإسلامية، وأئمة أهل البيت يومها على أحسن حال، وكان مروان والياً لمعاوية على المدينة فكان الحسن والحسين يصليان خلفه أيام سيدنا معاوية ولم=

= تكن بينهما وبين مروان والي معاوية يومها إحنٌ ولا ضغائن ، كما أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ١٧٥ أ) من طريق حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه: «أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان فقيل: أما كانا يصليان إذا رجعا إلى منازلهما؟ قال: لا والله».
[وانظر البداية والنهاية (٨/ ٣٥٨)].
وإذا كان عمر بن عبد العزيز حليماً فقد كان معاوية أحلم. ولقد قبل سيدنا معاوية من الناس معارضتهم السلمية برحابة صدر وقبل منهم نصحهم وعمَّ الأمن البلاد والعباد.
ونحن نذكر الأستاذ الفاضل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ولا نتهمه بشيء ـ معاذ الله ـ ولكن مناقشتنا هذه تؤكد مقولتنا التي كررناها مراراً في هذا البحث ألا وهي أن مجرد وجود الروايات المكذوبة في مثالب بني أمية في تاريخ كالطبري وغيره يكفي لرسوخ كثير من المفاهيم الخاطئة في أذهان الناس عن سيرة الخلفاء المسلمين.
ولقد ذكرنا جوانب من سيرة الخليفة الصالح معاوية رضي الله عنه فلا داعي للتكرار ولكننا نذكر في هذا المقام مثالاً واحداً فقط نتبين من خلاله تواضع معاوية رضي الله عنه وحرصه على اتباع النصوص الشرعية.
فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن أبي مجلز قال: دخل معاوية على عبد الله بن الزبير وابن عامر، وكان الشيخ أوزنهما، قال: فقال: مه قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يتمثل له عباد الله قياماً فليتبوأ مقعده من النار» [مسند أحمد (ح ١٦٨٣٠)].
وهذه درة من درر التاريخ الإسلامي سجلها لنا الإمام أحمد رضي الله عنه.
فالخليفة الذي حكم شطر العالم يومها يكره قيام الناس له ويذكر في ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ.
وما من مثال من أمثلة العدل والزهد والحلم في سيرة عمر بن عبد العزيز إلاَّ ويقابلها مثال على ذلك في سيرة معاوية رضي الله عنه.
ولقد ذكرنا في قسم الصحيح قسطاً منها: كارتداءه رضي الله عنه ثوباً مرقعاً، وركوبه بغلته مع غلام له واحد، وتجوله في السوق في دار الخلافة، وحواره مع المسور بن مخرمة، وغير ذلك كثير من علامات عدله وحكمه وصلاحه وجهاده.
وكذلك ذكرنا في حينه أنه رضي الله عنه أوصىٰ ولاته أن يحثوا الناس على الكتابة إليه كلما رأوا ظلامة أو حيفاً رضي الله عنه وأرضاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
هذه هي الصورة المشرقة لأمير المؤمنين معاوية الذي كان أميراً عشرين عاماً في عهد الخلفاء الراشدين ثم تسلّم الخلافة من الحسن صلحاً فكان أمير للمؤمنين عشرين عاماً إلا قليلاً.
نعمت أرض الخلافة في عهده بالأمان والاستقرار وخمدت الفتن ونشطت الفتوحات مرة أخرىٰ وشيدت المدن كالقيروان وغيرها كل ذلك وأرض الخلافة توسعت وترامت أطرافها =

= ودخل في الإسلام أقوام كثيرون مختلفة مشاربهم وثقافاتهم وكانوا حديثي عهد بالإسلام فسخر الله لهذه الأمة معاوية رضي الله عنه داهية العرب والمسلمين فساسهم خير سياسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وبعد:

فقد آلينا على أنفسنا أن نمحص روايات الطبري فيما يتعلق بتاريخ الخلفاء الراشدين، والخليفة الأموي معاوية رضي الله عنهم أجمعين وحاولنا ما استطعنا بتوفيق الله وعنايته أن نميز بين الضعيف والصحيح ومن هنا فصاعداً «أي: من بداية عهد يزيد وحتى نهاية عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز» نبدأ بتطبيق منهج مغاير بعض الشيء لما اتبعناه في المراحل السابقة.

ولكن الأصل الذي لم نتغافل عنه ولن نتغافل عنه إن شاء الله حتى نهاية تحقيقنا لتاريخ الطبري هو الذَبّ عن عدالة الصحابة وبيان التزوير والتشويه الذين لحقا بتاريخ الخلافة في عهد الأمويين والعباسيين ولعل التساهل الذي نبديه فيما يأتي هو قبولنا رواية الراوي الذي سكت عنه ابن أبي حاتم وذكره ابن حبان في الثقات شريطة أن تخلو روايته من النكارة ومن مسائل تتعلق بالعقيدة أو الحلال والحرام، وتخلو كذلك من الطعن في عدالة الصحابة.

والجديد أيضاً في منهجنا من سنة (٦٠ هـ) فصاعداً هو قبولنا لأخبار عزل الولاة وتعيين آخرين غيرهم أو تعيين القضاة وتمصير المدن وبعض أحداث الفتوح دون اشتراط سند موصول والاكتفاء برأي عدة مؤرخين متقدمين (ثقات) كالطبري وابن سعد وابن خياط وغيرهم.

ونحن في هذه المسائل الآنفة الذكر نتبع مناهج معروفة لبعض أساتذة التاريخ الكبار المعتمدين كالأستاذ العمري الفاضل الذي أشار في كتابه القيم (السيرة النبوية الصحيحة) إلى اعتماد شيء من التساهل في كتابة التاريخ العام يقول الأستاذ أكرم ضياء العمري ـ حفظه الله ـ: وأما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة ففيه تعسف كثير والخطر الناجم عنه كبير لأن الروايات التاريخية التي دونها أسلافنا المؤرخون لم تعامل معاملة الأحاديث بل تم التساهل فيها وإذا رفضنا منهجهم فإن الحلقات الفارغة في تاريخنا ستمثل هوة سحيقة بيننا وبين ماضينا مما يولد الحيرة والضياع والتمزق والانقطاع، إن تاريخ الأمم الأخرىٰ مبني على روايات مفردة ومصادر مفردة في كثير من حلقاته وهم ينقدون متون الروايات فقط ويحللونها وفق معايير نقدية تمكنهم من الوصول إلى صورة ماضيهم لعدم استعمال الأسانيد في رواياتهم التاريخية لأن الأسانيد اختصت بها الأمة الإسلامية.

لكن ذلك لا يعني التخلي عن منهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات التاريخية فهي وسيلتنا=

= إلى الترجيح بين الروايات المتعارضة كما أنها خير معين في قبول أو رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ أمتنا ولكن الإفادة منها ينبغي أن تتم بمرونة آخذين بعين الاعتبار أن الأحاديث غير الروايات التاريخية ، وأن الأولىٰ (أي الأحاديث) نالت من العناية ما يمكنها من الصمود أمام قواعد النقد الصارمة.
ونظراً لأن المصادر المتعلقة بالحديث والعلوم الشرعية والتاريخ الإسلامي معظمها تسرد الروايات بالأسانيد فلابد من تحكيم قواعد علماء المصطلح في نقد هذه الروايات مع عدم التخلي عن الروايات التي لا تصل إلىٰ مستوىٰ الصحة الحديثية ففي الأبحاث التاريخية تعتبر الروايات المسندة من طرق رواة لا يبلغون مستوى الثقات أفضل من الروايات والأخبار غير المسندة لأن فيها ما يدل على أصلها ، ويمكن التحكم بنقدها وفحصها بصورة أفضل من الأخبار الخالية من السند. [دراسات تاريخية للأستاذ العمري (٢٦ ـ ٢٧) مع تقديم وتأخير في بعض المقاطع].
ونعود مرّة أخرىٰ إلى ما نحن بصدده فيما يتعلق بتاريخ العقود المتبقية من تاريخ القرن الأول الفاضل ، والمصادر المتقدمة التي استعنّا بها في المقارنة.
١ ـ تاريخ خليفة بن خياط (٢٤٠ هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمري.
٢ ـ طبقات ابن سعد (٢٣٠ هـ).
٣ ـ المعرفة والتاريخ للفسوي (٢٢٩ هـ).
٤ ـ أنساب الأشراف للبلاذري (٢٢٩ هـ).
٥ ـ بعض الروايات النادرة التي أخرجها البخاري ومسلم ، وهي وإن كانت قليلة جداً ولكنها ثمينة المتن والمعنىٰ.
٦ ـ بالإضافة إلى مصادر أخرىٰ كتاريخ مكة ، وكتاب فتوح البلدان ، وكتاب المتوارين ، وكتاب المحن لأبي العرب ، والمعارف لابن قتيبة ، وغيرها من المصادر التي سنذكرها أثناء التحقيق.
ولعل الجديد في قراءتنا الجديدة هذه أننا نستشهد ببعض الروايات الضعيفة (ضعفاً خفيفاً) ونبين ما يؤيدها من روايات صحيحة أو بالعكس فإننا نشير إلى مخالفة متونها للروايات التاريخية الصحيحة وكذلك بعض الروايات الضعيفة جداً لنبين مواضع التزوير والتشويه وأحياناً نعرج على مقالات المؤرخين المعاصرين الذين تأثروا بالمدرسة الاستشراقية وغيرها من جامعات الغرب التي تسعى إلى إظهار روايات المتروكين والكذابين كالواقدي وأبي مخنف والكلبي . . . إلخ في مقابل طمس الروايات التاريخية الصحيحة وذلك خدمة لأغراض معروفة. ونحن بدورنا نبين الخطأ في مقالات هؤلاء ونحاول أن نبين حقائق الوقائع التأريخية ومن خلالها ندافع عن عدالة الصحابة ونظهر الوجه المشرق للتاريخ الإسلامي ونستدل بالروايات التاريخية الصحيحة عند الطبري وغيره لنحصل على تلك الدرر الثمينة =

= التي تكمن في خبايا وصفحات التاريخ الإسلامي وأخذنا على عاتقنا أن نبين حقيقة لطالما ذكرها أساتذتنا الأفاضل (العمري ، وابن خليل . . . وغيرهم كثير) وهي : أن تاريخ الرعيل الأول بكل ابتلاءاته ومحنه وبكل انتصاراته وشموخه هو تاريخ عقيدة والذين شاركوا في تسجيل صفحاته وتسطير مآثره فعلوا ذلك بدافع من عقيدة التوحيد ورابطة الإيمان وستثبت هذه المقولة عند تناولنا لتفاصيل ذلك التاريخ ، إن شاء الله تعالىٰ .
ولعل بعض الباحثين يعتقد أن نقد الرواية التاريخية أمر مستحدث يأخذ به من يريد أن يكتب التاريخ كما يتمنىٰ وخاصة عند المؤرخين المعاصرين الملتزمين بالمنهج الإسلامي في البحث وليس الأمر كذلك فلو رجعنا إلى المؤرخين المتقدمين العمالقة كالطبري مثلاً الذي ترك لنا هذا السفر الضخم نراه يؤكد وجود روايات غير صحيحة في تاريخه جمعها من باب المقارنة بين المصادر التاريخية المختلفة ومن باب الأمانة العلمية ولقد عاش الطبري في عصر كانت فيه علوم الرواية وتراجم الرجال معروفة لدىٰ العلماء فلعله لهذا السبب ولأسباب أخرىٰ يميز في تاريخه بين الضعيف والصحيح ، ومن قبله كان العلامة المؤرخ خليفة بن خياط علماً من أعلام التاريخ الإسلامي (وهو ثقة عند أئمة الحديث) ولقد ترك للأمة كتابه القيم (تاريخ خليفة) وهو تاريخ حولي ـ لم يحكم فيه ابن خياط على الأسانيد والمتون ولكنه تجنب روايات المتروكين والكذابين والوضاعين فلم يرو عن أبي مخنف (لوط بن يحيى) وأمثاله .
واعتمد في أحايين كثيرة على رواة ثقات معروفين ولقد قام الأستاذ العمري بتحقيق تاريخ خليفة الذي كان مخطوطاً فزاده بهاءً وأظهر قيمته العلمية جزاه الله خيراً . وكلما راجعنا أسماء المؤرخين عقداً بعد عقد وقرناً بعد قرن وجدنا مسألة النقد التاريخي معروفة لديهم وإن لم يعتمدوه كثيراً بينما نجد النقد واضحاً عند الحافظين الذهبي وابن كثير (خاصة) في كتابه المعروف البداية والنهاية ووصولاً إلى المؤرخين المعاصرين ومنهم الأستاذ العمري صاحب كتاب الخلافة الراشدة التي اعتمد فيها تطبيق القواعد الحديثية علىٰ الرويات التاريخية وأشرف على رسائل جامعية كثيرة في هذا المجال .
وكذلك انتهج هذا المنهج كثيرون من المؤرخين ، وأسماؤهم كثيرة متقدمين ومتأخرين ومعاصرين [صاحب العواصم الإمام المالكي ابن العربي . . . محب الدين الخطيب . . . إلخ] .
ونرىٰ من الضروري هنا أن ندعم منهجنا هذا بنصوص من كتابات العلامة المؤرخ ابن خلدون رحمه الله تعالى :
يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى : وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ولم يعرضوها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها .
ويتحدث أيضاً عن الحكايات التاريخية بالذات لأن العلماء تساهلوا فيها فهي ليست كالرواية=

= في الحلال والحرام فيقول رحمه الله: الحكايات مظنة الكذب ومطية الهذر ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد. المقدمة (١/ ٩).
والحمد لله الذي أغنانا عن تعاريف الفرنجة وغيرهم في التاريخ يقول العلامة ابن خلدون وهو يعرف التاريخ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأوَل تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال تطوف بها الأندية. (المقدمة ١/ ٣).
ولكن للتاريخ وجه آخر عند العلامة ابن خلدون إذ يقول: وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو كذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يُعَدّ في علومها. (١/ ٣).
ثم يبين ابن خلدون كيفية إدخال الروايات المكذوبة في أمهات الكتب دون أن يشعر كثير من الناس يقول ابن خلدون:
وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهمّوا فيها وابتدعوا زخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفىٰ تلك الآثار الكثير من بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل (المقدمة ١/ ٤).
ونحن بدورنا نحاول أن نستبعد هذه الروايات الباطلة وندافع عن عدالة الصحابة ونبرز الوجه المشرق للتاريخ الإسلامي ولا ندعي أننا سبقنا غيرنا في هذا الميدان (كما بينا سابقاً) بل نرجو أن نكون قد ضربنا ضربة المعول الأخيرة كي نجلّي وجه التاريخ الإسلامي المشرق.
والحمد لله أولاً وآخراً وعلى الله التوكل ومنه التوفيق.

يزيد بن معاوية
(٦٠ ـ ٦٤ هـ)

قبل أن نناقش روايات الطبري ضمن أحداث هذه السنين نودّ أن نرجع إلى عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه فالتاريخ الإسلامي عبارة عن حلقات مترابطة فيما بينها مؤثرة في بعضها البعض تباعاً.
ولقد لخص ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ عقدين من الزمان من حكم الخليفة معاوية رضي الله عنه بكلمة وجيزة قيمة فقال ـ رحمه الله ـ: إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم فانعقدت الكلمة على معاوية وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدىٰ وأربعين كما قدمنا فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض والمسلمون معه في راحة =

خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٠

وفي هذه السنة بويع ليزيدَ بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه ، للنّصف من رجب في قول بعضهم ، وفي قول بعضهم : لثمانٍ بقِينَ منه ـ على ما ذكرنا قبلُ من وفاة والده معاوية ـ فأقرّ عُبيَد الله بن زياد على البَصرة ، والنُّعمانَ بن بشير على الكوفة[١] .

= وعدلٍ وصفح وعفوٍ .
[البداية والنهاية (٦/ ٣١٥)].
قلنا : لقد نعمت الأمة خلال عقدين من الزمان (٤١ ـ ٦٠ هـ) بالأمن والأمان والجهاد قائم كما قال ابن كثير والمسلمون وأهل الذمة في راحة وعدل وصفح وعفو ولقد جعل الله لذلك الأمن والعفو والعدل سببين (بقدره سبحانه) الأول تسامح الإمام الحسن بن علي وزهده في الدنيا وإيثاره المصلحة العامة للأمة على ما سواها واختيار ما عند الله من الجزاء الكبير على عرض الدنيا الزائل فاصطلح مع معاوية رضي الله عنهما فضم بذلك الشق الآخر من الأمة إلى الشق الذي كان في صف معاوية فبايعت الأمة لمعاوية وأجمعت على ذلك وجمعها الله على كلمة سواء فسمي ذلك العام بعام الجماعة .
والسبب الثاني : هو ما وهبه الله من صفات قيادية لسيدنا معاوية كالحكمة ورحابة الصدر ورجاحة العقل وبعد النظر وتضلع في العلم الشرعي وأصول السياسة الشرعية وذكرنا في وقته كيف أن سيدنا معاوية انتفع بكلمات قالها له رسول الله ﷺ : «يا معاوية إذا ملكت فأحسن» .

(١) لقد كان تولي يزيد الحكم خطوة مغايرة لما عرفه الناس في عهد الخلافة الراشدة ، صحيح أن الناس قد بايعوا للحسن بن علي بعد أبيه رضي الله عنهما إلاّ أن سيدنا علي لم يَدْعُ الناس إلى بيعة ابنه من بعده ، وعلىٰ أية حال فإن الخلافة إنما تنعقد ويتم برضىً من الأمة متمثلة بأهل الحل والعقد ولو أوصى الخليفة لمرشح من بعده فلابد لأهل الحل والعقد أن ينظروا في ذلك وذلك يطول شرحه وليس محله هنا .
ونرجع إلى المسألة من الناحية التاريخية فنقول :
لقد اجتهد الإمام معاوية واجتهاده ذو شقين أصاب في الأول وأخطأ في الثاني ، فقد خشي سيدنا معاوية رضي الله عنه على الأمة أن تمزّقها الفرقة والفتنة إن لم تكن اصطلحت على خليفة من بعده وكان يرىٰ ابنه من بين بقية أبناء الصحابة أجدر الناس بسياسة الأمور وإدارة الحكم وإن لم يكن أفضلهم علماً وورعاً ، وكان يرىٰ في تولية يزيد ضماناً للأمن والاستقرار والهدوء السياسي الذي دام عقدين من الزمان في ظل حكمه رضي الله عنه ، فسيدنا معاوية أصاب عندما أيقن بضرورة إجماع الأمة على خليفة قبل أن يموت ولكنه أخطأ في اختياره ليزيد لذلك المنصب أما عاطفة الأبوة فلا نستطيع أن ننفيه ولا نثبته كذلك . =

= ولا نقول أكثر من هذا في حق كاتب وحي رسول الله ﷺ وخليفة المسلمين الذي بايعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم من وجهاء الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال العلامة ابن خلدون: والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة العامة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذٍ من بني أمية. إن بنو أمية يومئذٍ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولىٰ بها، وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع وإن كان الظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوىٰ ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة ذلك وعدالتهم مانعة منه. اهـ. (مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠).

وجزىٰ الله ابن خلدون عن المسلمين وتاريخهم خيراً فلا نزيد عليه فقد كفانا ردَّ هذه الشبهة، والحمد لله أولاً وآخراً.

ولقد رَوى الطبري أخباراً في هذه المسألة ذكرناها جميعاً في قسم الضعيف فلا تصح منها رواية ولو واحدة، وفي متونها نكارات وكذلك روى غير الطبري روايات أخرى تتهم سيدنا معاوية بتهم باطلة منها أنه رضي الله عنه تحدَّث مع العبادلة من الصحابة من أهل الحل والعقد فأبوا أن يبايعوا ليزيد ولكن معاوية صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له» فقال أهل الشام: والله لا نرضىٰ حتى يبايعوا على رؤوس الأشهاد وإلا ضربنا أعناقهم. فقال: «سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشر لا أسمع هذه المقالة من أحدٍ منكم بعد اليوم»، ثم نزل، فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر وهم يقولون: لا والله ما بايعنا، فيقول الناس: بلى وارتحل معاوية فلحق بالشام. اهـ.

ولو رجعنا إلى أصل الرواية لوجدناها عند خليفة في تاريخه (ص ٢١٣) من طريق النعمان بن راشد عن الزهري عن ذكوان مولىٰ عائشة.

ولو راجعنا أقوال أئمة الجرح والتعديل في النعمان بن راشد لوجدناها كما يلي:

قال أحمد: مضطرب الحديث روىٰ أحاديث مناكير.

وقال النسائي: ضعيف كثير الغلط.

وقال ابن معين: ليس بشيء.

وذكره العقيلي وابن الجوزي وابن عدي في الضعفاء.

قلنا: فإذا كان هذا حال النعمان بن راشد فكيف نعتمد على متن رواية بهذا الإسناد وحتى لا يزعم بعض الناس أننا نكتب التاريخ كما نتمنىٰ وكما يحلو لنا نذكر هنا رأي الأستاذ العش=

= ـ رحمه الله ـ وهو يشكك في تلك الروايات التاريخية المتعلقة بولاية العهد ليزيد.
يقول الدكتور يوسف العش: ونجد في هذه المناسبة رواية تبين لنا موقف معاوية من الأمر فيقال لنا: إن معاوية سافر بألف فارس إلى المدينة ليحصل على بيعة النفر الثلاثة المهمين ـ أي: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ومعهم ابن عباس ـ لكن هؤلاء أدركوا عواقب الأمور، فخرجوا إلى مكة هاربين، ولحق بهم معاوية إلى مكة، وجمعهم، وكلمهم في شأن البيعة فأجابه عنهم ابن الزبير فحضه... إلخ. وفيه يقول معاوية: وسأذهب بكم إلى المسجد الجامع وعلى رؤوسكم السيف، فمن خالف أمري أصابه السيف، وسار بهم إلى المسجد، وخطب في الناس يقول: إن هؤلاء النفر الذين يرجع إليهم الأمر قد وافقوا على بيعة يزيد، فهلموا إليها، وسكت النفر فأقبل الناس عليها.
وقد رفض كثير من المؤرخين هذه الرواية لأنها تخالف طبع معاوية، ونحن لا ندري أنرفضها أم نقبلها، فإنا إذا رفضناها افترضنا أن معاوية ترك القرشيين الأولين أحراراً في المبايعة لابنه، وفي هذا خطر كل الخطر.
وإذا قبلناها نراها تخالف طبع معاوية، فهو لم يكن ليجرد ألف فارس يسير بهم ويجبر الصحابة بهذه الرواية التمثيلية، والذي يبقىٰ أمامنا هو أن نفترض أنه سافر إلى الحجاز، ووجد أسلوباً حكيماً يبايع فيه الناس ابنه بمحضر من هؤلاء النفر دون أن يظهروا عدم رضاهم عن بيعته، ودون أن يبايعوه بأنفسهم.
والحق أن هؤلاء لم يبايعوا يزيد، ويظهر ذلك في وصية معاوية لابنه حين وفاته، إذ يوصيه بعدم التواني بأخذ البيعة منهم. أ هـ[الدولة الأموية (ص ١٦٣ ـ ١٦٤)].
قلنا: وهذه الرواية التي ناقشها الدكتور العش وشكك في صحتها هي في حقيقة الأمر غير صحيحة الإسناد والمتن والحمد لله.
قلنا: وبعد بحث طويل في كتب الحديث والتراجم والتاريخ لم نجد رواية تأريخية صحيحة السند ولا غرابة في متنها أو نكارة سوى رواية واحدة في حلية الأولياء رجال إسنادها ثقات، وهي الرواية الوحيدة (حسب علمنا القاصر) التي تبين ما دار بين معاوية وبقية الصحابة من أهل الحل والعقد من الذين سكنوا بجوار الحرمين الشريفين ولم نجد فيها حشواً.
فقد أخرج الحافظ أبو نعيم من طريق صالح بن كيسان عن الزهري قال: أخبرني القاسم بن محمد بن أبي بكر: أن معاوية أخبر أن عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، خرجوا من المدينة عائذين بالكعبة من بيعة يزيد بن معاوية، قال: فلما قدم معاوية مكة تلقاه عبد الله بن الزبير بالتنعيم فضاحكه معاوية وسأله عن الأحوال، ولم يعرض بشيء من الأمر الذي بلغه، ثم لقي عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر فتفاوضا معه في أمر يزيد، ثم دعا معاوية ابن الزبير فقال له: «هذا صنيعك أنت، استزللت هذين الرجلين وسننت هذا الأمر، وإنما أنت ثعلب روّاغ لا تخرج من جحر إلّا دخلت في =

= آخر». فقال ابن الزبير: «ليس بي شقاق ولكن أكره أن أبايع رجلين أيكما نطيع بعد أن أعطيكما العهود والمواثيق؟ فإن كنت مللت الإمارة فبايع ليزيد فنحن نبايعه معك». فقام معاوية حين أبوا عليه، فقال: «ألا إن حديث الناس ذات غور وقد كان بلغني عن هؤلاء الرهط أحاديث وجدتها كذباً وقد سمعوا وأطاعوا ودخلوا في صلح ما دخلت فيه الأمة». [حلية الأولياء (/ ٣٣٠)].

وليس في هذه الرواية ما يؤكد أن معاوية قد أعلن للناس أن هؤلاء الصحابة قد بايعوا ليزيد ولكن فيه أنه رضي الله عنه حاورهم ودخل معهم في جدال بالحسنىٰ وتبين له أن بعض الناس يقولون عنهم ما لم يتقولوه، وسنبين فيما بعد أسباب امتناعهم ثم قبول بعضهم البيعة فيما بعد.

أصول السياسة الشرعية كانت واضحة لا كما يقول المستشرقون ومن تأثر برأيهم من أن فقهاء الأمة استحدثوا هذه الأصول بعد قرون.

قلنا: إن الحوار الطويل والنقاش الذي دار بين مؤيدي ولاية العهد ليزيد وبين معارض ذلك من الصحابة يدلان دلالة واضحة على أن مسألة الشورىٰ في الحكم، وأصول السياسة الشرعية الأخرىٰ كانت واضحة المعالم عند السلف الصالح لعلمهم الجمِّ بأدلة الكتاب والسنة لا كما يقول الدكتور الموصلي من الجامعة في بيروت من أن بعض مسائل السياسة الشرعية ابتدعها الفقهاء بعد قرون عدة من أمثال الماوردي وغيره والمناقشة التي دارت في سقيفة بني ساعدة بين الصحابة رضي الله عنهم وما تمخضت عنها من نتائج وكذلك استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنه وترك عمر الأمر شورى بين عددٍ من أهل الحل والعقد، وطلب سيدنا علي من أهل الحل والعقد وغيرهم من وجهاء الأمة أن يبايعوا له علانية من على المنبر وبرضىً منهم، وكذلك ما دار بين الموالين لتولية يزيد والمعارضين لذلك من الصحابة كل ذلك على ثبوت فقه الحكم وإدارته من ذلك العهد المبكر اعتماداً على أدلة الكتاب والسنة وسنرى ذلك خلال مناقشتنا لهذه الروايات التاريخية القيمة الثمن ومنها:

أخرج البخاري في صحيحه [كتاب التفسير (ح ٤٨٢٧)] عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال: خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ فقالت عائشة: من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلاّ أن الله أنزل عذري.

قلنا: والشيء الذي قاله عبد الرحمن بن أبي بكر هو ما بينته رواية ابن أبي حاتم عن عبد الله بن المديني قال: إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إن الله قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر فقال عبد الرحمن بن أبي بكر، أهِرَقلية؟ إن أبا بكر والله ما جعلها في أحدٍ من ولده ولا أحدٍ من أهل بيته=

= ولا جعلها معاوية في ولده إلاّ رحمةً وكرامة لولده ـ. [تفسير ابن كثير (سورة الأحقاف آية ١٧)].

قلنا: وهذا يعني أن سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام كانوا على علم واطلاع واسعين بأصول السياسة الشرعية وقواعد الخلافة الراشدة وكان الراجح عندهم أن يكون الأمر شورى بين الأمة وتحت إشراف أهل الحل والعقد.

والحق يقال: فإن الروايات التاريخية الصحيحة تؤكد أن الخليفة معاوية رضي الله عنه استشار أهل الحل والعقد واحترم رأيهم وأكرمهم ولم يعاقبهم على رأيهم وإن كان مخالفاً (صراحة) لرأيه هو رضي الله عنه في مسألة ولاية العهد، والرواية التالية تؤكد ذلك، والحوار السابق واللاحق دليل على أن ذلك التاريخ تاريخ عقيدة.

عن محمد بن سيرين قال: لما أراد معاوية أن يستخلف يزيد بعث إلى عامل المدينة أن أوفد إليَّ من تشاء، قال: فوفد إليه عمرو بن حزم الأنصاري، فاستأذن، فجاء حاجب معاوية يستأذن، فقال: هذا عمرو بن حزم قد جاء يستأذن، فقال: ما حاجتهم إلي؟ قال: يا أمير المؤمنين، جاء يطلب معروفك، فقال معاوية: إن كنت صادقاً فليكتب ما شاء، فأعطه ما شاء ولا أراه.

قال: فخرج إليه الحاجبُ فقال: ما حاجتك؟ اكتب ما شئتَ فقال: سبحان الله، أجيء إلى باب أمير المؤمنين فأحجب عنه؟ أحِبُّ أن ألقاه فأكلمه.

فقال معاوية للحاجب: عده يوم كذا وكذا إذا صلى الغداةَ، فليجيء قال: فلما صلَّى معاوية الغداة، أمر بسرير فجعل في إيوانٍ له، ثم أخرج الناس عنه، فلم يكن عنده أحد سوى كرسي وضع لعمرو، فجاء عمرو، فاستأذن، فأذن له فسلم عليه، ثم جلس على الكرسي، فقال له معاوية: حاجتك؟ قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لعمري لقد أصبح ابن معاوية واسط الحَسَب في قريش، غنياً عن الملك، غنياً إلاَّ عن كل خير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لم يسترع عبداً رعيةً إلاَّ وهو سائله عنها [كيف صنع فيها؟]».

وإني أذكرك الله يا معاوية في أمة محمد ﷺ بمن تستخلف عليها.

قال: فأخذ معاوية ربوة وأخذ يتنفس في غداة قرّ، وجعل يمسح العرق عن وجهه ثلاثاً، ثم أفاق، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد فإنك امرؤ ناصح، قلت: برأيك بالغٌ ما بلغ، وإنه لم يبق إلاَّ ابني وأبناؤهم، وابني أحق من أبنائهم، حاجتك؟ قال: ما لي حاجة.

قال: ثم قال له أخوه: إنما جئنا من المدينة نضرب أكبادها من أجل كلماتٍ؟ قال: ما جئت إلاّ لكلمات.

قال: فأمر لهم بجوائزهم.

وفي هذه السنة وجّه أهلُ الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكّة يدعونه إلى القدوم عليهم ، فوجه إليهم ابن عمّه مُسلم بن عَقِيل بن أبي طالب رضي الله عنه[1] . (٥ : ٣٤٧) .

* * *

= قال : وخرج لعمرٍو مثله .
أخرجه أبو يعلى في مسنده (ح ٧١٧٤) وقال الهيثمي : رواه أبو يعلىٰ ورجاله رجال الصحيح . (مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٩/ ح ١٢٠٧٨) .
قلنا وهذه الرواية تؤكد مقولتنا السابقة من أن ذلك التاريخ تاريخ عقيدة ، فالخوف من الجليل هو الذي دفع هذا الصحابي الجليل أن يقطع تلك المسافات الطويلة ليقول للخليفة ما يراه واجباً عليه امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : «الدين النصيحة قالوا : لمن يا رسول الله؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» .
ذكر الطبري رواية وضعناها في قسم الضعيف وهي (٥/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) ، وهي من طريق الواقدي المتروك ، ولم نجد لأغلب المتن ما يؤيده وفيه من تلفيقات الواقدي ما فيه فذكرنا الرواية في قسم الضعيف ولكن ورد ضمن السياق متن مرفوع صحيح ، وإن كان السند بهذه الحالة ضعيف وهو عن أبي شريح مرفوعاً ، فقد أخرج البخاري في صحيحه [كتاب جزاء الصيد (ح ١٨٣٢)] من طريق المقبري عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم فتح مكة فسمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به «إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب» فقيل لأبي شريح : ما قال لك عمرو؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أباشريح إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخزية .
قلنا : والحديث أخرجه أحمد (ح ١٦٣٧٧) وفي أوله : لما بعث عمرو بن سعيد إلى مكة بعثه يغزو ابن الزبير أتاه أبو شريح فكلمه وأخبره بما سمعه من رسول الله ﷺ . . . الحديث .
وليس في الروايات الصحيحة تفاصيل هزيمة جيش عمرو بن الزبير ولا أسره وما إلى ذلك مما ذكرها الواقدي مع مبالغاته وأوهامه المعروفة .

(١) ثم أخرج الطبري رواية مطولة في هذه الحادثة ذكرناها في قسم الضعيف (٥/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩) ففي إسنادها مجهول وضعيف وفي متنها ما يخالف الرواية الصحيحة الأخرىٰ التي أخرجها الطبري نفسه بعد صفحات كما سنذكر .

مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وتفاصيل الوقعة المشهورة بكربلاء

قال أبو جعفر: حدّثني الحسين بن نصر قال: حدّثنا أبو ربيعة، قال: حدّثنا أبو عوَانة، عن حصين بن عبد الرحمن قال: بَلَغنا أنّ الحسين عليه السلام... وحدّثنا محمد بن عمار الرازيّ، قال: حدّثنا سعيد بن سليمان، قال: حدّثنا عباد بن العوّام قال: حدّثنا حصين، أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام كتب إليه أهلُ الكوفة: إنه معك مئة ألف، فبعث إليهم مسلم بن عَقِيل، فقدم الكوفة، فنزل دارَ هانىء بن عُروة، فاجتمع إليه الناس، فأخبر ابن زياد بذلك، زاد الحسين بن نَصْر في حديثه: فأرسل إلى هانىء فأتاه، فقال: ألم أوقّرْك! ألم أكرمْك! ألم أفْعَلْ بك! قال: بلى، قال: فما جزاءُ ذلك؟ قال: جزاؤه أن أمنعك، قال: تمنعني! قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمَرَ فكُتِفَ ثم ضرِب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقِيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابنَ زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلِق، وأمر منادياً فنادى: يا خيلَ اللهِ اركبي، فلا أحد يجيبه، فظنّ أنه في ملإٍ من الناس.

قال حصين: فحدّثني هلال بن يسَاف قال: لقيتُهم تلك اللّيلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شِمالاً إلا وذهبت منهم طائفة؛ الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك، قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثيرَ أحَد، ولا نسمع أصواتَ كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقُلع، ثم أمر بحراديّ فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً. قال: فنزل فصعِد المنبر وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً؛ فانطلق كلّ قوم إلى رأس رُبْعهم، فنهض إليهم قومٌ يقاتلونهم، فجُرح مسلم جراحةً ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا؛ فخرج مسلم فدخل داراً من دُور كِندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إنّ مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلِقا فأتِياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدتْ له النار، فهو يغسل عنه الدّماء، فقالا

له: انطلقْ ، الأميرُ يدعوك ، فقال: اعقدا لي عقداً؛ فقالا: ما نملك ذاك؛ فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكُتِف ثمّ قال: هِيهْ هِيهْ يا بن خليّة ـ قال الحسين في حديثه: يا بن كذا ـ جئتَ لتنزعَ سلطاني! ثم أمر به فضربتْ عنقُه. قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف أنّ ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصةَ إلى طريق الشأم إلى طريق البصرة ، فلا يدَعون أحداً يلِج ولا أحداً يخرج ، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقيَ الأعراب ، فسألهم ، فقالوا: لا والله ما ندري ، غير أنا لا نستطيع أن نلِج ولا نخرج ، قال: فانطلق يسير نحوَ طريق الشأم نحو يزيد ، فلقيتْه الخيول بكَرْبَلاء ، فنزل يناشدهم الله والإسلام ، قال: وكان بعث إليه عمر بن سعد وشَمر بن ذي الجَوْشن وحُصين بن تميم ، فناشَدهَم الحسين اللهَ والإسلامَ أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين ، فيضع يده في يده ، فقالوا: لا ، إلا على حكم ابن زياد؛ وكان فيمن بعث إليه الحُرّ بن يزيد الحَنظلَيّ ثم النَّهْشَليّ على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم: ألا تقبلون من هؤلاء ما يَعرِضون عليكم! والله لو سألكم هذا التُّرك والدَّيْلم ما حلّ لكم أن تردّوه! فأبَوْا إلا على حكم ابن زياد ، فصرف الحرُّ وجهَ فرسه ، وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلَهم ، فلما دنا منهم قلب ترسَه وسلَّم عليهم ، ثمّ كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم ، فقتل منهم رجلين ، ثم قتِل رحمة الله عليه.

وذكر أن زُهير بن القَيْن البَجليّ لقي الحسينَ وكان حاجّاً ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي بحريّة المراديّ ورجلان آخران وعمرو بن الحجّاج ومعن السُّلميّ ، قال الحصين: وقد رأيتهما.

قال الحصين: وحدّثني سعد بن عبيدة ، قال: إنّ أشياخاً من أهل الكوفة لَوُقوف على التلّ يبكون ويقولون: اللهم أنزِل نصرك ، قال: قلت: يا أعداء الله ، ألا تنزلون فتنصرونه! قال: فأقبل الحسين يكلّم من بعث إليه ابن زياد ، قال: وإني لأنظر إليه وعليه جبّة من بُرُود ، فلما كلّمهم انصرف ، فرماه رجلٌ من بني تميم يقال له: عمر الطُّهَويّ بسهم ، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلِّقاً في جبّته ، فلما أبوْا عليه رجع إلى مصافّه ، وإني لأنظر إليهم ، وإنهم لقريب من مئة رجل ، فيهم لصُلب عليّ بن أبي طالب عليه السلام خمسة ، ومن بني هاشم ستة

عشر، ورجل من بني سُلَيم حليفٌ لهم، ورجلٌ من بني كنانة حليفٌ لهم، وابن عمر بن زياد.

قال: وحدّثني سعد بن عبيدة، قال: إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد، إذ أتاه رجل فسارَّه وقال له: قد بعث إليك ابن زياد جُوَيْرِيَةَ بن بدر التميميّ، وأمرَه إن لم تقاتل القومَ أن يضربَ عُنقَك؛ قال: فوثب إلى فرسه فركبه، ثم دعا سلاحه فلبسه، وإنه على فرسه، فنهض بالناس إليهم فقاتَلوهم، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد، فوُضع بين يديه، فجعل يَنكُت بقضيبه، ويقول: إنّ أبا عبد الله قد كان شمِط؛ قال: وجيء بنسائه وبناته وأهله، وكان أحسن شيء صنعَه أن أمر لهنّ بمنزل في مكان معتزل، وأجرَى عليهنّ رزقاً، وأمر لهنّ بنفقة وكسوة. قال: فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر ـ أو ابن ابن جعفر ـ فأتيَا رجلاً من طيّىء فلجآ إليه، فضرب أعناقهما، وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد؛ قال: فهمّ بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت.

قال: وحدّثني مولى لمعاوية بن أبي سُفْيان قال: لما أُتِيَ يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه، قال: رأيته يبكي، وقال: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا[1].

---

(١) ورجال إسناد الطبري هنا ثقات، وأغلب المتن موصول خلا ما ذكره الحصين مرسلاً (٥/ ٣٩١) في بداية الرواية وكذلك ما ذكر أثناء الرواية وهو قوله: وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجاً فأقبل معه وخرج إليه ابن أبي بحرية المرادي ورجلان آخران وعمرو بن الحجاج ومعن السلمي، قال الحصين وقد رأيتهما (٥/ ٣٩٢).

وكذلك روى الحصين السطرين الأخيرين عن مولىً لمعاوية أبهم اسمه والله أعلم، وانظر البداية والنهاية (٣/ ٣٨٣).

وأخرج أبو زرعة بهذا الإسناد فقال: حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن حصين قال: أدركت من مقتل الحسين قال: فحدثني سعد بن عبيدة قال: فرأيت الحسين وعليه جبَّة برود ورماه رجل يقال له عمرو بن خالد الطهوي بسهم فنظرت إلى السهم معلقاً بجبته. [البداية والنهاية (٦/ ٣٨٢)].

قلنا: ولا نجد في رواية الطبري هذه من المبالغات التي ذكرها أبو مخنف في رواياته الملفقة المليئة بالحشو والكذب وحتى رواية الطبري حين تكون مرسلة (عن الحصين فقط) ففيها غرابة أو نكارة وعندما يرويها الحصين موصولة (عن سعد بن عبيدة أو هلال بن سياف) فلا نكارة فيها ولا غرابة.

=

= ونكرر هنا قولنا السابق: «إن أي ضعف في السند يؤثر بالسلب على متن الرواية التاريخية مبالغةً أو نسياناً أو قلباً للحقائق أو حشواً أو طعناً في عدالة الصحابة وما إلى ذلك».

الإمام الحسين بن علي يتراجع عن اجتهاده ويتبين له صواب جمهور الصحابة فيما خالفوه من الرأي

هذه الرواية الصحيحة عند الطبري عن خروج الحسين واستشهاده رضي الله عنه تؤيد أن الحسين بن علي رضي الله عنهما كان رجلاً حصيفاً عاقلاً ما كان ليلقي بنفسه في المهالك كما يصور الشلبي وغيره من أنه يشبه ملاكاً صغيراً طاهراً كطفل يمد يده إلى القمر ليبلغه ، ولولا أنه وثق بتلك العهود والعقود والأيمان التي أرسلها شيعة الكوفة لما خرج رضي الله عنه.
ولكنه حين وصل إلى الميدان وعاين الأمر بأمِّ عينيه أراد أن يفاوض ويذهب إلىٰ يزيد ليبايعه أو يذهب إلى الثغور مجاهداً بعدما تبين له صواب اجتهاد الصحابة ورجحان رأيهم ولكن كتائب الفاسق عبيد الله نفّذوا فعلتهم الشنيعة فأخزاهم الله من قتلةٍ مجرمين لم يراعوا حرمة رسول الله ﷺ في آل بيته وريحانته سيد شباب أهل الجنة رضي الله عنه وأرضاه.

محنة الأمة باستشهاد الإمام الجليل الحسين بن علي رضي الله عنها

قلنا: الذي ثبت تاريخياً أن الحسين بن علي رضي الله عنهما بعث ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنه إلى الكوفة ليتأكد من صحة وصدق بيعة شيعة الكوفة له ولكي يوطد الأمر ويكتب إليه بذلك فكان أن قتل مسلم بن عقيل رضي الله عنه في أواخر سنة ستين [تاريخ الذهبي ٦٠ ـ ٨١ هـ/ ١٧١] ولقد وردت روايات موضوعة وأخرىٰ شديدة الضعف أكثرها من طريق رواة متروكين كذابين وضاعين كأبي مخنف (لوط بن يحيى) والواقدي والكلبي ولقد وضعناها جميعاً في قسم الضعيف ، وحاول الأئمة المتأخرون أن ينقوا التاريخ الإسلامي من هذه الروايات ومع ذلك فقد ذكروا بعضها كما فعل ابن كثير رحمه الله ثم قال: وللشيعة الرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة وفيما ذكرنا كفاية وفي بعض ما أوردناه نظر ولولا أن ابن جرير الطبري وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته. أ.هـ [البداية والنهاية (٦/ ٤٢٣)].
ولقد ذكر الكذاب الوضاع أبو مخنف أباطيل وتهم في رواياته منها أن ابن الزبير شجع الحسين بن علي علىٰ الخروج إلى الكوفة كي يقتل ويخلو له الجو... إلى آخر ذلك الحشو والنكارة وقد ذكرنا جميع رواياته في الضعيف والحمد لله على نعمة الإسناد حقاً إن قول الطبري في مقدمته بوجود روايات مستشفعة في تاريخه ينطق تماماً على روايات أبي مخنف الباطلة.
ورأينا لزاماً أن نذكر هنا في قسم الصحيح الروايات التاريخية الصحيحة التي تبين رأي =

= الصحابة الواضح في عدم جدوىٰ خروجه رضي الله عنه وأنه لم يقتنع برأيهم حتى خرج ثم اقتنع باجتهادهم ولكن بعد فوات الأوان وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

١ ـ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ورأيه في خروج الحسين

رافضاً ظلم يزيد وولاته ورافضاً البيعة ليزيد.

من الضروري أن نبين رأي ابن الزبير أولاً لأن عدداً من المؤرخين تأثروا بالروايات المكذوبة والضعيفة للطعن في عدالة الصحابة وتشويه العلاقة بين فرسي الرهان (الحسين وعبد الله) وأخوي الدرب الشاق وحاملي راية تغيير المنكر ونشر العدل، والروايات التي تتهم ابن الزبير بأنه شجع الحسين على الخروج هي من طريق التالف الهالك أبي مخنف أو من طريق آخر فيه مجهول العين.

أما الروايات التي اعتمدناها فتبين غير ذلك إذ أن ابن الزبير رضي الله عنه حذر الحسين بن علي رضي الله عنه من الخروج إلى الكوفة لأن شيعة الكوفة تسببوا في قتل أبيه وجرح أخيه.

أخرج يعقوب بن سفيان قال: حدثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا عبد الله بن شريك عن بشر بن غالب قال: قال ابن الزبير للحسين أين تذهب؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟ فقال: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحبَّ إليَّ من أن تستحل بي يعني مكة. [البداية والنهاية (٦/ ٣٦٩)].

قلنا: ورجال هذا الإسناد ثقات سوى عبد الله بن شريك فهو صدوق وثقة عند بعضهم. وشيخه بشر بن غالب بن جناده وذكره ابن حبان في الثقات وهو غير بشر بن غالب الكوفي المتروك وغير بشر بن غالب الأسدي المجهول. [وانظر لسان الميزان (تر ١٦٣٩) وثقات ابن حبان (٤/ ٦٩)].

وأخرج الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله، أخبرني من سمع هشام بن يوسف يقول عن معمر قال: سمعت رجلاً يحدث عن الحسين أنه قال لعبد الله بن الزبير: «أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعتاق إنهم معي» فقال ابن الزبير: «أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟» قال هشام: فسألت معمراً عن الرجل، فقال: هو ثقة. [البداية والنهاية (٦/ ٣٧٠)].

قلنا: ولا يخفىٰ وجود مجهول في هذا الإسناد إلاَّ أنه يتعاضد بالذي قبله وإن كان في متنه غرابة والله أعلم.

٢ ـ رأي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

روى سفيان عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس قال: استشارني الحسين في=

= الخروج فقلت: «لولا أن يُزْرَى بي وبك لنشبت يدي في رأسك» فقال: «لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إليّ من أن أستحل حرمتها ـ يعني الحرم ـ فكان ذلك الذي تسلي نفسي عنه.
[الطبراني (ح ٢٨٥٩) ورجاله ثقات وانظر البداية والنهاية (٥/ ٦٦٥) وتاريخ الإسلام للذهبي (/ ١٠٦)].
وقال الذهبي ـ معقباً على رأي ابن المسيب: «لو أن الحسين لم يخرج لكان خيراً له» ـ قلت (الذهبي): وهذا كان رأي ابن عمر وأبي سعيد وابن عباس وجابر وجماعة سواهم وكلّموه في ذلك كما تقدم في مصرعه. [تاريخ الإسلام (٦٠ ـ ٨٠ هـ/ ١٠٦)].
قلنا: وتأييداً لكلام الذهبي الآنف الذكر نورد رواية البزار (ح ٢٦٤٣) والطبراني (ح ٦١٠) عن الإمام الشعبي قال: لمَّا أراد الحسين بن علي أن يخرج إلى أرض العراق أراد أن يلقىٰ ابن عمر فسأله عنه فقيل إنه في أرض له فأتاه ليودعه فقال له: إني أريد العراق فقال: لا تفعل فإن رسول الله ﷺ قال: «خُيرتُ بين أن أكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً. فقيل لي: تواضع، فاخترت أن أكون نبياً عبداً» وإنك بضعة من رسول الله ﷺ فلا تخرج قال: فأبى فودعه وقال: أستودعك الله من مقتول.
وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات [مجمع الزوائد (٩/ ١٩٢)].
ويورد الحافظ ابن كثير رواية أخرىٰ في نفس المعنىٰ إلاَّ أنها تبين أن ابن عمر هو الذي لحق بالحسين يمنعه من الخروج، قال الحافظ ابن كثير: وقال غير واحد عن شبابة بن سوار قال: حدثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي قال: سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليالٍ فقال: أين تريد؟ قال: العراق، وإذا معه طوامير وكتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم؟ قال: لا تأتهم، فأبىٰ، فقال ابن عمر: إني محدثك حديثاً، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله، والله ما يليها أحدٌ منكم أبداً وما صرفها الله عنكم إلاَّ للذي هو خير لكم فأبىٰ أن يرجع، قال: فاعتنقه ابن عمر وبكىٰ وقال: «أستودعك الله من قتيل».
وقال يحيىٰ بن معين، حدثنا أبو عبيدة، حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: «عجل حسين قدره والله لو أدركته ما تركته يخرج إلاَّ أن يغلبني. ببني هاشم فتح هذا الأمر وببني هاشم يختم فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان.
قلت (ابن كثير): وهذا مع حديث ابن عمر يدلّ على أن الفاطميين أدعياء كذبة لم يكونوا من سلالة فاطمة كما نصَّ عليه غير واحد من الأئمة على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله.
[البداية والنهاية (٦/ ٣٦٩)]. =

إرسال الرأس الشريف إلى عبيد الله

في الصحيح أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أتي عبيد الله برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوباً بالوسمة . [صحيح البخاري/ كتاب فضائل أصحاب النبي (ح ٣٧٤٨)].
ورواية أنس عند الطبراني (ح ٢٨٧٨) والبزار (ح ٢٦٤٩) بلفظ : «جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول : لقد كان أحسبه جميلاً فقلت : والله لأسؤونك إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك ، قال : فانقبض».
قال الهيثمي : رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وثقوا . [مجمع الزوائد (٩/ ١٩٥)].
خلاصة القول : من الثابت تاريخياً أن الرأس الشريف وضع بين يدي الفاسق عبيد الله بن زياد ، وأما إرساله إلى يزيد ووضعه بين يديه فلم يثبت من طريق موصول صحيح .
وإنما ورد في مرسل الليث بن سعد ، ومن طريق الحصين عن رجل أبهم اسمه (مولى لمعاوية) ، ورواية ثالثة عند الطبراني من طريق فيه مجهول الحال وآخر ضعيف جداً ، ورواية رابعة عند ابن أبي الدنيا ذكرها ابن كثير [البداية والنهاية (٦/ ٤١١)] بإسناد فيه مجهول وآخر (سالم بن أبي حفصة) قال النسائي والدولابي : ليس بثقة وقال ابن حبان يقلب الأخبار ويهم في الروايات (المجروحين (١/ ٣٤٢) هذا بالإضافة إلى غلوه في التشيع كما قال ابن سعد في طبقاته (٦/ ٣٣٦) وهذا حال أقل الروايات الموصولة ضعفاً في هذه المسألة فما بالك بروايات أبي مخنف التالف الهالك الوضاع؟
والحق يقال : أننا لم نجد رواية موصولة صحيحة السند تثبت أن رأس الحسين وضع بين يدي يزيد إلاّ أن كتب التاريخ تذكر ذلك ووردت بذلك آثار غير صحيحة الإسناد .
ولعل ذلك دفع الحافظ الناقد ابن كثير رحمه الله إلى إبداء قولين أو رأيين في هذه المسألة فهو يقول تارةً : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام (٦/ ٣٧٥) ويقول تارة أخرىٰ : وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام أم لا؟ على قولين : الأظهر منهما أنه سيره إليه وقد وردت في ذلك آثار كثيرة والله أعلم . [البداية والنهاية (٦/ ٤١١)].
قلنا : ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر التاريخية روايةً ولو واحدة موصولة السند صحيحة تثبت ذلك .
بل إن الرواية الصحيحة ـ التي سنذكرها بعد قليل ـ عن شاهد عيان ثقة (هو الإمام زين العابدين) تؤكد أنهم دخلوا على يزيد وليس فيه ذكر إدخال الرأس الشريف ، ولذلك فإننا نرجح القول الأول لابن كثير وهو أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام .

= من شارك في جريمة قتل الإمام حسين بن علي رضي الله عنهما؟

للإجابة على هذا السؤال نقول: الذين باؤوا بإثم ذلك الظلم العظيم هم. أولاً: شيعة الكوفة يومها الذين أرسلوا إليه بالكتب وبايعوه وواعدوه ثم تخلوا عنه وتركوه وحده في الميدان ينظرون إليه وهو يقتل وليس هذا اتهاماً باطلاً فلا أحد يستطيع أن ينكر أن الشيعة من أهل الكوفة قد أرسلوا إليه كتبهم بالبيعة ثم تخلوا عنه وجمهور الصحابة يومها كانوا على يقين من وهن وزيف بيعة أولئك وعدم ثباتهم عليه بل إن أخاه الحسن بن علي رضي الله عنه الذي سماه رسول الله ﷺ سيداً كان يخشىٰ على أخيه الحسين (قبل عقد من استشهاده) من خيانة أهل العراق.

فقد أخرج يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (١/ ١٧٨) قال: حدثنا أبو بكر: ثنا سفيان: ثني عبيد الله بن عبد الله بن الأصم عن يزيد الأصم قال: «أتيت الحسن بن علي فأتي بضبارة كتب وأنا عنده. . . الخبر».

وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٧٠) عن يزيد بن الأصم ولفظه: «خرجت مع الحسن. . . الخبر ، وفيه؛ فقال: يا جارية هات المخضب فصب فيه ماء ، وألقى الكتب في الماء فلم يفتح منها شيئاً ولم ينظر إليه ، فقلت: يا أبا محمد ممن هذه الكتب؟ قال: من أهل العراق من قوم لا يرجعون إلى حقٍ ولا يقصرون عن باطل أما فإني لست أخشاهم على نفسي ولكني أخشاهم على ذلك وأشار إلى الحسين». اهـ.

وإسناد النسوي صحيح والله أعلم.

وثانياً: عبيد الله بن زياد وجنده وأما يزيد وإن لم يكن قد أمر بقتله إلاّ أن ابن زياد قائد من قواده ترك له الحبل على الغارب فأراد ابن زياد أن يثبت حكم أميره يزيد فباع آخرته بدنيا غيره.

وللعلامة المؤرخ محمود شاكر رأي مقارب لما قلناه أثناء التحقيق وزيادة بيان على قولنا فهو يرىٰ أنَّ يزيداً لم يكن سبباً رئيساً في قتل الحسين فهو في الشام وعبيد الله في العراق ولم يكن يزيد يومها قد تمكن من استتباب الأمور ولم يكن قوياً بل إن عبيد الله كان ظاهراً أمره في العراق. [وانظر التاريخ الإسلامي (٤/ ٢٥)].

قلنا: وتوكيداً لرأي العلامة شاكر نقول: إن ابن زياد كان أقوىٰ تأثيره على من هم فوقه في المسؤولية فقد استطاع فيما بعد (كما سنرىٰ) أن يغير رأي مروان بن الحكم كي يعرض عن الذهاب إلىٰ عبد الله بن الزبير وبيعته فأثناه عن الذهاب إلى الحجاز فكان سبباً في سفك دماء كثيرة أراد مروان أن يتجنبها ويوافق الأمة في إجماعها وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

رأي الحافظ ابن كثير كإمام ناقد من أئمة أهل السنة والجماعة

في مسألة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما وأرضاهما =

= قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجرٌ إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرّت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً، وأمطرت السماء دماً أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ، ونحو ذلك. وروىٰ ابن لهيعة عن أبي قبيل المعافري أن الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دماً، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذٍ إلاَّ احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلاَّ ظهر تحته دم عبيط، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء. [البداية والنهاية (٦/ ٤٢٣)].

رأي الحافظ ابن كثير في روايات الطبري (غير الصحيحة)

وأما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح، فإنه قل من نجا من أولئك الذي قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون، وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة، وفيما ذكرنا كفاية، وفي بعض ما أوردناه نظر، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيىٰ. [البداية والنهاية (٦/ ٤٢٣)].

مبرر من قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: وقد تأول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاث المتقدم ذكرها، فإذا ذمت طائفة من الجبارين تذم الأمة كلها بكمالها وتتهم على نبيها ﷺ فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأئمة قديماً وحديثاً كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة ـ قبحهم الله ـ وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة.

فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون من الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه. وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد=

= يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه ، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك. وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم. [البداية والنهاية (٦/ ٤٢٤)].
قلنا: لقد كان الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ دقيقاً في الأسطر الأخيرة ولا يدرك تلك الدقة إلاَّ من خاض غمار البحث التاريخي وبأمانة ونزاهة والله تعالىٰ أعلم.
لكن استوقفتنا عبارة أخرىٰ للحافظ ابن كثير تخالف تماماً ما رواه هو في هذه المسألة وما قاله كذلك كمؤرخ فهو يقول في موضع آخر حينما يتحدث عن موقف يزيد عن مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما: [لم يأمر بقتله ولم يسوؤه].
قلنا: وأما قوله: [لم يأمر بقتله] فصحيح كما ذكرنا وكما سنذكر مرة أخرىٰ.
وأما قوله: [ولم يسوؤه] فغير صحيح والعجيب أن ابن كثير قال بصيغة الجزم أن يزيداً بكىٰ حين علم بمقتل الحسين وحزن حزناً شديداً ، وقال ابن مرجانة: بغضني إلى الناس. . إلخ.
وروىٰ نحو هذا روايات عدةٍ وسنضيف إليها وإلى ما ذكرنا آنفاً رواية الإمام الثقة الّذي حضر هذه المحنة وشهد معاناتها بنفسه ألا إنه الإمام العلم زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما ـ ورواية زين العابدين أخرجها اثنان من الأخباريين الثقات (المدائني وأبو عرب التميمي) مع اختلاف يسير في الألفاظ.
فقد روى المدائني عن إبراهيم بن محمد عن عمرو بن دينار حدثنا محمد بن علي عن أبيه قال: «قتل الحسين وأدخلنا الكوفة فلقينا رجل فأدخلنا منزله فألحفنا فنمت فلم أستيقظ إلاّ بحس الخيل في الأزقة فحملنا إلى يزيد فدمعت عينه حين رآنا وأعطانا ما شئنا. . . الخبر».
[سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٢٠)].
قلنا: ورجال هذا الإسناد بين الثقة والصدوق ، والخبر أخرجه أبو العرب التميمي المؤرخ المعروف عن علي بن الحسين وفيه: «والله ما علمت بخروج أبي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل» ـ وفي آخره ـ «فقال له النعمان بن بشير: يا أمير المؤمنين اصنع بهم ما كان يصنع رسول الله لو رآهم بهذه الهيئة. فقالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد بنات رسول الله سبايا!!! فبكىٰ حتى كادت نفسه تخرج وبكىٰ أهل الدار حتى علت أصواتهم ثم قال: خلوا عنهم ، واذهبوا بهم إلى الحمام فاغسلوهم واضربوا عليهم القباب ففعلوا وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة ، ثم قال: لو كان بينه وبينهم نسب ما قتلهم ثم رجعوا إلى المدينة».
[المحن (١٣٤ ـ ١٣٥)].
وهذه الرواية الصحيحة مع كثير من الروايات التي ذكرها ابن كثير تؤكد أن يزيداً ساءه مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما والله أعلم. =

=

موقف الإنسان المسلم من هذه الواقعة المؤلمة
كما يراه الحافظ ابن كثير

يقول رحمه الله: فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع رياء، وقد كان أبوه أفضل منه فقتل، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتماً، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتماً، وكذلك الصديق كان أفضل منه، ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً، وكذلك رسول الله ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحدٌ يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين، ولا ذكر أحدٌ أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك. [البداية والنهاية (٦/ ٤٢٥)].

قلنا: ومصاب الأمة في ريحانة رسول الله ﷺ جزء من مصائب وابتلاءات أُخَرْ وكان ذلك قدراً مقدوراً.

أخرج الطبراني (ح ٤١١١) عن عمارة بن يحيى بن خالد بن عرفطة قال: كنا عند خالد بن عرفطة يوم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال لنا خالد: هذا ما سمعت من رسول الله ﷺ: «إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي».

وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير عمارة، وعمارة وثقه ابن حبان. [مجمع الزوائد (٩/ ١٩٤)].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: «مامن مسلم يصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلاّ أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها». رواه الإمام أحمد وابن ماجه. [البداية والنهاية (٦/ ٤٢٥)].

وللعلامة ابن خلدون كلام رائع في تقييم موقف الحسين بن علي وبقية الصحابة رضي الله عنهم أجاد فيه رحمه الله ودافع فيه عن عدالة الصحابة وهكذا ينبغي أن يكون الأدب مع =

ثم دخلت سنة إحدى وستين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مَقتَل الحسين رضوان الله عليه ، قُتل فيها في المحرّم لعشر خلوْن منه ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت ، قال: حدّثني مُحَدّث عن إسحاق بن

= صحابة رسول الله ﷺ وخلاصة كلام ابن خلدون: أن الإمام الحسين بن علي اجتهد في خروجه إلى العراق واجتهاده ذو شقين: ديني ودنيوي.
أما الديني فأصاب فيه ، وأما الدنيوي فأخطأ فيه رضي الله عنه وأصاب غيره من الصحابة الذين نصحوه بعدم الخروج وكما يقول ابن خلدون: [أخطأ في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية أخوه وغيره في مسيره إلى الكوفة وعلموا غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراده الله.
وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا أن الخروج علىٰ يزيد وإن كان فاسقاً لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فأقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين بن علي ولا أنكروا عليه ولا أثموه لأنه مجتهد وهو أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثيم هؤلاء بمخالفة الحسن وقعودهم عن نصره فإنهم أكثر الصحابة ولم يروا الخروج.
ويقول أيضاً: «وكان الحسين يستشهد بهم (وهو بكربلاء) على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرّض لذلك لعلمه أنهم على اجتهاد وإن كان هو على اجتهاد . . .».
ويقول أيضاً: «والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد وأن الصحابة الآخرين على حق واجتهاد أيضاً» [عن مقدمة ابن خلدون وبتصرف (٢١٧)].
وقال ابن خلدون: «ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة حينئذٍ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ، ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لأن شوكة يزيد يومئذٍ هي عصابة بني أمية وجمهور أهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم . . . والكل مجتهدون (أي: الصحابة) ولا ينكر على أحد من الفريقين فمقاصدهم في البِرِّ وتحرّيه معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم» (١/ ٢١٢).

عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقديّ وهشام بن الكلبيّ؛ وقد ذكرْنا ابتداءَ أمر الحسين في مسيره نحوَ العراق وما كان منه في سنة ستين ، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستين وكيف كان مَقتلُه[١] . [٥ : ٤٠٠].

ذكر خبر ولاية سَلْم بن زياد على خراسان وسجستان

قال: وخرج سلم وأخرج معه أمّ محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقَفيّ ، وهي أوّل امرأة من العرب قُطِع بها النهر.

قال: وذكر مَسلمَة بن محارب وأبو حفص الأزديّ عن عثمان بن حفص الكرمانيّ أن عُمّال خُراسان كانوا يَغزُون ، فإذا دخل الشتاءُ قفلوا من مغازيهم إلى مَرْو الشاهِجان ، فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خُراسان في مدينة من مدائن خُراسان ممّا يلي خوارَزْم ، فيتعاقدون ألاّ يغزُوَ بعضهم بعضاً ، ولا يهيجَ أحد أحداً ، ويتشاورون في أمورهم ، فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم في غزو تلك المدينة فيأبون عليهم ، فلما قَدِم خُراسان غزا فشتا في بعض مغازيه؛ قال: فألحّ عليه المهلب ، وسأله أن يوجّهه إلى تلك المدينة ، فوجّهه في ستة آلاف ـ ويقال أربعةِ آلاف ـ فحاصرهم ، فسألهم أن يُذعِنوا له بالطاعة ، فطلبوا إليه أن يصالحهم على أن يفدوا أنفسهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فصالحوه على نيّف وعشرين ألف ألف ، قال: وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً ، فكان يأخذ الرأسَ بنصف ثمنه ، والدابة بنصف ثمنها ، والكَيْمُخت بنصف ثمنه ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظيَ بها المهلب عند سلم ، واصطفى سلم من ذلك ما أعجبه ، وبعث به إلى يزيدَ مع مَرزُبان مرْو ، وأوفد في ذلك وفداً.

قال مسلمة وإسحاق بن أيّوب: غزا سلْم سمرقند بامرأته أمّ محمد ابنة عبد الله ، فولدتْ لسلم ابناً ، فسمّاه صُغْدي[٢] . [٥ : ٤٧٣].

* * *

---

(١) قلنا: وكذلك أرخ خليفة لمقتله فقال: مقتل الحسين بن علي لعشر خلون من المحرم سنة إحدىٰ وستين. [تاريخ خليفة (٢٢١)].

(٢) قول الطبري: قال: أي: علي بن المدائني ومسلمة ذكره ابن حبان في الثقات وهو الذي =

وفي هذه السنة عَزلَ يزيدُ عمرَو بن سعيد عن المدينة وولّاها الوليدَ بن عتبة ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : نزع يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد ، لهلالِ ذي الحجة ، وأمَّر الوليدَ بنَ عتبة على المدينة ، فحجّ بالناس حجّتين سنة إحدى وستين وسنة اثنتين وستين[1] .

وكان عامل يزيد بن معاوية في هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى المدينة في آخرها الوليد بن عتبة ، وعلى خُراسان وسجستان سَلْم بن زياد ، وعلى قضاء البَصْرة هشام بن هُبَيرة ، وعلى قضاء الكُوفة شُريح .

وفيها أظهر ابن الزبير الخلافَ على يزيدَ وخلَعَه ، وفيها بويع له . [٥ : ٤٧٤] .

ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان عزلُ يزيد عَمراً عن الحجاز وتأميرُه عليها الوليدُ بن عُتبة في هذه السنة ـ أعني سنة إحدى وستين ؛ قال أبو جعفر : حدّثت عن محمد بن عمر قال : نزع يزيدُ عمرو بن سعيد بن العاص لهلال ذي الحجة سنة إحدى وستين وولّى الوليد بن عُتبة ، فأقام الحجّة سنة إحدى وستين بالناس ، وأعاد ابن ربيعة العامريّ على قضائه .

= يروي عن أبيه عن معاوية وهو يذكر الروايات فيرسلها عادة إلاّ في أحايين قليلة كما هاهنا فلم يرسل الرواية وإنما رواها عن عثمان بن حفص الكرماني وعثمان هذا إن كان التومني فقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب . (٨/ ٤٥٥) وإن كان الذي يروي عن معاوية فقد ذكره ابن حبان في الثقات (الزرقي) (٥/ ١٥٥) وله ترجمة في التاريخ الكبير (٣/ ٢/ ٢١٧) وأغلب الظن أنه هو الذي روىٰ عنه مسلمة بن محارب في هذه الرواية .

وأما مصالحة أهل خوارزم وما يليها لسلم فقد أيده البلاذري كذلك إذ قال : ثم ولّىٰ يزيد بن معاوية سلم بن زياد فصالحه أهل خوارزم على أربعمئة ألف وحملوها إليه وقطع النهر معه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي وكانت أول عربية عبر بها النهر فأعطاه أهلها ألف دية وولد له ابن سماه الصغدي وأتى سمرقند . [فتوح البلدان (٢٤٧)] .

(١) قلنا : وكذلك قال خليفة بن خياط عن ابن نمير (تاريخ خليفة ٢٢٦) .

وحدّثني أحمد بن ثابت ، قال: حدِّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال: حجّ بالناس في سنة إحدى وستين الوليدُ بن عُتبة ، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل السير.

وكان الوالي في هذه السنة على الكوفة والبَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البَصرة هشام بن هُبيرة ، وعلى خُراسان سَلْم بن زياد(١) . [٥ : ٤٧٧].

عبد الله بن الزبير يتثاقل عن طاعة يزيد

حدّثنا نوح بن حبيب القومِسيّ ، قال: حدّثنا هشام بن يوسف.

وحدّثنا عبيد الله بن عبد الكريم ، قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر المَدينيّ قال: حدّثنا هشام بن يوسف ـ واللفظ لحديث عبيد الله ـ قال: أخبرني عبد الله بن مصعب ، قال: أخبَرَني موسى بن عُقبْة ، عن ابن شهاب ، قال: أخبَرَني عبد العزيز بن مروان ، قال: لما بعث يزيد بن معاوية بن عِضاه الأشعريّ ومسْعدَةَ وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة لِيُؤْتَى به في جامعة لتبَرّ يمين يزيد ، بعث معهم بجامعة من ورق وبُرنُس خَزّ ، فأرسلني أبي وأخي معهم وقال: إذا بَلَّغتْه رُسلُ يزيد الرسالة فتعرَّضا له ، ثم ليتمثّلْ أحدُكما:

فخُذها فليست للعزيز بخُطَّةٍ ... وفيها مقالٌ لامرىءٍ متذلِّلِ
أَعامِرَ إنّ القومَ سامُوك خُطَّةً ... وذلك في الجيران غَزْل بمِغزل
أراكَ إذا ما كنتَ للقوم ناصِحاً ... يقالُ له بالدَّلو أَدْبِرْ وأَقبل

قال: فلما بلغته الرسلُ تعرّضنا ، فقال لي أخي: اكفِنيها ، فسَمِعَني ، فقال: أي ابنيْ مروان ، قد سمعتُ ما قلتما ، وعلمتُ ما ستقولانه ، فأخبِرا أباكما:

إنّي لَمِنْ نَبْعةٍ صُمٍّ مكاسِرُها ... إذا تَناوَحتِ القَصْباءُ والعُشَرُ
فلا أَلينُ لغير الحقّ أسأَلُهُ ... حتى يلين لِضِرس الماضِغ الحَجَرُ

---

(١) قلنا: وقال خليفة: على البصرة عبد الرحمن بن أذينة العبدي حتى وقعت الفتنة ، وشريح على الكوفة ، وعلىٰ المدينة عبد الله بن عثمان البتي. [القضاء في خلافة يزيد/ تاريخ خليفة (ص ٢٥١)].

قال: فما أدري أيّهما كان أعجبَ!

زاد عبد الله في حديثه ، عن أبي عليّ ، قال: فذاكرت بهذا الحديث مُصعبَ بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير ، فقال: قد سمعتُه من أبي عليّ نحوَ الذي ذكرت له ، ولم أحفظ إسنادَه[1]. [٥ : ٤٧٦].

---

(١) لرواية الطبري هذا ما يؤيدها ، ولكن بألفاظ مختلفة والمعنىٰ واحد (تثاقل ابن الزبير عن طاعة يزيد) ، فقد أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٣١) بسند حسن من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤٩) من طريق سعيد بن أبي إسحاق السبيعي ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن يزيد بن معاوية كتب إلىٰ عبد الله بن الزبير إني قد بعثت إليك بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة وحلفت لتأتيني في ذلك قال: فألقىٰ الكتاب وقال:

لا أليـــن لغيـــر الحـــق أنملـــة حتـى يليـن لضـرس المـاضـغ الحجـر

وأخرج الفاكهي ثني أبو بكر محمد بن صالح قال: ثنا علي بن عبد الله قال: ثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن مصعب عن موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب قال: أخبرني عبد العزيز بن مروان قال: «بعث يزيد بن معاوية بن عضاه الأشعري وعبد الله بن مسعدة الفزاري وبعث الوقوف ببرنس من خز وجامعة ليؤتىٰ بابن الزبير ليبر بيمينه». [أخبار مكة (ح ١٦٥٣)].

وعن عروة بن الزبير قال: «لما مات معاوية تثاقل عبد الله بن الزبير عن طاعة يزيد بن معاوية أظهر شتمه فبلغ ذلك يزيد فأقسم لا يؤتىٰ به إلاّ مغلولاً وإلاّ أرسل إليه فقيل لابن الزبير ألاّ نصنع لك أغلالاً من فضة تلبس عليها الثوب وتبرّ قسمه فالصلح أجمل بك قال: فلا أبر الله بقسمه ثم قال:

ولا أليـــن لغيـــر الحـــق أســـألـــه حتـى يليـن لضـرس المـاضـغ الحجـر

ثم قال: والله لضربة بسيف في عز أحب إليَّ من ضربة بسوط في ذل ، ثم نظر إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية . اهـ.

[جزء من خبر رواه الطبراني ، وقال الهيثمي: وفيه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو زرعة وغيره . [مجمع الزوائد (٧/ ٢٥٥)].

قلنا: وبعض أئمة الحديث يفرقون بين عبد الملك بن عبد الرحمن الشامي والذماري ، فالشامي منكر الحديث ، وأما الذماري فقد قال أبو حاتم شيخ وسكت عنه البخاري وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ: صدوق كان يصحف والله أعلم .

وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا أبو الحسن عن بقية بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما بلغ يزيد بن معاوية أن أهل مكة أرادوا ابن الزبير على البيعة فأبىٰ أرسل النعمان بن بشير الأنصاري وهمام بن قبيصة النميري إلى ابن الزبير يدعوانه إلى البيعة ليزيد على أن يجعل =

ثم دخلت سنة اثنتين وستين
ذكر الخبر عمّا كان في هذه السنة من الأحداث
فمن ذلك مقدَم وفد أهلِ المدينة على يزيدَ بن معاوية(١)

وحجّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بن عتبة ، وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخُراسان العُمَّالَ الذين ذكرتُ في سنة إحدى وستين .

= ولاية الحجاز أو ما شاء وما أحب لأهل بيته من الولاية فقدما علىٰ ابن الزبير فعرضا عليه ما أمرهما به يزيد ، فقال ابن الزبير: أتأمراني ببيعة رجل يشرب الخمر ويدع الصلاة ويتبع الصيد؟ فقال همام بن قبيصة: أنت أولىٰ بما قلت منه ، فلطمه رجل من قريش فرجعا إلىٰ يزيد فغضب وحلف لا يقبل بيعته إلاّ وفي يده جامعة . [تاريخ خليفة (٣١٧)].
قلنا: ولم نجد لبقية بن عبد الرحمن ترجمة .
ورواية أخرىٰ أخرجها ابن عساكر من طريق شعيب بن إسحاق ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن يزيد كتب إلى ابن الزبير إني قد بعثت إليك بسلسلة من فضة وقيدٍ من ذهب وجامعة من فضة وحلفتُ لتأتيني في ذلك. قال: فألقىٰ الكتاب وقال:
ولا أليـــن لغيـــر الحـــق أســـألـــه حتـى يليـن لضـرس المـاضـغ الحجـر
[تاريخ دمشق (/ ٤٥١) تاريخ الإسلام للذهبي (/ ٤٤٣)]. وقلنا: وهذا إسناد صحيح .
وأخرج خليفة قال: قال أبو الحسن ـ رجل من أهل مكة ـ عن صالح بن كيسان عن عبد العزيز بن مروان قال: بعث يزيد بن عضاه الأشعري إلى ابن الزبير يدعوه لبيعته ومعه جامعة من فضة وبرنس خز فقدم على ابن الزبير وهو جالس بالأبطح ومعه أيوب بن عبد الله بن زهير بن أبي أمية المخزومي وعلىٰ مكة يومئذٍ الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة فكلمه ابن عضاه وابن الزبير ينكت في أرض فقال له أيوب: يا أبا بكر ألا أراك غرضاً للقوم فرفع ابن الزبير رأسه ، فقال: قلتم حلف ألا يقبل بيعتي حتى يؤتىٰ بي في جامعة ، لا أبر الله قسمه وتمثل ابن الزبير:
ولا أليـــن لغيـــر الحـــق أســـألـــه حتـى يليـن لضـرس المـاضـغ الحجـر
ثم قال: والله لا أبايع يزيد ولا أدخل في طاعته. اهـ. [تاريخ خليفة (٢٥١)].

(١) قلنا: لقد ذكر الطبري هذا المقدم ضمن أحداث سنة ٦٢ هـ وذكر التفاصيل من طريق التالف الهالك أبي مخنف فذكرناها في قسم الصحيح وأبو مخنف بارع في تلفيق الأخبار والتزوير والتشويه. =

وفي هذه السنة وُلدَ ـ فيما ذُكِر ـ محمد بن عبد الله بن العبّاس [٥ : ٤٨١].

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيدَ بن معاوية عثمانَ بنَ محمد بن أبي سُفْيان من المدينة، وإظهارِهم خلعَ يزيد بن معاوية، وحصارِهم من كان بها من بني أميّة[1] [٥ : ٤٨٢].

= وكتب التاريخ تذكر أن وفد المدينة كان برئاسة عبد الله بن حنظلة الذي اتهم يزيد بشرب الخمر وتأخير الصلاة وما إلى ذلك من الأمور المفسقة ولذلك خلع الناس من أهل مكة والمدينة يدهم من طاعة يزيد لما أذاعه عبد الله ومن معه إلاّ عدداً من أصحاب أهل الحل والعقد من الصحابة من أهل الحرمين كابن عمر وغيره وكان لابن عمر وآرائه وقع كبير في نفوس الناس ورأيه يؤخذ بعين الاعتبار عند بني أمية ومعارضيهم على حدٍّ سواء وسنتطرق إلى موقف ابن عمر رضي الله عنهما فيما بعد.

ولكننا نذكر هنا رواية تاريخية تنفي هذه التهم عن يزيد بن معاوية والذي ينفي هذه التهم هو علم من أعلام آل بيت رسول الله ﷺ.

محمد بن الحنفية ينفي التهم الموجهة إلى يزيد

روى المدائني (الإخباري الصدوق) من طريق صخر بن جويرية عن نافع قال: فمشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبىٰ وقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدىٰ حكم الكتاب. قال: ما رأيت منه ما تذكرون وقد أقمت عنده فرأيته مواظباً للصلاة متحرياً الخير يسأل عن الفقه، قال: كان ذلك منه تصنعاً ورياءً. [تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٢٧٤)] وانظر البداية والنهاية (٥/ ٧٤٦).

قلنا: ومعلوم أن ابن الحنفية سيد مطاع في قومه وهو علم من أعلام آل البيت وخاصة بعد وفاة الحسن واستشهاد الحسين رضي الله عنهما.

(١) قلنا: من المعروف عند علماء التاريخ أن أهل المدينة خلعوا يزيداً بعد رجوع الوفد من عند يزيد وتردد الأخبار بينهم بالتهم الموجهة إلى يزيد ولكن عدداً من كبار الصحابة من أهل الحل والعقد لم يروا الصواب في ذلك وسنناقش هذه المسألة فيما يأتي:

أخرج البخاري في صحيحه [كتاب الفتن] عن نافع قال: لمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة»، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن=

وقعة الحرة

قال أبو جعفر الطبريّ: فحدّثني أحمد بن ثابت، عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر، قالا: كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ثلاث وستين، وقال بعضهم: لثلاثِ ليالٍ بقِين منه.

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزّبير، حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني عبد الله بن جعفر، عن ابن عوف، قال: حجّ ابن الزبير بالناس سنة ثلاث وستين، وكان يسمّى يومئذ العائذ، ويرون الأمرَ شُورَى، قال: فلما كانت ليلة هلال المحرّم ونحن في منزلنا إذ قدم علينا سعيدٌ مولى المِسْور بن مخرَمَة، فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم، فجاءهم أمرٌ عظيم، فرأيت القوم شهروا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا أنه نازل بهم(١). [٥: ٤٩٤].

= يبايع رجل على بيع الله ورسوله، ثم ينصب له القتال وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلاّ كانت الفيصل بيني وبينه. [صحيح البخاري / كتاب الفتن (ح ٧١١١)].
وكعادة ابن حجر ـ رحمه الله ـ فإنه في شرح الأحاديث يذكر الروايات التي أخرجها غير البخاري لبيان ما أبهمه البخاري أو لزيادة في البيان والتأكيد وكذلك فعل عند شرحه لهذا الحديث فقال: وفي رواية أبي العباس السراج في تاريخه عن أحمد بن منيع وزياد بن أيوب عن عفان عن صخر بن جويرية عن نافع قال: «لما انتزىٰ أهل المدينة مع عبد الله بن الزبير وخلعوا يزيد بن معاوية جمع عبد الله بن عمر بنيه...». [فتح الباري (٦/ ٥٧٥)].

(١) وانظر تاريخ خليفة إذ ذكر وقعة الحرة ضمن أحداث سنة ٦٣ هـ[تاريخ خليفة (ص ٢٢٨)].
هذه الوقعة المؤلمة ليست الأولىٰ التي أصابت أصحاب رسول الله ﷺ ولقد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ وفي عهده عليه الصلاة والسلام جمع يوم بئر معونة، واستحرّ بهم القتل في حروب الردة ولكن الفاجعة هنا أن القتل استحرّ بهم من قبل جيش الشام وكان الأولىٰ بذلك الجيش أن يدافع عن ثغور الخلافة في وجه الروم بدلاً من سفك دماء المسلمين وهذه الوقعة تؤكد مقولة بعض المؤرخين: من أن يزيد لم يكن حازماً في إدارة الحكم وأنه لم يتابع تنفيذ الأمور بنفسه على عكس أبيه رضي الله عنه وبذلك ترك المجال للأمراء والقادة الميدانيين أن يتصرفوا كما يبدو لهم دون الرجوع إليه، وسنتطرق إلى ذلك عند حديثنا عن وفاة يزيد ورأي المؤرخين في سيرته. =

= والذي يهمنا هنا أن نثبت الحقائق كما أخبرت الروايات الصحيحة وأن ننفي عن التاريخ الإسلامي المبالغات والافتراءات والتزوير والكذب وتشويه الحقائق التاريخية ، والله المستعان.

قبل أن نذكر تفاصيل الوقعة نود أن نذكر كلاماً وجيزاً للمؤرخ خليفة بن خياط وهو يصور لنا الوضع السياسي للمدينة المنورة قبل حدوث المعركة ببرهة زمنية قصيرة.

قال خليفة بن خياط: قال أبو اليقظان: دعوا إلى الرضا والشورىٰ وأقروا على قريش عبد الله بن مطيع العدوىٰ وعلىٰ الأنصار عبد الله بن حنظلة وعلىٰ قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعي ، وأخرجوا من المدينة بني أمية ، وقال غيره خلعوا يزيد فأرسل إليهم جيشاً عليه مسلم بن عقبة. [تاريخ خليفة (٢٣٧)].

قلنا: ولقد بالغت بعض كتب التاريخ في أرقام وأعداد القتلىٰ في هذه الوقعة ولقد أخذنا علىٰ أنفسنا أن نرفض الأخبار إن لم تكن مسندة موصولة صحيحة فيما يتعلق بأحداث الفتنة إذ الفتنة مرتع خصب للوضاعين والكذابين والحاقدين على أعلام التاريخ الإسلامي علماً بأننا تساهلنا في قبول الوفيات بدون إسناد واكتفينا بذكر تلك الوفيات في مصدر تاريخي متقدم موثوق أو عدة مصادر لأننا على يقين أن موت صحابي أو تابعي يترك أثراً كبيراً في نفوس معاصريه فتبقىٰ في ذاكرتهم تلك السنة التي توفي فيها.

وبالذات في هذه الوقعة الشهيرة فإن المؤرخ المتقدم الثّقة خليفة بن خياط قد ذكر أسماء الذين قتلوا في هذه الفاجعة ولا يتجاوز عددهم الأربعمئة ، فلماذا كل هذه المبالغات؟ ولماذا هذا التهويل؟ ولماذا هذا التشويه للحقائق التاريخية ثم إن في متون الروايات التاريخية (التي تبالغ في ذكر أعداد القتلىٰ) نكارة شديدة فالمدينة المنورة كباقي مدن الحجاز شديدة الحرارة ولم يكن يومها للناس فرق انتشال الضحايا أو ثلاجات ضخمة لحفظ الجثث فكيف لا تتعفن آلاف الجثث ، وكيف لا يمتلئ جو المدينة بالعفونة ، وكيف لا تتفشى الأمراض المعدية وكيف يستطيع الناس العيش في المدينة بسهولة بعد الحادثة وآثار آلاف الضحايا قريبة شاخصة حقاً إن الوضاعين والكذابين يتركون ثغرات في رواياتهم فتتكشف عوراتهم بالإضافة إلى ضعف الإسناد ومن المتعارف عند علماء الحديث وأئمة النقد أن الرواية تتعرض لتمحيص السند والمتن قبل القبول بها ومن خلال المتون يحكم العلماء على الرواة والله أعلم.

ونضرب مثالاً على ذلك فنقول مما لا شك فيه أن الأخباري الصدوق المدائني كغيره كثير من معاصريه جمعوا الروايات دون تمحيصها وهو يروي في هذه الحادثة عن شيخ من أهل المدينة أنه سأل الزهري كم كان القتلىٰ يوم الحرة؟ فيجيب الزهري أكثر من عشرة آلاف!!! قلنا: أما الشيخ الذي سأل الزهري فمجهول فكيف نعتمد على أمثال هذه الرواية في تثبيت هذا العدد الضخم؟. =

= ونرجع الآن إلى رواية عروة بن الزبير الآنفة الذكر لنكملها:
قال عروة: «فوجه إليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش أهل الشام وأمره بقتال أهل المدينة فإذا فرغ من ذلك سار إلى مكة. قال: فدخل مسلم بن عقبة المدينة وهرب منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله ﷺوعبث فيها وأسرف في القتل ثم خرج منها فلما كان ببعض الطريق مات». وسبق أن ذكرنا تعليق الهيثمي على إسناد هذه الرواية في مجمع الزوائد وتعقيبنا على كلام الإمام الهيثمي هناك.
ولنا عند هذا الجزء من متن الرواية وقفة:
أما قوله: «وهرب منه يومئذٍ بقايا أصحاب رسول الله». ففيها غرابة لأن من بين أسماء القتلىٰ عدد من الصحابة من المهاجرين والأنصار أي أن القتل استحر بالجميع صحابة وتابعين. علماً بأن الإمام الحاكم أخرج هذه الرواية بهذا اللفظ كذلك موجزاً [المستدرك (٥/ ٥٤٩)] وسكت عنه.
بينما ذكر الحافظ ابن حجر هذه الرواية ونسبها إلى الطبراني بلفظ: «فدخل مسلم بن عقبة المدينة وبها بقايا من الصحابة فأسرف في القتل ثم سار إلى مكة فمات ببعض الطريق». [الفتح (/ ٥٧٦)].
وكذلك أخرج الفاكهي في أخبار مكة رواية عروة الآنفة الذكر وليس فيها عبارة: «وهرب منه بقايا أصحاب رسول الله ﷺ» ولعلّ العبارة تصحيف من بعض الرواة إلاَّ أن يكون المعنىٰ أن عدداً من الصحابة اعتزلوا الفريقين المتصارعين كأبي سعيد الخدري وغير واحد منهم فلما دخل مسرف بن عقبة المدينة تركوها كي لا ينالهم بطش ذلك المسرف وإلاَّ فالصحابة الذين برزوا للقتال قتلوا هنالك ولم يتركوا ساحة المعركة وشجاعة الصحابة معروفة.
أما قول الراوي: «وأسرف في القتل». فصحيح.
إلاّ أننا لم نجد رواية تاريخية صحيحة تؤكد أن يزيد بن معاوية أمر باستحلال المدينة لثلاثة أيام أو أن جيش الشام استحل المدينة لثلاثة أيام، ولعل الجيش استحل المدينة لثلاثة أيام كتصرف فردي من قائد الجيش، ولا نستطيع أن نثبت هذا الاستحلال.
والحق يقال: فإن الطرفين قد استماتا في القتال فكانت تلك الاستماتة سبباً في وقوع ذلك العدد من القتلىٰ، ونحن لا نقول ما نقول بناءً على الظن والحدس والتخمين بل إن الرواية التاريخية الصحيحة تؤكد أن عدداً من أهل المدينة بايعوا عبد الله ابن غسيل الملائكة على الموت وكان يومها أميراً على الأنصار، وعبد الله بن مطيع الأمير على من سواهم. [وانظر الفتح (٦/ ٢٢٠)].
فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبادة بن تميم قال: «لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة فقال ابن زيد: على ما يبايع ابن حنظلة الناس؟ قيل له: على الموت قال: =

ثم دخلت سنة أربع وستين
ذكر خبر وفاة يزيد بن معاوية

وفيها هلك يزيدُ بنُ معاوية ، وكانت وفاته بقرية من قُرى حمصَ يقال لها حُوّارين من أرض الشأم لأربع عشرةَ ليلةً خلتْ من ربيع الأوّل سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنةً في قول بعضهم.

حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا محمد بن يحيى ، عن هشام بن الوليد المخزوميّ ، أنّ الزّهريّ كتب لجدّه أسنانَ الخلفاء ، فكان فيما كَتَب من ذلك: ومات يزيدُ بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين؛ وكانت ولايتُه ثلاثَ سنين وستة أشهر في قول بعضهم ، ويقال: ثمانية أشهر.

وحدّثني أحمد بن ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، أنه قال: توفّي يزيد بن معاوية يومَ الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول ، وكانت خلافتُه ثلاثَ سنين وثمانيةَ أشهر إلا ثمان ليالٍ ، وصلّى على يزيدَ ابنُه معاوية بن يزيد[١] . [٥ : ٤٩٩].

= لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ ، وكان شهد الحديبية». [صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ ح ٤١٦٧].

وسبب آخر لكثرة القتلىٰ هو خيانة بني حارثة لأهل المدينة وإدخالهم جيش الشام على حين غرة عليهم فوقع كثير من القتل كما قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ وأخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند صحيح عن ابن عباس قال: «جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾ يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة في وقعة الحرة. [فتح الباري (/ ٥٧٦)].

(١) قال خليفة ـ متحدثاً عن وفيات سنة ٦٤ هـ ـ: قرئ على ابن بكير وأنا أسمع عن الليث قال: توفي أمير المؤمنين يزيد في سنة أربع وستين ليلة البدر في شهر ربيع الأول. [خليفة (٢٤٧)].

وقال خليفة أيضاً: وفيها مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الأول ، وأمه ميسون ابنة بحدل الكلبية ، ومات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقالوا: ابن بضع وأربعين سنة ، وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً. [تاريخ خليفة (٢٥٠)].

ذكر عدد ولده

فمنهم معاوية بن يزيدَ بن معاوية ، يُكنَى أبا ليلى ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

إنـي أَرَى فتنـةً قـدْ حـانَ أَوَّلُهَـا   والمُلْكُ بعد أَبى لَيْلى لِمَنْ غلَبَا

وخالد بن يزيدَ ـ وكان يُكنَى أبا هاشم ، وكان يقال : إنه أصاب عَمَل الكِيمياء ـ وأبو سُفْيان ، وأمُّهما أمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، تزوّجها بعَد يزيد مروان ، وهي التي يقول لها الشاعر :

انْعمِـي أُمَّ خـالـدِ   ربَّ سـاعٍ لقـاعِـدِ

وعبد الله بن يزيدَ ، قيل : إنه من أرْمى العرب في زمانه ، وأمُّه أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وهو الأسوار ، وله يقول الشاعر :

زعـمَ النـاسُ أنَّ خيـرَ قـريـش   كلِّهـمْ حِيـنَ يُـذْكَـرُ الأُسـوَارُ

وعبد الله الأصغر ، وعُمر ، وأبو بكر ، وعُتْبة؛ وحرَب ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد؛ لأمّهاتِ أولادٍ شتَّى (١) .

---

(١) وقفة عند شخصية يزيد بن معاوية
وحكمه ٦٠ ـ ٦٤ هـ

اختلف أهل العلم في حكمهم على تصرفات يزيد ومدىٰ مسؤوليته عن المصائب التي حلّت بالأمة في عهده ، وكان لقادته وولاته النصيب الأوفىٰ من إثم هذه الفواجع .

فمن الناس من يعتبر يزيداً وبعض قواده كعبيد الله بن زياد من الذين تنطبق عليهم صفات الفئة التي حذّر من تصرفاتها رسول الله ﷺ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يُهلكُ الناس هذا الحي من قريش» قالوا : فما تأمرنا؟ قال : «لو أن الناس اعتزلوهم» . [صحيح البخاري / المناقب / ح ٣٦٠٤] .

وفي إحدىٰ روايات أحمد والنسائي . (فساد أمتي) .

والمراد أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك والقتال لأجله فتفسد أحوال الناس ويكثر الخبط بتوالي الفتن وقد وقع الأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام وانظر [فتح الباري (١٤/ ٥٠٠)] .

ونريد (هنا) أن نشير إلى إمارة الصبيان فعند بعض العلماء أنها بدأت بتولي يزيد سنة (٦٠) هـ فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو يشرح قول النبي ﷺ : «هلكة أمتي على يد أغيلمة =

= سفهاء من قريش»: وأولهم يزيد (والكلام لابن حجر) كما دل عليه قول أبي هريرة في دعائه: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان، فإن يزيد كان غالباً ينتزع الشيوخ من إمارة البلدان الكبار ويولّيها الصغار من أقاربه. [فتح الباري (١٤/ ٥٠١)].
ومن خلال دراستنا لسلوك يزيد وتصرفاته للأمور وتعامله مع الأحداث وعلاقاته مع أمراءه وقواده خلصنا إلى ما يلي:
لقد أطلق يزيد لعماله وقادة جيوشه قدراً كبيراً من حرية العمل والتعامل مع الأحداث دون أن يتابعهم عن كثب ويسأل الناس عن تقييمهم لهؤلاء الولاة ـ أي: بالعكس مما كان يفعله أبوه معاوية رضي الله عنه ـ صحيح أن يزيد كان يريد ضبط الحكم وسيادة النظام إلاَّ أنه بعلاقته هذه مع ولاته فسح المجال أمام قواده لارتكاب فاجعتين:
(الأولىٰ) في كربلاء على يد أميره الفاسق عبيد الله والذي قال فيه الإمام الذهبي: كان جميل الصورة قبيح السريرة.
(والثانية) في المدينة المنورة (وقعة الحرة) على يد مسلم بن عقبة الذي سماه أئمة التاريخ مُسْرف بن عقبة.
وعندما أراد الحسين بن علي رَضي الله عنهما أن يتجه نحو الشام ليضع يده في يد يزيد لم يتريث عبيد الله بن زياد ولم يرجع إلى يزيد في البت في المسألة. بل شرع في تنفيذ جريمته التي تركت جرحاً كبيراً في جسد الأمة.
صحيح أن يزيداً لم يأمر بسفك دم الحسين في كربلاء، وابن غسيل الملائكة وغيره من الصحابة والتابعين في المدينة إلاَّ أن له حظاً من الإثم لأنه (وكما يقول الأستاذ العش رحمه الله): الرأس القائم على النظام والمسؤول عنه. ويقول العش أيضاً: إنه (أي: يزيد) لم يكن يواجه المصاعب والمشاكل بجد وكفاءة وكان يصدر الأوامر إلى قواده وأمرائه، لكنها أوامر مقتضبة غير مدروسة بتفاصيلها وليست فيها خطة بينه موحدة ولا تستقيم الأوامر كما نعرف إلاَّ إذا كانت وسائل العمل وخطته واضحة بينة حتى إذا ترك وضع الخطة السياسية لقائد الجيش وضع خطته بناءً على أساس حربي قاسٍ وقد تستهويه خطته فتدفعه إلى أبعد مما يفكر، وكان يزيد يترك لقواده وضع المخططات فتأتي بنتائج لعله لم يقصدها. [الدولة الأموية (١٧٩)].
قلنا: وبالإضافة إلى ما سبق فإن يزيد كان على العكس تماماً من والده الحليم السياسي البارع الخليق بالملك، فقد كان يزيد سريع الانفعال والغضب وكان كما يقول العش: يلجأ إلى السيف كلما حمي الوطيس فهو رجل حرب أكثر منه رجل سياسة (١٨٠ ـ المصدر السابق).
وحتى تكتمل الصورة من تحليل لنفسية وشخصية الخصوم الذين وقفوا ضد يزيد، ولقد قال الأستاذ العش كلاماً قيماً نوافقه في بعضه ولا نوافقه في بعضه الآخر، فهو يضع بجزء من المسؤولية في هذه الفواجع على من خرجوا على يزيد كذلك لأنهم كما يقول العش: =

خلافة معاوية بن يزيد

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيدَ بن معاوية بن أبي سُفْيان بالشأم بالخلافة ، ولعبد الله بن الزُّبير بالحجاز[1] . [٥ : ٥٠١] .

ولما هلك يزيدُ بن معاوية مكث الحُصَيْن بن نُمير وأهل الشأم يقاتلون ابنَ الزّبير وأصحابه بمكة ـ فيما ذكر هشام عن عوانة ـ أربعين يوماً ، قد حصروهم حصاراً شديداً ، وضيَّقوا عليهم ، ثمّ بلغ موتُه ابن الزبير وأصحابه ، ولم يبلغ الحصينَ بن نمير وأصحابه[2] . [٥ : ٥٠١]

= «يشابهونه بعاطفتهم وقلة رويتهم فأهل الكوفة مثلاً تثور عاطفتهم نحو الحسين فيدعونه إليهم مع أن البيعة معقودة ليزيد في أعناقهم وهم لا يكتمون عاطفتهم إلاَّ حين يَجِدُّ الجد فيتبين لهم أنهم أمام خطر الجزاء العنيف» . (١٨٢) .
ثم يقول العش : والحسين نفسه كان عاطفياً شديد العاطفة دفعته عاطفته إلى أن يذهب إلى الكوفة بالرغم من كل ما حذر به . . . إلخ .
وأن الآخرين كانوا ينصحونه بالذهاب إلى اليمن أو البقاء في مكة وفي ذلك حكمة . . . إلخ .
قلنا : أما أن الحسين بن علي رضي الله عنهما كان عاطفياً فلعله ، ولا عيب في ذلك ، ولكن أن يكون الدافع من وراء خروجه العاطفة فلا ، ولقد اجتهد رضي الله عنهما فكان اجتهاده ذو شقين أصاب في شقه الديني وأخطأ في تقديراته الدنيوية ، أضف إلى ذلك فإنه أراد أن يجنب الحرم المكي القتال بعد أن أيقن بقرب المواجهة مع جند الوالي على الكوفة من قبل يزيد كما أخرج الطبراني (ح ٢٨٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «استشارني الحسين في الخروج ، فقلت : لولا أن يزرى بي وبك لنشبت يدي في رأسك ، فقال : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ من أن استحل حرمتها ـ يعني الحرم ـ فكان ذلك الذي سلى نفسي عنه» .
وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، وانظر البداية والنهاية (٥/ ٦٦٥) وتاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ١٠٦) أ . هـ .

(١) قلنا : وقال خليفة : واستخلف (أي : يزيد) ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية فأقرّ عمال أبيه ولم يولّ أحداً ولم يزل مريضاً حتى مات وهو ابن إحدى وعشرين سنة . [تاريخ خليفة (٢٥٠)] .
وقال أيضاً : وفي سنة أربع وستين دعا ابن الزبير إلىٰ نفسه وذلك بعد موت يزيد بن معاوية فبويع في رجب لسبع خلون من سنة أربع وستين ولم يكن يدعو إليها ولا يدعىٰ لها حتى مات يزيد . [خليفة (٢٥٢)] .

(٢) قلنا : ثم ساق الطبري رواية تؤيد ما قاله من أن خبر موت يزيد وصل إلى ابن الزبير وهو محاصر وفي متنه نكارة بل نكارات وسبحان الله وبحمده ما وجدنا في متن رواية نكارة إلاَّ =

وقال عَوانة: استخلف يزيد بن معاوية ابنَه معاوية بن يزيد، فلم يمكث إلا أربعين يوماً حتى مات.

وحدّثني عمر، عن عليّ بن محمد قال: لما استُخلف معاوية بن يزيدَ وجمع عُمَّالَ أبيه، وبويع له بدمشق، هلك بها بعد أربعين يوماً من ولايته.

ويُكنى أبا عبد الرّحمن، وهو أبو ليلى، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن

= وفي السند مجهول أو متروك أو كذاب أو راوٍ شديد الضعف.

والخبر أخرجه الطبري (٥/ ٥٠١) عن زياد بن جيل (أو حبل) والذي قال فيه أبو حاتم: شيخ مجهول. [الجرح والتعديل (٣/ تر ٢٣٨١)].

ومن نكارة متنه أن ابن الزبير قال لحصين بن نمير: «إن طاغيتكم قد مات» ولم يكن يزيد في نظر ابن الزبير طاغية ولعل أكثر ما يراه فيه أنه إمام فاسق، ولم يكن من أدب الصحابة أن يطلقوا هذه اللفظة: (طاغية) بهذه السهولة على كل من هبَّ ودبَّ.

وثاني النكارات: أن زياد بن جيل أخبر أن خبر موت يزيد قد وصل إلى المحاصَرِين في مكة بينما لم يصل إلى جيش الشام الذي كان يحاصر ابن الزبير فكيف وصل الخبر إلى المحاصِرين وهم في داخل الطوق ولم يصل إلى من يحاصرهم وهو في الخارج (حصين) علماً بأن حصيناً أولىٰ بسماع الخبر ومعرفته بذلك من البريد الذي يصل لأنه من أمراء وقادة الخلافة فكيف لا يطلع على البريد ويطلع عليه عدوه المحاصَر؟!

قلنا: ولعل أصحَّ خبر في الباب ما أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، عن جويرية بن أسماء، قال حدثني بُرْد مولىٰ آل الزبير، أن حصيناً بعث إلى ابن الزبير: إني أحب لقاءك قال: فموعدك بعد العتمة بأعلى مكة، فخرج ابن الزبير بعد أن صلىٰ بالناس إلى المكان الذي وعده فيه وليس عليه سلاح، وأقبل ابن نمير وعليه الدرعُ والسيف ولقد لبس مِمْطراً، فلما أراد الجلوس بدت نعل السيف، فقال له ابن الزبير: أغدْراً يابن نمير؟ قال: لا ولكني خفت أصحابك ثم قال له: أبايعك غداً بين الركن والمقام أنا وجميع أصحابي على أن تنتقل إلى الشام فتسكنها ونقاتل عنك الناس ما بقيت أرواحنا، فقال: إن لي أمراء لستُ أقطع أمراً دونهم فأناظرهم ثم يأتيك رأيي، فرجع فأخبر ابن صفوان وذويه، فقالوا: أتخرج من بلدٍ نصرك الله به، وتفارق حرم الله وأمنه، وتستعين بقوم رموا بيت الله لا خلاق لهم؟ فأرسل إلى الحصين: إن أصحابي قد أبوا أن يتحولوا إلى الشام، قال: فهل أنت مؤمّني وأصحابي حتى نطوف بالبيت ثم ننصرف عنك؟ فأمنهم فطافوا ثم انصرفوا. [أنساب الأشراف (٤/ ٣٥٠/ ٩٠٧)].

قلنا: ورجال إسناد البلاذري بين الثقة والصدوق، وبرد مولىٰ آل الزبير ترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه، وذكره ابن حبان في الثقات ولا نكارة في المتن أو غرابة والله أعلم.

عُتبة بن ربيعة ، وتوفِّي وهو ابن ثلاث عشرة سنةً وثمانية عشر يوماً[١] .

وفي هذه السنة بايع أهلُ البصرة عبيد الله بن زياد ، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناسُ على إمام يرتضُونه لأنفسهم ، ثم أرسل عبيد الله رسولاً إلى الكُوفة يدعوهم إلى مِثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة ، فأبوْا عليه ، وحصبوا الوالي الذي كان عليهم ، ثمّ خالفه أهلُ البصرة أيضاً ، فهاجت بالبصرة فتنة ، ولحق عبيد الله بن زياد بالشأم[٢] .

ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

وحدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل ، قال: حدّثنا حَماد بن سلَمة ، عن عليّ بن يزيد ، عن الحسن ، قال: كتب الضحاك بن قيس إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية: سلامٌ عليك ، أمّا بعد ، فإنّ يزيد بن معاوية قد مات ، وأنتم إخواننا ، فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا[٣] . [٥ : ٥٠٤].

---

(١) وقال خليفة متحدثاً عن وفاة معاوية بن يزيد: ولم يزل مريضاً حتى مات وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ويقال: عشرين سنة وصلىٰ عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وكانت ولايته نحواً من شهر ونصف.
ويقال: مات معاوية بعد أبيه يزيد بأربعين يوماً وهو ابن ثمان عشرة سنة . [خليفة (٢٥٠)].
وأرخ الحافظ ابن كثير لوفاة معاوية بن يزيد بسنة ٦٤ هـ وقال: وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس ، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلي بالناس ويسدّ الأمور . . .
وقال أيضاً: وصلى عليه خالد (أخوه) وقيل: عثمان بن عنبسة ، وقيل: الوليد بن عتبة وهو الصحيح ، فإنه أوصى بذلك . [البداية والنهاية (٦/ ٤٧١)].

(٢) قلنا: سنتطرق إلى هروب عبيد الله بن زياد بعد (٥/ ٥١١) إن شاء الله .

(٣) قلنا: في إسناده علي بن زيد ، وهو ضعيف ، وأخرجه أحمد من طريق عليّ هذا في مسنده بأطول منه وفيه متن مرفوع (٣/ ٤٥٣).
وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني من طرق فيها علي بن زيد وهو سيىء الحفظ وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح . [مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٨)].
قلنا: والصحيح أن النعمان بن بشير كتب إلى قيس بن الهيثم ، كما أخرج أحمد بسند حسن: =

حدّثني عمر، قال: حدّثني زهير بن حرب، قال: حدّثنا وهب بن حمّاد، قال: حدّثنا محمد بن أبي عُيَيْنة، قال: حدّثني شهرك، قال: شهدتُ عُبيدَ الله بن زياد حين مات يزيد بن معاوية قام خطيباً، فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أهل البصرة، انسبوني، فوالله لتجدُنّ مُهاجرَ وَالدي ومولدي فيكم، وداري، ولقد وليتُكُم وما أحصَى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصَى اليومَ ديوانُ مقاتِلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصىٰ ديوان عُمالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصيَ اليوم مئة وأربعين ألفاً، وما تركتُ لكم ذا ظِنَّةٍ أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم هذا، وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي، وقد اختلف أهلُ الشأم، وأنتم اليوم أكثرُ الناس عدداً، وأعرَضُه فِناءً، وأغناه عن الناس، وأوسَعُهُ بلاداً، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترْتضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أوّلُ راض مَن رضيتموه وتابع، فإن اجتمع أهل الشأم على رجل ترتَضُونه، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جدِيلتكم حتى تُعطوا حاجتَكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجةٌ، وما يستغنِي الناس عنكم.

فقامت خُطباءُ أهل البصرة فقالوا: قد سمعنا مقالتَك أيُّها الأمير، وإنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك، فهلمَّ فلنبايعْك؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك، فاختاروا لأنفسكم؛ فأبوْا عليه، وأبَى عليهم، حتى كرّروا ذلك عليه ثلاث مرّات، فلما أبوْا بَسَط يدَه فبايعوه، ثمّ انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون: لا يظنّ ابن مرجانة أنّا نستقاد له في الجماعة والفُرقة، كَذبَ والله! ثمّ وثبوا عليه[1]. [٥: ٥٠٤_٥٠٥].

= أن النعمان بن بشير كتب إلى قيس بن الهيثم: «إنكم إخواننا وأشقاؤنا وأنّا شهدنا لكم ولم تشهدوا وسمعت ولم تسمعوا وأن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن بين يدي الساعة فتناً كأنها قطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويبيع فيها أقوام خلاقهم بعرض من الدنيا». [المسند (٤/ ٢٧٧)].

(١) قلنا: ولقد تحدثنا عن رجال هذا الإسناد فيما سبق، راجع المقدمة أو رجال تاريخ الطبري. ولقد أخرج البلاذري من طريق زهير بن حرب عن وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد قال: لما مات يزيد بن معاوية نعاه ابن زياد، وقال: اختاروا لأنفسكم، قالوا: قد رضينا =

(الأصح من بين عدة روايات ضعيفة)

قال أبو عبيدة: فسمعتُ غيلانَ بن محمد يحدّث عن عثمان البَتّي، قال: حدّثني عبد الرحمن بن جَوْشن، قال: تبعتُ جنازةً فلما كان في سوق الإبل إذا رجلٌ على فرس شهباء متقنّعٌ بسلاح وفي يده لواء، وهو يقول: أيها الناس، هلموا إليّ أدعُكم إلى ما لم يدعُكم إليه أحد، أدعوكم إلى العائذ بالحرم، - يعني عبدَ الله بن الزبير. قال: فتجمّع إليه نُوَيْس، فجعلوا يصفقون على يديْه، ومضينا حتى صلينا على الجنازة، فلمّا رجعنا إذا هو قد انضمّ إليه أكثرُ من الأوّلين، ثم أخذ بين دار قيس بن الهيْثم بن أسماء بن الصّلت السلميّ ودار الحارثيّين قِبَلَ بني تميم في الطريق الذي يأخذ عليهم، فقال: ألا مَن أرادني فأنا سَلمَة بن ذُؤيب - وهو سلمَة بن ذُؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة -

---

= بك، ثم خرجوا فجعلوا يمسحون أيديهم بجدار دار الإمارة ويقولون: هذه بيعة ابن مرجانة واجترأ الناس عليه حتى جعلوا يأخذون دوابه من مربطه. [أنساب الأشراف (٤/ ٤١٩/ ١٠٧٤)].

قلنا: وصعب بن زيد هذا قال فيه أبو حاتم: مجهول. [الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٠)]. ولكن أصل الروايتين في بيعة أهل البصرة ليزيد (كما في رواية الطبري والبلاذري) جاءت في رواية أخرىٰ عند البلاذري قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا وهب بن جرير، حدثنا غسان بن مضر، عن سعيد بن يزيد قال: بايعوا عبيد الله بن زياد ثم قالوا: أخرج لنا إخواننا، وكانت السجون مملوءة من الخوارج، فقال: لا تفعلوا فإنهم يفسدون عليكم، فقالوا: لابد من إخراجهم، فجعلوا يخرجون ويبايعونه فما تتامّ آخرهم حتى جعلوا يغلظون له. [أنساب الأشراف (٤/ ٤١٩/ ١٠٧٣)].

قلنا: ورجال هذا الإسناد ثقات ومنهم من هو من رجال الصحيح. والله تعالىٰ أعلم.

تدهور الأوضاع في معظم الأمصار
بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ

الذي يقرأ تاريخ المدة التي تلت وفاة يزيد يتبين له حجم الاضطرابات ومدىٰ هيجان الناس واضطراب أمورهم وتدهور أحوالهم.

ولقد أخرج الطبري روايات عدة تصف حال الناس في تلك الأيام وأكثرها في قسم الضعيف، ونحاول هنا في قسم الصحيح أن نذكر ما صحَّ سنده وبعضاً من الضعيف الذي هو أخف ضعفاً.

قال: فلقيَني عبد الرحمن بن بكر عند الرّحبة ، فأخبرته بخبر سلَمة بعد رجوعي ، فأتى عبد الرحمن عبيدَ الله فحدّثه بالحديث عنّي ، فبعث إليّ ، فأتيتُه ، فقال: ما هذا الذي خبّر به عنك أبو بَحْر؟ قال: فاقتصصت عليه القِصّة حتى أتيتُ على آخرها ، فأمر فنودي على المكان: الصلاة جامعة ، فتجمّع الناس ، فأنشأ عبيد الله يقصّ أمره وأمرهم ، وما قد كان دعاهم إلى مَنْ يرتضونه ، فيبايعه معهم ، وإنكم أبيتم غيري ، وإنه بلغني أنكم مسحتم أكفّكم بالحيطان وباب الدار ، وقلتم ما قلتم ، وإني آمرُ بالأمر فلا يُنفّذ ، ويُردّ عليّ رأيي ، وتحُول القبائل بين أعواني وطلبتي ، ثم هذا سلَمة بن ذُؤيب يدعو إلى الخلاف عليكم ، إرادة أن يفرّق جماعتَكم ، ويضرب بعضكم جباهَ بعض بالسيف ، فقال الأحنف صَخْر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النَّزَّال بن مُرَّة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، والناس جميعاً: نحن نأتيك بسلَمة؛ فأتوا سلَمة ، فإذا جمعُهُ قد كَثُف ، وإذا الفَتْق قد اتّسع على الرّاتق ، وامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قَعَدُوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه[(١)]. [٥: ٥٠٧_٥٠٨].

[هروب عبيد الله بن زياد من البصرة متوجهاً إلى الشام بعد اضطراب الأمور في العراق سنة ٦٤ هـ بعد وفاة يزيد]

قال أبو جعفر: وأمّا عمر فحدّثني قال: حدّثني زهير بن حرب ، قال: حدّثنا وهب بن جرير ، قال: حدّثنا أبي ، عن الزّبير بن الخِرِّيت ، عن أبي لبيد الجَهْضَميّ ، عن الحارث بن قيس ، قال: عَرَض نفسه ـ يعني عُبيد الله بن زياد ـ

(١) وقول الطبري: (قال أبو عبيدة) لا يعني انقطاع السند بل قال ذلك في معرض روايته عن أبي عبيدة إذ قال في (٥/ ٥٠٦): وحدثني أبو عبيدة ، وذلك من عادة الطبري في تاريخه فهو روىٰ عن أبي عبيدة عن شيخه يونس بن حبيب الجرحي في (٥/ ٥٠٦) ثم عن أبي عبيدة عن غيلان في (٥/ ٥٠٧) ، ومن قبل عن أبي عبيدة عن عمير بن معن الكاتب (٥/ ٥٠٧). أي: أن شيخ الطبري (أبا عبيدة) حدثه عن ثلاثة من شيوخه (معمر ، غيلان ، يونس) كل برواية.
ورواة الطبري في إسناده الثالث (٥/ ٥٠٧) بين الثقة والصدوق سوى غيلان فقد ذكره البخاري (١/ تر ٣٧٦) في التاريخ الصغير وروىٰ له من طريق معمر عنه كما عند الطبري ، والله أعلم.

عليّ ، فقال: أمّا والله إني لأعرف سوءَ رأي كان في قومك؛ قال: فوقفتُ له ، فأردفتُه على بغلتي ـ وذلك ليلاً ـ فأخذتُ على بني سُلَيم ، فقال: مَن هؤلاء؟ قلت: بنو سُلَيم؛ قال: سَلِمنا إن شاء الله؛ ثم مَرَرْنا ببني ناجية وهم جُلوسٌ ومعهم السلاح ـ وكان الناس يتحارَسون إذ ذاك في مجالسهم ـ فقالوا: مَن هذا؟ قلت: الحارث بن قيس ، قالوا: امضِ راشِداً ، فلما مضينا قال رجل منهم: هذا والله ابن مرْجانة خلفه ، فرماه بسهم ، فوضعه في كُورِ عمامته ، فقال: يا أبا محمد ، مَن هؤلاء؟ قال: الذين كنت تزعم أنهم من قريش ، هؤلاء بنو ناجية؛ قال: نَجوْنا إن شاء الله ، ثمّ قال: يا حارث ، إنك قد أحسنت وأجملت ، فهل أنت صانع ما أشير عليك؟ قد علمتَ منزلةَ مسعود بنِ عمرو في قومه وشَرَفَه وسنَّه وطاعةَ قومه له ، فهل لك أن تذهب بي إليه فأكونَ في داره ، فهي وسط الأزد ، فإنك إن لم تفعل صدع عليك أمر قومِك؛ قلت: نعم؛ فانطلقتُ به ، فما شعر مسعودٌ بِشيء حتى دخلنا عليه وهو جالسٌ ليلتئذٍ يوقِد بقضيب على لبنةٍ ، وهو يعالج خُفَّيه قد خلع أحدَهما وبقي الآخر ، فلما نظر في وجوهِنا عرفَنا وقال: إنه كان يُتَعَوَّذُ من طوارق السوء ، فقلتُ له: أفتُخْرِجه بعدما دخل عليك بيتَك! قال: فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود ـ وامرأة عبد الغافر يومئذ خَيْرةُ بنت خُفاف بن عمرو ـ قال: ثمّ رَكِبَ مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة مِن قومه ، فطافوا في الأزد ومجالسِهم ، فقالوا: إنّ ابن زياد قد فُقِدَ ، وإنا لا نأمن أن تلطّخوا به ، فأصبحوا في السلاح ، وفقد الناس ابن زياد فقالوا: أين توجّه؟ فقالوا: ما هو إلا في الأزد[1]. [٥: ٥١٠ ـ ٥١١].

قال وهب: حدّثنا الزبير بن الخرِّيت ، عن أبي لبيد ، أنّ أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرَهم النعمان بن صُهْبان الراسبيّ ورجلاً من مضرَ ليختارا لهم رجلاً

(١) قلنا: ورجال إسناد الطبري هذا بين الثقة والصدوق ، وأبو لبيد الجهضمي صدوق ناصبي ، وقد قبلنا روايته هنا لأنها ليست من باب الانتصار لمذهب الناصبية؛ والله أعلم.
والخبر أخرجه البلاذري مختصراً من طريق أحمد بن إبراهيم الدورقي عن وهب به. [أنساب الأشراف (٤/ ٤٢٠)].
ويمضي الطبري في رسم الأحداث المتسارعة في البصرة بعد اضطراب الأمور فيروي بالإسناد نفسه عن أبي لبيد وهو شاهد على تلك الأحداث. =

فَيُولّوه عليهم ، وقالوا: من رضيتما لنا فقد رَضيناه ، وقال غير أبي لبيد: الرجل المضريّ قيسُ بن الهيثم السُّلَميّ. قال أبو لبيد: ورأيُ المضريّ في بني أمية ، ورأيُ النعمان في بني هاشم ، فقال النعمان: ما أرىٰ أحداً أحقَّ بهذا الأمر من فلان ـ لرجل من بني أميَّة ـ قال: وذلك رأيُك؟ قال: نعم؛ قال: قد قلّدتُك أمري ، ورضيتُ من رضيتَ. ثمّ خرجا إلى الناس ، فقال المضريّ: قد رضيتُ من رضِيَ النعمان ، فمن سمّى لكم فأنا به راضٍ؛ فقالوا للنعمان: ما تقول! فقال: ما أرى أحداً غيرَ عبد الله بن الحارث ـ وهو ببّة ـ فقال المضريّ: ما هذا الذي سمّيتَ لي؟ قال: بلى ، لعَمري إنه لهوَ ، فرضيَ الناس بعبد الله وبايعوه[1] . [٥ : ٥١٢].

قال أبو عبيدة: فحدّثني زهير بن هنيد ، عن أبي نعامة ، عن ناشب بن الحسحاس وحميد بن هلال ، قالا: أتينا منزلَ الأحنف بحضرة المسجد ، قالا: فكنّا فيمن ينظر ، فأتته امرأة بمجْمَر فقالت: مالَك وللرياسة! تجمَّرْ فإنما أنت امرأة؛ فقال: است المرأة أحقُّ بالمجْمر؛ فأتَوْه فقالوا: إنّ عُلَيّة بنت ناجية الرياحيّ ـ وهي أخت مَطرَ ، وقال آخرون: عزّة بنت الحرّ الرياحيةِ ـ قد سُلِبتْ خَلاخيلها من ساقَيْها ، وكان منزلُها شارعاً في رحبة بني تميم على المِيضأة ، وقالوا: قَتلوا الصّباغ الذي على طريقك ، وقتلوا المُقعَد الذي كان على باب المسجد ، وقالوا: إنّ مالك بن مسمع قد دخل سكّة بني العدوّية من قِبل الجبّان ، فحرّق دوراً ، فقال الأحنف: أقيموا البيّنة على هذا ، ففي دون هذا ما يُحِلّ قتالَهم؛ فشهدوا عندَه على ذلك ، فقال الأحنف: أجاء عبّاد؟ وهو عبّاد بن حصين بن يزيدَ بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حِلّزة بن بيان بن سعد بن الحارث الحبِطة بن عمرو بن تميم؛ قالوا: لا ، ثمّ مكث غيرَ طويل ، فقال: أجاء

(١) ولقد تحدثنا عن هذا الإسناد آنفاً ، وقلنا: رجاله بين الثقة والصدوق.
ثم إن الطبري رحمه الله أخرج روايات مختلفة أغلبها من طريق شيخه معمر بن المثنىٰ وبأسانيد مختلفة تصف تلك الفترة المليئة بالتقلبات وهيجان الناس واضطرابهم وأكثرهم تتعلق بعبيد الله بن زياد وتعامله مع الناس وتعامل الناس معه بعد موت يزيد بن معاوية واستغرقت الصفحات (٥/ ٥٠٤ ـ ٥٢٢).
ومنها الرواية [٥ : ٥١٨ ـ ٥١٩] التي أخرجها الطبري بسند حسن.

عبّاد؟ قالوا: لا؛ قال: فهل هاهنا عَبْس بن طلْق بن ربيعة بن عامر بن بسْطام بن الحَكم بن ظالم بن صَرِيم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد؟ فقالوا: نعم؛ فدعاه، فانتزع مِعجرَاً في رأسه، ثم جَثَا على ركبتيه، فعقده في رُمح ثم دفعه إليه، فقال: سر. قالا: فلما ولّى قال: اللهمّ لا تُخزِها اليوم، فإنك لم تخزها فيما مضى. وصاح الناس: هاجت زبراء ـ وزبراء أمَة للأحنف، وإنما كنوا بها عنه ـ قالا: فلما سار عَبْس جاء عبّاد في ستين فارساً فسأل، ما صنع الناس؟ فقالوا: ساروا؛ قال: ومَنْ عليهم؟ قالوا: عبس بن طلق الصّريميّ؛ فقال عبّاد: أنا أسير تحت لواء عبس! فرجع والفرسان إلى أهله[1]. [٥:٥١٨ ـ ٥١٩].

ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد

وفيها كانت فتنة عبد الله بن خازم بخُراسان.

ذكر الخبر عن ذلك:

حدّثني عمرُ بنُ شبّة، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: أخبرنا مسلمة بن محارب، قال: بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخُوارَزم إلى يزيدَ بن معاوية مع عبد الله بن خازم، وأقام سلم والياً على خُراسانَ حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد، فبلغ سلماً موته، وأتاه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسرُ أبي عبيدة بن زياد، وكتم الخبر سلم، فقال ابن عَرَادة:

يا أيُّها المِلكُ المُغَلِّقُ بابَهُ حدَثَتْ أُمورٌ شأنُهُنَّ عظيمُ
قَتْلى بجُنْزةَ والذينَ بكابلٍ ويزيدُ أعلِنَ شأنُهُ المكتُومُ

---

(١) وإسناده حسن.
ولعل القارىء العادي يمر بهذه الرواية ولا يلقي بالاً لهذا الحوار الذي دار بين الأحنف ومن حوله من الناس إلاّ أن العارف بأحوال الأحنف يتبين خطورة ذلك الموقف من خلال هذا الحوار فالأحنف وهو الفصيح الأديب الكثير الحياء وصاحب الأدب الجمَّ والخلق الكريم ما كان لينطق بهذه العبارة التي يرددها أهل السوق عندما يتشاجرون بالكلام، ولكن شدة الفتنة وعظم الهول الذي أحاط بالناس قد اضطره للتلفظ بهذه العبارة غير اللائقة.
وأما أحوال الناس في خراسان فلم يكن بأحسن من أحوالهم في العراق وفيها كانت الفتنة كذلك كما يروي لنا الطبري:

أَبَنِـي أُمَيَّـةَ إنّ آخِـرَ مَلِكِكُـمْ ... جسـدٌ بِحـوَّارِيـنَ ثُـمَّ مُقِيـمُ
طَـرقَـتْ مَنِيَّتُـهُ وعِنْـدَ وِسـادِهِ ... كـوبٌ وَزِقٌّ رَاعِـفٌ مَـرثـومُ
ومـرِنَّـةٌ تبْكـي علـى نَشْـوانِـهِ ... بـالصَّنْـجِ تَقْعُـدُ تـارةً وتقـومُ

قال مسلمة: فلما ظهر شعر ابن عرَادة أظهر سلمٌ موتَ يزيدَ بن معاوية ومعاوية بن يزيد، ودعا الناسَ إلى البيعة على الرّضا حتى يستقيم أمرُ الناس على خليفة، فبايعوه، ثم مكثوا بذلك شهرين، ثم نكثوا به[1]. [٥: ٥٤٥].

قال عليّ بن محمد المدائنيّ: حدّثنا الحسن بن رشيد الجُوزَجانيّ، عن أبيه، قال: لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيدَ وثب أهلُ خُراسان بعُمّالهم فأخرجوهم، وغلب كلُّ قوم على ناحية، ووقعت الفتنة، وغلب ابن خازم على خُراسان، ووقعت الحرب. [٥: ٥٤٦].

قال أبو جعفر: وأخبرنا أبو الذّيال زهير بن هُنيد، عن أبي نعامة، قال: أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرْوَ، ثم سار إلى سليمان بن مرثد فلقيَه بمرْوَ الرَّوذ، فقاتله أياماً، فقتل سليمان بن مرثد عبد الله بن خازم وتوجَّه إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان في سبعمئة، وبلغ عمراً إقبالُ عبد الله إليه وقتله أخاه سليمان، فأقبل إليه، فالتقَوْا على نهر قبل أن يتوافَى إلى ابن خازم أصحابُه، فأمرَ عبد الله من كان معه فنزلوا، فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدويّ، فقالوا: لم يجيء حتى أقبل وهو على حاله، فلما أقبل قيل له: هذا زهير قد جاء؛ فقال له عبد الله: تقدّم، فالتَقَوْا فاقتتلوا طويلاً، فقتِل عمرو بن مرثد، وانهزم أصحابه، فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة، ورجع عبد الله بن خازم إلى مَرْو[2]. [٥: ٥٤٧].

---

(١) ومسلمة بن محارب هو شيخ المدائني الذي يروي عنه كثيراً من أخبار بني أمية وهو يروي عن أبيه عن معاوية. ذكره ابن حبان في الثقات.
وهو أخباري مأمون كما نقل الذهبي في الميزان (راجع المقدمة) وهو هنا أرسل روايته هذه.
وللطبري رواية [٥: ٥٤٦] ضعيفة السند صحيحة المعنىٰ.

(٢) قلنا: وأبو الذيال وشيخه صدوقان ولقد لخص الحافظ ابن كثير بعض الشيء في وصف تلك الأيام العصيبة من تاريخ الأمة والتي تؤكد صدق حدس معاوية وأنه كان على صواب حين أصرَّ على عدم ترك الأمة دون أن يعيّن لها من يحكمها من بعده، ولقد تحدثنا في حينه عن اجتهاده رضي الله عنه وإصابته في شق من اجتهاده وخطئه في شقه الثاني رضي الله عنه وأرضاه، وما حصل من اضطراب وهيجان وهرْج في صفوف الأمة خير دليل علىٰ رجحان

ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبةَ ، وكانت قد مال حيطانُها مما رُميَت به من حجارة المجانيق ، فذكر محمد بن عمر الواقديّ أنّ إبراهيم بن موسى حدّثه عن عكرمة بن خالد ، قال: هدم ابن الزبير البيتَ حتى سوّاه بالأرض ، وحفر أساسه ، وأدخل الحِجْر فيه ، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس ، ويصلّون إلى موضعه ، وجعل الرّكن الأسوَد عنده في تابوت في سَرَقةٍ من حرير ، وجعل ما كان من حُليّ البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبَة في خزانة البيت ، حتى أعادها لمّا أعاد بناءَه.

قال محمد بن عمر: وحدّثني معقل بن عبد الله ، عن عطاء ، قال: رأيت ابنَ الزّبير هدم البيت كله حتى وضعه بالأرض[(١)]. [٥ : ٥٨٢].

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير.

= عقل سيدنا معاوية وحدسه الصادق رضي الله عنه وأرضاه.

قال ابن كثير: واستفحل ابن الزبير ببلاد الحجاز وما والاها ، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة هناك ، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير ، وأمره بإجلاء بني أمية عن المدينة فأجلاهم فرحلوا إلىٰ الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير بعد حروب جرت بينهم وفتن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ، ثم اضطربت أمورهم ، ثم بعثوا إلى ابن الزبير وهو بمكة يجلبونه لأنفسهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلي بهم. [البداية والنهاية (٦/ ٢٩)].

(١) أما إسناد الطبري فلا يستقيم لأنه من طريق الواقدي وهو متروك إلاّ أن الحدث الذي تحدث عنه الواقدي في المتن فصحيح فقد أخرج مسلم في صحيحه [ح ٤٠٢/ ١٣٣٣] عن عطاء قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يحرّبهم ـ أو يجزئهم ـ على أهل الشام فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها ـ أو أصلح ما وهىٰ منها ، فقال ابن عباس: . . . الحديث ، وفيه (فنقضوه حتى بلغوا به الأرض). . . إلى آخر الحديث. الذي سنذكره في نهاية الفصل عند الحديث عن سيدنا عبد الله بن الزبير بعد انتهاءنا من فترة حكمه رضي الله عنه وأرضاه.

وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيد الله بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطميّ ، وعلى قضائها سعيد بن نِمْران.

وأَبَى شُرَيح أن يقضي فيها ، وقال فيما ذكر عنه: أنا لا أقضي في الفتنة. وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن مَعمَر التيمي ، وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة ، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم[1]. [٥ : ٥٨٢].

---

(١) كذلك قال خليفة: [البصرة هشام بن هبيرة الليثي واعتزل شريح فاستقضىٰ مصعب على الكوفة سعيد بن نمران الهمداني] [تاريخ خليفة (٢٦٦)].

خلاصة ما جرىٰ بين جيش الشام والضحاك بن قيس
الأمير من قِبَل عبد الله بن الزبير على دمشق

قلنا: لقد دأبنا على المقارنة بين روايات الطبري وغيره وحاولنا جهدنا أن نذكر الروايات الصحيحة عند غيره كخليفة وابن سعد والبلاذري وغيرهم ، والرواية التالية التي سنذكرها تبين أن أوضاع الناس بالشام لم تكن بأحسن منها في العراق (بعد موت يزيد بن معاوية) وسنذكر الروايـة ثم نناقش السند والمتن إن شاء الله.
أخرج ابن سعد: أنا المدائني ، عن خالد بن يزيد ، عن أبيه.
وعن مسلمة بن محارب ، عن حرب بن خالد ، وغير واحد: أن معاوية بن يزيد لمَّا مات دعا النعمان بن بشير بحمص إلى ابن الزبير ، ودعا زفر بن الحارث أمير قنسرين إلى ابن الزبير ، ودعا الضحاك بدمشق إلى ابن الزبير سراً لمكان بني أمية وبني كلب ، وبلغ حسان بن مالك بن بحدل وهو بفلسطين ، وكان هواه في خالد بن يزيد ، فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظم فيه حق بني أمية ويذم ابن الزبير ، وقال للرسول: إن قرأ الكتاب ، وإلاَّ فاقرأه أنت على الناس ، وكتب إلى بني أمية يعلمهم فلم يقرأ الضحاك كتابه ، فكان في ذلك اختلاف ، فسكنهم خالد بن يزيد ، ودخل الضحاك الدار ، فمكثوا أياماً ، ثم خرج الضحاك فصلى بالناس ، وذكر يزيد فشتمه ، فقام إليه رجل من كلب فضربه بعصاً ، فاقتتل الناس بالسيوف ، ودخل الضحاك داره ، وافترق الناس ثلاث فرق ، فرقة زبيرية ، وفرقة بحدلية هواهم في بني أمية ، وفرقة لا يبالون ، وأرادوا أن يبايعوا الوليد بن عقبة بن أبي سفيان ، فأبىٰ وهلك تلك الليالي ، فأرسل الضحاك إلى مروان ، فأتاه هو وعمرو بن سعيد الأشدق ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد ، فاعتذر إليهم وقال: اكتبوا إلى حسان حتى ينزل الجابية ونسير إليه ، ونستخلف أحدكم ، فكتبوا إلى حسان ، فأتى الجابية ، وخرج الضحاك وبنو أمية يريدون الجابية ، فلما استقلت الرايات موجهة قال معن بن ثور ومن معه من أشراف قيس للضحاك: دعوتنا إلى بيعة رجل أحزم الناس رأياً وفضلاً وبأساً ، فلما أجبناك خرجت إلى هذا الأعرابي تبايع لابن أخيه؟ قال: فما العمل؟ قالوا: تصرف الرايات ، وتنزل فتظهر البيعة =

= لابن الزبير ، ففعل وتبعه الناس ، وبلغ ابنَ الزبير ، فكتب الضحاك بإمرة الشام ، ونفي من بمكة والمدينة من الأمويين ، فكتب الضحاك إلى الأمراء الذين دعوا إلى ابن الزبير فأتوه ، فلقيهم بأذرعات عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق ، فحدثوه ، فقال لمروان: سبحان الله ، أرضيت لنفسك بهذا ، أتبايع لأبي خبيب وأنت سيد قريش وشيخ بني عبد مناف! والله لأنت أولىٰ بها منه ، قال: فما ترىٰ؟ قال: الرأي أن ترجع وتدعو إلى نفسك ، وأنا أكفيك قريشاً ومواليها ، فرجع ونزل عبيد الله بباب الفراديس ، فكان يركب إلى الضحاك كل يوم ، فعرض له رجل فطعنه بحربة في ظهره ، وعليه من تحت الدرع ، فانثنت الحربة ، فرجع عبيد الله إلى منزله ، فأتاه الضحاك يعتذر ، وأتاه بالرجل فعفا عنه ، وعاد يركب إلى الضحاك ، فقال له يوماً: يا أبا أنيس ، العجب لك وأنت شيخ قريش ، تدعو لابن الزبير وأنت أرضى عند الناس منه ، لأنك لم تزل متمسكاً بالطاعة ، وابن الزبير مشاق مفارق للجماعة ، فأصغى إليه ودعا إلى نفسه ثلاثة أيام ، فقالوا: قد أخذت عهودنا وبيعتنا لرجل ، ثم تدعو إلى خلعه من غير حدث أحدث! وامتنعوا عليه ، فعاد إلى الدعاء لابن الزبير ، فأفسده ذلك عند الناس ، فقال عبيد الله بن زياد: من أراد ما تريد لم ينزل المدائن والحصون ، بل يبرز ويجمع إليه الخيل فاخرج عن دمشق وضم إليك الأجناد ، فخرج ونزل المرج ، وبقي ابن زياد بدمشق ، وكان مروان وبنو أمية بتدمر ، وابنا يزيد بالجابية عند حسان فكتب عبيد الله إلى مروان: ادع الناس إلى بيعتك ، ثم سر إلى الضحاك فقد أصحر لك ، فبايع مروان بنو أمية ، وتزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية ، وهي بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة ، واجتمع خلق على بيعة مروان ، وخرج ابن زياد فنزل بطرف المرج ، وسار إليه مروان في خمسة الاف ، وأقبل من حوارين عباد بن زياد في ألفين من مواليه ، وكان بدمشق يزيد بن أبي النمس فأخرج عامل الضحاك منها ، وأمر مروان بسلاح ورجال ، فقدم إلى الضحاك زفر بن الحارث الكلابي من قنسرين ، وأمده النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، فصار الضحاك في ثلاثين ألفاً ، ومروان في ثلاثة عشر ألفاً أكثرهم من رجاله ولم يكن في عسكر مروان غير ثمانين عتيقاً نصفها لعباد بن زياد ، فأقاموا بالمرج عشرين يوماً يلتقون في كل يوم ، وكان على ميمنة مروان عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال عبيد الله: إنا لا ننال من الضحاك إلاَّ بمكيدة ، فادع إلى الموادعة ، فإذا أمنوا فكرّ عليهم ، فراسله مروان ، فأمسك الضحاك والقيسية عن القتال ، وهم يطمعون أن مروان يبايع لابن الزبير ، فأعدّ مروان أصحابه وشدَّ على الضحاك ، ففزع قومه إلى راياتهم ، ونادى الناس: يا أبا أنيس أعجزاً بعد كيس! فقال الضحاك نعم أنا أبو أنيس عجزٌ لعمري بعد كيس ، والتحم الحرب ، وصبر الضحاك فترجل مروان وقال: قبح الله من يوليهم اليوم ظهره حتى يكون الأمر لإحدىٰ الطائفتين ، فقتل الضحاك ، وصبرت قيس على رايتها يقاتلون عندها ، فاعترضها رجل بسيفه ، فكان إذا سقطت الراية تفرق أهلها ، ثم انهزموا فنادىٰ منادي مروان

ثم دخلت سنة خمس وستين

قال أبو جعفر: وكان هلاك مروانَ في شهر رمضانَ بدمشق، وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقديّ؛ وأمّا هشام بن محمد الكلبي فإنه قال: كان يومَ هَلَك ابنَ إحدى وستين سنة؛ وقيل: تُوفِّي وهو ابن إحدى وسبعين سنة؛ وقيل: ابن إحدى وثمانين سنة؛ وكان يُكنى أبا عبد الملك، وهو مروان بن الحكَم بن

لا تتبعوا مولياً. [تاريخ الإسلام للذهبي (/ ١٣٤ ـ ١٣٦)، تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٠ ـ ١٢)]. قلنا: وهذا إسناد مركب فالمدائني الأخباري المعروف يرويه من طريقين: (الأول): من طريق خالد بن يزيد عن أبيه. (والثاني): من طريق مسلمة بن محارب عن حرب بن خالد. وفي الأول: خالد بن يزيد ضعيف. والطريق الثاني فيه: مسلمة بن محارب ذكره ابن حبان في الثقات وأثنى عليه كما نقل الذهبي، وحرب بن خالد ثقة، والطريقان يعتضدان ببعضهما ويتبين لنا من المتن ما يلي:

١ ـ أن ولاة الشام قد بايعوا لعبد الله بن الزبير سوىٰ الضحاك الذي دعا إلى بيعته سراً وهو علىٰ دمشق ثم أصبح أميراً من قبل ابن الزبير على الشام وخاض المعارك ضد مروان وابن زياد وانتصروا عليه في آخر الأمر.

٢ ـ وأن مروان سار يريد البيعة لابن الزبير بعد أن أعلن الضحاك بيعته لعبد الله بن الزبير وطُرد ابن زياد من العراق وبنو أمية من الحجاز إلاّ أن الطاغية عبيد الله أثناه عن ذلك، وإلاّ كانت الأمة تتجه نحو الاجتماع على ابن الزبير والله أعلم.

٣ ـ ذكرت هذه الرواية أعداد الجيشين (جيش الزبيريين) بقيادة الضحاك حوالي (٣٠,٠٠٠) (وجيش مروان) بما يقارب (١٣,٠٠٠) وهذان العددان بعيدان من المبالغة التي نراها في الروايات غير الصحيحة (٦٠ ألف وما إلى ذلك).

٤ ـ تبين هذه الرواية أن مروان بن الحكم وابن زياد انتصرا على الضحاك بمكيدة وحيلة وذلك يبين دهاء مروان وبني أمية بصورة عامة وبساطة أمراء ابن الزبير كالضحاك بن قيس ولقد كان لهزيمة الضحاك أثراً كبيراً في انحسار حكم ابن الزبير رضي الله عنه.

٥ ـ تبين العبارة الأخيرة من الرواية (فنادىٰ منادي مروان لا تتبعوا موليّاً) أن بني أمية لم يكونوا طلاب قتل وسفك إذا ما كانت المعارضة غير مسلمة وإنما كانوا شديدين على من يخرج عليهم للإطاحة بهم وكان شأنهم إكرام أعلام أهل البيت الذين لم يخرجوا عليهم، وإكرام معاوية رضي الله عنه للحسن والحسين رضي الله عنهما ومن بعدهما أكرم بنو أمية ابن الحنفية وزين العابدين وغيرهما ـ وسنعود إلى هذه الرواية مرة أخرىٰ أثناء حديثنا عن أسباب ذهاب إمارة ابن الزبير رضي الله عنه.

أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس ، وأمُّه آمنة بنت علقمة بن صَفْوان بن أميّة الكنانيّ ، وعاش بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر؛ وقيل: عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر إلاّ ثلاث ليال ، وكان قبل هلاكه قد بعث بعثَيْن: أحدهما إلى المدينة ، عليهم حُبَيش بن دُلجَة القَينيّ ، والآخر منهما إلى العراق ، عليهم عُبيد الله بن زياد ، فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة ، فأتاه الخبر بها بمَوْت مروان ، وخرج إليه التوّابون من أهل الكوفة طالبين بدَم الحسين ، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكرُه ، وسنذكر إن شاء الله باقيَ خبره إلى أن قُتل[١] . [٥: ٦١١].

ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعونُ الذي يقال له الطاعون الجارف ، فهلك به خلقٌ كثير من أهل البَصْرة.

حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال: حدّثني زهير بن حرب ، قال: حدّثنا وهب بنُ جرير ، قال: حدّثني أبي عن المصعب بن زيد أن الجارفَ وقع وعبيد الله بن عبيد الله بن معمر على البصرة ، فماتت أمه في الجارف ، فما وجدوا لها من يحمِلها حتى استأجروا لها أربعة عُلُوج فحملوها إلى حُفْرتها وهو الأمير يومئذ[٢] .

---

(١) قال خليفة: قرىء على يحيىٰ بن بكير وأنا أسمع عن الليث قال ـ في سنة ٦٥ هـ ـ: دخل مروان مصر في هلال شهر ربيع الآخر من مصر في جمادى الآخرة ثم توفي في مستهل رمضان. [تاريخ خليفة (٢٥٧)].
وقال ابن كثير: وكانت وفاته بدمشق عن إحدىٰ ، وقيل: ثلاث وستين سنة. وقال أبو معشر وغير واحد ـ: كان عمره يوم توفي إحدى وثمانين سنة. [البداية والنهاية (٧/ ٥٢)].

(٢) رجال ثقات سوى المصعب بن زيد.
قال ابن كثير: قال ابن جرير: وفي هذه السنة (٦٥) كان الطاعون الجارف بالبصرة ، وقال ابن الجوزي في المنتظم: كان في سنة (٦٤) وقد قيل: إنما كان في سنة (٦٩) ، وقال ابن كثير: وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي وغيره وكان معظمه بالبصرة. [البداية والنهاية (٧/ ٥٦)].

مقتل نافع بن الأزرق واشتداد أمر الخوارج

وفي هذه السنة اشتدّت شوكة الخوَارج بالبصرة ، وقتل فيها نافعُ بنُ الأزرق.

ذكر الخبر عن مقتله :

حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا زهير بن حرب ، قال: حدّثنا وهب بن جرير ، قال: حدّثنا أبي ، عن محمد بن الزبير ، أنَّ عبيد الله بن عبيد الله بن مَعمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله إلى نافع بن الأزرق في جيش ، فلقيهم بدولاب ، فقُتِل عثمان وهُزِمَ جيشُه[1]. [٥ : ٦١٣].

قال عمر : قال زهير : قال وهب : وحدّثنا محمد بن أبي عيينة ، عن سبْرة بن نخْف ، أنّ ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق ، فهُزِم جندهُ وقُتِل؛ قال وهب : فحدّثنا أبي أنّ أهل البَصْرة بعثوا جيشاً عليهم حارثةُ بن بدر ، فلقيهم ، فقال لأصحابه :

كَرْنبُوا ودَوْلِبُوا وحيثُ شئتمْ فاْذهَبُوا[2]

[٥ : ٦١٣].

حدّثنا عمر ، قال: حدّثنا زهير ، قال: حدّثنا وهب ، قال: حدّثنا أبي ومحمد بن أبي عيينة ، قالا : حدثنا معاوية بن قرّة ، قال: خرجنا مع ابن عُبيس فلقيناهم ، فقتل ابن الأزرق وابنان أو ثلاثة للماحُوز ، وقُتِل ابن عُبيس[3]. [٥ : ٦١٣].

---

(١) رجال هذا الإسناد ثقات سوىٰ محمد بن الزبير ضعفه غير واحد (تهذيب ٥٨٠٩) ولكن المتن يشهد له ما سيذكر الطبري بعد قليل.

(٢) في إسناده سبرة بن نخف ذكره ابن حبان في الثقات والذي روىٰ عنه ابن أبي عيينة كذلك ذكره ابن حبان في الثقات ، وهو معروف بالحكايات لا بالحديث وترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه ، وانظر الخبر الآتي.

(٣) هذا إسناد صحيح ولا يضر محمد بن أبي عيينة فقد تابعه جرير ، وهو ثقة من رجال الصحيح والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير : وفي هذه السنة (٦٥ هـ) اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة وفيها قتل =

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة دَعَا المثنَّى بن مخرِّبة العبديّ إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها؛ فحدّثني أحمد بن زهير عن عليّ بن محمَّد، عن عبد الله بن عطيَّة اللّيثي وعامر بن الأسود، أنّ المثنّى بن مخرّبة العبديّ كان مِمَّن شهد عينَ الوَرْدة مع سليمانَ بن صُرَد، ثمّ رجع مع مَن رجع مِمَّن بقي من التَّوّابين إلى الكوفة، والمختار محبوس، فأقام حتَّى خرج المختار من السجن، فبايعه

= نافع بن الأزرق وهو رأس الخوارج ورأس البصرة مسلم بن عبيس فارس أهل البصرة... إلى أن قال: وقتل في وقعة الخوارج قرة بن إياس المزني أبو معاوية وهو من الصحابة. [البداية والنهاية (٧/ ٥٣)].

كلمة عن سليمان بن صرد وحركة التوابين

لقد ذكر الطبري هذه الأخبار من طرق واهية ذكرناها في قسم الضعيف والذي في كتب التاريخ أن سليمان بن صرد كان من بين وجهاء القبائل الذين أرسلوا بيعتهم إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ولكنهم تخاذلوا عن نصرته حين وصل إلى العراق وتركوه لسيوف عبيد الله بن زياد، فلما استشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما ندم سليمان ندماً شديداً وأحسَّ بالذنب الذي اقترفه في حق الحسين رضي الله عنه فخرج على والي العراق ودارت معركة المسماة (عين الوردة) وقتل سليمان بن صرد مع بعض أصحابه ونجىٰ بعضهم كالمثنى بن مخرمة العبدي.

وأخرج أبو العزب التميمي الأخباري في كتابه المحن [ذكر قتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة].

قال: حدثنا عيسىٰ بن مسكين وسعيد بن إسحاق عن محمد بن سحنون أن سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة قتلهما مقدمة عبيد الله بن زياد وكان على مقدمته شريك بن ذي الكلاع فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وإنما خرجا مع جماعة يطلبون دم الحسين. [المحن / ١٩١].

قلنا: ولقد كانت وقعة عين الوردة سنة (٦٥ هـ) وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٤٩).

المثنَّى سرّاً ، وقال له المختار : الحقْ بَبَلدك بالبصرة فارْعَ الناسَ ، وأسِرّ أمْرَكَ ، فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم فلمَّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة ومَنَعَ عمرَ بنَ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة خرج المثنَّى بن مخرّبة فاتَّخذ مسجداً ، واجتمع إليه قومه ، ودعا إلى المختار ، ثمّ أتى مدينة الرّزق فعسكر عندَها ، وجمعوا الطعامَ في المدينة ، ونحَروا الجُزُر ، فوجَّه إليهم القُباعُ عبَّادَ بن حصين وهو على شُرْطته ، وقيس بن الهيثم في الشّرَط والمقاتلة ، فأخذوا في سكَّة الموالي حتَّى خرجوا إلى السَّبخة ، فوقفوا ، ولزِم الناسُ دورَهم ، فلم يخرج أحد ، فجعل عبَّاد ينظر هل يرى أحداً يسأله! فلم ير أحداً؛ فقال : أما هاهنا رجلٌ من بني تميم؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عديّ ، عديّ الرِّباب : هذه دار ورَّاد مولَى بني عبد شَمْس؛ قال : دُقّ الباب ، فدقَّه ، فخرج إليه ورَّاد ، فشَتَمه عبَّاد وقال : ويْحَك! أنا وَاقفٌ هاهنا ، لِمَ لَمْ تخرج إليَّ! قال : لم أدر ما يوافقك ، قال : شُدَّ عليك سلاحَك واركب ، ففعل ، ووَقفوا ، وأقبل أصحابُ المثنَّى فواقفوهم ، فقال عبَّاد لورّاد : قف مكانَك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم وورّاد ، ورجع عبَّاد فأخذ في طريق الذّبَّاحين ، والنَّاس وقوفٌ في السَّبَخة ، حتَّى أتى الكلأ ، ولمدينة الرّزَق أربعة أبواب : باب مِمَّا يلي البصرة ، وباب إلى الخلاّلين ، وبابٌ إلى المسجد وبابٌ إلى مهب الشمال؛ فأتى الباب الَّذي يلِي النهر مِمَّا يلي أصحاب السقَط ، وهو بابٌ صغيرٌ ، فوقف ودعا بسلَّم فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلاً ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبير فكروا على السطوح ، ورجع عبَّاد إلى قيس بن الهيثم وقال لورّاد : حَرّشِ القومَ؛ فطارَدَهم ورّاد ، ثم التبس القتال فقُتِل أربعون رجلاً من أصحاب المثنَّى ، وقُتِل رجل من أصحاب عبَّاد ، وسمع الَّذين على السطوح في دار الرزق الضجَّة والتكبير ، فكبَّروا ، فهرب من كان في المدينة ، وسمع المثنَّى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عبَّاد وقيس بن الهيثم الناسَ بالكفّ عن اتباعهم وأخذوا مدينة الرّزق وما كان فيها ، وأتى المثنَّى وأصحابُه عبدَ القيس ورجع عبَّاد وقيس ومَنْ معهما إلى القُباع فوجّههما إلى عبد القيس ، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر ، وأتاهم عبَّاد من طريق

المِرْبد ، فالتَقَوْا فأقبل زياد بن عَمْرو العَتَكيّ إلى القُباع وهو في المسجد جالس على المنبر ، فدخل زياد المسجدَ على فرَسه؛ فقال: أيُّها الرجل. لتردّن خيلَك عن إخواننا أو لنقاتلنَّها. فأرسل القُباع الأحنفَ بنَ قيس وعمرَ بنَ عبد الرحمن المخزوميّ ليُصلحا أمرَ الناس ، فأتَيَا عبد القيس ، فقال الأحنف لبكْر والأزْد وللعامَّة: ألستم على بيعة ابن الزبير! قالوا: بلى ، ولكنَّا لا نُسلِم إخوانَنا. قال: فمروهم فليخرجوا إلى أيّ بلاد أحبّوا ، ولا يُفسدوا هذا المِصرَ على أهله ، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤوا ، فمشى مالكُ بن مُسِمْعَ وزيادُ بن عمرو ووجوهُ أصحابهم إلى المثنَّى ، فقالوا له ولأصحابه: إنَّا والله ما نحن على رأيكم ، ولكنَّا كرهنا أن تضاموا ، فالحقوا بصاحبكم ، فإنَّ من أجابكم إلى رأيكم قليل ، وأنتم آمنون ، فقَبِل المثنَّى قولَهما وما أشارا به ، وانصرف. ورجع الأحنف وقال: ما غَبِنت رأيي إلا يومِي هذا ، إني أتيت هؤلاء القومَ وخلَّفت بكراً والأزد ورائي ، ورجع عبّاد وقيس إلى القُباع ، وشخص المثنَّى إلى المختار بالكُوفة في نفرٍ يسير من أصحابه ، وأصيب في تلك الحرب سُويد بنُ رئاب الشَّنّيّ ، وعقبة بن عشيرة الشنِّيّ ، قَتَلَه رجل من بني تميم وقُتل التميميّ فَوَلَغ أخو عقبة بن عشيرة في دَم التميميّ ، وقال: ثأري. وأخبر المثنَّى المختار حين قَدم عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمعَ وزياد بن عمرو ومسيرهما إليه ، وذبّهما عنه حتَّى شخص عن البصرة ، فطَمع المختار فيهما ، فكتب إليهما: أمَّا بعد ، فاسمعا وأطيعا أوتِكما من الدنيا ما شئتما ، وأضمن لكما الجنَّة ، فقال: مالكٌ لزياد: يا أبا المغيرة ، قد أكثر لنا أبو إسحاقَ إعطاءَنا الدنيا والآخرة! فقال زياد لمالك مازحاً: يا أبا غسَّان ، أمَّا أنا فلا أقاتل نسيئةً ، مَن أعطانا الدّراهَم قاتَلْنا معه ، وكتب المختارُ إلى الأحنف بن قيس.

من المختار إلى الأحنف ومَن قِبَله ، فسَلْم أنتم ، أمَّا بعد ، فويلُ أمّ ربيعةَ من مضَر ، فإنّ الأحنفَ مُورد قومَه سَقَر ، حيث لا يستطيع لهم الصَّدَر ، وإني لا أملك ما خُطّ في القَدَر ، وقد بلغني أنَّكم تسمُّونني كذّاباً.

وقد كُذّب الأنبياء من قَبْلي ، ولستُ بخير من كثير منهم.

وكتب إلى الأحنف.

إذا اشتريتَ فَرساً من مالِكَا ثمّ أخذتَ الجَوْبَ في شِمالِكَا
فاجعلْ مِصاعاً حذما مِن بالِكا[1] [٦ : ٦٦ ـ ٦٩]

حدّثني أبو السائب سَلْم بن جُنادة ، قال: حدّثنا الحسن بن حمَّاد ، عن حِبّان بن عليّ ، عن المجالد ، عن الشَّعبيّ ، قال: دخلتُ البَصْرة فقعدتُ إلى حَلْقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لي بعضُ القوم: مَن أنْتَ؟ قلت: رجلٌ من أهل الكوفة ، قال: أنتم موالٍ لنا؛ قلت: وكيف؟ قال: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم مِن أصحاب المختار ، قلتُ: تدري ما قال شيخُ هَمْدان فينا وفيكم؟ فقال الأحنف بن قيس: وما قال؟ قلت: قال:

أَفَخَرْتُمْ أَنْ قَتَلتمْ أَعبُداً وهزمتمْ مَرَّةً آلَ عزَلْ
وإذَا فاخَرْتُمُونا فاذْكُروا ما فعلْنا بكُم يومَ الجمَلْ
بينَ شيخٍ خاضبٍ عُثْنُونَهُ وفتى أبيضَ وضَّاح رِفَلْ
جاءَنا يَهْدِجُ في سابغةٍ فذَبَحْناه ضُحىً ذَبْحَ الحمَلْ
وعفْونا فَنَسِيتُمْ عفوَنا وكَفَرتُمْ نِعْمَةَ اللهِ الأجَلّ
وقَتَلتمْ خَشَبِيِّين بهمْ بدلاً من قومِكمْ شرَّ بَدَلْ

فغضب الأحنف ، فقال: يا غلام ، هات تلك الصحيفة. فأتِيَ بصحيفة فيها:

بسم الله الرّحمن الرحيم. من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أمَّا بعد ، فويلُ أم ربيعةَ ومضرّ ، فإنّ الأحنف مُوردٌ قومَه سَقرَ ، حيثُ لا يَقدرون على الصَّدَر ، وقد بلغني أنّكم تُكذّبوني ، وإن كُذّبتُ فقد كُذّب رسلٌ مِن قَبْلي ، ولستُ أنا خيراً منهم. فقال: هذا منَّا أو منكم![2] [٦ : ٦٩ ـ ٧٠].

---

(١) وهذا إسناد مرسل متعدد المخارج ذكرناه هنا في قسم الصحيح والله أعلم.

(٢) وفي إسناده مجالد تُكلّم فيه، وقال الحافظ: ليس بالقوي ، وقال الهيثمي: وتكلم فيه ووثق.
ولقد تابع حبان بن علي غير واحد في روايته هذه عن مجالد عن الشعبي.
فقد أخرج الفسوي: قال ثنا أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي ثنا عمي محمد بن سعيد ثنا المجالد عن الشعبي قال: كنت أجالس الأحنف فأفاخر جلساءه من أهل البصرة بأهل الكوفة. فقال: أنتم خول لنا استنقذناكم من عبيدكم فذكرته كلمة قالها أعشىٰ همدان. . إلخ الرواية. [المعرفة والتاريخ للفسوي / تحقيق الأستاذ العمري (٢/ ٣٠)].

قال أبو جعفر: وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير، وكان على المدينة مصعب بن الزبير مِن قِبَل أخيه عبد الله، وعلى البصرة الحارثُ بنُ عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة، وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها، وبخُراسان عبد الله بن خازم. [٦ : ٨٠].

* * *

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

مقتل عبيد الله بن زياد

وحدّثني عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني سليمان، قال: حدّثني عبد الله بن المبارك، قال: حدّثني الحسن بن كثير، قال: كان شريكُ بن جدير التغلِبيّ مع عليّ عليه السلام، أُصيبتْ عينه معه، فلمّا انقضت حربُ عليّ لحق ببيت المقدس، فكان به، فلمّا جاءه قتلُ الحسين، قال: أعاهِدُ الله إن قدرت على كذا وكذا - يَطلُب بدم الحسين - لأقتلنّ ابنَ مرجانة أو لأموتنّ دونَه، فلمّا بلغه أنَّ المختار خرج يَطلُب بدم الحسين أقبل إليه. قال: فكان وجّهه مع إبراهيم بن الأشتر، وجُعِل على خيل ربيعة، فقال لأصحابه: إنِّي عاهدتُ الله على كذا وكذا، فبايعه ثلثمئة على الموت، فلمّا التقَوا حَمَل فجعل يَهتِكها صفّاً صفّاً مع أصحابه حتّى وصلوا إليه، وثار الرّهَج فلا يُسمَع إلا وقع الحديد والسيوف، فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد؛ التَّغلبيّ وعبيدُ الله بن زياد، قال: وهو الَّذي يقول:

= وأخرج الفسوي كذلك من طريق أبي عثمان عن أبيه عن مجالد عن الشعبي به، وفي آخره قلت (الشعبي): يغفر الله لك أبا بحر كنا نمزح ونضحك. قال: لتخبرني ممن هو؟ قلت: يغفر الله لك، قال: لتخبرني، قلت: من أهل الكوفة، قال: فكيف تفاخر أهل البصرة وهذا منكم؟.

وأخرجه الفسوي مختصراً من طريق الحميدي عن سفيان عن مجالد عن الشعبي به. اهـ.

قلنا: فمدار هذه الرواية على مجالد وهو ليس بالقوي عند الحافظ ابن حجر، وقال الهيثمي: فيه كلام وقد وثق والله أعلم.

كـــلُّ عيـــش قـــد أَرَاهُ قَـــذِراً غيْر رَكـز الرمحِ في ظـلّ الفَـرَسْ[١]

[٦: ٩٠ ـ ٩١]

---

(١) رجال هذا الإسناد ثقات وبعضهم رجال الصحيح سوىٰ الحسن بن كثير فقد ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ١٦٧) وسماه البجلي ، وترجم له أبو حاتم ، وقال العجلي : الكوفي وفي نسخة البجلي وذكر له ثلاثة من الرواة وسكت عنه . [الجرح والتعديل (٣/ ٣٤/ تر ١٤٣)].

ومثل هذا قبلنا روايته التاريخية بالشروط الثلاثة التي ذكرناها في المقدمة .

ولعلَّ أصحَّ من هذه الرواية ما رواه البلاذري .

إذ أخرج البلاذري قال: حدثنا خلف بن سالم وأبو خيثمة قالا: ثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، حدثني إبراهيم الأشتر قال: مَرَّ بي ابن زياد يوم الخازر فسطع منه المسك وأنا لا أعرفه ، فظننت أنه رجل له منزلة في القوم ومال فقصدت له فضربته على رأسه بالسيف فخرَّ بين قوائم برذونه يخور كخوار الثور فنظرت فإذا هو ابن زياد. [أنساب الأشراف (١/ ٢٥١)].

قلنا: وأيّاً كان قاتل عبيد الله بن زياد فقد تخلصت الأمة بمقتله من أمير جائر طالما نهره أصحاب رسول الله ﷺ وزجروه وأمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر والظلم وبخس الناس أشيائهم كما سنذكر إن شاء الله في خلاصتنا عن أسباب زوال سلطان بني أمية وذلك في نهاية حوادث سنة (١٣٦ هـ) ولقد وصفه الإمام الذهبي خير وصف إذ قال ـ في ترجمته ـ: وكان جميل الصورة قبيح السريرة.

وقال أيضاً: قيل: كانت أمّه مرجانة من بنات ملوك الفرس. [مختصر سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٥/ تر ١٤٥)].

قلنا: ولعل البعض يُرجع السبب في ظلم عبيد الله بن زياد وإمعانه في حرب الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى تربية أمه مرجانة لأنها كانت حاقدة على المسلمين الذين سلبوا آباءهم ملكهم الكسروي بسبب الفتوحات الإسلامية العظيمة ، ولكن هذا احتمال وظن وتخمين ليس إلاَّ ولا أحد ينكر أن عدداً من الصحابة تزوجوا نساء فارسيات فأنجبن لهم خيرة العلماء والفضلاء والأئمة والمؤرخ المنصف لا يثبت هذه الأمور بمجرد الظن والحدس والتخمين والله أعلم.

كلمة عن المختار بن عبيد الله الثقفي وحركته الهدامة

قلنا: لقد أخرج الطبري روايات كثيرة عن المختار هذا الذي ادعّىٰ النبوة وتلوّن بألوان عدة وتقلب بين ولاآت متعددة وأحدث بلبلة كبيرة في المجتمع الإسلامي وانتهت حركته بمقتله سنة (٦٧ هـ) ، ولقد ذكرنا معظم هذه الروايات في قسم الضعيف وذكرنا أقلّها ضعفاً في قسم الصحيح آنفاً مع رواية أو روايتين صحيحة ذكرناها كذلك في الصحيح.

= ولقد حاول الإمام الحافظ الذهبي ـ رحمه الله أن يلخص ما كتبه المؤرخون المتقدمون في أخبار المختار الكذاب أودعها كتابه القيم سير أعلام النبلاء وسنذكر ما قاله بتصرف واختصار.
وقبل أن نذكر خلاصة الذهبي نودّ أن نذكر حديثاً ورد في هذه المسألة التاريخية [والحديث جزء من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام].
فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه [كتاب فضائل الصحابة / باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها / ح ٢٥٤٥] وفي آخر الحديث قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أما إن رسول الله ﷺ حدثنا «أن في ثقيف كذاباً ومبيراً) فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه».
قال النووي ـ في شرح حديث أسماء هذا ـ: وقولها في الكذاب: (فرأيناه) تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي كان شديد الكذب ادَّعىٰ أن جبريل يأتيه، واتفق العلماء علىٰ أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف. [شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٠٠)].
وأخرج أحمد في مسنده بسند حسن عن رفاعة قال: دخلت على المختار فألقىٰ لي وسادة وقال: لولا أن جبريل قام عن هذه لألقيتها لك، فأردت أن أضرب عنقه... إلخ. [مسند أحمد (٥/ ٢٢٣)].
والحديث أخرجه البلاذري أيضاً عن رفاعة بن شداد. [أنساب الأشراف (١/ ٢٣٣)].
قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في خلاصته: ونشأ المختار فكان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة والدهاء وقلّة الدين وقد قال النبي ﷺ: «يكون في ثقيف كذاب ومبير» فكان الكذاب هذا ادَّعىٰ أن الوحي يأتيه وأنه يعلم الغيب وكان المبير الحجاج قبَّحهما الله. [مختصر سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٩/ تر ١٤٤)].
وقال الذهبي أيضاً: وكان المختار قد سار من الطائف بعد مصرع الحسين إلىٰ مكة، فأتى ابن الزبير، وكان قد طُرِدَ لِشَرِّه إلى الطائف فأظهر المناصحة، وتردد إلى ابن الحنفية، فكانوا يسمعون منه ما يُنكر. فلما مات يزيد، استأذن ابن الزبير في الرواح إلى العراق، فركن إليه، وأذن له، وكتب إلى نائبه بالعراق عبد الله بن مطيع يوصيه به، فكان يختلف إلى ابن مطيع، ثم أخذ يعيب في الباطن ابن الزبير، ويثني على ابن الحنفية، ويدعو إليه، وأخذ يشغب على ابن مطيع، ويمكر ويكذب، فاستغوىٰ جماعةً، والتفت عليه الشيعة، فخافه ابن مطيع، وفرّ من الكوفة، وتمكن هو، ودعا ابن الزبير إلى مبايعة محمد بن الحنفية، فأبىٰ، فحصره، وضيق عليه، وتوعَّده، فتألمت الشيعة له، ورد المختار إلى مكة، ثم بعث معه ابن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة على خراج الكوفة، فقدم المختار وقد هاجت الشيعة للطلب بالثأر، وعليهم سليمان بن صُرد، فأخذ المختارُ يفسدهم، ويقول: إني جئت من قبل المهدي ابن الوصي، يريد ابن الحنفية، فتبعه خلق، وقال: إن سليمان =

حدّثت عن عليّ بن حَرْب المَوْصليّ ، قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ سليمانَ

= لا يصنع شيئاً ، إنما يلقي بالناس إلى التهلكة ، ولا خبرة له بالحرب.
وخاف عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فذهب عبد الله بن يزيد الخطمي نائب ابن الزبير وإبراهيم بن محمد إلى ابن صرد ، فقالا: إنكم أحبُّ أهلِ بلدنا إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ، ولا تنقصوا عددنا بخروجكم ، قفوا حتى نتهيأ. قال ابن صرد: قد خرجنا لأمرٍ ولا نرانا إلاَّ شاخصين ، فسار ، ومعه كل مستميت ، ومرُّوا بقبر الحسين ، فبكوا ، وأقاموا يوماً عنده وقالوا: يا رب قد خذلناه ، فاغفر لنا ، وتب علينا؛ ثم نزلوا قرقيسيا ، فتم المصاف بعين الوردة ، وقتل ابن صرد وعامَّة التوابين ، ومرض عبيد الله بالجزيرة ، فاشتغل بذلك وبقتال أهلها عن العراق سنةً وحاصر الموصل.
وأما المختار ، فسجن مُدَّة ، ثم خرج ، فحاربه أهل الكوفة ، فقتل رفاعة بن شداد ، وعبد الله بن سعد ، وعدة ، وغلب على الكوفة وهرب منه نائب ابن الزبير ، فقتل جماعةً ممن قاتل الحسين ، وقتل الشمر بن ذي الجوشن ، وعُمَرَ بن سعد ، وقال: إن جبريل ينزل عليَّ بالوحي ، واختلق كتاباً عن ابن الحنفية إليه يأمره بنصر الشيعة ، وثار إبراهيم بن الأشتر في عشيرته ، فقتل صاحب الشرطة ، وسُرَّ به المختار ، وقوي ، وعسكروا بدير هند ، فحاربهم نائب ابن الزبير ، ثم ضَعُفَ واختفىٰ ، وأخذ المختار في العدل. وحسن السيرة.
وبعث إلى النائب بمالٍ ، وقال: اهرب ، ووجد المختار في بيت المال سبعة آلاف ألف درهم ، فأنفق في جيشه ، وكتب إلى ابن الزبير: إني رأيت عاملك مراهناً لبني أمية ، فكم يسعني أن أُقره ، فانخدع له ابن الزبير ، وكتب إليه بولاية الكوفة ، فجهز ابن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد في آخر ست وستين. [مختصر سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٠ ـ ٥٤١/ تر ١٤٤)].
وقال الذهبي: ووقع المصاف ، فقتل ابن زياد ، قدَّه ابن الأشتر نصفين. وكان بطل النخع ، وفارس اليمانية فدخل الموصل ، واستولى على الجزيرة ، ثم وجَّه المختار أربعة آلاف فارس في نصر محمد بن الحنفية ، فكلموا ابن الزبير ، وأخرجوه من الشعب ، وأقاموا في خدمته أشهراً ، حتى بلغهم قتلُ المختار ، فإن ابن الزبير علم مَكْرَهُ ، فندب لحربه أخاه مصعباً ، فقدم محمد بن الأشعث ، وشبث بن ربعي إلى البصرة يستصرخان الناس على الكذاب ، ثم التقى مصعب وجيش المختار ، فقتل ابن الأشعث ، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب ، وانفل الكوفيون ، فحصرهم مصعب في دار الإمارة ، فكان المختار يبرز في فرسانه ، ويقاتل حتى قتله طريف الحنفي وأخوه طرّاف في رمضان سنة سبع وستين. [مختصر سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٣/ تر ١٤٤)].
ولقد أرخ خليفة بن خياط لمقتل المختار بن أبي عبيد ضمن أحداث سنة (٦٧ هـ) وقال: دخل عليه القصر طريف وطراف أخوان من بني حنيفة فقتلاه. (تاريخ خليفة / ٢٦٤).

الحنفِيّ ، ابن أخي أبي الأحوص ، قال: حدّثنا محمد بن أبان ، عن علقمة بن مَرْثد ، عن سُوَيد بن غَفْلة ، قال: بَيْنا أنا أسيرُ بظَهْر النّجف إذ لَحقني رجل فَطعنني بمِخْصَرة مِن خَلفي ، فالتفتُّ إليه ، فقال: ما قولُك في الشيخ؟ قلتُ: أيّ الشيوخ؟ قال: عليّ بنُ أبي طالب؛ قلتُ: إني أشهد أني أحبّه بسَمعي وبصري وقلبي ولساني ، وقال: وأنا أشهِدك أني أبغِضه بسَمْعي وبصري وقلبي ولساني ، فسِرْنا حتى دخلْنا الكوفة ، فافترقْنا ، فمكَث بعد ذلك سِنينَ ـ أو قال: زماناً ـ قال: ثمّ إني لفي المسجد الأعظم إذ دخل رجلٌ معتمّ يتصفّح وجوهَ الخلق ، فلم يزل ينظر فلم يُرَلُحيً أحمق من لُحَى همْدان ، فجلس إليهم ، فتحوّلتُ فجلستُ معهم ، فقالوا: من أين أقبلتَ؟ قال: من عند أهلِ بيتِ نبيّكم ، قالوا: فماذا جئتنَا به؟ قال: ليس هذا موضع ذلك ، فوعدهم من الغد موعداً ، فَغَدا وغدوت ، فإذا قد أخرج كتاباً معه في أسفله طابع من رصاص ، فدفعه إلى غلام ، فقال له: يا غلام ، اقرأه ـ وكان أميّاً لا يكتب ـ فقال الغلام: بسم الله الرحمن الرّحيم ، هذا كتابٌ للمختار بن أبي عُبيد كتبه له وصيّ آلِ محمد؛ أمّا بعد فكذا وكذا.

فاستفرَغَ القوم البُكاء ، فقال: يا غلام ، ارفَع كتابَك حتى يُفيق القوم ، قلتُ: معاشر هَمْدان ، أنا أشهَد بالله لقد أدركني هذا بظَهر النّجف ، فقَصَصتُ عليهم قصّتَه ، فقالوا: أبيْتَ واللهِ إلاّ تَثْبيطاً عن آل محمد ، وتَزْييناً لنَعْثَلِ شَقّاقِ المَصَاحِف ، قال: قُلتُ: معاشرَ همْدان ، لا أحدّثكم إلا ما سمعت أُذنَايَ ، ووعاه قلبي من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، سمعتُه يقول: لا تُسمّوا عثمانَ شَقاقَ المصَاحف ، فوالله ما شقّقها إلاّ عن ملإٍ منّا أصحاب محمد ، ولو وليتُها لعَملتُ فيها مثلَ الذي عمل ، قالوا: آللهَ أنتَ سمعتَ هذا من عليّ؟ قلت: والله لأنا سَمعتُه منه ، قال: فتفرّقوا عنه ، فعند ذلك مالَ إلى العبيد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع[1]. [٦: ١١٣ ـ ١١٤].

قال أبو جعفر: وكان العاملُ لابن الزّبير في هذه السنة على المَدينة جابرُ بنُ

---

(١) في إسناده محمد بن أبان ضعفه غير واحد.
وأما دفاع علي رضي الله عنه عن عثمان رضي الله عنه فصحيح كما ذكرنا في موضعه عند الحديث عن الفتنة أيام عثمان رضي الله عنه فلينظر هناك. وأبهم الطبري اسم من حدثه عن علي الموصلي. والله أعلم.

الأسودُ بن عوف الزّهْريّ ، وعَلَى البَصرة والكوفة أخوه مُصعَب ، وعلى قضاءِ البَصْرة هشامُ بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بن عُتبة بن مسعود ، وعلى خُراسانَ عبدُ الله بن خازم السُّلَميّ ، وبالشأم عبدُ الملك بنُ مَرْوان . [٦ : ١٣٩].

ثم دخلت سنة تسع وستّين

ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو

ففيها كان خروجُ عبد الملك بنِ مَرْوان ـ فيما زعَم الواقديّ ـ إلى عينِ وَرْدة ، واستَخلف عمرَو بن سعيد بن العاص على دِمشق فتحصّن بها ، فَبَلَغ ذلك عبدَ الملك ، فرجع إلى دمَشق فحاصره ـ قال: ويقال: خرج معه ـ فلمّا كان ببُطْنانِ حَبيب ، رجع إلى دِمشقِ فتحصّن فيها ، ورجع عبد الملك إلى دِمشق .

وأمّا عَوانة بن الحَكَم فإنّه قال ـ فيما ذكَر هشام بن مُحمّد عنه : ـ إنّ عبدَ الملك بن مَرْوان لمّا رجع من بُطْنَان حبيب إلى دمَشق مَكَث بدِمَشق ما شاء الله ، ثمّ سار يريد قَرقِيسياءَ ، وفيها زُفَر بنُ الحارث الكلابِيّ ومعه عَمرُو بنُ سعيد ، حتّى إذا كان ببُطنان حَبيب فَتَك عَمرُو بن سعيد ، فرجع لَيْلاً ومعه حُميد بن حُريث بن بَحْدل الكلبيّ وزُهير بن الأبرد الكلبيّ ، حتى أتى دمشقَ وعليها عبدُ الرّحمن بن أمّ الحَكَم الثَّقَفيّ قد استَخلفَه عبدُ الملك ، فلمّا بلغه رجوعُ عَمرو بن سعيد هَرَب وترَك عملَه ، ودخَلَها عمرو فَغَلَب عليها وعلى خَزائنها .

* * *

وقال غيرُهما: كانت هذه القصّة في سنة سبعين ، وقال: كان مسير عبدِ المَلك من دِمشقَ نحوَ العراق يريد مُصعب بنَ الزّبير ، فقال له عمرو بنُ سعيد بن العاص: إنّك تَخرُج إلى العراق ، وقد كان أبوكَ وعَدَني هذا الأمرَ من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يَخفَ عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بَعدِك ، فلم يُجبه عبدُ الملك إلى شيء ، فانصرف عنه

عمرو راجعاً إلى دِمشقَ ، فرجع عبدُ الملك في أَثره حتَّى انتهى إلى دِمشق[1] [٦ : ١٤٩] .

قال الطبري : وأقام الحجَّ للناس في هذه السنة عبدُ الله بن الزبير .

وكان عاملَه فيها على المصرَين : الكوفة والبَصْرة أخوه مصعب بن الزّبير وكان على قضاء الكوفة شُرَيح وعلى قضاء البَصْرة هِشام بن هُبيرة وعلى خُراسان عبدُ الله بنُ خازم . [٦ : ١٤٩] .

ثم دخلت سنة سبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السَّنة ثارت الرّوم ، واستجاشوا على مَن بالشأم من ذلك من المسلمين ، فصالح عبد الملك ملكَ الروم ، على أن يؤدّى إليه في كلّ جمعة ألفَ دينار خوفاً منه على المسلمين[2] . [٦ : ١٥٠] .

قال الطبري : وحجّ بالنَّاس في هذه السَّنة عبدُ الله بن الزّبير .

وكان عُمَّاله على الأمصار في هذه السنة عمَّاله في السنة الَّتي قبلها على المعاون والقضاء[3] . [٦ : ١٥٠] .

---

(١) وقال خليفة ـ ضمن ذكره لأحداث سنة (٧٠ هـ) ـ: خلع عمرو بن سعيد العاص عبد الملك بن مروان. [تاريخ خليفة / ٢٦٣].
وذكر الحافظ الذهبي خروج الأشدق (عمرو بن سعيد) ومقتله ضمن أحداث سنة (٦٩ هـ). [البداية والنهاية (٧/ ١١٨)].
وذكر ابن كثير رأياً للواقدي يجمع بين الروايتين وهو أن عبد الملك حاصره سنة (٦٩ هـ) وقتله سنة (٧٠ هـ) والله أعلم.

(٢) وقال خليفة: كتب إليَّ بكار عن محمد بن عائذ قال: تخلَّى أهل الشام عن الغزو عام الردعة فأخذ خمس أموالهم من العطاء سنة سبعين. [تاريخ خليفة/ ٢٦٢].

(٣) قلنا : وكذلك قال خليفة : أن ابن الزبير حجَّ بالناس هذه السنة . [تاريخ خليفة/ ٢٦٢].

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مَرْوان فيها إلى العراق لحرب مُصعب بن الزبير[١]. [٦: ١٥١].

فحدّثني عمر بن شَبّة، قال: حدّثني عليّ بن محمد، قال: أقبل عبدُ الملك من الشأم يريد مُصعباً - وذلك قبل هذه السنة، في سنة سبعين - ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد، فقال خالد لعبد الملك: إن وجَّهتَني إلى البصرة وأتْبَعْتَني خيلاً يسيرة رجوتُ أن أغلب لك عليها. فوجَّهه عبد الملك، فقدمها مستخفياً في مواليه وخاصّته، حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهليّ[٢]. (٦: ١٥٢).

قال عمر: قال أبو الحسن: قال مسلمة بن محارب: أجار عمرو بن أصمع خالداً، وأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شُرطة ابن معمرَ - وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلَف عليها عبيدَ الله بن عبيد الله بن معمر - ورجا عمرو بن أصمع أن يبايعه عبّاد بن الحُصين - بأنّي قد أجَرْتُ خالداً فأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظَهراً. فوافاه رسولُه حين نزل عن فرسه، فقال له عبّاد: قل له: والله لا أضع لبدَ فرسي حتى آتيَكَ في الخيل. فقال عمرو لخالد: إني لا أغرّك، هذا عبّاد يأتينا الساعة، ولا والله ما أقدر على منعك؛ ولكن عليك بمالك بن مسْمَع.

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: ويقال إنَّه نزل على عليّ بن أصمع، فبلغ ذلك عبّاداً فأرسل إليه عبّاد: إني سائر إليك[٣]. [٦: ١٥٢].

حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني عليّ بن محمد، عن مسلمة وعَوانة أنّ

---

(١) ثم أخرج الطبري رواياتٍ عدةٍ منها الموصولة والمرسلة والمعضلة وكالروايات التي تلي هذه الرواية.

(٢) وإسناد الطبري إلى المدائني صحيح، وهو بدوره رواه معضلاً، وأنظر الرواية التي تليها.

(٣) قلنا: وهذه رواية أخرىٰ رواها الطبري مرسلاً عن مسلمة بن محارب والسطر الأخير رواه عن المدائني معضلاً.

خالداً خرج من عند ابن أصمع يركُض ، عليه قميص قُوهيّ رقيق ، قد حَسَره عن فخذيه ، وأخرَج رجليه من الرّكابين؛ حتى أتى مالكاً ، فقال: إني قد اضطررتُ إليك ، فأجِرْني ، قال: نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكْر بن وائل والأزد؛ فكانت أوّل راية أتته رايةُ بني يشكرُ. وأقبل عبَّاد في الخيل ، فتواقَفُوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوْا إلى حُفرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوْه؛ منهم صعصعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن بشْر ، ومرّة بن مِحْكَان ، في عدد منهم؛ وكان أصحاب خالد جُفريّة ينسبون إلى الجُفْرة ، وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيّة؛ فكان من الجُفْريّة عبيد الله بن أبي بَكْرة وحُمْران والمغيرة بن المهلّب ، ومن الزبيريّة قيس بن الهيثم السُّلَميّ؛ وكان يستأجر الرجل يقاتلون معه ، فتقاضاه رجل أجرةً فقال: غداً أعطيكها ، فقال غَطَفان بن أنيف ، أحد بني كعب بن عمرو:

لِبئس ما حكَمتَ يا جلاجِلُ … النَّقْدُ دَيْنٌ والطِّعانُ عاجِلُ

وأنْتَ بالبابِ سميرٌ آجِلُ

وكان قيس يعلّق في عنق فرسه جلاجل ، وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة القحيفيّ ، وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كلّ يوم ، فيعطيهم عشرة عشرة ، فقيل له:

لبئس ما حكمت يا بنَ وَبرَهْ … تُعطَى ثلاثينَ وتُعْطِي عَشَرهْ

ووجَّه المصعب زَحْر بن قيس الجُعْفيّ مَدداً لابن معمَر في ألف ، ووجَّه عبدُ الملك عبيد الله بنَ زياد بن ظَبْيانَ مدداً لخالد ، فكَره ، أن يدخلَ البَصرة ، وأرسل مطرَ بنَ التّوأم فرجع إليه فأخبره بتفرّق الناس ، فَلحق بعبد الملك[1]. (٦/ ١٥٢ _ ١٥٣).

قال أبو زيد: «قال أبو الحسن: حدّثني مسلمة أنّ المُصعَب لمَّا انصَرف عبدُ الملك إلى دمَشق لم يكن له همَّة إلاّ البصرة ، وطَمِع أن يُدرك بها خالداً ، فوجده قد خرج ، وأمّن ابنُ مَعمر النَّاس ، فأقام أكثرهم ، وخاف بعضهم مُصعَباً

(١) هذا إسناد مرسل متعدد المخارج ، ولذا ذكرنا الرواية في قسم الصحيح.

فشخص ، فغضب مُصعَب على ابن مَعمَر ، وحلف ألاّ يوليه ، وأرسل إلى الجُفريّة فسبَّهم وأنّبهم[١]. (٦/ ١٥٤).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا محمَّد بن سَلاّم ، عن عبد القاهر بن السَّريّ ، قال: همَّ أهلُ العراق بالغَدْر بمُصعَب ، فقال قيسُ بنُ الهيثم: ويحكم! لا تُدخلوا أهلَ الشأم عليكم ، فوالله لئن تَطعَّموا بعيشكم لَيُضْفِينّ عليكم منازلَكم ، والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشأم على باب الخليفة يفرح إن أرسَلَه في حاجة ، ولقد رأيتُنا في الصّوائف وأحدُنا على ألف بعير ، وإنّ الرجل من وجوههمْ ليَغزُو على فرسه وزادهُ خَلْفَه.

قال: ولمَّا تدَانَى العسكران بدَيْر الجاثَليق من مَسْكنَ ، تَقدّم إبراهيمُ بنُ الأشتر فحَمَل على محمَّد بن مَرْوان فأزالَه عن موضعه ، فوجَّه عبدُ الملك بن مروان عبدَ الله بن يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد بن مروان ، والتقى القومُ فَقُتِل مُسلم بن عمرو الباهليّ ، وقتِل يَحيَى بن مبشِّر ، أحد بني ثعلبة بن يَرْبوع ، وقتل إبراهيم بن الأشتر ، فهرب عتَّاب بنُ وَرْقاء ـ وكان على الخيل مع مصعَب ـ فقال مصعب لقطنَ بن عبد الله الحارثيّ: أبا عثمان ، قدّم خيلك ، قال: ما أرى ذلك ، قال: ولِمَ؟ قال: أكرَه أن تُقتَل مذْحجٌ في غير شيء ، فقال لحجَّار بن أبجَر: أبا أسيد ، قدّم رايتَك ، قال: إلى هذه العَذرة! قال: ما تتأخَّر إليه والله أنتن وألأم؛ فقال لمحمَّد بن عبد الرّحمن بنِ سعيد بن قَيْس مثل ذلك ، فقال: ما أرَى أحداً فَعَلَ ذلك فأفْعله. فقال مصعب: يا إبراهيم ولا إبراهيمَ ليَ اليوم! [٦: ١٥٧ـ ١٥٨].

حدّثني أبو زيد ، قال: حدّثني محمَّد بنُ سلاَم ، قال: أخبِر ابنُ خازم بمسير مُصعب إلى عبدِ الملك ، فقال: أمَعَه عمر بنُ عُبيد الله بن معمر؟ قيل: لا ، استَعمله على فارس ، قال: أفمعَه المهلَّبِ بنُ أبي صفرة؟ قيل: لا ، استعمله على الموصل ، قال: أفمعَه عبَّاد بن الحُصين؟ قيل: لا ، استخلفه على البصرة ، فقال: وأنا بخُراسان!

خُـذِينِـي فجُـرّينِـي جَعـارِ وأَبْشِـري ... بلَحْمِ آمِرىءٍ لم يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصِرُهْ

---

(١) هذا إسناد مرسل صحيح.

فقال مصعب لابنه عيسى بنِ مُصعَب: يا بُنيّ ، اركَب أنتَ ومن معك إلى عمِّك بمكَّة فأخبره ما صنع أهلُ العراق ، ودّعني فإني مقْتول.

فقال ابنهُ: واللهِ لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن إن أردت ذلك فالحقْ بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحَقْ بأمير المؤمنين ، قال مصعب: واللهِ لا تتحدّث قريش أني فررت بما صنعتْ ربيعةُ من خذلانها حتى أدخُل الحرمَ مُنْهزِماً ، ولكن أقاتل ، فإنْ قُتلت فلعَمْري ما السَّيف بعار ، وما الفرار لي بعادة ولا خُلُق ، ولكن إن أردت أن تَرجع فارجع فقاتلْ ، فرجع فقَاتل حتَّى قتل. [٦: ١٥٨].

قال عليّ بنُ محمَّد عن يحيى بن سعيد بن أبي المُهاجر ، عن أبيه إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان: إنّ ابن عمِّك يعطيك الأمان ، فقال مصعب: إنّ مثلي لا ينصرف عن مثلِ هذا الموقف إلاَّ غالباً أو مغلوباً. [٦: ١٥٨ ـ ١٥٩].

قال أبو جعفر: وقد قيل: إنّ ما ذكرتُ من مَقتَل مصعب والحرب الّتي جرتْ بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين ، وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البَصْرة من قِبَل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين ، وقُتِل مصعب في جُمَادىٰ الآخرة[١]. [٦: ١٦٢].

ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة

وفي هذه السَّنة دخل عبدُ الملك بنُ مروان الكوفةَ وفرّق أعمالَ العراق والمصرَيْن الكوفة والبصرة على عُمَّاله في قول الواقِديّ؛ وأمَّا أبو الحسن فإنَّه ذكرَ أنّ ذلك في سنة اثنتين وسبعين.

وحدّثني عمرُ ، قال: حدّثني علي بن محمد ، قال: قُتِل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلتْ من جمادى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين[٢]. [٦: ١٦٢].

---

(١) قلنا: ولقد أرخ خليفة لمقتل مصعب بسنة (٧٢ هـ) [تاريخ خليفة (٢٦٤)].
وأرخ ابن كثير لمقتله بسنة (٧١ هـ) ونسب ذلك إلى الجمهور. [البداية والنهاية (٧/ ١٢٤)].

(٢) لقد سبق أن تحدث الطبري عن تاريخ مقتله ونسب إلى الجمهور المؤرخين وعلماء التراجم والوفيات أنه قتل سنة (٧١ هـ) وانظر صحيح الطبري (٦/ ١٦٢) ، والبداية والنهاية (٧/ ١٢٤).

الخليفة عبد الملك يستقبل الوفود التي جاءت لبيعته بعد مقتل مصعب

وقال عليّ بنُ محمَّد: حدّثني القاسم بنُ مَعْن وغيرُه أنّ مَعْبَد بنَ خالد الجَدَليّ قال: ثمّ تقدّمْنا إليه معشرَ عَدْوان، قال: فقدَّمنا رجلاً وَسيما جَمِيلاً، وتأخَّرت ـ وكان مَعبد دميماً ـ فقال عبدُ الملك: من؟ فقال الكاتب: عَدْوان، فقال عبدُ الملك:

عَـــذيـــرُ الحـــيِّ مـــن عَـــدْوا نَ كـــانـــوا حَيَّـــةَ الأَرضِ

=

لماذا انتصر عبد الملك وخسر مصعب بن الزبير المعركة وقتل

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالىٰ جعل لتاريخ البشرية سنناً ولابد للباحث أن يستخلص العبر ويجد الأسباب الظاهرة المؤدية إلى الحدث، وما ذكرنا من روايات الطبري في قسم الصحيح تبين ما يلي:

لقد أخطأ مصعب بن الزبير حين أرسل قواده المعتمدين إلى الأطراف بعيداً عنه، فعبد الله بن خازم في خراسان وهو أحد قواده المعتمدين ولطالما حاول عبد الملك استمالته، والمهلب بن أبي صفرة ذلك القائد الشجاع المعروف ببراعته في الحرب بعيداً عنه، وعبَّاد بن حصين في البصرة، وعمر بن عبيد الله بن معمر استعمله على فارس، وأخيراً فإن إبراهيم بن الأشتر مقتول.

بالإضافة إلى عوامل أخرىٰ فإن بعض القواد أصيبوا بالملل من تواصل الفتن والمعارك بين المسلمين دون جدوىٰ: إضافةً إلىٰ من استماله عبد الملك ورغبه فخذل مصعباً في وقت حاسم وصعب، والله أعلم.

ولابأس بأن نستشهد برأي مؤرخ معاصر ويتحدث عن المعركة بين عبد الملك ومصعب:

يقول الدكتور يوسف العش ـ رحمه الله ـ ودخل الصراع الآن بين عبد الملك وعبد الله بن الزبير في مرحلة أخيرة فمصعب سائد في العراق وابن مروان في الشام لكن لكلا الرجلين متاعب في بلده، فمصعب يحارب الخوارج وجيشه يحوي العديد من الشيعة الذين أعمل القتل فيهم مع جيش المختار فكانوا ولا ريب يحقدون عليه للنفوس التي ذهب دمها هدراً. [الدولة الأموية/ ١٩٨].

ويقول العش: وكان ابن مروان يعرف حال العراق معرفة جيدة ويعرف أهله ويعرف السبيل إلى استماله قلوبهم وخير ما يتخذه لذلك هو التفريق بين مصعب وقواده، وقواد مصعب يؤخذون بالدهاء والمال والإمارة. [الدولة الأموية / ٢٠٠].

بغـــى بعضُهُـــمُ بَعْضـــاً فَلَـــم يَـــرْعَـــوْا علـــى بَعـــضِ
ومنهـــمْ كـــانـــتِ السَّـــادَا ت والمُـــوفُـــون بـــالقَـــرْضِ

ثمّ أقبلَ على الجميل فقال: إيه! فقال: لا أدري ، فقلتُ مِن خَلْفِه:

ومنهـــمْ حَكَـــمٌ يقضِـــي فـــلا يُنقَـــض مـــا يَقضِـــي
ومنهـــمْ مـــن يجِيـــزُ الحـ ـــجَّ بـــالسُّنـــة والفـــرْضِ
وهُـــمْ مُـــذْ ولِـــدِوا شَبّـــوا بسِـــر النســـب المحـــض

قال: فتركني عبدُ الملك ، ثمّ أقبَل على الجميل فقال: من هو؟ قال: لا أدري؛ فقلتُ مِن خلفه: ذو الإصبع؛ قال: فأقبَل على الجميل فقال: ولِمَ سمّي ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري؛ فقلتُ مِن خلفِهِ: لأنّ حيَّةً عضّت إصبعَهَ فقطَعَتْها ، فأقْبَل على الجميل فقال: ما كان اسمُه؟ فقال: لا أدري؛ فقلتُ من خلفه: حُرْثان بن الحارث ، فأقبَل على الجميل ، فقال: من أيِّكُم كان؟ قال: لا أدري ، فقلت مِن خلفِه: مِن بني ناج ، فقال:

أبَعْـدَ بنـي نـاجٍ وسَعْيِـك بينهـمْ فـلا تُتْبِعـنْ عَيْنَيـك مـا كـان هـالِكَـا
إذا قُلْـتُ مَعْـرُوفـاً لأُصلِـح بينهـمْ يقـول وُهَيْـبٌ: لا أُصـالـح ذَلكـا
فـأَضحِـي كظَهْـر العَيْر جُـبّ سَنَـامُـهُ تُطيـفُ بـه الِـولـدانُ أحـدبَ بَـاركـا

ثمّ أقبَل على الجميل ، فقال: كم عطاؤك؟ قال: سَبْعمئة ، فقال لي: في كَمْ أنتَ؟ قلتُ: في ثلثمئة؛ فأقبل على الكاتبَيْنِ ، فقال: حُطّا من عطاء هذا أربعمئة ، وزيداها في عطاء هذا فرجعتُ وأنا في سبعمئة ، وهو في ثلثمئة[1]. [٦: ١٦٣ ـ ١٦٤].

---

(١) قلنا: الخبر بطوله في تهذيب الكمال للحافظ المزي في ترجمة القاضي الكوفي الثقة معبد بن خالد الجدلي الذي أخرج له الستة ووثقه غير واحد. (تهذيب/ تر ٦٦٦٣).
قال الحافظ المزي: وقال محمد بن جرير الطبري: حدثني عمر بن شبة ، قال: ثني علي بن محمد ، قال: ثني القاسم بن معن وغيره أن معبد بن خالد الجدلي قال: ثم تقدمنا إليه معشر عدوان يعني إلى عبد الملك بن مروان بعد قتل مصعب . . . إلى قوله ـ: وهو في ثلاثمئة. اهـ.
قلنا: ورجال إسناد الطبري في هذه الرواية بين الثقة والصدوق.
والقاسم بن معن. قال فيه أبو حاتم: صدوق ثقة ، وكان أروى الناس للحديث والشعر وأعلمه بالعربية والفقه؛ توفي سنة ١٧٥ هـ. [تهذيب الكمال / تر ٥٤١٦].

ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة

وفي هذه السنة بعث عبدُ الملك خالدَ بن عبد الله على البَصرة والياً ، حدّثني عمر ، قال: حدّثني عليّ بنُ محمَّد ، قال: مكث حمرانُ على البصرة يسيراً ، وخرج ابن أبي بَكرة حتَّى قَدِم على عبدِ الملك الكوفة بعد مقتل مُصعَب ، فولَّى عبدُ الملك خالدَ بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالِها ، فوجَّه خالدٌ عُبيدَ الله بن أبي بَكْرة خليفَته على البصرة ، فلمَّا قَدِم على حُمْران ، قال: أَقَدْ جئت لا جئت! فكان ابنُ أبي بَكْرة على البَصْرة حتَّى قدِم خالد[1] . [٦ : ١٦٥] .

قال الطبري: وفي هذه السنة رَجع عبدُ الملك ـ فيما زَعَم الواقديّ ـ إلى الشأم.

قال: وفيها نَزَع ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسودَ بن عوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف. قال: وهو آخر والٍ لابن الزّبير على المدينة ، حتَّى قدم عليها طارقُ بن عَمرو مولى عثمان ، فَهَرب طلحة ، وأقام طارقٌ بالمدينة حتَّى كتب إليه عبد الملك.

وحَجَّ بالناس في هذه السَّنة عبدُ الله بنُ الزّبير في قول الواقديّ[2] . [٦: ١٦٥ ـ ١٦٦] .

---

(١) هذا إسناد معضل ، والطبري هنا يتحدث عن الفراغ المؤقت الذي تركه قتل مصعب بن الزبير مما أدىٰ إلى صراع على منصب ولاية البصرة بين حمدان وابن أبي بكرة حتى قدم خالد بن عبد الله والياً عليها من قبل عبد الملك بن مروان سنة (٧١ هـ).
وسنذكر أسماء الولاة والقضاة بعد انتهاءنا من سيرة عبد الملك بن مروان استناداً إلى ما ذكره الخليفة بن خياط في تاريخه ، وقد تحدثنا عن طريقتنا هذه في المقدمة فلا داعي للتكرار.

(٢) قال خليفة: وفيها (٧٢) ولَّىٰ عبد الملك أخاه بشر بن مروان الكوفة وغلب طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان على المدينة ودعا إلى بيعة عبد الملك وأخرج طلحة بن عبد الله بن عوف وكان والياً لابن الزبير. [تاريخ خليفة / ٢٦٥].
ذكر الطبري الوقعة الكبيرة التي كانت بين القائد المسلم الشجاع المهلب بن أبي صفرة ، وبين الأزارقة من الخوارج وذلك لعدة أشهر ضمن أحداث سنة (٧٢ هـ). [٦/ ١٦٨].
وكذلك ذكر الحافظ ابن كثير هذه الوقعة ضمن أحداث سنة (٧٢ هـ) [البداية والنهاية (٧/ ١٣٢)].

أمر عبد الله بن خازم السُّلمي مع عبد الملك

وفي هذه السنة كتب عبدُ الملك إلى عبد الله بن خازم السّلَميّ يدعوه إلى بَيْعته ويُطعِمه خُراسانَ سبعَ سنين ، فَذَكر عليُّ بن محمَّد أنَّ المفضَّل بنَ محمَّد ويحيى بن طُفَيل وزُهيرَ بنَ هُنَيد حدّثوه ـ قال: وفي خبر بعضِهم زيادةٌ على خبر بعض ـ أنّ مُصعَب بنَ الزبير قُتِل سنة اثنتين وسبعين وعبدُ الله بن خازم بأبْرشَهْر يُقاتِل بحِير بن وَرْقاء الصُّرَيميّ صُرَيم بن الحارث؛ فكَتَب عبدُ الملك بنُ مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشْيم النُّمَيريّ: إنّ لك خُراسانَ سبعَ سنين على أن تُبايع لي.

فقال ابنُ خازم لسَوْرة: لولا أن أحرّب بين بني سُلَيم وبني عامر لقتلتُك ولكن كلْ هذه الصحيفة ، فأكلَها.

قال: وقال أبو بكر بن محمَّد بن واسع: بل قدِم بعهد عبد الله بنِ خازم سوادةُ بنُ عُبيد الله النُّمَيريّ [1]. [٦ : ١٧٦].

---

(١) قلنا: لقد ذكر الطبري مقتل أمير خراسان عبد الله بن خازم ضمن أحداث سنة (٧٢ هـ) لكن ابن الأثير ذكره ضمن أحداث سنة (٧١ هـ).
وقال ابن كثير: وهكذا حكىٰ شيخنا عن الدولابي ، وكذا رأيت لشيخنا الذهبي والذي ذكره ابن جرير في سياق تاريخه أنه قتل سنة (٧٢ هـ) [البداية والنهاية (٧/ ١٣٥)] والله أعلم.

عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
٦٤ ـ ٧٣ هـ
وهو أمير المؤمنين وخليفتهم عند عددٍ من الأئمة المتقدمين والمتأخرين.
قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: وعند ابن حزم وطائفة أنه أمير المؤمنين آنذاك. [البداية والنهاية].
وقال الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: إن صحت خلافة مروان فإنه خارج على ابن الزبير باغ فلا يصح عهده إلىٰ ولديه إنما تصح إمامة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير. [تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨١ هـ/ ١٣٣)].
وقال الذهبي ـ في ترجمة عبد الملك بن مروان ـ: بويع بعهدٍ من أبيه في خلافة ابن الزبير وبقي على مصر والشام ، وابن الزبير علىٰ باقي البلاد مدة سبع سنين. [تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨١ هـ/ ١٣٧)].
=

= وقال الذهبي في موضع آخر: وتمكن ابن الزبير وبايعه أهل الحرمين واليمن والعراق وخراسان، واستناب على العراق وما يليه أخاه مصعب بن الزبير، وتفرقت الكلمة وبقي في الوقت خليفتان أكبرهما ابن الزبير. [دول الإسلام (/ ٤٨)].
وقال الخطيب البغدادي: فكانت خلافته (أي: عبد الملك بن مروان) من مقتل ابن الزبير إلى أن توفي ثلاث عشر سنة وأربعة أشهر. [تاريخ بغداد (١٠/ ٣٩١)].
وقال الحافظ ابن كثير: فلما مات يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد من بعده قريباً استفحل أمر عبد الله بن الزبير جداً، وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية. . . ولكن عارضه مروان بن الحكم في ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ثم جهز السرايا إلى العراق. [البداية والنهاية (٧/ ١٥١)].
وقال الشيخ الحصيني، وكثير من العلماء يرون أن بيعة مروان غير منعقدة شرعاً (أي: حتى وفاة ابن الزبير) لوقوعها من سكان دمشق فقط ولسبقها ببيعة ابن الزبير المنعقدة بإجماع جمهور المسلمين. (١/ ٩١).
وكعادتنا فإننا نحاول أن نكتب خلاصة في كل مسألة تاريخية مختلف فيها بعد أن نميز بين روايات الطبري الصحيحة والضعيفة منها ونحاول في كل خلاصة أن نردَّ على الشبهات المثارة حول شخصيات الصحابة وعدالتهم وكذلك نفعل في مسألتنا هذه وقبل أن ندخل في التفاصيل نودّ أن نذكر هنا تتمة رواية عروة بن الزبير وهو شاهد على تلك الأحداث حتى تتكون للقارىء الكريم صورة ولو موجزة عن أحداث تركت أثرها في التاريخ الإسلامي.
وتتمة رواية عروة كالآتي قال: ثم مات مروان، ودعا عبد الملك لنفسه، وقام، فأجابه أهل الشام، فخطب على المنبر وقال: من لابن الزبير منكم؟ فقال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين، فأسكته، ثم عاد فأسكته، ثم عاد فقال: أنا يا أمير المؤمنين، فإني رأيت في النوم أني انتزعت جبته فلبستها، فعقد له في الجيش إلى مكة حتى وردها على ابن الزبير فقاتله بها، فقال ابن الزبير لأهل مكة: احفظوا هذين الجبلين، فإنكم لن تزالوا بخير أعزة ما لم يظهروا عليهما، فلم يلبثوا أن ظهر الحجاج ومن معه على أبي قبيس، ونصب عليه المنجنيق فكان يرمي به ابن الزبير ومن معه في المسجد، فلما كانت الغداة التي قتل فيها ابن الزبير، دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر، وهي يومئذٍ ابنة مئة سنة، لم يسقط لها سن، ولم يفقد لها بصر، فقالت لابنها: يا عبد الله، ما فعلت في حزبك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا، قال: وضحك ابن الزبير، فقال: إن في الموت لراحة، قالت: يا بني، لعلك تتمناه لي؟ ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك، إما أن تملك فتقر بذلك عيني، وإما أن تقتل فاحتسبك، قال: ثم ودعها، قالت له: يا بني إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل.
وخرج عنها، ودخل المسجد، وقد جعل مصراعين على الحجر الأسود يتقي بهما أن يصيبه =

= المنجنيق ، وأتى ابن الزبير آتٍ وهو جالسٍ عند الحجر الأسود ، فقال: ألا نفتح لك باب الكعبة فتصعد فيها ، فنظر إليه عبد الله ثم قال له: من كل شيء تحفظ أخاك إلاّ من نفسه ـ يعني: أجله ـ وهل للكعبة حرمة ، ليست لهذا المكان؟! والله لو وجدوكم متعلقين بأستار الكعبة لقتلوكم فقيل له: ألا تكلمهم في الصلح؟ قال: أو حين صلح هذا؟ والله لو وجدوكم فيها لذبحوكم جميعاً ، وأنشد يقول:

ولسـت بمبتـاع الحيـاة بسبـة ولا مـرتـق مـن خشيـة المـوت سلمـا
أنـافـس سهمـاً إنـه غيـر بـارح مـلاقـي المنـايـا أيَّ حـرف تيممـا

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول: ليكن أحدكم سيفه كما يكن وجهه ، لا ينكسر فيدفع عن نفسه بيده ، كأنه امرأة ، والله ما لقيت زحفاً قط إلاَّ في الرعيل الأول ولا ألمت جرحاً قط إلاَّ أن آلم الدواء.

قال: فبينما هم كذلك ، إذ دُخل عليهم من باب بني جمح ، فيهم أسود ، قال: من هؤلاء؟ قيل: أهل حمص ، فحمل عليهم ومعه سيفان ، فأول من لقيه الأسود ، فضربه بسيفه حتى أطن رجله فقال له الأسود: أخ يا بن الزانية ، فقال له ابن الزبير: اخسأ يابن حام ، أسماء زانية؟ ثم أخرجهم من المسجد وانصرف ، فإذا قوم قد دخلوا من باب بني سهم فقال من هؤلاء؟ قيل: أهل الأردن ، فحمل عليهم ، وهو يقول:

لا عهـد لـي بغـارةٍ مثـل السَّيْـلِ لا ينجلـي غبـارهـا حتـى الليـل

فأخرجهم من المسجد فإذا بقوم قد دخلوا من باب بني مخزوم ، فحمل عليهم وهو يقول:

لـو كـان قـرنـي واحـداً كفيتـه

وقال: وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمي عدوه بالآجر وغيره ، فحمل عليهم فأصابته آجرة في مفرقه حتى فلقت رأسه ، فوقف وهو يقول:

ولسنـا علـى الأعقـاب تـدمـي كلـومنـا ولكـن علـى أقـدامنـا تقطـر الـدمـا

قال: ثم وقع ، فأكب عليه موليان له ، وهما يقولان:

العبـد يحمـي ربـه ويحتمـي

قال: ثم سير إليه فحز رأسه.

قال الهيثمي: رواه الطبراني ، وفيه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري وثقه ابن حبان ، وغيره ، وضعفه أبو زرعة وغيره. [مجمع الزوائد (٧/ ٢٥٥)].

قلنا: وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة مع اختلاف في بعض المقاطع (ح ١٦٥٢) وبعض أئمة الحديث يفرقون بين عبد الملك بن عبد الرحمن الشامي والذماري ، فالشامي منكر الحديث ، وأما الذماري فقد قال أبو حاتم: شيخ وسكت عنه البخاري وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ: صدوق كان يصحف.

= مواقف الصحابة من البيعة والصراع بين ابن الزبير رضي الله عنه
وبني أمية من جهة أخرىٰ

ونذكر منهم: (عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن الحنفية، والحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين).

أما ابن عباس: فكان بادي الرأي ميالاً إلى بيعة ابن الزبير.

وأما ابن عمر: فقد بايع ليزيد بعد وفاة أبيه معاوية رضي الله عنه.

وأما ابن الحنفية: فقد امتنع عن البيعة لأحدٍ منهم.

وأما الحسين: فقد رفض البيعة ليزيد ومضى إلى ربه شهيداً يشكو ظلم يزيد وولاته.

وأما ابن أبي بكر فرفضه واضح كما ذكرنا في الفصل السابق، وسنذكر تفاصيل أقوالهم.

١ - موقف عبد الله بن عمر في هذه المحنة التي مرت بها الأمة:

لم يكن عبد الله بن عمر يوماً ليشك في صلاح وورع عبد الله بن الزبير إلاّ أنه كان يرىٰ في بيعة يزيد إخماداً لنار الفتنة وإخراجاً للأمة من حالة الفوضىٰ وقد ذكرنا رواية البخاري في صحيحه يوم أن رفض ابن الزبير بيعة يزيد فجمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولده وحشمه وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ينصب لكل غادر لواءٌ يوم القيامة) وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع برجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلاّ كانت الفيصل بيني وبينه». [صحيح البخاري (ح ٧١١١)].

وسنرجع مرة أخرىٰ إلى رأي ابن عمر رضي الله عنهما في نهاية المطاف حين يمر بجسد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما مصلوباً فيقول قولته المشهورة: «والله لقد كنتَ ما علمتُ صواماً قواماً لأمة أنت أشرها أمة خير». وقال هذا مع اعتراضه على موقفه: «ألم أنهك عن هذا».

وخلاصة القول: فإن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر نهىٰ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم عن الاستمرار في موقفه من بني أمية بعد وفاة يزيد، وذلك درءاً للفتنة والاقتتال بين المسلمين، ومن ثم إضعاف شوكتهم وقد حصل وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

٢ - موقف أبي سعيد الخدري وأبو برزة الأسلمي رضي الله عنهما: أخرج البخاري في صحيحه (ح ٧١١٢): عن أبي المنهال قال: لما كان ابن زياد ومروان بالشام، ووثب ابن الزبير بمكة، ووثب القراء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلمي حتى دخلنا عليه في داره وهو جالس في ظل عُلّيَّة له من قصب، فجلسنا إليه فأنشأ أبي يستطعمه الحديث فقال: يا أبا برزة ألا ترىٰ ما وقع فيه الناس؟ فأول شيء سمعته تكلم به: إني احتسبت عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، إنكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد ﷺ حتى بلغ بكم ما ترون =

= وهذه الدنيا أفسدت بينكم إن ذاك بالشام والله إن يقاتل إلاَّ على دنيا ، وإن هؤلاء الذين بين أظهركم والله إن يقاتلون إلاَّ على دنيا ، وإن ذاك الذي بمكة والله إن يقاتل إلاَّ على الدنيا».
٣ ـ عبد الله بن عباس وموقفه من ابن الزبير رضي الله عنهم:
كان ابن عباس رضي الله عنهما يرىٰ أحقية عبد الله بن الزبير بالخلافة للمواهب والصفات التي رزقها وتحلىٰ بها إلاَّ أن الجفاء الذي أبداه ابن الزبير تجاه ابن عباس أثر في موقف ابن عباس فصار على الحياد وانضم إلى محمد بن الحنفية لا يبايع للذي بالشام ولا للذي بالحجاز.
أخرج البخاري في صحيحه / كتاب التفسير: حدثني عبد الله بن محمد ، قال: حدثني يحيىٰ بن معين ، حدثنا حجاج ، قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة: وكان بينهما شيء فغدوت على ابن عباس فقلتُ: أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل حرم الله؟ فقال: «معاذ الله إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين وإني والله لا أحله أبداً قال: قال الناس: بايع لابن الزبير ، فقلت: وأين بهذا الأمر عنه أمَّا أبوه فحواري النبي ﷺ ـ يريد الزبير ـ وأما جده فصاحب الغار ـ يريد أبا بكر ـ وأما أمه فذات النطاق ـ يريد أسماء ـ وأما خالته فأم المؤمنين ـ يريد عائشة ـ وأما عمته فزوج النبي ﷺ ـ يريد خديجة ـ وأما عمة النبي ﷺ فجدته ـ يريد صفية ـ ثم عفيف في الإسلام قارىء للقرآن والله إن وصلوني وصلوني من قريب وإن ربوني ربوني أكفاء كرام فآثر عليَّ التويتات والأسامات والحميدات ـ يريد أبطناً من بني أسد: بني تويت وبني أسامة وبني أسد ـ أن ابن أبي العاص برز يمشي القدمية ، يعني عبد الملك بن مروان وإنه لوى ذنبه ، يعني ابن الزبير». [صحيح البخاري (ح ٤٦٦٥)].
وأخرج البخاري: حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد ، قال: أخبرني ابن أبي مليكة: دخلت على ابن عباس فقال: «ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا؟» فقلت: لأحاسبن نفسي له ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر ولهما كانا أولى بكل خير منه ، وقلت: ابن عمة النبي ﷺ وابن الزبير ، وابن أبي بكر ، وابن أخي خديجة ، وابن أخت عائشة ، فإذا هو يتعلى عني ولا يريد ذلك ، فقلت: ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي فيدعه ، وما أراه يريد خيراً ، وإن كان لابد لأن يربني بنو عمي أحب إليَّ من أن يربني غيرهم» [ح ٤٦٦٦].
وسنذكر طرفاً من شرح الحافظ ابن حجر لمفردات الروايتين:
أما قول ابن عباس: [وأين بهذا الأمر] أي: الخلافة ليست ببعيدة عنه لماله من الشرف بأسلافه الذين ذكرهم ثم صفته التي أشار إليها بقوله: «عفيف في الإسلام قارىء للقرآن» وفي رواية ابن قتيبة من طريق محمد بن الحكم عن عوانة ، ومن طريق يحيىٰ بن سعد عن الأعمش قال: قال ابن عباس ـ لما قيل له: بايع لابن الزبير ـ «أين المذهب عن ابن الزبير». [فتح الباري (١/ ٢٥٥)].
«وإن ربوني» من التربية. «أكفاء» أي: أمثال. «كرام» أي: في أحسابهم وظاهر هذا أن مراد =

= ابن عباس بالمذكورين بنو أسد رهط ابن الزبير.
ثم قال الحافظ ابن حجر: ثم رأيت بيان ذلك واضحاً فيما أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه في الحديث المذكور فإنه قال بعد قوله: ثم عفيف في الإسلام قارئ للقرآن «وتركت بني عمي إن وصلوني وصلوني عن قريب» أي: أذعنت له وتركت بني عمي فآثر علي غيري، وبهذا يستقيم الكلام. [الفتح (١/ ٢٢٦)].
«التويتات»: نسبة إلى بني تويت بن أسد.
«الأسامات»: نسبة إلى بني أسامة بن أسد.
«الحميدات»: نسبة إلى بني حميد بن زهير بن الحارث بن أسد.
وتجتمع هذه الأبطن مع خويلد بن أسد جد عبد الله بن الزبير.
ثم نقل الحافظ ابن حجر شرح الأزرقي: قال الأزرقي: كان ابن الزبير إذا دعا الناس في الإذن بدأ ببني أسد على بني هاشم وبني عبد شمس وغيرهم، فهذا معنى قول ابن عباس: «فآثر علي التويتات.... إلخ» قال: فلما ولي عبد الملك بن مروان قدم بني عبد شمس ثم بني هاشم وبني المطلب وبني نوفل ثم أعطى بني الحارث بن فهر قبل بني أسد وقال: لأقدمن عليهم أبعد بطن من قريش، فكان يصنع ذلك مبالغة منه في مخالفة ابن الزبير، وجمع ابن عباس البطون المذكورة جمع القلة تحقيراً لهم. [فتح الباري (١ / ٢٢٦)].
قوله في الرواية (٤٦٦٦): «لأحاسبن نفسي». أي: لأناقشنها في معونته ونصحه. الخطابي.
وقال الداودي: معناه: لأذكرن من مناقب ابن الزبير ما لم أذكر من مناقبهما وإنما صنع ابن عباس ذلك لاشتراك الناس في معرفة مناقب أبي بكر وعمر بخلاف ابن الزبير فما كانت مناقبه في الشهرة كمناقب الشيخين فأظهر ذلك ابن عباس وبينه للناس إنصافاً منه لابن الزبير، فلما لم ينصفه ابن الزبير رجع عنه ابن عباس. [انظر الفتح (١/ ٢٢٦)].
وقوله: «فإذا هو يتعلى عني». أي: يترفع عليَّ متنحياً عني. «ولا يريد بذلك». أي: لا يريد أن أكون من خاصته.
وقوله: «ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي». أي: أبدأ بالخضوع له ولا يرضى مني بذلك. [الفتح (١/ ٢٢٦)].
ونتيجةً لتلك العلاقة التي وصفها ابن عباس أروع وصف (في رواية البخاري) تنحى ابن عباس وانضم إلى رجل آخر من آل البيت وهو محمد بن الحنفية.
قال ابن حجر: وروى الفاكهي من طريق سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: «كان ابن عباس وابن الحنفية بالمدينة، ثم سكنا مكة، وطلب منهما ابن الزبير البيعة فأبيا حتى يجتمع الناس على رجل، فضيق عليهما فبعثا رسولاً إلى العراق فخرج إليهما جيش في أربعة آلاف فوجدوهما محصورين، وقد أحضر الحطب فجعل على الباب يخوفهما بذلك، =

= فأخرجوهما إلى الطائف». وذكر ابن سعد أن هذه القصة وقعت بين ابن الزبير وابن عباس في سنة ست وستين. [فتح الباري (١/ ٢٢٤)].

قلنا: وإسناد الفاكهي صحيح، ولنا هنا وقفة فهذه رواية صحيحة توضح أن ابن الزبير أمر بإحضار الحطب، أو أن أتباعه فعلوا ذلك ووضع الحطب أمام دارهما (على الباب) تخويفاً لهما لكي يبايعا ابن الزبير.

أما بقية الروايات والتي لم تَصِح أسانيدها فقد بالغت كثيراً، وذكرت أن بيتهما كان محاطاً بالحطب من كل جانب وما إلى ذلك من المبالغات والكذب والذي نفهمه من الروايات الصحيحة السابقة أن ابن عباس كان يرىٰ ابن الزبير خليقاً بالخلافة إلاَّ أنه لم يبايع فعلياً ثم تنحىٰ رويداً رويداً، وابتعد عن مجلس ابن الزبير ينتظر اجتماع الناس على خليفة، والله أعلم.

تاريخ عقيدة ودُرَّةٌ من درر التاريخ الإسلامي

إن التفسير المنصف لوقائع ذلك التاريخ الخاص بذلك الرعيل الأول يبين لنا أن ذلك التاريخ تاريخ عقيدة فابن عمر رضي الله عنهما لا يبايع ليزيد في حياة أبيه معاوية رضي الله عنه كي لا تجتمع بيعتان في عنقه فيكون بذلك مخالفاً أوامر رسول الله ﷺ ومن خالف أمر رسول الله ﷺ عصى الله، ولكن الأمر يختلف في نظر ابن عمر نفسه حين يتغير الوقت ويموت معاوية فالناس يومها أضحوا بلا خليفة فيسارع ابن عمر لبيعة يزيد خشية أن يبيت وليس في عنقه بيعة كي لا يموت ميتةً جاهلية.

وقد أخرج ابن سعد في طبقاته بسند موصول عن ابن عمر وهو يعظ أخاه (في الإسلام) الذي أراد أن يفر من المدينة أيام بيعة يزيد فيقول ابن عمر: «يابن عمَّ لا تفعل فإني شهدت رسول الله ﷺ يقول: «من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية» [الطبقات الكبرى (٥/ ١٤٤)].

وهذا ابن عباس وابن الحنفية ينئيان بأنفسهما عن البيعة ليزيد أو ابن الزبير ويعرّضان أنفسهما للخطر من الجانبين ويتحملان كل ذلك حتى يجتمع أمر الناس على خليفة فينضمون إليهم ولا يكونوا سبباً لشق صف المسلمين وجماعتهم.

وها هو عبد الله بن حنظلة ابن غسيل الملائكة يبايع الناس على الموت ويقاتل حتى الرمق الأخير رفعاً للظلم والحيف الواقع على الأمة لأنه مقتنع بفسق يزيد وفجوره فأين مقولات أعداء الإسلام والذين تربوا على موائد المستشرقين ممن يقحمون العوامل الاقتصادية والتناحر القبلي وما إلى ذلك في أتون هذه الأحداث.

والذي نريد أن نقوله: أن الأمة الإسلامية يومها خرجت بدافع التدين والتقوىٰ كي لا تكون راضية بالظلم فتكون آثمة ومن اعتزل القتال فعل ذلك بدافع التدين كذلك كما شرحنا آنفاً وأما مروان ومن ناصره فقد أخمدوا من عارضهم استتباباً للأمن (برأيهم وزعمهم) وفي أقل =

= أحوالهم وأضعف إيمانهم فإنهم ما كانوا ليجهزوا على جريح أو يتبعوا مولياً خارجاً من ساحة المعركة كما أمر مروان بعد مقتل الضحاك بن قيس رضي الله عنه ، بأن لا يتبعوا مولياً .
وسنذكر آراء الأئمة المتقدمين والمتأخرين في تحديد الأمصار التي بايعت لابن الزبير بالخلافة .
قال الليث بن سعد : أظهر الضحاك بيعة ابن الزبير بدمشق ودعا له ، فسار عامة بني أمية وحشمهم وأصحابهم حتى لحقوا بالأردن ، وسار مروان وبنو بحدل إلى الضحاك . [تاريخ الإسلام (/ ١٣٣) .
وأخرج أبو زرعة الدمشقي في تاريخه عن شيخه أبي مسهر (عبد الأعلىٰ بن مسهر) قال : بويع لمروان بن الحكم بايع له أهل الأردن وطائفة من دمشق وسائر الناس زبيريون . [فتح الباري (١/ ٥٧٨)] .
وانظر تاريخ الإسلام (٣/ ٢٣٣) .
وأخرج خليفة بن خياط قال : ثنا الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وأبو اليقظان وغيرهما قالوا : قدم ابن الزياد الشام وقد بايعوا ابن الزبير ما خلا أهل الجابية ثم ساروا إلى مرج راهط . [تاريخ خليفة (٣١٧)] .
وأما خلاصة ما رواه الطبري فيذكره ابن حجر في أسطر يقول في آخرها :
إن ابن زياد هرب إلى الشام فوصل الشام فوجد مروان قد همَّ أن يرحل إلى ابن الزبير ليبايعه ويستأمن لبني أمية فثنىٰ رأيه عن ذلك وجمع من كان يهوىٰ بني أمية وتوجهوا إلى دمشق وقد بايع الضحاك بن قيس بها لابن الزبير وكذا النعمان بن بشير بحمص وكذا ناتل بن قيس بفلسطين ولم يبق على رأي الأمويين إلاَّحسان بن بحدل وهو خال يزيد بن معاوية ، وهو بالأردن فيمن أطاعه فكانت الوقعة بين مروان ومن معه وبين الضحاك بن قيس بمرج الرهط فقتل الضحاك وتفرق جمعه وبايعوا حينئذٍ مروان بالخلافة في ذي القعدة منها . [فتح الباري (١/ ٥٧٨)] .
وأما خليفة بن خياط ـ رحمه الله ـ فيقول : وقد كان أهل الشام بايعوا ابن الزبير ما خلا أهل الجابية ومن كان من بني أمية ومواليهم وابن زياد . [تاريخ خليفة (٣٢٦)] .
وأخيراً نذكر رأي اثنين من الأئمة المتأخرين (ابن كثير ، وابن حجر) : أما ابن حجر ـ رحمه الله ـ فيقول : وذلك أن يزيد بن معاوية لما مات دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعوه بالخلافة فأطاعه أهل الحرمين ومصر والعراق وما وراءها وبايع له الضحاك بن قيس الفهري بالشام كلها إلاَّ الأردن ومن بها من بني أمية ومن كان على هواهم حتى همَّ أن يرحل إلى ابن الزبير ويبايعه فمنعوه وبايعوا له بالخلافة . [فتح الباري (/ ٥٧٥)] .
وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : واستفحل ابن الزبير ببلاد الحجاز وما والاها وبايعه الناس بعد يزيد بيعة هناك [استناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير وأمره بإجلاء بني أمية عن =

= المدينة فأجلاهم فرحلوا إلى الشام. . . إلخ]. [البداية والنهاية (٦/ ٣٠)].

مقومات ابن الزبير رضي الله عنهما للخلافة

١ ـ المكانة الدينية والاجتماعية:

وقد ذكر ابن عباس بعضها في الحديث الذي أخرجه البخاري برقم (٤٦٦٥). وهو صحابي جليل وهو أول مولود في الإسلام في المدينة، وأبوه حواري رسول الله ﷺ، وجدّه صاحب الغار، وأمه الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وخالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وجدته عمة النبي ﷺ صفية. . . إلخ.

كل هذه الصفات وغيرها شاركت في إعطاء ابن الزبير تلك المكانة والمهابة بين الناس.

٢ ـ الشجاعة:

التي اتصف بها ابن الزبير وهي ضرورية للقائد الناجح، فقد أخرج الزبير بن بكار: حدثني خالد بن وضاح: حدثني أبو الخصيب نافع مولىٰ آل الزبير، عن هشام بن عروة قال:

رأيت الحجر من المنجنيق يهوي حتى أقول: لقد كاد أن يأخذ لحية ابن الزبير وسمعته يقول: «والله لا أبالي إذا وجدت ثلاثمئة يصبرون صبري لو أجْلَبَ عليّ أهل الأرض». [تاريخ دمشق (٤/ ٤٦٨) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٤٥)].

وقال عثمان بن أبي طلحة: كان ابن الزبير لا ينازع في شجاعةٍ ولا عبادةٍ ولا بلاغةٍ. [تاريخ دمشق (١/ ٤١٧)].

٣ ـ كان الناس يرون في ابن الزبير رمزاً من رموز التقوىٰ والصلاح والعبادة والورع:

قال حماد بن زيد، عن ثابت البناني: كنت أَمرُّ بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك. [البداية والنهاية (٧/ ١٤٤)].

وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة: عن هشام بن عروة: عن ابن المنكدر قال: لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة تصفقها الريح والمنجنيق يقع هاهنا وهاهنا.

قال سفيان: كأنه لا يبالي ولا يعده شيئاً. [البداية والنهاية (٧/ ١٤٥)].

وقال الليث: عن مجاهد: لم يكن أحدٌ يطيق ما يطيقه ابن الزبير في العبادة. [البداية والنهاية (٧/ ١٤٦)].

وروى سفيان: عن ابن جريج: عن ابن أبي مليكة قال: ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس قال: «كان عفيفاً في الإسلام قارئاً للقرآن صواماً قواماً». [البداية والنهاية (٧/ ١٥٦)].

قلنا: ونختتم هذه الفقرة بقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو يصف ابن الزبير وقد مرَّ به مصلوباً على عقبة المدينة، وقد سمع ما ردده بعض رجال الحجاج من أن ابن الزبير أشر هذه الأمة فقال ابن عمر: «السلام عليك يا أبا خُبيب، السلام عليك يا أبا خُبيب، السلام عليك يا أبا خُبيب، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما =

= والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا ، أما والله إن كنت ما علمتُ صوَّاماً قوّاماً وصولاً للرحم ، أما والله لأمةٌ أنت أشرها لأمة خير». [صحيح مسلم / فضائل الصحابة (ح ٢٥٤٥)].

هل كان ابن الزبير بخيلاً؟

قلنا: لقد عهدنا الإمام الذهبي محدثاً ناقداً يبين الروايات التاريخية المكذوبة ولكن أحياناً يختفي هذا الحس النقدي عند الذهبي رويداً رويداً كلما تقدم في الحوليات ، وكذلك فعل الحافظ ابن كثير؛ إلاَّ أن الثاني انتقد الروايات التاريخية وناقش المتون واختار الروايات الصحيحة أكثر من الحافظ الذهبي رحمه الله.

[هذا ما لاحظناه أثناء تحقيقنا لتاريخ الطبري].

ونحن نرىٰ والله أعلم أن الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير مظلومٌ تاريخياً فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر نرىٰ إماماً حافظاً كالذهبي يصف ابن الزبير ببخل ظاهر ثم يذكر روايتين للاستدلال على بخله فيقول:

«وكان في ابن الزبير بخل ظاهر مع ما أوتي من الشجاعة». [تاريخ الإسلام سنة ٦١ ـ ٨٠ هـ (٤٤٤)].

والرواية الأولى التي ذكرها الذهبي كالآتي:

قال الثوري: عن عبد الملك بن أبي بشير: عن عبد الله بن مساور قال: سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير في البخل ويقول: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن لا يشبع وجاره وابن عمه جائع» [تاريخ الإسلام (٣/ ٤١٤)]. وانظر تاريخ دمشق (٨/ ٤٥٦) والبداية والنهاية.

قلنا: وعبد الله بن مساور هذا الذي يروي عن ابن عباس مجهول كما قال ابن أبي حاتم والذهبي ، فكيف نبني على رواية المجهول بخل ابن الزبير؟

الرواية الثانية: من طريق عبيد الله بن عمرو الرقي: عن ليث بن أبي سليم قال: كان ابن عباس يكثر أن يعنف ابن الزبير بالبخل. [تاريخ الإسلام (٣/ ٤٤٤)].

قلنا: وليث بن أبي سليم هذا ضعفه جمهور أئمة الجرح والتعديل واختلط اختلاطاً شديداً أدىٰ إلى ترك الرواية عنه كما قال الحافظ ابن حجر: صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك.

وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، ويأتي عن الثقات بما ليس من أحاديثهم كل ذلك منه في اختلاطه تركه يحيى القطان ، وابن مهدي ، وابن حنبل ، وابن معين.

والحق يقال: إننا (المحققان) كنا نتمنىٰ أن نجد إماماً ولو واحداً من أئمة أهل السنة والجماعة ينفي عن ابن الزبير تهمة البخل وبعد بحث وعناء وجدنا بتوفيق الله كلاماً للقاضي عياض يساوي عندنا ذهب الدنيا كلها وزيادة **فلقد قال الإمام الفاضل القاضي عياض ـ في شرحه** =

= لصحيح مسلم المسمىٰ «إكمال المعلم» وهو يشرح قول عبد الله بن عمر وهو يصف عبد الله بن الزبير: «وصولاً للرحم» ـ: وهذا أصحُّ من قوْل من بخّله [أي: وصفه بالبخل] ونسبه لذلك من أصحاب الأخبار لإمساكه مال الله عمن لا يستحق وقد عدّه صاحب كتاب الأجواد فيهم وهو الذي يشبه أفعاله وشيمته. [إكمال المعلم (٧/ ٥٨٨/ ح ٢٥٤٥)].
فجزىٰ الله القاضي عياض عن المسلمين خير الجزاء ووفقنا لإظهار عصمة الأنبياء وعدالة الصحابة بعيداً عن التزوير والتشويه والتحريف.

مقتل الضحاك بن قيس وخسارة جيشه في مرج راهط
نقطة تحول لصالح مروان ومن بعده لعبد الملك.
قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ مُبْدياً رأيه في هذه المسألة: ثم قوي أمر مروان، وقُتل الضحاك، وبايعه أهل الشام، وسار في جيوشه إلى مصر فأخذها، واستعمل عليها ولده عبد العزيز، وعاجلته المنية، فقام بعده ابنه عبد الملك، فلم يزل حتى أخذ البلاد، ودانت له العباد. [تاريخ الإسلام (٣/ ٤٤٣)].
قلنا: ولم تدم فترة حكم مروان أكثر من أشهر وخلفه من بعده ابنه عبد الملك وقد استقر له الشام ومصر كما قال الفاكهي: ثم مات مروان فدعا عبد الملك إلى نفسه وقام فأجابه أهل الشام. [أخبار مكة (٢/ ٣٧٥)].
وقال المؤرخ خليفة بن خياط ـ رحمه الله ـ: ولما انقضت وقعة مرج راهط في أول السنة بايع أكثر أهل الشام لمروان فبقي تسعة أشهر ومات وعهد إلىٰ ابنه عبد الملك. [تاريخ خليفة (٢٥٩)].

أسباب انحسار إمارة ابن الزبير وانتصار عبد الملك وجيش الشام بقيادة الحجاج
لقد ذكرنا رواية عروة بن الزبير كما أخرجها الطبراني وفيها تفاصيل محاصرة الحجاج لابن الزبير، وعروة خير شاهد، ودليل على تلك التفاصيل وذكرنا ما يؤيد تلك الرواية في وقتها فلا داعي للإعادة.
وسنتناول هنا الأسباب التي نراها عوامل لتقهقر خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:
أولاً: إن استجابة الصحابة الممثلين لأهل الحل والعقد كان أفضل لو جعلها ابن الزبير رضي الله عنه شورىٰ بينهم ولكنه لم يفعل رضي الله عَنه بل دعىٰ إلى نفسه بعد موت معاوية بن يزيد فبايعه الناس.
وسنذكر هنا رأي المؤرخ الكبير خليفة بن خياط ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال ابن خياط: وإنما كان الزبير يدعو قبل ذلك إلى أن تكون شورىٰ بين الأمة فلما كان بعد ثلاثة أشهر من وفاة يزيد بن =

= معاوية دعا إلىٰ بيعة نفسه فبويع له بالخلافة لتسع خلون من رجب سنة أربع وستين. [تاريخ خليفة (٣٢٤)].
ويؤيد رأي ابن خياط هذا ما رواه البلاذري في أنساب الأشراف قال حدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة: حدثنا وهب بن جرير: عن نافع أن ابن الزبير لم يُدْعَ له بالخلافة حتى مات يزيد، وقال نافع: كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه وكان قبل ذلك يدعو إلىٰ الشورىٰ. [أنساب الأشراف (٤/ ٣٥١/ ٩٠٨)].
قلنا: وإسناد البلاذري هذا حسن صحيح والله أعلم.
قلنا: ولذلك تنحىٰ ابن الحنفية وغيره، وامتنعوا عن البيعة حتى يجتمع الناس على رجل من المسلمين.
ثانياً: كان الضحاك بن قيس بمثابة رأس الحربة والخط الدفاعي الأول وهزيمة جيشه ومقتله رضي الله عنه كان بمثابة بداية النهاية لحكم ابن الزبير رضي الله عنه ولعلَّ شخصية الضحاك بن قيس كانت سبباً من أسباب تلك الخسارة، بالإضافة إلى خديعة ومكر ابن زياد فقد بينت الروايات التي ذكرناها أنه كان متردداً في أمره فتارة يدعو إلى ابن الزبير سراً ثم يعلن ذلك ثم يدعو إلى نفسه ثم يرجع عن ذلك، وأخرىٰ يريد أن يبايع لمروان، وهكذا.
وكل ذلك تسبب في زعزعة موقعه القيادي في نظر الناس كما أشارت رواية المدائني، وبالرغم من شجاعته في الحرب وكثرة جنده مقارنة مع جند مروان وعبيد الله بن زياد إلاَّ أنَّه تميز بالبساطة فلم يكن خِبّاً إلاَّ أن الخِبَّ عبيد الله بن زياد خدعه حين أشار على مروان بمكيدة وحيلة لم يفطن إليها الضحاك فقتل وخسر المعركة بعد أن تظاهر مروان وجنده بالمهادنة والصلح حتى أمن الضحاك جانبهم فباغتوه وهو غير متأهب.
ثالثاً: لقد أمَّر عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً على العراق، وبالرغم من شجاعة مصعب ونباهته إلاَّ أن العراق كان قبل مصعب وأثناء حكم مصعب وبعده مصدراً للاضطرابات والفتن أضرَّت بكل من حكم العراق من الولاة.
وكذلك خراسان وبالمقابل فإن الجناح الذي وقع تحت سيطرة مروان من العالم الإسلامي يومها (الشام، ومصر) امتاز بالهدوء والاستقرار وخاصة بعد مقتل الضحاك بن قيس وتولي عبد الملك بن مروان أمر الشام ومصر مما زاد في تثبيت دعائم حكم مروان وبنيه.
رابعاً: لقد كان بنو مروان في عمل دؤوب وشغل شاغل وتقدم مستمر بينما كان ابن الزبير بطيئاً في خطواته وقد ينتظر ولا يحسم كما قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية البخاري: «وإن ابن أبي العاص يمشي القدمية». أي: عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص أي: أنه برز يطلب ما ينبغي من الأمور وتقدم بالهمة والفعل بينما قال في ابن الزبير: «وإنه لوّىٰ ذنبه» أي: تأخر ابن الزبير بالفعل، أي: أنه وقف فلم يتقدم ولم يتأخر ولا وضع الأشياء مواضعها، ولم يتم له ما أراده. =

= قال الحافظ ابن حجر: وكان الأمر كما قال ابن عباس فإن عبد الملك لم يزل في تقدم من أمره إلى أن استنفذ ما كان ولم يزل ابن الزبير في تأخر إلى أن قتل رحمه الله تعالىٰ. [فتح الباري (٩/ ٢٢٧)].

قلنا: والشجاعة وحدها لا تكفي في هذه المواقف بل يضاف إليها السياسة والحنكة والإقدام.

خامساً: لقد كان طرد بني أمية وأميرهم من المدينة خطأً سياسياً فادحاً إذ ساعد ذلك في تجمعهم مع بعض في الشام الذي عرف أهله بمساندة بني أمية، ومن ثَمَّ جيَّشوا الجيوش وانطلقوا من هناك لحرب ابن الزبير رضي الله عنه.

سادساً: لقد تغير الناس عما كانوا عليه أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوفي عدد كبير من الصحابة فكان لابدَّ من ابن الزبير أن لا يحاسب الناس ويعاملهم كما يفعل مع نفسه من الشدة في العبادة والورع بل كان المتوقع أن يلين لهم ويعطيهم ويتحمل منهم الأذى ويتقبل المعارض بصدر رحب ويأتلف عوامهم وخواصهم، ولكنه لم يفعل بل آذى ابن الحنفية وابن عباس وحصرهما لأنهما لم يبايعيا له وذلك واضح في قول ابن عباس رضي الله عنه وهو يقارن بين معاوية رضي الله عنه وابن الزبير رضي الله عنه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «ما رأيتُ رجلاً كان أخلق للملك من معاوية كان الناس يردون بيته على أرجاء وادٍ، ليس بالضعيف الحصر العصص المتعصب يعني ابن الزبير». أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح [المصنف (ح ٢٠٩٨٥)].

الردّ على شبهات أثارها الأستاذ أحمد شلبي (أستاذ التاريخ)
حول شخصية عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

يصوّر لنا الأستاذ الشلبي غريزة حب السلطة الواضحة في شخصية ابن الزبير ولكن دونها عوائق وحواجز فبنو هاشم وبنو أمية أعرق محتداً وأوسع جاهاً، وأكثر أنصاراً، ومن هنا دبَّ فيه عامل الغيظ (والكلام لأحمد شلبي) وإذا اجتمع الغيظ والذكاء والحرمان كانت النتيجة ناراً ملتهبة يمتد لهيبها فيحرق الكثيرين وهذا هو المفتاح الذي يبرز لنا حقيقة هذا الرجل طموح للرياسة وإدراك أن دونها عقبات وعجز عن مقابلة هذه العقبات وجهاً لوجه وحيل مختلفة فيها حنق وغيظ لإزالة هذه العقبات من طريقه. [التاريخ الإسلامي (٢) الدولة الأموية (٢١٨)].

قلنا: سبحان الله كيف سمح شلبي لنفسه أن يصف هذه الصحابي الجليل بهذه الأوصاف التي هي من نسج خياله، وخيال المتروكين الهالكين كأبي مخنف والواقدي.

ولقد أكدت جميع المصادر التي ذكرنا أن معظم الأمصار والأجناد قد استجابوا لابن الزبير حين بويع بالخلافة سوىٰ الجابية أو الأردن على خلاف بين المؤرخين وذكرنا كل ذلك في =

= حينه وحتى اليعقوبي الذي يستشهد بآرائه لم يستطع أن يخفي تلك الحقيقة وذكر أن البلاد والعباد قد مالوا إلى ابن الزبير بعد إعلان بيعته وموت معاوية بن يزيد فأين قلة الأنصار يا أستاذنا الفاضل ثم هل شققت صدر ابن الزبير لترىٰ فيه الغيظ والحقد والشعور بالحرمان ـ اللهم عفوك ـ.

ثم يستطرد في كيلِ التهم لابن الزبير رضي الله عنه ويقول: أن ابن الزبير تظاهر بالموت وترك خالته وحدها هدفاً للسيوف والحراب يوم وقعة الجمل.

قلنا: والذي ذكره ابن كثير في البداية والنهاية خلاف ما قاله الشلبي فلم يتظاهر ابن الزبير بالموت بل جرح يومئذٍ بضعاً وأربعين جراحة ولم يوجد إلاَّ بين القتلىٰ وبه رمق ولا ندري لو كانت بأحدنا جراحة واحدة فقط فماذا يفعل؟

ثم قال شلبي: لقد لجأ عبد الله بن الزبير إلى حيلة سبق أن شرحناها وهي أن دفع الحسين ليستجيب لنداء الكوفة وهو يعرف طبيعة الغدر في رجالها وطبيعة الخيانة وسقط الحسين فقوي الأمل في نفس عبد الله.

ولقد بينا أثناء حديثنا عن موقف الصحابة من مسير الحسين رضي الله عنه إلى العراق أن تلك المقولة غير صحيحة فهي من رواية التالف الهالك أبي مخنف ورواية أخرىٰ في إسنادها مجاهيل.

وذكرنا في حينها رواية الإمام النسوي ورجال إسنادها ثقات وفيها أن ابن الزبير نهىٰ الحسين عن المسير إلى العراق فماذا يقول شلبي؟

وفي الصفحة (٢١٩) يتحدث الشلبي عن الظروف التي جنىٰ ثمارها ابن الزبير كوقعة كربلاء ثم وقعة الحرة، وحرق الكعبة بالمنجنيق كل ذلك زاد السخط العام على يزيد ومن بعده مروان.

ونحن لا ننكر هذه العوامل التي ذكرها الشلبي وهي كما قال ولكن لسنا موافقين له في قوله: «فلما مات يزيد وانقسم الأمويون على أنفسهم حانت للرجل الرابض في مكة الفرصة التي ينتظرها فتلقاها وبنىٰ مجده على أساسها ومن الواضح أنه لم يخرج مرة لقيادة جيش ولم يجازف مرة ليحمي ما حصل عليه من ملك كما سنرىٰ فيما بعد موقفه مع الحصين بن نمير وإنما بقي في مكة.

قلنا: إن كان يعني بقوله: (لم يخرج مرة لقيادة جيش) أنه لم يشارك في قيادة معركة بصورة عامة فهذا غلط تاريخي كبير وشجاعة ابن الزبير في قيادة طلائع الجيش الفاتح في بعض مناطق المغرب واضحة للعيان وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية مسنداً، وبين أنه دخل قلب جيوش البربر وقضىٰ على مَلِكِهم ومُلْكِهم.

وإن كان الأستاذ الشلبي يعني بذلك أنه لم يخرج من مكة أثناء الحصار ليقود الجيش فتلك خطته الحربية ولكل قائد خطة دفاعية كانت أو هجومية وليس ذلك بدليل على جُبْنِه حاشاه=

= فهو الشجاع الذي يشهد له خصمه بشجاعته قبل صديقه.
وبلغ السيل الزبىٰ وطفح الكيل حين اتهم الأستاذ الشلبي ابن الزبير بأنه تطاول على رسول الله ﷺ وترك الصلاة على النبي في خطبته بحجة أن له أهل سوء يشرئبون لذكره. (ص ٢٢١).
حاشا لابن الزبير أن يقول ذلك وحاشا لأهل بيت رسول الله ﷺ أن يكونوا كذلك ولكنه الأستاذ الشلبي الذي يريد أن يجعل من الروايات المكذوبة مصدراً من مصادره للحكم على صحابي جليل وصفه صحابة رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم بأنه صوام قوام وصولٌ للرحم، ومعلوم أن الشلبي اعتمد في هذه الفرية على اليعقوبي المعروف ببدعته والذي لم يرو ذلك بسند يستحق الذكر كعادته فإنه يسرد الأحداث بلا إسناد وكذلك أشار الشلبي إلى العقد الفريد كمصدر آخر ومعلوم أن العقد الفريد كتاب أشعار وخطب ونوادر قبل أن يكون كتاب تاريخ، وابن عبدربه يسوق هذا الخبر وغيره بلا إسناد مستقيم وقد عقب عليه الحافظ ابن كثير حين نسب خبراً لا يصح إلى ولاة بني أمية.
فقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت وربما لا يفهم أحدٌ من كلامه ما فيه من التشيع وقد اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ. [البداية (٨/٦)].
ويقول الأستاذ الشلبي: لم تكن لهذا الرجل فلسفة ولم تكن ثورته ثورة مبادىء بل لم تكن ثورة عسكرية أيضاً وأنه لذلك مسؤول عن الدماء التي أراقها ليحقق لنفسه حلماً وليبني لنفسه مجداً. (ص ٢٢٢).
ونحن لا نريد أن نتأثر بردة الفعل فنقول بل كانت له فلسفة وكان ثورياً... إلخ، فهذه مصطلحات غريبة عن ذلك التاريخ.
والشلبي يعني بقوله: (لم تكن لابن الزبير فلسفة ولم تكن ثورته ثورة مبادىء). أي: أن ابن الزبير لم يفعل ما فعل بدافع التدين ورفع الظلم عن الأمة ما إلى ذلك من المبادىء التي تجعل حركته هادفة لتحقيق غايات نبيلة، وهنا نحب أن نذكر ببعض ما ذكرنا آنفاً وفي ذلك ردّ واضح على خيالات الشلبي:
١ ـ لم يكن ابن الزبير مقتنعاً بكفاءة يزيد للخلافة لأنه متهم بشرب الخمر وتأخير الصلاة، ولأن أهل الحل والعقد لم يجتمعوا عليه.
٢ ـ أراد ابن الزبير أن يرجع بالأمة إلى ما كانت عليه في السالف وأن يجعل الخلافة كما كانت عليه أيام رشدها علىٰ منهج النبوة وخير مثال على ذلك بناءه الكعبة على أصولها الإبراهيمية تنفيذاً لأمره عليه الصلاة والسلام، وسنتحدث عن حادثة بناء الكعبة وما فيها من دلالات بعد حين إن شاء الله.
٣ ـ إذا كانت الأمة قد بايعت لابن الزبير بأغلبية أمصارها سوىٰ مصر أو مصرين فلماذا يكون مسؤولاً عن تلك الدماء ولا يكون يزيد ومن بعده مروان ثم عبد الملك هم المسؤولون عن =

= إراقة هذه الدماء علماً بأن إمامة هؤلاء لا تصح عند ابن حزم وغيره من المتقدمين والذهبي وغيره من المتأخرين.
قال ابن كثير رحمه الله تعالىٰ: فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريباً استفحل أمر عبد الله بن الزبير جداً وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية وبايع له الضحاك بن قيس بدمشق وأعمالها ولكن عارضه مروان بن الحكم في ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ثم جهز السرايا إلى العراق. [البداية والنهاية (٧/ ١٥٠)].
وأما الإمام الذهبي فهو يرىٰ أن مروان هو الخارج على الخليفة ابن الزبير ولا تصح إمامة عبد الملك بن مروان إلاَّ من بعد مقتل ابن الزبير رضي الله عنه. قال الذهبي رحمه الله: عبد العزيز بن مروان أمير مصر وولي عهد المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد من مروان إن صححنا خلافة مروان فإنه خارج على ابن الزبير باغٍ فلا يصح عهده إلى ولديه إنما تصح أمامة عبد الملك من يوم مقتل ابن الزبير. [تاريخ الإسلام (٣/ ١٣٣)].

حادثة احتراق الكعبة وبناؤها من جديد على أصولها
الإبراهيمية في إمارة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

أخرج مسلم في صحيحه كتاب الحج (ح ٤٠٢/ ١٣٣٣):
عن عطاء، قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير، حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجزئهم ـ أو يحربهم ـ على أهل الشام، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس، أشيروا علي في الكعبة، أنقضها ثم أبني بناءها، أو أصلح ما وهى منها؟ قال ابن عباس: فإني قد فرق لي رأي فيها، أرى أن تصلح ما وهى منها، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه، وأحجاراً أسلم الناس عليها، وبعث عليها النبي ﷺ، فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته، ما رضي حتى يجدده، فكيف بيت ربكم؟ إني مستخير ربي ثلاثاً، ثم عازم على أمري، فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء، حتى صعده رجل فألقى منه حجارة، فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا، فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدة، فستر عليها الستور، حتى ارتفع بناؤه، وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي ﷺ قال: «لولا أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يُقَوِّي على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع، ولجعلت لها باباً فيدخل الناس منه، وباباً يخرجون منه».
قال: فأنا اليوم أجد ما أنفق، ولست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى أُسّاً نظر الناس إليه، فبنىٰ عليه البناء، وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعاً، فلما زاد فيه استقصره، فزاد في طوله عشر أذرع، وجعل له بابين: أحدهما يُدخل منه، =

= والآخر يخرج منه ، فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أُسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاد في طوله فأقره ، وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه ، وسد الباب الذي فتحه ، فنقضه وأعاده إلى بنائه.
وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه/ كتاب الحج (ح ٤٠٤/ ١٣٣٣).
عن أبي قزعة ، أن عبد الملك بن مروان ، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير ، حيث يكذب على أم المؤمنين ، يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة ، لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر ، فإن قومك قصروا في البناء» ، فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين ، فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا.
قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه ، لتركته على ما بنى ابن الزبير. اهـ.
قلنا: ولهذه الرواية الصحيحة دلالات نودُّ أن نقف عندها قليلاً:
١ ـ كان ابن الزبير رضي الله عنه وقّافاً عند كتاب الله متبعاً لسنة رسول الله ﷺ وهو بذلك صاحب مبادىء لا كما اتهمه الأستاذ الشلبي عفا الله عنه وكان واعياً لمقاصد الشرع إذ قال رضي الله عنه: «فأنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس». أي: أن الناس ليسوا بحديثي عهد بالجاهلية كما كانوا قبل ذلك بعقودٍ من الزمن.
٢ ـ لم يكن عبد الملك صاحب تلك الصورة السيئة التي رسمتها روايات الضعفاء والمجاهيل من أنه ترك المصحف منذ أن تولّىٰ الحكم والدليل على ذلك قوله في رواية مسلم: «لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنىٰ ابن الزبير».
ونحن نرىٰ ـ والله أعلم ـ من خلال دراستنا للروايات التاريخية الصحيحة أن عبد الملك لم يكن تواقاً إلى القتال ولم يكن يحب سفك الدماء ، إنما اضطر لذلك (حسب اعتقاده) لاستتباب الأمن والحفاظ على وحدة الأمة ولقد كان أبوه من قبل (مروان) قد أمر جنوده بعدم ملاحقة الهاربين من جيش الضحاك بعد خسارتهم في المعركة.
وقد روىٰ جرير بن حازم ، عن نافع قال: «لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان». [ابن سعد (٥/ ٢٣٤) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٩) ، الذهبي (٣/ ١٣٩ و١٤٠)].
ولقد ذكرت كتب التاريخ أن عبد الملك حين أفضىٰ إليه الأمر والمصحف في حجره يقرأه أطبقه وقال: هذا آخر عهدي بك ، أو هذا فراق بيني وبينك. اهـ.
ولما تتبعنا أصل الرواية وجدنا عند الخطيب البغدادي في تاريخه الرواية الأولىٰ (١٠/ ٣٨٩) عن ابن عائشة قال: أفضىٰ الأمر إلى عبد الملك والمصحف... إلخ.
قلنا: وابن عائشة الذي توفي (سنة ٢٢٨ هـ) بينه وبين اليوم الذي تولىٰ فيه عبد الملك (سنة =

= ٦٥ هـ) مفاوز فكيف علم بقوله: عبد الملك هذه علماً بأن إسناد الخطيب إلى ابن عائشة لا يخلو من مجهول؟
والرواية الثانية عند الخطيب (١٠/ ٣٩٠) من طريق ثعلب عن ابن الأعرابي.
قال: لما سلم علىٰ عبد الملك بن مروان بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال: هذا فراق بيني وبينك. اهـ.
قلنا: وابن الأعرابي لم يدرك الحادثة والراوي عنه ثعلب (مجهول) ولم نجد للخالع ترجمة فأنّىٰ يستقيم هذا الإسناد وكيف نقول بأن هذا الانقلاب حصل في سلوك وشخصية عبد الملك اعتماداً على هذين الإسنادين المهلهلين؟
ولسنا بصدد الدفاع عن أخطاء عبد الملك بن مروان فالرجل خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ولكننا في الوقت نفسه ننفي عن التاريخ الروايات المختلفة التي بالغت في ذم بني أمية حتىٰ إنك لا ترى فيهم إماماً صالحاً يستحق الذكر سوىٰ معاوية رضي الله عنه وعمر بن عبد العزيز وليس الأمر كذلك.
وختامه مسك: أسماء بنت أبي بكر والمثل الأعلىٰ للأم المؤمنة.
قلنا: يوم أن كان العالم مبهوراً ببريق الشيوعية وبهرجها الزائف أوائل هذا القرن كان الأدب الروسي يصور لنا صورة لأم تتأثر بابنها الشيوعي الكادح يوماً فيوماً ثم تبدأ الأم بتوزيع منشورات الثورة وقام الأدباء الروس والعرب علىٰ حدٍّ سواء يروجون لرواية الأم ومؤلفه الشيوعي مكسيم كوركي.
ولم يكلف الأدباء العرب أنفسهم عناء البحث في تاريخ الإسلام العظيم ليستخرجوا تلك الدرة الثمينة من أعماق بحر التاريخ الإسلامي إنها أم وليست كسائر الأمهات إنها المؤمنة الموحدة الصابرة المكافحة المجاهدة أسماء بنت أبي بكر تعلم أن ابنها محاصر من قبل أعداءه ومحاط بالسيوف والرماح ينتظره جلاد كالطاغية الحجاج فما يكون منها إلاَّ أن تحثه على الصبر والجهاد لرفع الظلم وبيع الدنيا مقابل الشهادة أيُّ أمٍّ هذه التي تحث ابنها على الثبات ثم تراه مصلوباً فلا تولول ولا تشق جيباً ولا تلطم خداً؟ ثم تغسل الشلو الممزق بيديها الكريمتين الحانيتين حقاً إن هذا لتاريخ عقيدة فأين أدعياء العلم والتاريخ الذين تربوا على موائد المستشرقين وكيف يفسرون تصرف هذه الأم وابنها البطل ألاما أعظم مفردات التاريخ الإسلامي، وما أعظم فرية المفترين واختلاق الرواة المجهولين والمتروكين واصطياد الباحثين المرضىٰ في خضم الروايات المكذوبة والموضوعة، والحمد لله على نعمة الإسناد.
وهذه هي الرواية الصحيحة في ذلك:
أخرج مسلم في صحيحه: عن أبي نوفل، رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت قريش تمر عليه والناس، حتى مرَّ عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه، فقال: السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد=

فصل نذكر فيه الكتَّاب من بدء أمر الإسلام

روى هشام وغيره أنّ أوّل من كتب من العرب حرب بن أميّة بن عبدِ شمس بالعربيّة ، وأنَّ أوّل من كتب بالفارسيّة بيوراسب ، وكان في زمان إدريس ، وكان أول من صنّف طبقاتِ الكتَّاب وبيّن منازلهم لهراسب ابن كاوغان بن كيمُوس .

وحُكِي أن أبرويْز قال لكاتِبه : إنما الكلام أربعةُ أقسام :

سؤالُك الشيءَ ، وسؤالُك عن الشيء ، وأمرُك بالشيء ، وخبرك عن الشيء ؛ فهذه دعائمُ المقالات إن التُمس لها خامس لم يوجَد ، وإن نقص منها رابعٌ لم تَتِمّ ، فإذا طلبتَ فأسجح ، وإذا سألتَ فأوضح ، وإذا أمرْت فاحْتم ، وإذا أخبرت فحقّق .

وقال أبو موسى الأشعريّ : أوّل من قال : أما بعدُ داود ، وهي فصلُ الخِطاب الذي ذكره الله عنه .

وقال الهيَثْم بنُ عَديّ : أوّل مَن قال : أما بعدُ قسّ بنُ ساعدةَ الإياديّ .

= كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، إن كنتَ ، ما علمتُ ، صواماً ، قواماً ، وصولاً للرحم ، أما والله ، لأمة أنت أشرها لأمة خير .

ثم نفذ عبد الله بن عمر ، فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله ، فأرسل إليه ، فأنزل عن جذعه ، فألقي في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ، فأبت أن تأتيه ، فأعاد عليها الرسول : لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك . قال : فأبت وقالت : والله لا آتيك حتى تبعث إليّ من يسحبني بقروني . قال : فقال : أروني سبتي ، فأخذ نعليه ، ثم انطلق يتوذف ، حتى دخل عليها . فقال : كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول له : يابن ذات النطاقين . أنا والله ، ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ ، وطعام أبي بكر من الدواب .

وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا : «إن في ثقيف كذاباً ومبيراً» ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأمّا المبير فلا إخالك إلاّ إياه ، قال : فقام عنها ولم يراجعها .

[صحيح مسلم/ فضائل الصحابة/ ح ٢٢٩/ ٢٥٤٥] .

أسماء من كتب للنبيّ ﷺ

عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان رضي الله عنه ، كانا يكتبان الوحْيَ ؛ فإن غابا كتبه أبيُّ بنُ كعب وزيدُ بنُ ثابت .

وكان خالد بنُ سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سُفْيان يكتُبان بين يديه في حوائجه .

وكان عبد الله بنُ الأرقم بن عبد يَغُوثَ والعلاءُ بن عُقبة يَكتُبان بين القوم في حوائجهم ، وكان عبد الله بنُ الأرقم ربما كتب إلى الملوك عن النبيّ ﷺ .

* * *

أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة

وكتَب لأبي بكر عثمانُ ، وزيدُ بن ثابت ، وعبدُ الله بنُ الأرقم وعبدُ الله بنُ خلَف الخُزاعيّ ، وحَنْظلةَ بن الربيع .

وكَتَب لعمرَ بن الخطاب زيدُ بن ثابت ، وعبدُ الله بنُ الأرقم ، وعبدُ الله بن خَلَف الخُزاعيّ أبو طلحة الطلَحات على ديوان البَصْرة ، وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبِيرةَ بن الضحّاك الأنصاريّ .

وقال عمرُ بنُ الخطّاب لكتّابه وعُمّاله : إنّ القوّة على العمل ألاّ تؤخِّروا عملَ اليوم لغَد ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاءَبتْ عليكم الأعمال ، فلا تَدْرون بأيها تبدؤون ، وأيِّها تأخذون ، وهو أوّلُ مَنْ دوّن الدّواوين في العَرَب في الإسلام .

وكان يكتُب لعثمانَ مروانُ بنُ الحَكَم ، وكان عبدُ الملك يكتُب له على ديوان المدينة ، وأبو جَبِيرة الأنصاريّ على ديوان الكوفة ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دُهمانَ من قيس عَيْلان يَكتُب له ، وكان يكتُب له أهيبُ مولاه ، وحمران مولاه .

وكان يكتُب لعليّ عليه السلام سعيدُ بنُ نِمْران الهمدانيّ ، ثمّ وليَ قضاءَ الكوفة لابن الزّبير ، وكان يكتب له عبد الله بن مسعود ، ورُوي أنّ عبد الله بن جُبير كتب له. وكان عُبيدُ الله بنُ أبي رافع يكتُب له ، واختلف في اسم

أبي رافع ، فقيل : اسمُه إبراهيم ، وقيل : أسلم ، وقيل : سنان ، وقيل : عبدُ الرحمن .

وكان يَكتُب لمعاوية على الرّسائل عبيد بنُ أوْس الغَسّانيّ ، وكان يَكتب له على ديوان الخَراج سَرجُون بنُ منصور الرّوميّ ، وكتب له عبدُ الرحمن بنُ درّاج ، وهو مَولَى معاوية ، وكَتَب على بعض دواوينه عُبيدُ الله بنُ نصر بن الحجاج بن عَلاء السُّلَميّ .

وكان يَكتُب لمعاوية بن يزيدَ الرّيانُ بنُ مسلم ، ويَكتُب له على الديوان سرجُون ، ويُروَى أنه كتب له أبو الزعَيْزِعة .

وكَتَب لعبد الملك بن مروان قبيصةُ بنُ ذؤيب بن حَلحلة الخُزاعيّ ، ويُكْنى أبا إسحاق ، وكتَب على ديوان الرسائل أبو الزعَيْزعة مولاه .

وكان يَكتُب للوليد القَعقاعُ بنُ خالد ـ أو خُليد العبْسيّ ، وكتب له على ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنيّ ، وعلى ديوان الخاتم شُعيبُ العُمَانيّ مولاه ، وعلى ديوان الرّسائل جناح مولاه . وعلى المستَغلّات نُفَيع بنُ ذُؤَيب مولاه .

وكان يكتُب لسليمان سليمانُ بنُ نعيم الحِمْيريّ .

وكان يَكتُب لمسلَمة سميع مولاه ، وعلى ديوان الرسائل اللّيث بن أبي رُقَيّة مولَى أمّ الحَكَم بنت أبي سُفْيان ، وعلى ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنيّ ، وعلى ديوان الخاتَم نُعَيمُ بنُ سلامة مَولىً لأهل اليمن من فِلَسْطين ، وقيل : بل رجاء بن حَيْوَة كان يتقلّد الخاتَم .

وكان يَكتب ليزيدَ بن المهلب المغيرةُ بنُ أبي فَرْوة .

وكان يكتب لعمرَ بن عبد العزيز اللّيثُ بن أبي رقيّة مولى أمّ الحَكَم بنت أبي سُفْيان ، ورَجاء بن حَيْوة ، وكتب له إسماعيلُ بن أبي حكيم مولىٰ الزّبير ، وعلى ديوان الخراج سليمانُ بنُ سعد الخُشَنيّ . وقلّد مكانَه صالح بن جُبير الغَساني ـ وقيل : الغُدَانيّ ـ وعَديّ بنُ الصبّاح بن المثنى ، ذكَر الهيثمُ بنُ عَديّ أنه كان من جِلّة كُتّابه .

وكَتَب ليزيدَ بن عبد الملك قبل الخلافة رجلٌ يقال له يزيد بن عبد الله ، ثمّ استكتب أسامةَ بن زيد السَّلَيحيّ .

وكَتَب لهشام سعيدُ بنُ الوليد بن عمرو بن جَبَلة الكلبيّ الأبْرَش ، ويُكنّى أبا مخاشع ، وكان نصر بن سَيّار يتقلّد ديوان خراج خُرَاسان لهشام. وكان من كتّابه بالرُّصافة شعيبُ بنُ دينار.

وكان يكتب للوليد بن يزيدَ بكير بن الشمّاخ ، وعلى ديوان الرسائل سالمُ مولَى سعيد بن عبد الملك ، ومِن كتّابه عبدُ الله بنُ أبي عمرو ، ويقال: عبد الأعلى بن أبي عمرو ، وكتب له على الحضرة عَمْرو بن عُتْبة.

وكَتَب ليزيد بن الوليد الناقص عبدُ الله بنُ نُعَيم ، وكانَ عَمرو بنُ الحارث مولى بني جُمَح يتولّى له ديوانَ الخاتَم ، وكان يتقلد له ديوانَ. الرسائل ثابتُ بنُ سليمانَ بن سعد الخُشَنيّ ـ ويقال الرّبيع بن عرعرة الخُشَنيّ ـ وكان يتقلد له الخراجَ والدّيوانَ الذي للخاتَم الصغير النّضرُ بنُ عَمْرو من أهل اليَمَن.

وكَتَب لإبراهِيمَ بن الوليد بنُ أبي جمعة ، وكان يتقلّد له الديوانَ بفِلسطين ، وبايع الناس إبراهيم ـ أعني ابنَ الوليد ـ سوى أهل حِمْصَ ، فإنهم بايعوا مروانَ بنَ محمد الجَعْديّ.

وكَتَب لمروانَ عبدُ الحميد بنُ يحيى مولى العلاء بن وَهْب العامريّ ، ومُصعَب بن الربيع الخَثْعميّ ، وزيادُ بنُ أبي الوَرْد. وعلى ديوان الرسائل عثمانُ بنُ قيس مولى خالد القَسْريّ ، وكان من كتّابه مخلَد بن محمد بن الحارث ـ ويُكنى أبا هاشم ـ ومن كتّابه مُصعب بن الرّبيع الخَثْعميّ ، ويُكْنَى أبا موسى ، وكان عبدُ الحميد بنُ يحيى من البلاغة في مكان مَكين ، ومما اختير له من الشعر:

تَرحّلَ ما ليس بالقَافِلِ	وأعقَبَ ما ليْسَ بالزَّائلِ
فلَهْفي على الخَلَفِ النازلِ	ولَهفي على السلفِ الراحلِ
أُبكِّي على ذا وأبكي لذا	بكاءَ مُولَّهةٍ ثاكِلِ
تُبَكِّي من ٱبنٍ لها قاطعٍ	وتبكي على ٱبنٍ لها واصلِ
فليستْ تفتَّرُ عن عَبْرةٍ	لها في الضّمير ومن هامِلِ
تقضَّت غَوايَاتُ سُكْرِ الصِّبَا	وردَّ التُّقَى عَنَنَ الباطِلِ

وكَتَب لأبي العباس خالدُ بن بَرْمَك ، ودفع أبو العباس ابنتَه رَيْطة إلى خالد بن

بَرْمك حتى أرضعتْها زوجتُه أم خالد بنت يزيد بلِبان بنت لخالد تُدعَى أمَّ يحيى ، وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العبَّاس أمّ يحيى بنت خالد بلبان ابنتها رَيطة ، وقلَّد ديوان الرسائل صالح بن الهَيْثم مولى رَيْطة بنت أبي العبَّاس.

وكَتَب لأبي جعفر المنصور عبدُ الملك بنُ حُميد مولى حاتم بن النّعمان الباهليّ من أهل خُراسان ، وكتب له هاشم بنُ سعيد الجُعْفيّ وعبدُ الأعلى بن أبي طَلْحة من بني تميم بواسِطَ ، ورُوي أنّ سليمانَ بنَ مخلد كان يَكتُب لأبي جعفر ، وممَّا كان يَتمثّل به أبو جعفر المنصور:

وما إنْ شَفَى نفساً كأَمرِ صريمةٍ إذا حاجةٌ في النفس طالَ اعتراضُها

وكَتَبَ له الرّبيع ، وكان عُمارةُ بنُ حَمزةَ من نُبلاء الرّجال ، وله:

لا تَشْكوَنْ دهْراً صَححْتَ بِهِ إنَّ الغِنَى في صِحّة الجسمِ
هَبْك الإمامُ أكَنتَ منتفِعاً بغضارةِ الدّنيا مع السُّقْم!

وكان يتمثَّل بقول عبد بني الحَسْحَاس:

أَمِنْ أُمَيّةَ دمعُ العين مَذْروفُ لو أن ذا منكَ قبلَ اليوم معروفُ
لا تُبكِ عينَك إنّ الدّهر ذو غِيَرٍ فيه تفرّقَ ذو إِلْفٍ ومألوفُ

وكَتَب للمهديّ أبو عُبيد الله وأبانُ بنُ صَدقة على ديوان رسائله ، ومحمَّد بن حُمَيد الكاتب على ديوان جُنْده ويعقوب بن داود ، وكان اتَّخذه على وَزارته وأمْره ، وله:

عَجباً لتصريفِ الأمو رِ محبَّةً وكراهيَهْ
والدَّهرُ يَلعَب بالرِّجا ل له دوائرُ جاريهْ

ولابنه عبد الله بن يعقوب ـ وكان له محمَّدٌ ويعقوبُ ، كلاهما شاعرٌ مجيدٌ:

وزع المَشيبُ شراستي وغَرامي ومَرَى الجفونَ بمُسْبَلٍ سَجّامِ
ولقد حَرَصتُ بأن أُوارِي شخصه عن مقلتيَّ فرُمْتُ غَيرَ مرام
وصبغتُ ما صَبَغَ الزمانُ فلم يدمْ صِبغي ودامت صبغةُ الأَيام
لا تَبعدنَّ شبيبةٌ ذيّالةٌ فارقتُها في سالفِ الأَعوام
ما كان ما ٱستصحَبْت من أيّامها إلاّ كبعضِ طوارقِ الأَحلامِ

ولأبيه:

طَلِّق الدنيا ثلاثاً ... واتَّخِذ زوْجاً سِواها
إنَّها زَوْجةُ سَوءٍ ... لا تُبالي مَنْ أتَاها

واستوزر بعدَه الفَيْض بن أبي صالح ، وكان جواداً.

وكتب للهادي موسى عُبيدُ الله بن زياد بن أبي ليلى ومحمَّد بن حُمَيد.

وسأل المهديّ يوماً أبا عُبيد الله عن أشعار العرب ، فصنَّفها له ، فقال: أحكمُها قول طَرفة بن العَبْد:

أرى قبر نحامٍ بخيلٍ بماله ... كقَبْرِ غَويٍّ في البَطالة مُفْسِدِ
ترى جُثوتَيْنِ من تُرابٍ عليهما ... صفائحُ صُمٌّ من صفيح مصمَّدِ
أرَى الموتَ يعْتام الكرامَ ويَصطفِي ... عقيلةَ مالِ الفاحِش المتشدِّدِ
أَرَى العَيْشَ كنزاً ناقصاً كلّ ليلة ... وما تَنقُص الأيام والدهر يَنفَدِ
لعمرُك إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفتى ... لكالطوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليَدِ

وقوله:

وقد أرانا كِلاَنا هَمَّ صاحِبِه ... لو أنَّ شيئاً إذا ما فاتَنا رَجعَا
وكان شيءٌ إلى شيءٍ ففرَّقَه ... دَهرٌ يكرُّ على تفريقِ ما جمَعا

وقول لبيد:

ألا تَسألانِ المرءَ ماذا يُحاوِلُ ... أنَحْبٌ فيُقضَى أم ضلالٌ وباطلُ
ألاَ كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ
أَرَى الناسَ لا يدرون ما قدرُ أَمرِهمْ ... بلى كلُّ ذي رأيٍ إلى الله واسِلُ

وكقول النابغة الجَعْديّ:

وقد طالَ عهدي بالشّباب وأَهلِه ... ولاقيتُ رَوْعاتٍ تُشيبُ النَّواصيَا
فلم أَجِدِ الإخوانَ إلاَّ صحابةً ... ولم أَجِدِ الأَهلينَ إلاَّ مثاويا
ألم تعْلمي أن قد رُزِئتُ مُحارِباً ... فما لكِ منه اليوم شيءٌ ولا لِيا

وكقول هُدْبَة بن خَشْرَم:

ولستُ بِمفراحٍ إذا الدهرُ سرَّني ... ولا جازع من صَرفه المتقلِّبِ
ولا أَبتغي الشرَّ والشرُّ تاركي ... ولكن مَتَى أُحَملْ على الشَّرِّ أَركبِ
وما يَعرف الأَقوامُ للدَّهر حَقَّهُ ... وما الدّهُر مِما يكرهون بمُعتِبِ

وللدهر في أهل الفتى وتِلادِهِ نصيب كَحزِّ الجازِرِ المتشعِّب

وكقول زيادة بن زيد؛ وتمَثل به عبدُ الملك بن مروان:

تذكَّر عن شَحْطٍ أُميمةَ فارْعَوي لها بعد إكثارٍ وطُول نحيبِ

وإنَّ امرأً قد جرّب الدهر لم يخَفْ تقلُّبَ عَصْرَيه لغيرُ لبيبِ

هل الدهرُ والأَيام إلاَّ كما تَرَى رزيئةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ

وكلّ الذي يأتي فأنتَ نَسيبُهُ ولستَ لشيءٍ ذاهبٍ بنَسيبِ

وليس بعيدٌ ما يجيء كمقبِلٍ ولا ما مَضَى من مُفْرِحٍ بقَريبِ

وكقول ابن مُقبِل:

لمَّا رأت بَدل الشَّبابِ بكتْ له والشَّيب أَرْذلُ هذه الأبدالِ

والناس همهُمُ الحياةُ ولا أَرَى طول الحياة يَزيدُ غير خَبالِ

وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائر لم تَجِدْ ذخراً يكون كصالح الأَعمال

ووزر له يحيى بن خالد، ووَزَر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد، فمن مَلِيح كلامه: الخطّ سِمَة الحِكمة، به تفصَّل شُذورُها، ويُنظَمَ منثورُها، قال ثمامة: قلتُ لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ فقال: أن يكون الاسم محيطاً بمعناك، مُخبِراً عن مَغْزاك، مُخرجاً من الشركة، غير مستعانٍ عليه بالفِكرة. قال الأصمعيّ: سمعتُ يحيى بنَ خالد يقول: الدنيا دُوَل، والمال عاريّة، ولنا بمن قبلَنا أسْوة، وفينا لمن بعدنا عِبْرة.

ونأتي بتسمية باقي كُتَّاب خلفاء بني العباس إذا انتهيْنا إلى الدّولة العبّاسيّة إن شاء الله تعالى. [٦: ١٧٨ ـ ١٨٦].

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

وفي هذه السنة عَزَل عبدُ الملك خالدَ بن عبد الله عن البَصرة وَولاَّها أخاه بِشْر بن مروان، فصارت ولايتُها وولايةُ الكوفة إليه، فشخص بِشر لمَّا وُلِّيَ مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستَخلف على الكوفة عمرو بنَ حريث. وفيها غزا محمَّد بنُ مروان الصائفة فهزم الرّوم[١]. (٦/ ١٩٤).

---

(١) انظر تاريخ خليفة (٢٦٧).

وقيل: إنّه كان في هذه السنة وقعةُ عثمانَ بنِ الوليد بالرّوم في ناحية أرْمينيةَ وهو في أربعمئة آلاف والروم في ستين ألفاً، فهزَمَهم وأكثرَ القَتلَ فيهم.

وأقام الحجّ في هذه السَّنة للناس الحجَّاج بن يوسف وهو على مكَّة واليمن واليمامة، وعلى الكوفة والبصرة ـ في قول الواقديّ ـ بشر بنُ مروان، وفي قول غيره على الكوفة بِشْر بن مَرْوان، وعلى البصْرة خالد بن عبد الله بن خالدِ بن أسِيد. وعلى قضاء الكوفة شُرَيح بن الحارث. وعلى قَضاء البَصْرة هشامُ بنُ هُبيرة. وعلى خُراسانَ بُكَير بن وِشاح[١]. [٦/ ١٩٤].

ثمّ دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر:] فمما كان فيها من ذلك عَزْلُ عبدِ الملك طارقَ بن عمرو عن المدينة، واستعمالُه عليها الحجَّاج بن يوسف، فقدِمها ـ فيما ذكر ـ فأقام بها شهراً ثمّ خرج معتمراً.

وفيها كان ـ فيما ذُكِر ـ نَقْضُ الحجَّاج بن يوسفَ بنيان الكعبة الَّذي كان ابنُ الزبير بناه، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحِجْر، وجعل لها بابَيْن، فأعادها الحجَّاجُ على بنائها الأوّل في هذه السنة، ثمّ انصرف إلى المدينة في صفر، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبَّث بأهل المدينة ويتعنَّتهم، وبنى بها مسجداً في بني سلمة، فهو يُنسَب إليه[٢]. [٦: ١٩٥].

* * *

---

(١) ذكر خليفة ضمن أحداث سنة (٧٣ هـ) تحت عنوان القضاة ـ كعادته بعد وفاة كل خليفة ـ البصرة: هشام بن هبيرة واعتزل شريح فاستقضى مصعب على الكوفة سعيد بن نمران الهمداني (ص ٢٦٦).
وقال خليفة: وفيها ـ أي: ٧٣ هـ ـ ولىٰ عبد الملك أخاه بشر بن مروان الكوفة (ص ٢٦٥).
وقال خليفة: وحج الحجاج بن يوسف بالناس سنة ٧٣ هـ. [تاريخ خليفة (٢٦٧)].

(٢) قال الحافظ ابن كثير: الحجاج لم ينقض بناء الكعبة جميعاً بل هدم الحائط الشمالي حتى أخرج الحجر من البيت ثم سدّه وأدخل في جوف الكعبة. فأفضل من الأحجار وبقية الحيطان الثلاثة بحالها. [البداية والنهاية (٧/ ١٥٩)].

ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة

وفي هذه السنة وُلِّيَ المهلَّبُ حَرْبَ الأزارِقة مِن قِبَل عبدِ الملك. [٦ : ١٩٥].

وحجَّ بالناس في هذه السنة الحجّاج بنُ يوسفَ، وكان وَلى قضاءَ المدينة عبدَ الله بنَ قيس بن مَخرَمة قبل شخُوصِه إلى المدينة كذلك، ذُكر ذلك عن محمَّد بن عمر[١]. [٦ : ٢٠١].

وكان على المدينة ومكّةَ الحجّاجُ بنُ يوسف، وعلى الكوفة والبَصرة بشْرُ بن مَرْوان، وعلى خُراسانَ أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكُوفة شُريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشامُ بنُ هُبَيرة، وقد ذُكِر أنّ عبدَ الملك بن مروانَ اعتمر في هذه السنة، ولا نعلَم صحّةَ ذلك[٢]. [٦ : ٢٠١].

ثمّ دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخبر عمَّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قِبَل مَرْعش[٣]. [٦ : ٢٠٢].

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة.

وفي هذه السنة وَلّى عبدُ الملك الحَجّاجَ بنَ يوسفَ العراقَ دون خُراسان وسِجِسْتان.

* * *

---

(١) قال خليفة بن خياط: وأقام بالحج للناس (أي: الحجاج) ضمن أحداث سنة ٦٤ هـ. [تاريخ خليفة (٢٦٨)].

(٢) قلنا: وهذه من النوادر في تاريخ الطبري، فالطبري لا يصحح خبراً يورده ولا يضعفه على طول تاريخه إلاَّ في مواضع قليلة جداً لا تعدو عدد الأصابع ومنها هذا الموضع.
ولقد قال خليفة: فيها جمع عبد الملك لأخيه بشر بن مروان العراق وقدم البصرة سنة أربع وسبعين في ذي الحجة. [تاريخ خليفة (٢٦٨)].

(٣) وكذلك أرخ خليفة نقلاً عن بكار عن محمد بن عائذ. [تاريخ خليفة (٢٦٨)].

ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها

وفيها قدم الحجاج الكوفة (٧٥ هـ). [٦ : ٢٠٢].

ثم دخلت سنة ست وسبعين

نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان

وفي هذه السَّنة أمر عبدُ الملك بن مروان بنَقْش الدّنانير والدَّراهم.

ذكرَ الواقديّ: أنّ سعدَ بن راشد حدّثه عن صالح بن كَيْسانَ بذلك.

قال: وحدّثني ابن أبي الزّناد، عن أبيه، أنَّ عبدَ الملك ضرب الدراهمَ والدَّنانير عامَئذ، وهو أوّل من أحدَثَ ضرْبَها.

قال: وحدّثني خالدُ بن أبي ربيعة عن أبي هلال، عن أبيه، قال: كانت مثاقيلُ الجاهلية الَّتي ضرَبَ عليها عبدُ الملك اثنين وعشرين قيراطاً إلاّ حبَّةً، وكان العشرةُ وزنَ سَبْعة.

قال: وحدّثني عبد الرحمن بن جرير اللَّيثيّ عن هلال بن أسامة قال: سألتُ سعيدَ بن المسيِّب في كَمْ تَجِب الزكاة من الدّنانير؟ قال: في كلّ عشرين مثقالاً بالشأميّ نصفُ مثقال، قلت: ما بالُ الشأمي من المصريّ؟

قال: هو الَّذي تُضرب عليه الدّنانير، وكان ذلك وزنْ الدّنانير قبل أن تُضرَب الدّنانير، كانت اثنين وعشرين قيراطاً إلاّ حبَّة، قال سعيد، قد عرفتهُ، قد أرسلتُ بدَنانيرَ إلى دِمَشق فضُرِبتْ على ذلك[1]. [٦ : ٢٥٦].

---

(١) قلنا: نادراً ما نذكر روايات الواقدي في قسم الصحيح فهو متروك عند أئمة الحديث، ومن تلك المواضع ما ذكره هنا عن ضرب الدراهم والدنانير في عهد عبد الملك، ولكلامه هذا (أي: الواقدي) ما يؤيده كما سنذكره.
فقد قال المدائني: ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة ٧٥ هـ، ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة ٧٦ هـ، [فتوح البلدان (٢٧٧)].
وقال البلاذري: حدثني داود الناقد، قال: ثني أبو الزبير الناقد، قال: ضرب عبد الملك شيئاً من الدنانير في سنة (٧٤ هـ) ثم ضربه سنة (٧٦ هـ). [فتوح البلدان (٢٧٨)]. =

وفي هذه السَّنة: وفد يحيى بن الحَكَم على عبد الملك بن مَرْوان ووَلِيَ أبانُ بنُ عثمانَ المدينَةَ في رجب.

وفيها استُقضِيَ أبانُ بنُ نوفل بن مُساحقِ بن عَمرو بنِ خِداش من بني عامر بن لؤيّ.

وفيها وُلِد مروانُ بنُ محمَّد بن مَرْوان.

وأقام الحجّ للناس في هذه السنة أبانُ بنُ عثمانَ وهو أميرٌ على المدينة، حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت، عمّن ذَكره، عن إسحاقَ بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقديّ.

وكان على الكوفة والبصرة الحجَّاج بنُ يوسف، وعلى خُراسان أميَّة بنُ عبدُ الله بن خالد، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البَصْرة زُرَارة بن أوفى[1]. (٦/ ٢٥٦).

= وقال ابن الجوزي: أنبأنا محمد بن عبد الملك قال: أنبأنا محمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا أبو علي بن الصواف قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف قال: ثنا وكيع قال: حدثني هارون بن محمد قال: ثنا زبير: عن عبد الرحمن بن المغيرة الجزامي: عن: ابن أبي الزناد: عن أبيه: أن عبد الملك أول من ضرب الدنانير والدراهم في سنة خمس وسبعين.
وقال وكيع: وأخبرني محمد بن الهيثم قال: سمعت ابن بكير يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: أول من ضرب الدنانير عبد الملك وكتب عليها القرآن. [المنتظم (٢٩٥/ ١٦٤٩)].

عبد الملك والحجاج وتوحيد لغة دواوين الخلافة

قال البلاذري: وحدثني عمر بن شبة: ثني عاصم أبو النبل قال: أنبأنا سهل بن أبي الصلت قال: أجَّل الحجاج صالح بن عبد الرحمن أجلاً حتى قلب الديوان. [فتوح البلدان (١٨٢)].
قلنا: وسنتحدث عن هذا الإنجاز الحضاري في خلاصتنا عن عهد عبد الملك بعد انتهائنا من ذكر وفاته إن شاء الله.

(١) انظر قوائم الولاة والحُجاج في نهاية عهد عبد الملك.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين[١]

وقد قيل: في قتال الحجَّاج شبيباً بالكُوفة ما ذكره عُمر بنُ شَبَّة.

قال: حدّثني عبدُ الله بنُ المغيرة بن عطيَّة قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا مزاحم بن زُفر بن جسَّاس التَّيميّ، قال: لما فضّ شبيبٌ كتائبَ الحجَّاج أذن لنا فدخلنا عليه في مَجلِسه الَّذي يبيت فيه وهو على سريرٍ عليه لِحاف، فقال: إني دعوتُكم لأمر فيه أمان ونظر، فأشيروا عليَّ، إنّ هذا الرجل قد تبَحْبَح بُحْبُوحَتَكم، ودخل حَريمَكم، وقتل مُقاتِلتكم، فأشيروا عليّ؛ فأطرَقوا، وفَصَل رجل من الصّفّ بكرسيّه فقال: إنْ أذن لي الأميرُ تكلَّمت، فقال: تكلم، فقال: إنّ الأمير والله ما راقبَ اللهَ، ولا حَفِظ أميرَ المؤمنين، ولا نَصَح للرعيَّة، ثمّ جلس بكرسيه في الصفّ.

قال: وإذا هو قُتَيبة. قال: فَغضِب الحجَّاج وألقَى اللحاف. ودَلَّى قَدَميه من السرير كأني أنظر إليهما؛ فقال: من المتكلِّم؟ قال: فخرج قُتيبةُ بكُرسيِّه من الصّفّ فأعاد الكلام، قال: فما الرأي؟ قال: أن تَخرُج إليه فتحاكِمَه؛ قال: فارتد لي مُعسكراً ثم اغدُ إليّ، فقال: فخرجْنا نَلعَن عَنْبسة بنَ سعيد، وكان كلَّم الحجَّاج في قُتيبة، فجعله من أصحابه، فلمَّا أصبَحْنا وقد أوصَيْنَا جميعاً. غَدونا في السلاح، فصلَّى الحجَّاج الصّبح ثم دخل، فجعل رسوله يخرج ساعةً بعد ساعة فيقول: أجاء بعدُ؟ أجاء بعدُ؟ ولا ندري مَن يريد! وقد أفعمت المقصورةُ بالناس، فخَرَج الرسولُ فقال: أجاء بعدُ؟ وإذا قُتيبةُ يمشي في المسجد عليه قباء هرويّ أصفر، وعمامة خزّ أحمر، متقلِّداً سيفاً عريضاً قصيرَ الحمائل كأنَّه في إبطِه، قد أدخل بِرْكة قَبائه في مِنطَقتِه، والدّرع يصفق ساقَيْه فَفُتح له الباب فدخل ولم يُحْجَب، فَلَبِث طويلاً ثمّ خرج، وأخرج معه لِواءً منشوراً، فصلَّى الحجَّاج ركعتين، ثم قام فتكلَّم، وأخرج اللواء من باب الفيل، وخرج الحجَّاج يتبعه، فإذا بالباب بغلة شَقراء غرّاءُ محجَّلة فركِبها وعارضه الوُصَفاء بالدّوابّ، فأبَى غيرَها، وركب النَّاسُ.

---

(١) روايات الطبري التي صورت لنا جانباً من المعارك التي دارت بين الحجاج وقواده من جهة والقائد الخارجي شبيباً من جهة أخرىٰ.

وركب قُتيبة فرساً أغرّ محجّلاً كُميتاً كأنَّه في سَرْجه رُمّانة من عُظْم السَّرج ، فأخذ في طريق دارِ السقاية حتَّى خرج إلى السَّبَخة وبها عسكر شبيب ، وذلك يوم الأربعاء ، فتواقَفوا ، ثمّ غَدوْا يومَ الخميس للقتال ، ثمّ غادوهم يوم الجمعة ، فلمَّا كان وقت الصلاة انهزمت الخوارج[1]. [٦ : ٢٧٢ ـ ٢٧٣].

قال أبو زيد: حدّثني خلّاد بن يزيد ، قال: حدّثنا الحجَّاج بنُ قتيبة ، قال: جاء شبيبٌ وقد بعث إليه الحجَّاج أميراً فقَتَله ، ثم آخر فقَتَله أحدهما أعْيَنُ صاحبُ حَمَّام أعْيَن ، قال: فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة ، وقد كانت نذرتْ أن تُصلِّيَ في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران ، قال: ففعلتْ. قال: واتّخذ شبيب في عسكره أخْصاصاً ، فقام الحجَّاج فقال: لا أراكم تَناصَحون في قتال هؤلاء القوم يا أهلَ العراق! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُمِدّني بأهل الشأم ، قال: فقام قُتيبَة فقال: إنَّك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين في قِتالهم[2]. [٦ : ٢٧٣].

قال عمرُ بن شَبّة: قال خَلّاد: فحدّثني محمَّد بنُ حفص بن مُوسى بن عُبيد الله بن مَعمر بن عثمان التميميُّ أنّ الحجَّاج خَنَق قُتيبة بعِمامته خَنْقاً شديداً[3]. [٦ : ٢٧٣].

ثم يكمل الطبري روايته الآنفة من طريق خلاد بن يزيد (٦/ ٢٧٣) فيقول:

ثمّ رجعَ الحديثُ إلى حديث الحجَّاج وقُتَيبة ، قال: فقال: وكيف ذاك؟ قال: تَبعث الرجل الشريف وتبعث معه رَعاعاً من الناس فينهزمون عنه ، ويَستَحيي

---

(١) قلنا: راوي هذا الخبر مزاحم بن زفر بن الحارث (وليس الجساس).
وهو الذي قاتل مع قتيبة فيما وراء النهر ، وثقه ابن معين ، وقال ابن حبان: كان من خير الرجال وكان غازياً مع قتيبة بن مسلم [الثقات (٧/ ٥١١) والجرح والتعديل (٨/ ٤٠٥).
وجساس تصحيف والصحيح مزاحم بن الحارث والله أعلم.
ورواية الطبري هذه تؤيدها الرواية التي تليها:

(٢) قلنا: خلاد بن يزيد قال فيه أبو حاتم: شيخ ، وقال ابن شبة: كان في الجبال الرواسي نبلاً. [تهذيب (٣/ ١٧٦)] ، وقال الحافظ: صدوق جليل.

(٣) قلنا: ورجال هذا الإسناد بين الثقة والصدوق ، ومحمد بن حفص ذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ٧١).

فيقاتل حتَّى يُقتَل؛ قال: فما الرأي؟ قال: أن تَخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسُونك بأنفسهم، قال: فلعنه مَنْ ثَمّ، وقال الحجَّاج: والله لأبرُزنّ له غداً؛ فلمَّا كان الغدُ حضرَ الناس، فقال قتيبة: اذكرْ يمينَك أصلح الله الأمير! فلعنوه أيضاً. وقال الحجَّاجُ: اخرج فارتدْ لي مُعسكَراً، فذهب وتهيَّأ هو وأصحابُه فخرجوا، فأتى على موضع فيه بعضُ القَذَر: موضع كُناسة، قال: ألقُوا لي هاهنا، فقيل: إنّ الموضع قَذِر، فقال: ما تَدعونني إليه أقذَر، الأرض تحتَه طيِّبة، والسماءُ فوقه طيِّبة، قال: فنزل وصَف الناس وخالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء مسخوط عليه فليس في القوم، وجاء شبيب وأصحابه فقرّبوا دوابَّهم، وخرجوا يمشون، فقال لهم شبيب: الهُوا عن رَمْيكم، ودِبُّوا تحت تِراسِكم، حتَّى إذا كانت أسنَّتهم فوقَها، فأزِلقوها صُعُداً، ثمّ ادخُلوا تحتَها لتستقِلوا فتُقطِّعوا أقدامهم، وهي الهزيمة بإذن الله، فأقبلوا يدِبّون إليهم. وجاء خالد بنُ عَتَّاب في شاكريَّته، فدار من وراء عسكرهم، فأضرم أخْصاصَهم بالنار، فلمَّا رأوْا ضوءَ النار وسمعوا مَعْمَعتَها التفتوا فرأوها في بيوتهم، فولّوا إلى خَيْلِهم وتَبِعهم الناسُ، وكانت الهزيمة، ورضيَ الحجَّاج عن خالد، وعَقَد له على قتالهم.

قال: ولمَّا قَتَل شبيبٌ عَتاباً أراد دخول الكوفة ثانية، فأقبَل حتى شارَفها فوجّه إليه الحجَّاج سيف بن هانىء ورجلاً معه ليأتياه بخبر شبيب، فأتيا عسكره، ففطن بهما، فقتل الرجل، وأفلت سيفٌ، وتَبِعه رجلٌ من الخوارج، فأوثب سيفٌ فرسه ساقية، ثمّ سأل الرجل الأمان على أن يُصدقه، فآمنه، فأخبره أنّ الحجَّاج بعثه وصاحبَه ليأتياه بخبر شبيب.

قال: فأخبرْه أنا نأتيه يوم الإثنين، فأتى سيف الحجَّاج فأخبره؛ فقال: كَذَب وماق، فلمَّا كان يومَ الإثنين توجَّهوا يريدون الكوفة، فوجَّه إليهم الحجَّاجُ الحارثَ بن معاوية الثَّقفيّ، فلقيه شبيب بزُرارَة فقتله، وهزم أصحابَه ودنا من الكوفة فبعث البَطِين في عشرة فوارس يرتاد له مَنزِلاً على شاطىء الفرات في دارِ الرّزْق، فأقبل البَطِين وقد وجَّه الحجَّاج حَوشبَ بنَ يزيدَ في جمع من أهل الكوفة، فأخذوا بأفواه السِّكَك، فقَاتَلهم البَطِين فلم يقْوَ عليهم، فبعث إلى شبيب فأمدّه بفوارس، فعقَروا فرس حَوْشب وهزموه ونجا، ومضىَ البَطين إلى دار الرّزِق، وعسكر على شاطىء الفرات، وأقبَل شبيب فنزل دون الجِسْر، فلم

يوجِّه إليه الحجَّاج أحداً ، فمضى فنزل السَبَخة بين الكُوفة والفُرات ، فأقام ثلاثاً لا يوجِّه إليه الحجَّاج أحداً ، فأشير على الحجَّاج أن يخرج بنفسه ، فوجَّه قتيبةَ بن مسلم ، فهيَّأ له عسكراً ثم رجع ، فقالَ: وجدتُ المأتى سَهْلاً ، فسِر على الطائر الميمون؛ فنادى في أهل الكوفة فخرجوا ، وخرج معه الوجوهُ حتَّى نزلوا في ذلك العسكر وتواقفوا ، وعلى مَيْمنة شبيب البَطِين ، وعلى مَيسَرته قَعْنب مولى بني أبي ربيعة بن ذهل ، وهو في زُهاءِ مئتين ، وجعل الحجَّاج على ميمنته مطرَ بن ناجية الرّياحيّ. وعلى ميسرته خالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء الرّياحيّ في زُهاء أربعة آلاف ، وقيل له: لا تُعَرِّفْه موضعَك ، فتنكَّر وأخفى مكانَه ، وشبَّه له أبا الورد مولاه. فنظر إليه شبيب ، فحمل عليه ، فضربه بعمود وزنُه خمسة عشر رِطْلاً فقتَله ، وشبَّه له أعيَن صاحب حمَّام أعيَن بالكوفة ، وهو مولَى لبكر بن وائل فقَتَلَه ، فركب الحجَّاج بغلَة غَرّاء محجَّلة.

وقال: إن الدّين أغرُّ محجَّل ، وقال لأبي كعب: قدّم لواءك ، أنا ابن أبي عَقِيل ، وحمل شبيب على خالد بن عَتَّاب وأصحابه ، فبلغ بهم الرَّحبَة ، وحمَلوا على مطر بن ناجية فكشفوه ، فنزل عند ذلك الحجَّاج وأمَرَ أصحابَ مَصقلة بن مُهَلهل الضَّبيّ لجامَ شبيب ، فقال: ما تقول في صالح بن مُسَرّح؟ وبِمَ تَشهدَ عليه؟ قال: أعَلى هذه الحال ، وفي هذه الحَزَّة! والحجَّاج ينظُر ، قال: فبرىء من صالح ، فقال مَصقلة: برىء الله منكَ.

وفارقوه إلا أربعين فارساً هم أشدّ أصحابه ، وانحاز الآخرون إلى دار الرّزْق ، وقال الحجَّاج: قد اختَلفوا ، وأرسل إلى خالد بن عَتَّاب فأتاهم فقاتَلَهم فقُتِلت غَزالةُ ومَرّ برأسِها إلى الحجَّاج فارسٌ فعرفه شبيبٌ ، فأمر عُلوان فشدّ على الفارس فقتَلَه وجاء بالرأس ، فأمر به فغُسل ودفنه وقال: هي أقرب إليكم رُحْماً ـ يَعني غزالة.

ومضى القومُ على حامِيَتهم ، ورجع خالدٌ إلى الحجَّاج فأخبره بانصراف القوم ، فأمرَه أن يحمل على شبيب فحمل عليهم ، وأتبعه ثمانية ، منهم قعنب والبَطِين وعُلْوان وعيسى والمهذَّب وابن عُوَيمر وسِنان ، حتَّى بلغوا به الرّحبة ، وأتِيَ شبيب في موقفه بخُوط بن عُمَير السَّدوسيّ ، فقال له شبيب: يا خُوط ، لا حُكْمَ إلاَّ لله ، فقال: لا حُكم إلاّ لله ، فقال شبيب: خُوط من أصحابكم ،

ولكنَّه كان يخاف ، فأطلقه ، وأتِيَ بعُمَير بن القَعْقَاعِ ، فقال له: لا حُكم إلاّ لله يا عُمَير ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول: في سبيل الله شبابي ، فردّد عليه شبيبٌ: لا حُكْمَ إلاّ لله ، ليتخلَّصه ، فلم يفقهْ ، فأمر بقتله ، وقُتل مصاد أخو شَبِيب ، وجعل شبيب ينتظِر النّفرَ الَّذين تبعوا خالداً فأبطؤوا ، ونعس شبيب فأيقَظَه حبيب بن خدرة ، وجعل أصحابُ الحجَّاج لا يُقدِمون عليه هيبةً له ، وسار إلى دار الرّزْق ، فجمع رِثَّه مَن قُتل من أصحابه ، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ، فظنوا أنَّهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجَّاج فأمَرَهما فأتبعا الرّهط الثمانية ، وأتبع الرّهط شبيباً ، فمضوا جميعاً حتَّى قطعوا جِسر المدائن ، فدخلوا دَيْراً هنالك وخالد يَقْفُوهم ، فحصرهم في الدَّير ، فخرجوا عليه فهزموه نحواً من فرسخين حتَّى ألقَوْا أنفسَهم في دِجْلة بخيلهم ، وألقَى خالدٌ نفسَه بفرسه فمرَّ به ولواؤه في يده ، فقال شبيب: قاتله الله فارساً وفرَسَه! هذا أشدّ الناس. وفرسُه أقوى فرس في الأرض ، فقيل له: هذا خالدُ بن عتَّاب ، فقال: مُعْرِقٌ له في الشجاعة ، والله لو علمتُ لأقحمتُ خلفه ولو دَخَل النار[١] . [٦: ٢٧٣ ـ ٢٧٦].

---

(١) لقد سبق الكلام عن هذا الإسناد فلينظر. ولقد أرخ خليفة بن خياط لهذه الأحداث ، فقال: ذكر أحداث سنة (٧٧ هـ): فيها بعث الحجاج عتاب بن ورقاء الرياحي إلى شبيب فلقيه بسواد الكوفة فقُتل عتاب وانهزم أصحابُه . .

ويذكر خليفة أن شبيب هزم عدة من قواد الحجاج ، ثم غرق هو بعد أن قطع جسر دجيل الذي كان عليه. [خليفة (٢٧٥)].

وخلاصة هذه الصفحات التي ذكرها الطبري بالإضافة إلى ما قاله خليفة تفيد أن شبيباً كان قائداً شجاعاً خاض معارك شرسة ضد جيوش الخلافة بعد أن أعلن العصيان المسلح وعاث في الأرض فساداً ، وقتل عدداً من الأمراء الذين قاتلوه ، ثم مات غرقاً فانتهت حركته الخارجية يومها.

ولقد أطال الطبري في ذكر تفاصيل المعارك التي دارت بين جيوش الحجاج وقوات القائد الخارجي شبيب وسلفه صالح بن مسرح استغرقت الصفحات (٦/ ٢٢٤ ـ ٢٨٤) وجُلّ هذه الروايات من طريق التالف الكذاب أبي مخنف وفيها من المبالغات والنكارات والحشو الكثير.

ورحم الله الطبري لو أعرض عن هذه الروايات واكتفى بأصح الروايات في الباب لكان خيراً لمن بعده.

وهذه من المآخذ على منهج الطبري رحمه الله ذكرناه في غير موضع.

قال أبو جعفر: وحجّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، وهو أميرٌ على المدينة، وكان على الكوفة والبَصْرة الحجّاج بن يوسف، وعلى خُراسانَ أمية ابن عبد الله بن خالد بن أسيد.

وحدّثني أحمدُ بنُ ثابت، عمن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: حجّ أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجّتين سنة ستّ وسبعين وسنة سبع وسبعين[1]. (٦: ٣١٨).

وقد قيل: إنّ هلاك شبيب كان في سنة ثمان وسبعين، وكذلك قيل في هلاك قطريّ وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير[2]. (٦: ٣١٨).

وغَزا في هذه السنة الصائفةَ الوليدُ (٦: ٣١٨).

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة:

فمن ذلك عَزْلُ عبد الملك بن مروان أميَّة بن عبد الله عن خُراسان وضمّه خُراسان وسجستَانَ إلى الحجّاج بن يوسف. فلما ضمّ ذلك إليه فرّق فيه عمّاله.

ذكر الخبر عن العمّال الذين ولاّهم الحجّاج خُراسان وسجستان وذكر السّبب في توليته من ولاّه ذلك وشيئاً منه.

ذكر أنّ الحجاج لما فرغ من شَبيب ومطرّف شخص من الكُوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل ـ وقد قيل: إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحَضْرميّ، ثمّ عزَلَه، وجعل مكانَه المغيرة بن عبد الله ـ فقدِم عليه المهلَّب بها، وقد فرغ من [أمر] الأزارقة.

فقال هشام: حدّثني أبو مخنَف عن أبي المُخارق الراسبيّ، أنّ المهلّب بن أبي صُفْرة لما فرغ من الأزارقة قَدِم على الحجاج ـ وذلك سنة ثمان وسبعين ـ فأجلَسه معه، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلّب، فأخذ الحجّاج لا يَذكر

(١) انظر تاريخ خليفة (٢٧٥).
(٢) انظر تاريخ خليفة (٢٧٥).

له المهلَّب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن إلا صدّقة الحجّاج بذلك ، فحملَهم الحجّاج وأحسَنَ عطاياهم ، وزاد في أعطياتهم ، ثمّ قال : هؤلاء أصحاب الفِعال ، وأحقّ بالأموال ، هؤلاء حُماةُ الثغور ، وغيظ الأعداء .

قال هشام عن أبي مخنَف : قال يونسُ بنُ أبي إسحاق : وقد كان الحجّاج ولّى المهلَّب سجستان مع خُراسان ، فقال له المهلّب : ألا أدلّك على رجل هو أعلَم بسجستانَ منّي ، وقد كان ولي كابُل وزابُل ، وجباهم وقاتَلَهم وصالَحهَم؟ قال له : بلى ، فمن هو؟ قال عبيد الله بن أبي بَكْرة .

ثمّ إنه بعث المهلّب على خُراسان وعبيد الله بن أبي بَكْرة على سجستان ، وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وكان عاملاً لعبد الملك بنِ مَرْوان ، لم يكن للحجاج شيءٌ من أمره حين بُعث على العراق حتى كانت تلك السنة ، فعزلَه عبدُ الملك وجمع سلطانه للحجّاج ، فمضى المهلب إلى خُراسان ، وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان ، فمكث عُبيد الله بن أبي بَكْرة بقية سنته .

فهذه رواية أبي مخنَف عن أبي المخارق ، وأما عليّ بن محمد فإنه ذكر عن المفضّل بن محمد أن خُراسان وسجستانَ جُمعتا للحجّاج مع العراق في أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبي بَكْرة على خراسان ، والمهلّب بن أبي صفرة على سجستان ، فكره المهلب سجستان ، فلقيَ عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العَبْشَميّ ـ وكان على شُرْطة الحجاج ـ فقال : إنَّ الأمير ولاّني سجستان ، وولى ابنَ أبي بَكْرة خُراسان ، وأنا أعرَف بخراسانَ منه ، قد عرفتها أيام الحَكَم بن عمرو الغِفاريّ ، وابنُ أبي بَكْرة أقوى على سجستانَ منّي ، فكلِّم الأميرَ يحوّلني إلى خُراسان وابن أبي بَكْرة إلى سجستان؛ قال : نعم ، وكلِّم زاذانَ فَرُّوخ يُعينُني؛ فكلمه ، فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجّاج : وليتَ المهلب سجستان وابن أبي بَكْرة أقوى عليها منه ، فقال زاذان فَرّوخ : صَدَق ، قال : إنّا قد كتبنا عهدَه؛ قال زاذان فروخ : ما أهْوَن تحويل عهدِهِ! فحوّل ابن أبي بكرة إلى سجستانَ ، والمهلّب إلى خُراسان ، وأخذ المهلّب بألف ألف من خَراج الأهواز ، وكان ولاها إيّاه خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه المغيرة : إنّ خالداً ولاّني الأهواز ، وولاّك

إصْطَخْر ، وقد أخذني الحجاج بألف ألف ، فنصفٌ عليّ ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلَّب مالٌ ، كان إذا عزل استقرَض؛ قال: فكلم أبا ماويّة مولى عبد الله بن عامر ـ وكان أبو ماويّة على بيتِ مال عبد الله بن عامر ـ فأسلف المهلّب ثلثمئة ألف ، فقالت خَيْرَةُ القُشَيْرية امرأة المهلب: هذا لا يفي بما عليك؛ فباعت حُليّاً لها ومتاعاً ، فأكمَل خمسمئة ألف ، وحمل المغيرة إلى أبيه خَمسمئة ألف فحملها إلى الحجّاج ، ووجَّه المهلب ابنه حبيباً على مقدّمته ، فأتى الحجّاج فودّعه ، فأمر الحجّاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء ، قال: فسار حبيبٌ على تلك البغلة حتّى قَدِم خُراسانَ هو وأصحابُه على البريد ، فسار عشرين يوماً ، فتلقاهم حين دخلوا حملُ حطب ، فنفرَت البغلة فتعجّبوا منها ومن نفارها بعد ذلك التّعب وشدة السير. فلم يعرض لأمية ولا لعمّاله ، وأقام عشرةَ أشهر حتى قدم عليه المهلّب سنة تسع وسبعين[1]. (٦/ ٣١٩_٣٢١).

وحجّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدّثني بذلك أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر.

وكان أمير المدينة في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، وأميرَ الكوفة والبَصرة وخُراسان وسجستان وكرمان الحجّاجُ بنُ يوسف ، وخليفتَه بخُراسان المهلّبُ ، وبسجستان عُبيد الله بن أبي بَكْرة ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء

(١) قلنا: هاتان روايتان:
الأولى: من طريق التالف أبي مخنف.
والثانية: من طريق الأخباري الصدوق المدائني عن شيخه المفضل بن محمد وهو ثقة إذا روى في التاريخ فقط على رأي الخطيب البغدادي ولعل هذه هي المرة الأولى التي نذكر فيها رواية أبي مخنف في قسم الصحيح لخلوها من نكارة أو طعن في عدالة الصحابة ولموافقتها (في أغلب المتن لرواية المدائني عن المفضل ولا نقطع بصحة الحوار الذي دار بين الحجاج وأمراءه وغيره من تفاصيل. ولكن الرواية أقرب إلى الصحة (ونعني أصل الرواية).
ولقد أخذنا على أنفسنا أن نستنفذ كافة السبل المتاحة والمقبولة لإنقاذ العدد الأكبر من الروايات التاريخية وانتشالها من بين ركام التلفيقات والأكاذيب والأغاليط ووضعها في قسم الصحيح وحسب الضوابط التي كررناها مراراً.
وما أبرىء نفسي ولا أدعي العصمة من السهو والخطأ والنسيان.

البَصرة ـ فيما قيل ـ موسى بن أنَسَ[١] . (٦ : ٣٢١) .

وأغزَى عبد الملك في هذه السنة يحيى بنَ الحَكَم . (٦ : ٣٢١) .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين
ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشأم في هذه السنة من الطّاعون حتى كادوا يفنَوْن من شدّته ، فلم يغزُ في تلك السنة أحدٌ ـ فيما قيل ـ للطاعون الذي كان بها . وكثرة الموت .

وفيها ـ فيما قيل ـ : أصابت الرّوم أهلَ أنطاكية (٦ : ٣٢٢) .

وفي هذه السنة قدم المهلّب خُراسانَ أميراً ، وانصرف عنها أمية بن عبد الله ، وقيل استعفى شُريح القاضي من القضاء في هذه السنة ، وأشار بأبي بُردة بن أبي موسى الأشعريّ ، فأعفاه الحجّاج وولّى أبا بُرْدة[٢] .

وحَجَّ بالناس في هذه السنة ـ فيما حدّثني أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ـ أبانُ بن عثمان ، وكذلك قال الواقديّ وغيرُه من أهل السير .

وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة من قِبَل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كلّه الحجّاج بن يوسف[٣] .

وكان على خُراسانَ المهلب من قبَل الحجاج .

وقيل : إنّ المهلب كان على حربها ، وابنه المغيرة على خَراجها ، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنَس[٤] . (٦ : ٣٢٤) .

---

(١) انظر قوائم الولاة والقضاة في نهاية عهد عبد الملك .

(٢) قلنا : بينما أرخ خليفة بسنة ٧٨هـ لتولية الحجاج المهلب على خراسان [تاريخ خليفة ص ٢٧٩] .

(٣) انظر خليفة ص ٢٧٧ .

(٤) انظر قوائم العمال في نهاية عهد عبد الملك .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة .

وفي هذه السنة جاء ـ فيما حدّثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقديّ ـ سيل بمكة ذهب بالحجّاج ، فغَرِقت بيوتُ مكة فسمّي ذلك العامُ عامَ الجُحَاف ، لأنّ ذلك السيل جَحَف كلّ شيء مَرّ به .

قال محمد بن عمر : حدّثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جدّه قال : جاء السيلُ حتى ذهب بالحُجّاج ببطن مكة ، فسمي لذلك عامَ الجُحاف ، ولقد رأيتُ الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تَمرّ بهم ما لأحد فيهم حيلة ، وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركنَ وجاوَزَه[1] . (٦ : ٣٢٥) .

وفي هذه السنة كان بالبَصرة طاعونُ الجارف ، فيما زعم الواقديّ[2] . [٦ : ٣٢٥] .

ذكر خبر غزو المهلّب ما وراء النهر

وفي هذه السنة قطع المهلب نهرَ بَلْخ فنزل على كِسّ ، فذكر عليّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد وغيره أنه كان على مقدّمة المهلب حين نزل على كسّ أبو الأدهم زيادُ بن عمرو الزِّمّانيّ في ثلاثة آلاف وهم خمسةُ آلاف إلا أنّ أبا الأدهم كان يُغني غَناءَ ألفَيْن في البأس والتدبير والنصيحة قال : فأتى المهلب وهو نازل على كسّ ابن عمّ ملك الخُتَّل ، فدعاه إلى غزو الخُتّل ، فوجّه معه ابنه يزيد ، فنزل في عسكره ، ونزل ابن عمّ الملك ـ وكان الملك يومئذ اسمه السّبْل ـ في عسكره على ناحية ، فبيّت السَّبْل ابن عمه ، فكبر في عسكره ، فظن ابن عمّ السبْل أنّ العرب قد غَدَرُوا به ، وأنهم خافُوه على الغدر حين اعتزل عسكرَهم ، فأسره السبلُ ، فأتى به قلعتَه فقتله ، قال : فأطاف يزيدُ بنُ المهلب بقلعة السَّبْل ،

---

(١) وقال قتيبة : وكان سيل الجحاف الذي ذهب بالحجاج بمكة المكرمة سنة ثمانين . [المعارف ص ٣٥٧] .

(٢) قلنا : بينما ذكر خليفة أن الطاعون أصاب أهل الشام في هذا العام . [خليفة ص ٢٧٨] .

فصالحوه على فدية حملوها إليه ، ورجع إلى المهلب فأرسلت أمّ الذي قتله السبل إلى أمّ السبل : كيف تَرجين بقاء السبل بعد قتل ابن عمه، وله سبعة إخوة قد وترهم! وأتت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسد تقلّ أولادُها ، والخنازير كثير أولادها .

ووجّه المهلب ابنه حبيباً إلى رَبِنْجَن فوافى صاحب بُخارى في أربعين ألفاً ، فدعا رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جبلة غلام حبيب ، فقتل المشرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ثمّ رجع ورجع العسكر ، ورجع العدوّ إلى بلادهم ، ونزلتْ جماعةٌ من العدوّ قريةً ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف . فقاتلهم فظَفر بهم ، فأحرَقَها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة ، ويقال إن الذي أحرقها جَبَلة غلام حبيب .

قال : فمكث المهلب سنتين مقيماً بكسّ ، فقيل له : لو تقدّمتَ إلى السغْد وما وراء ذلك! قال : ليتَ حَظِّي من هذه الغَزْوة سلامة هذه الجُنْد ، حتى يرجعوا إلى مَرْو سالمين .

قال : وخرج رجلٌ من العدوّ يوماً ، فسأله البزار ، فبرز إليه هريم بن عديّ ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامةٌ قد شَدّها فوق البَيْضة ، فانتهى إلى جَدْوَل ، فجاوَلَه المشرك ساعة فقتله هُرَيم وأخذ سلَبه ، فلامَه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددتُ بألفِ فارس ما عَدَلوكَ عندي ، واتهم المهلبُ وهو بكس قوماً من مضرَ فحبسهم بها ، فلما قفل وصار صُلْحُ خلاّهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبتَ بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم؛ وإن كنتَ أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم . فقال المهلب : خفتُهم فحبستهم ، فلما أمنتُ خلّيتهم .

وكان فيمن حبَس عبد الملك بن أبي شيخ القشيريّ . ثم صالح المهلبُ أهلَ كس على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتابُ ابن الأشعث بخَلْع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خَلْعه ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجّاج[١] . (٦ : ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

---

(١) قلنا : لو أفصح المدائني الصدوق عن شيوخه الذين أبهم أسماءهم لقلنا هذا إسناد مرسل متعدد المخارج ولا نستطيع أن نثبت هذه التفاصيل بهذا الإسناد ولعلّ في المتن نكارة إلاّ أننا ذكرنا هذه الرواية هنا لنثبت عبور المهلب لنهر كسّ ضمن أحداث هذه السنة . والله أعلم .

[تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رُتبيل]

وفي هذه السنة وجّه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك؛ وقد اختلف أهل السيرَ في سبب ذلك. (٦ : ٣٢٦).

وحجّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت. عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال محمّد بنُ عمر الواقديّ.

وقال بعضهم: الذي حجّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان على المدينة في هذه السنة أبانُ بن عثمان ، وعلى العراق والمشرق كلّه الحجّاجُ بن يوسف ، وعلى خُراسان المهلّب بنُ أبي صُفرة من قِبَل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البَصْرة موسى بنُ أنس وأغزَى عبدُ الملك في هذه السنة ابنه الوليد. (٦ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كان فتح قَاليقلا ، حدّثني عمر بنُ شبّة ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: أغزَى عبدُ الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عُبيدَ الله بنَ عبد الملك ، ففتَح قاليقَلا. (٦ : ٣٣١).

ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجّاجَ ومَن معه من جُند العراق ، وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنَف ، وروايته لذلك عن أبي المخارِق الراسبيّ ، وأما الواقديّ فإنه زعم أنّ ذلك كان في سنة اثنين وثمانين.

ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمّد إلى ما فعل من ذلك

وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجّاج في هذه السنة: قد ذكرنا فيما مضى قبلُ ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رُتْبيل، وكتابه إلى الحجّاج بما كان منه هناك، وبما عُرِض عليه من الرأي فيما يستقبل من أيامه في سنة ثمانين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وثمانين في رواية أبي مخنَف، عن أبي المخارق[١]. (٦: ٣٣٤).

وحج بالناس في هذه السنة سليمانُ بنُ عبد الملك، كذا حدّثني أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى، عن أبي مَعَشر، وكذلك قال الواقديّ، وقال: في هذه السنة وُلد ابنُ أبي ذئب.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبانُ بنُ عثمان، وعلى العراق والمشرق الحجاجُ بنُ يوسف، وعلى حرب خُراسانَ المهلَّب، وعلى خَراجها المغيرة بن مهلب من قبل الحجاج، وعلى قَضاء الكوفة أبو بُرْدة بن أبي موسى، وعلى قَضاء البصرة عبد الرحمن بن أُذَيْنة[٢]. (٦: ٣٤١).

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية[٣] (٦:٣٤٢)

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دَيْر الجمَاجم بين الحجّاج وابن

---

(١) قال خليفة وهو يتحدث عن أخبار سنة (٨١ هـ) تحت عنوان ـ ابن الأشعث يخلع الحجاج فيها خلعَ ابن الأشعث بسجستان وأقبل يريد الحجاج فحدثني أبو الحسن وأبو اليقظان أن ابن الأشعث لما أجمع المسير إلى العراق دعا ذراً (أبا عمر بن ذر الهمذاني) فكساه ووصله وأمره أن يحضض الناس. (تاريخ خليفة: ٢٧٩) وقال خليفة: فحدثني محمد بن معاذ عن أبيه عن جدته قالت: سمعت منادي ابن الأشعث يقول: أين الذين بايعوا بالرَّجح. [تاريخ خليفة: ٢٨٠].

(٢) انظر قوائم الولاة والقضاة بعد نهاية عهد عبد الملك.

(٣) قلنا: وكذلك أرخ خليفة لهذا الحدث، وقال: فيها وقعة الزاوية بالمحرم. [تاريخ خليفة ص ٢٨٠].

الأشعث في قول بعضهم: قال الواقديّ: كانت وقعةُ دير الجماجم في شعبان من هذه السنة[١] (٦ : ٣٤٦).

[خبر وفاة المهلَّب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفِّيَ المهلب بنُ أبي صُفْرة[٢]. (٦ : ٣٥٤)

[ذكر خبر بناء مدينة واسط]

وفي هذه السنة: بنى الحجّاج واسطاً[٣]. (٦ : ٣٨٣).

---

(١) قلنا: وقال ابن قتيبة: وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: كان لابن الأشعث أربع وقعات: وقعة بالأهواز؛ ووقعة بالزاوية؛ ووقعة بدير الجماجم، ووقعة بدجيل. [المعارف ص ٣٥٧].

(٢) ثم ذكر الطبري خبراً في وفاته ووصيته والسبب في موته ذكرناه في قسم الضعيف فهو يروي الخبر عن المفضل بن محمد الضبي وهو ضعيف عند أئمة الحديث علاَّمة في التاريخ عند الخطيب ولم نذكر روايته في الصحيح إلاَّ إذا تابعه آخرون والله أعلم.

ولقد لخص البلاذري أعمال المهلب العظيمة بقوله: فولى الحجاج خراسان المهلب بن أبي صفرة سنة ٧٩ هـ فغزى بلاداً كثيرة وفتح الختل وقد انتقضت وفتح خجنده فأدت إليه السغد الأتاوة وغزا كسّ ونسف ورجع فمات بزاغول من مرو الروذ بالشوهة [فتوح البلدان ص ٢٤٩].

قلنا: وهذا فيما يتعلق بفتوحه فقط، أما أعماله الأكبر هو بلاءة الحسن في الوقوف في وجه الخوارج سواءً تحت راية ابن الزبير أو بني أمية ونال رضا الجميع واعترف القاصي والداني بفضله في ردّ كيد الخوارج وخبرته الجيدة في دحرهم والصبر على حربهم فرحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين.

وقال الحافظ ابن حجر: من ثقات الأمراء وكان عارفاً بالحرب فكان أعداءه يرمونه بالكذب، من الثانية وله رواية مرسلة قال أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أميراً أفضل منه مات سنة اثنتين وثمانين على الصحيح [تقريب ٤٢٤].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة المهلب بن أبي صفرة: الأمير البطل قائد الكتائب أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة غزا الهند وولي الجزيرة لابن الزبير وحارب الخوارج ثم ولي خراسان توفي سنة ٨٢ هـ [مختصر سير أعلام النبلاء: تر٥٣٢].

(٣) قلنا: ثم ذكر الطبري خبراً في سبب هذا البناء ولكن بلا إسناد ولم نجد لكثير من تفاصيل المتن ما يؤيده سوى التقاء الحجاج براهب في الموضع الذي شيَّد فيه مدينة واسط، فيؤيده=

وفي هذه السنة عزَل عبدُ الملك ـ فيما قال الواقديّ ـ عن المدينة أبان بنَ عثمان ، واستعمَل عليها هشام بن إسماعيل المخزوميّ .

وحجّ بالناس في هذه السنة هشامُ بن إسماعيلَ ، حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت ، عمن حدّثه ، عن إسحاق بنِ عيسى ، عن أبي معشر .

وكان العمّال في هذه السنة على الأمصار سوى المدينة هم العمّال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها، وأمّا المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها[١]. (٦ : ٣٨٤).

ثم دخلت سنة أربع وثمانين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوةُ عبد الله بنِ عبد الملك بن مَرْوان الرّوم ، ففتَحَ فيها المَصّيصَة ، كذلك ذكرَ الواقديّ[٢]. (٦ : ٣٨٥).

= ما أخرجه بحشل (أسلم بن سهل الرازي الواسطي المتوفى ٢٩٢ هـ).
قال: حدثنا أبو خالد يزيد بن مخلد بن عبد الرحمن بن يزيد الصيرفي قال: ثني أبي ، عن عوانة الحكم بن عوانة الكلبي ، عن أبيه قال: كنت مع الحجاج وهو يرتاد موضعاً فبينا نحن نطوف إذ رأى راهباً راكباً على حمار . . . الخبر ، وفيه فقال الحجاج لأصحابه انزلوا ثم أمر بالتقدير . . . إلخ [تاريخ واسط ص ٣٢].
ولقد أيد البلاذري في فتوحه ما قاله الطبري في السنة التي بنيت فيها واسط ، فقد أخرج البلاذري قائلاً:
حدثني يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح قال: أول مسجد بني بالسواد مسجد المدائن بناه سعد وأصحابه . . . الخبر ، وفي آخره وأحدث الحجاج مدينة واسط في سنة (٨٣ هـ) أو سنة (٨٤ هـ) وبنى مسجدها فسميت واسط القصب . [فتوح البلدان ص ١٧٦]. اهـ.
وأخرج البسوي قال: ثنا الحميدي قال: ثنا سفيان قال: ثنا عبد الملك بن أعين قال: سمعت عبد الرحمن بن أذينة بواسط القصب حين قدم الحجاج واسط وابتنى الخضراء يحدث عن أبيه . [المعرفة والتاريخ ٣ : ١١٤)].
قلنا: ولعلّ هذه الرواية الأخيرة تتحدث عن بناء دار الإمارة في واسط بعد اكتمال المدينة نفسها أو أن الحجاج بنى الخضراء مع بداية بناء المدينة والله أعلم.

(١) انظر قوائم الولاة والقضاة بعد نهاية عهد عبد الملك.

(٢) قلنا: وقال خليفة بن خياط: قال ابن الكلبي في هذه السنة غزا عبد الملك بن مروان أرض=

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وفي هذه السنة فَتحَ يزيدُ بن المهلّب قلعةَ نيزك بباذغيس. [٦ : ٣٨٦].

وحجّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميّ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت، عمّن ذَكَره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة عمّالها الذين سمّيتُ قبلُ في سنة ثلاث وثمانين[1]. (٦ : ٣٨٨).

ثم دخلت سنة خمس وثمانين
ذكر ما كان فيها من الأحداث
غزو المفضّل باذغيس وأخْرون

وفي هذه السنة غزا المفضّل باذَغيس ففتَحها.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكَر عليّ بنُ محمد، عن المفضّل بن محمد، قال: عزل الحجّاج يزيد، وكتَبَ إلى المفضّل بولايته على خُراسان سنة خمس وثمانين، فوليها تسعة أشهر، فغزا باذغيس ففتَحَها وأصاب مغنماً، فقسَمه بين الناس، فأصاب كلّ رجل منهم ثمانمئة درهم، ثمّ غزا أخْرون وشُومان، فظفِر وغَنِم، وقَسمَ ما أصاب بين الناس، ولم يكن للمفضّل بيت مال، كان يُعطي الناس كلّما جاءه شيء، وإن غنم شيئاً قسَمَه بينهم، فقال كعبُ الأشقريّ يمدح المفضّل:

ترى ذا الغِنَى والفَقر من كلّ مَعشَرٍ عصائبَ شتَّى ينتَوُونَ المفضَّلا

= الروم حتى بلغ أرض طرندة. وفيها بنى عبد الملك المصيصة [ص ٢٩٢].
أي: أن خليفة يذكر أن بناء المصيصة كان على يد عبد الملك بن مروان، بينما يذكر الحافظ ابن كثير أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان فتح المصيصة نقلاً عن الواقدي في سنة (٨٤ هـ) [البداية والنهاية (٧ : ٢٠١)]. ولا نستطيع أن نرجح أيّاً منهما على الآخر فالواقدي كابن الكلبي ولم نجد مؤرخاً متقدماً يذكر ذلك غيرهما أو متأخراً حقق في ذلك والله أعلم.

(١) انظر قوائم الولاة والعمال في نهاية عهد عبد الملك.

فمـن زائـرٍ يـرجُـو فَـواضِـلَ سَيْبِـه وآخَـرَ يَقضِـي حـاجَـة قـد تـرحَّـلا
إذا ما انتَوَينا غيْر أرضكَ لم نَجِد بهـا منتـوًى خَيْـراً ولا مُتَعَلَّـلا
إذا ما عَدَدنا الأكرَمين ذَوِي النُّهى وقـد قـدّموا مـن صـالـحٍ كنـت أوّلا
لعَمْري لقـد صـال المفضَّـلُ صَـوْلَـةً أبـاحَـتْ بشُـومَـانَ المنـاهـل والكـلا
ويـوم ابـن عبَّـاس تنـاولـتَ مثلهـا فكـانـت لنـا بيـن الفَـريقيـن فَيْصَـلا
صَفَـتْ لـك أخـلاقُ المُهَلَّـبِ كُلُّهـا وسُـرْبِلْـتَ مـن مَسْعـاتِـه مـا تَسَـرْبَـلا
أَبُـوك الـذي لـم يسْـع سـاعٍ كسعيِـه فـأَوْرَثَ مَجْـدَاً لـم يكـن مُتَنَحَّـلا[1]

(٦: ٣٩٧ـ٣٩٨).

[بيعة عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان]

وفي هذه السنة بايع عبدُ الملك لابنيه: الوليد، ثمّ من بعده لسليمان، وجعلهما وليّي عهد المسلمين، وكتب ببيعته لهما إلى البُلدان، فبايع الناس، وامتنع من ذلك سعيد بن المسيَّب، فضربه هشام بن إسماعيل ـ وهو عامل عبد الملك على المدينة ـ وطافَ به وحَبَسه، فكتب عبدُ الملك إلى هشام يلومُه على ما فَعل من ذلك. وكان ضربه ستّين سَوْطاً، وطاف به في تبان[2].

وحدّثني الحارث، عن ابن سعد، أنّ محمد بنَ عمر أخبَره، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ جعفر وغيره من أصحابنا أن عبد العزيز بن مروانَ تُوفِّيَ بمصر في جمادى سنة أربع وثمانين، فعقد عبدُ الملك لابنيه الوليد وسليمان العهد، وكتب بالبَيعة لهما إلى البُلْدان، وعامِلُه يومئذ هشامُ بنُ إسماعيل المخزوميّ، فدعا الناسَ إلى البَيعة، فبايَع الناسُ، ودعا سعيد بن المسيّب أن يبايع لهما، فأبى وقال: لا حتى أنظَر، فضَرَبه هشام بن إسماعيل ستين سَوْطاً، وطاف به في تُبان شَعر حتى بلغ به رأسَ الثنيّة، فلما كرّوا به قال: أين تكُرّون بي؟ قالوا: إلى السجْن؛ قال: والله لولا أني، ظننتُ أنه الصَّلْب لما لَبِست هذا التُّبّان أبداً فردّه إلى السجن، وحَبَسه، وكتَب إلى عبد الملك يُخبِره بخلافه، وما كان من أمره.

---

(١) قلنا: والخبر أخرجه الحافظ المزي بتمامه مع أبيات الشعر في تهذيب الكمال في ترجمة المفضل بن المهلب بن أبي صفرة [ترجمة ٦١٥٤].
(٢) انظر الخبر الذي يليه وتعليقنا.

فكتب إليه عبدُ الملك يلومُه فيما صَنَع ويقول: سعيدٌ واللهِ كان أحوَجَ أن تصل رحمَه من أن تضربَه ، وإنا لنعلم ما عندَه من شِقاق ولا خلاف[1] . (٦: ٤١٦ ـ ٤١٧) .

وحجّ بالناس في هذه السنة هشامُ بن إسماعيل المخزوميّ ، كذلك حدّثنا أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره. عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقديّ.

وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجّاج بن يوسف. (٦: ٤١٧) .

---

(١) قلنا: ولم نتعود أن نذكر روايات الطبري (فيما خلا الوفيات) في قسم الصحيح فهو متروك إلاَّ أنه ها هنا قد توبع ومتنه صحيح فيما يتعلق بأصل المسألة (دعوة أمير المدينة الناس لبيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك ورفض ابن المسيب لتلك البيعة ومحنته بسبب ذلك). إلاَّ أن الواقدي لم يذكر سبب امتناع ابن المسيب عن هذه البيعة بينما تبين الروايات الأخرى التي سنذكرها أن ابن المسيب امتنع عن ذلك لأن السنة النبوية الشريفة نهت الأمة المسلمة عن البيعة لاثنين في آن واحدٍ منعاً لتفرقة الصف المسلم وغير ذلك. والحق يقال: فإن ابتكار هذه البدعة (البيعة لخليفتين) كانت سبباً آخر من أسباب القلاقل والفتن وخاصة بين القادة والأمراء مما أضاف عاملاً آخر إلى عوامل انحسار بني أمية وتخلفهم عن إدارة الخلافة في عام ١٣٢ هـ وانتقالها إلى بني العباس كما سنذكر بعد انتهائنا من أحداث سنة ١٣٦ هـ.
وقد أخرج البسوي في المعرفة والتاريخ قال: حدثنا سعيد بن أسيد قال: ثنا ضمرة عن رجاء بن جميل الأيلي قال: قال عبد الرحمن بن عبد القاري لسعيد بن المسيب حين قدم للبيعة للوليد وسليمان المدينة من بعد أبيهما: إني مشير عليك بخصال ثلاث ، قال: وما هنَّ؟ قال: تغير مقامك فإنك تقوم حيث يراك هشام بن إسماعيل. قال: ما كنت لأترك مقاماً أقومه منذ أربعين سنة. قال: أو تخرج معتمراً ، قال: ما كنت لأنفق مالي وأجهد نفسي في شيء ليس فيه نية. قال: فما الثالثة؟ قال: تبايع. قال: أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما عليَّ؟ قال: وكان أعمى. قال رجاء فدعاه هشام إلى البيعة. . . .إلى آخر الخبر وفيه أن عبد الملك أمر والي المدينة أن يضربه ثلاثين سوطاً لأنه قال على الملأ لا أبايع لاثنين. [المعرفة والتاريخ (١: ٤٧٦)].
وأخرج البسوي ثنا الربيع بن روح الحمصي ثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد قال: جاءت بيعة الوليد وسليمان بن هشام بن إسماعيل وهو أمير المدينة فدعا سعيد بن المسيب وهو مع قومه من بني مخزوم إلى أن يبايع لهما فأبى أن يفعل فجلده. . . إلخ. [المعرفة والتاريخ (١: ٤٧٨)].

ثمّ دخلت سنة ستّ وثمانين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
خبر وفاة عبد الملك بن مروان

فممّا كان فيها من ذلك هلاكُ عبد الملك بن مروان ، وكانَ مهلَكه في النصف من شوّال منها. حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال: توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ستٍّ وثمانين ، فكانت خلافتُه ثلاثَ عشرة سنة وخمسة أشهر.

وأما الحارث فإنه حدّثني عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال: حدّثني شُرَحبيل بن أبي عَوْن ، عن أبيه ، قال: أجمَعَ الناسُ على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوان سنة ثلاث وسبعين.

قال ابنُ عمر: وحدّثني أبو معشر نجيح ، قال: مات عبدُ الملك بنُ مروانَ بدمشقَ يومَ الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، فكانت ولايتُه منذ يوم بُويع إلى يوم تُوفِّيَ إحدى وعشرين سنةً وشهراً ونصفاً ، كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ، ويسلَّم عليه بالخلافة بالشأم ، ثمّ بالعراق بعد مَقتَل مصعب ، وبقيَ بعد مقتَل عبدِ الله بنِ الزبير واجتماع الناسِ عليه ثلاثَ عشرةَ سنةً وأربعة أشهر إلا سبعَ ليال.

وأما عليّ بن محمد المدائنيّ ، فإنه ـ فيما حدّثنا أبو زيد عنه ـ قال: مات عبد الملك سنة ست وثمانين بدمشق ، وكانت ولايتُه ثلاثَ عشرَة سنةً وثلاثة أشهُر وخمسةَ عشَر يوماً[1]. (٦ : ٤١٨).

---

(١) ولروايات الطبري ما يؤيدها:
فقد قال خليفة بن خياط: مات عبد الملك بن مروان سنة (٨٦ هـ) فحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده ، وعبدالله بن مغيرة عن أبيه قالا: مات عبد الملك بدمشق يوم النصف من شوال سنة (٨٦ هـ) وهو ابن ثلاث وستين [تاريخ خليفة: ٢٩٣] وقال الحافظ ابن كثير: وفيها (٨٦ هـ) في النصف من شوال توفي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان [البداية والنهاية ٧: ٢١٨)].

ذكر الخبر عن مبلغ سنِّه يومَ تُوفِّي

اختَلَفَ أهلُ السِّيَر في ذلك ، فقال أبو معشر فيه ـ ما حدّثني الحارثُ عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : حدّثني أبو معشر نَجيح . قال : مات عبدُ الملك بنُ مروانَ وله ستّون سنةً .

قال الواقديّ : وقد رُوي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنةً قال : والأوّل أثبت . وهو على مولده ، قال : وولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابنُ عشر سنين وقال المدائنيّ عليّ بنُ محمد ـ فيما ذكر ، أبو زيد عنه : ماتَ عبدُ الملك وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين سنة .

ذكر نسبه وكنيته

أمّا نسبُه ، فإنه عبدُ الملك بنُ مروانَ بن الحكَم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمّا كنيَتُه فأبو الوليد . وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة ، وله يقول ابن قيس الرُّقيّات :

أَنْتَ ابْنُ عائِشَةَ الَّتي فضَلَتْ أُرُومَ نسَائِها
لم تَلتَفِتْ للداتَها ومَضَتْ على غُلَوائِها[1]

(٦ : ٤١٩) .

(١) قال خليفة : ولد عبد الملك في المدينة في دار مروان في بني حديلة سنة ٢٣ هـ . ويقال : سنة ست وعشرين . [ص ٢٩٣] .
وقال الحافظ ابن كثير : وكان عمره يوم مات ستين سنة ، قاله أبو معشر ، وصححه الواقدي ، وقيل : ثلاثاً وستين سنة ، قاله المدائني . [البداية والنهاية (٧ : ٢١٩)] .
وتأكيداً لأسماء الولاة والقضاة في عهد عبد الملك بن مروان فإننا نذكر قوائم أسمائهم كما ذكرها المؤرخ المتقدم الثقة خليفة فقال : تسمية ولاة عبد الملك .
المدينة : لما قتل مصعب بن الزبير ، وذلك سنة اثنتين وسبعين ، غلب طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان على المدينة ، فلما قتل عبد الله بن الزبير ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف مكة والمدينة والطائف ، وذلك سنة ثلاث وسبعين ، فكان الحجاج يستخلف على المدينة إذا أتى مكة عبد الله بن قيس بن مخرمة ، ثم ولي الحجاج العراق فشخص ، وولى عبد الملك بن مروان يحيى بن الحكم بن مروان ، واستخلف أبان بن عثمان فأقرّه=

= عبد الملك ثم عزله في سنة ثلاث وثمانين ، وولى هشام بن إسماعيل المخزومي ، فلم يزل والياً حتى مات عبد الملك.
مكة: شخص الحجاج سنة خمس وسبعين ، واستخلف على مكة قيس بن مخرمة ، فعزله عبد الملك ، وولى نافع بن علقمة بن صفوان ، فلم يزل عليها حتى مات عبد الملك.
اليمن: محمد بن يوسف حتى مات عبد الملك.
البصرة: ولاّها عبد الملك حين قتل مصعب خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقدمها في آخر سنة اثنتين وسبعين ثم عزله ، وضمها إلى بشر بن مروان بن الحكم ، فقدمها بشر في ذي الحجة آخر سنة أربع وسبعين ، فأقام بها شهراً ثم مات واستخلف خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد ، فعزله عبد الملك بن مروان ، وولّى الحجاج فقدم العراق في رجب سنة خمس وسبعين ، فولى الحكم بن أيوب الثقفي البصرة سنة خمس وسبعين ، فلم يزل فيها حتى خلع ابن الأشعث وقدم البصرة ، وذلك في أول سنة اثنتين وثمانين ، فلحق الحكم بن أيوب بالحجاج ، وولاها ابن الأشعث عبد الله بن إسحاق بن الأشعث ، ثم عزله وولى رجلاً من آل عبد الله بن مغفل غامدياً فيما زعم حاتم بن مسلم. ثم هزم ابن الأشعث فولاها الحجاج الحكم بن أيوب.
الكوفة: ولاها عبد الملك حين قتل مصعب قطن بن عبد الله الحارثي أشهر ثم عزله ، وولى بشر بن مروان نحواً من سنتين ، ثم ضم إليه البصرة ، فشخص بشر واستخلف عمرو بن حريث المخزومي ، ثم قدم الحجاج سنة خمس وسبعين فولاها الحجاج عروة بن المغيرة بن شعبة ، ويقال ولى حوشب بن رويم الشيباني ، ثم عزله ، فولى البراء بن قبيصة الثقفي ثم عزله ، وولّى عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فأخرجه مطر بن ناجية الرياحي ودعا إلى ابن الأشعث ، ثم قدمها ابن الأشعث ، ثم خرج إلى دير الجماجم واستخلف عبد الله بن إسحاق بن الأشعث ، ثم قدمها الحجاج حين هزم ابن الأشعث من الجماجم ، ثم شخص إلى البصرة وولى عمير بن هاني من أهل دمشق ثم عزله وولى المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الصلاة وزياد بن جرير بن عبد الله على الشرط حتى مات عبد الملك.
خراسان: كتب عبد الملك عام قتل مصعب إلى عبد الله بن خازم بولايته على خراسان ، بعث بالكتاب مع سورة بن أبجر الدارمي فقال له ابن خازم: لولا أني أكره أن أضرب بين بني تميم وسليم لقتلتك ولكن كل كتابك ، فأكله ، فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح الصريمي إن قتلته أو أخرجته من خراسان فأنت الأمير ، فقتل بكيرٌ ابنَ خازم ، وأقام والياً حتى قدم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وولّى أمية ، ثم عزله وولى المهلب بن أبي صفرة في سنة تسع وسبعين ، ثم مات المهلب في سنة اثنتين وثمانين ، واستخلف ابنه يزيد ، فأقره عبد الملك سنتين أو أكثر ، ثم ضمَّ خراسان إلى الحجاج ، فولاّها الحجاج قتيبة بن مسلم ، فقدمها في سنة ست وثمانين قبل وفاة عبد الملك بن مروان. =

= سجستان: ولّاها عبد الملك عبد الله بن علي بن عدي بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزيز بن عبد شمس، ثم عزله وضمها مع خراسان إلى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وذلك سنة ثلاث وسبعين، فولّاها أمية ابنه عبد الله بن أمية نحواً من ثلاث سنين فعزله عبد الملك وولى محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقلته شبيب الحروري بالأهواز قبل أن يصل إليها، وذلك سنة سبع وسبعين. ثم عزل أمية وضمت إلى الحجاج فولاها عبيد الله بن أبي بكرة سنة ثمان وسبعين، فمات عبيد الله سنة تسع وسبعين، واستخلف ابنه أبا برذعة، فكتب الحجاج إلى المهلب أن وجه رجلاً من قبلك إلى سجستان، فوجه وكيع بن بكر بن وائل الأزدي، ثم ولاها الحجاج عبد الرحمن بن محمد الأشعث سنة ثمانين، فخلع الحجاج وسار إلى العراق واستخلف، وذلك في اخر سنة إحدى وثمانين، ثم ولى الحجاج عمارة بن تميم القيني أو اللخمي، ثم عزله وولّى عبد الرحمن بن سليم، وذلك سنة أربع وثمانين، ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أن ولِّ مسمع بن مالك سجستان، فولاه فلم يزل عليها حتى مات، فولى ابن أخيه محمد بن شيبان، فعزله الحجاج وولى الأشعث بن بشر الكلبي، ثم عزله وضمها إلى قتيبة بن مسلم، فبعث قتيبة أخاه عمرو بن مسلم، ثم قدمها قتيبة، ثم شخص عنها، واستخلف عبد ربه بن عبد الله بن عمر الليثي، وذلك كله سنة ست وثمانين وبعض سنة سبع وثمانين، فلم يزل عبد ربه والياً حتى عزل قتيبة سنة ثلاث وتسعين.

القضاة

قضاة البصرة: ولّى عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن أسيد البصرة سنة اثنتين وسبعين عند قتل مصعب بن الزبير، فاستقضى خالد على البصرة عبيد الله بن أبي بكرة، فلم يزل قاضياً حتى قدم الحجاج بن يوسف فأقرّه، ثم ولى الحجاج هشام بن هبيرة الليثي، ثم ولى عبد الرحمن بن أذينة العبدي.

الكوفة: لما اجتمع الناس على عبد الملك عند قتل مصعب أعاد شريحاً ثم قدم الحجاج، فأقره على القضاء، ثم استعفاه فأعفاه وولى أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، ثم استعفاه بعد الجماجم فأعفاه فاستقضى أبا بكر بن أبي موسى الأشعري، فلم يزل قاضياً حتى مات، ثم استقضى عامر بن شراحيل الشعبي.

المدينة: غلب عليها طارق بن عمرو مولى عثمان حين قتل مصعب بن الزبير، ودعا إلى عبد الملك، ثم ولاها عبد الملك الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وسبعين، فاستقضى الحجاج عبد الله بن قيس بن مخرمة، فلم يزل قاضياً حتى شخص الحجاج إلى العراق واستخلفه على المدينة، ثم ولى عبد الملك عمه يحيى بن الحكم على المدينة سنة ست وسبعين، واستخلف أبان بن عثمان فأقرّه عبد الملك، فاستقضى أبان بن عثمان نوفل بن =

= مساحق العامري فلم يزل قاضياً حتى عزل أبان سنة ثلاث وثمانين ، وولى عبد الملك المدينة هشام بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومي ، واستقضى هشام عمرو بن خلدة الزرقي حتى مات عبد الملك.

الشام: قاضي عبد الملك أبو إدريس الخولاني.

السند: ولاها الحجاج بن يوسف سعيد بن أسلم الكلابي سنة ثمان وسبعين ، فقتله محمد ومعاوية ابنا الحارث العلافيان من بني سامة بن لؤي ، فولاها الحجاج مجاع بن سِعْر أحد بني مرَّة بن عبيد سنة تسع وسبعين ، فمات مجاع ، فولاها الحجاج محمد بن هارون بن ذراع النميري سنة ثمانين ، فلم يزل عليها حتى مات عبد الملك.

البحرين: بعث عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله فقتل أبا فديك ، ثم ولاها عبد الملك بن أسيد بن الأخنس بن شريق الثقفي. ولاها الحجاج سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي ، فمات فاستخلف ابنه موسى بن سنان بن سلمة ، فولى الحجاج سعيد بن حسان الأسيدي ، ثم ولى زياد بن الربيع الحارثي ، ثم عزله سنة تسع وسبعين ، وولى محمد بن صعصعة الكلابي ، فولاها محمد بن صعصعة عبد الملك بن عبد الله العوذي فخرج عليه الريان النكري فهرب عبد الملك وهرب محمد ، وبعث الحجاج يزيد بن أبي كبشة ، فقتل الريان وصلبه ، ثم قفل يزيد فولاها الحجاج قطن بن زياد بن الربيع الحارثي ، فلم يزل عليها حتى مات الحجاج والوليد.

عمان: بعث إليها الحجاج موسى بن سنان بن سلمة ، وذلك سنة كذا وسبعين ، ثم غلب عليها سعيد وسليمان ابنا عباد ، فبعث الحجاج طفيل بن حصين البهراني فأخرجهما منها ، فكتب إليه الحجاج: أن يستخلف ويقفل ، فاستخلف حاجب بن شيبة فمات بها فغلب عليها ابن عباد ، فوجه الحجاج مجاع بن سِعْر ثم صرفه عنها ، وولى محمد بن صعصعة ، فقتله ابن عباد ، فبعث الحجاج سورة بن الحر فقتل ابن عباد ، وولاها الحجاج سعيد بن حسان الأسيدي.

مصر: ولّاها عبد العزيز بن مروان ، فمات عبد العزيز سنة أربع وثمانين فولاها عبد الملك ابنه عبد الله بن عبد الملك ، فلم يزل والياً حتى مات عبد الملك ، وذلك سنة ست وثمانين ولاها عبد الملك حسان بن النعمان سنة أربع وسبعين ، فخرج منها قافلاً سنة ثمان وسبعين ، فاستخلف سفيان بن مالك الفهمي ، وقدم على عبد الملك فردَّه ، فلم يمضه عبد العزيز ، وولى موسى بن نصير سنة تسع وسبعين بدر بن سفيان بن مالك.

إفريقية: موسى بن نصير سنة تسع وسبعين ، فلم يزل عليها حتى مات عبد الملك ، وقد كان عبد الملك ولّى قبل موسى حسان بن النعمان الغساني ، فلم ينفذه عبد العزيز وهو على مصر ، وأنفذه موسى بن نصير. =

= الجزيرة: ولاها عبد الملك أخاه محمد بن مروان، فلم يزل عليها حتى مات عبد الملك والوليد.
أرمينية وأذربيجان: ضمهما إلى محمد بن مروان سنة ثلاث وثمانين حتى مات عبد الملك، فعزل محمد بن مروان سنة خمس وثمانين، واستخلف على أرمينية وأذربيجان عبد الله بن حاتم بن النعمان الباهلي، فمات عبد الله، وولى محمد بن مروان عبد العزيز بن حاتم بن النعمان.
اليمامة: يزيد بن هبيرة، ثم إبراهيم بن عربي الليثي حتى مات عبد الملك.
الصائفة: مالك بن عبيد الله الحنفي ثم ولى ابنه الوليد بن عبد الملك ثم محمد بن مروان بن الحكم، ثم عمرو بن محرز الأشجعي. [تاريخ خليفة بن خياط].

خلافة عبد الملك بن مروان
(٧٣ ـ ٨٦هـ)

قلنا: سبق أن ذكرنا رواية الطبري من طريق شيخه الثقة وهو عمر بن شبة ينقل رأي الأخباري الصدوق المدائني إذ يقول: مات عبد الملك سنة ست وثمانين وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً [الطبري ٦: ٤١٧] أي أنه عدَّ ولايته المعتبرة من بعد وفاة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.
وقال الخطيب البغدادي في ترجمة عبد الملك بن مروان: فكانت خلافته من مقتل ابن الزبير إلى أن توفي ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر [تاريخ بغداد (١٠: ٣٩١)].
وقال الحافظ ابن كثير: وهو أمير المؤمنين عند ابن حزم وطائفة.
قال الذهبي: إن صحت خلافة مروان فإنه خارج على ابن الزبير باغ فلا يصح عهده إلى ولديه إنما تصح إمامة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير. [تاريخ الإسلام ٦٠ ـ ٨١ هـ: ١٣٣].
ولقد ذكرنا ما جرى من الحوادث الجسام من بعد وفاة معاوية بن يزيد وحتى وفاة الصحابي الجليل أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير الذي حكم الشطر الأكبر من أرض الخلافة مدة سبع سنين.
وفي هذه الأسطر القليلة نذكر القارىء الكريم ببعض أعمال الخليفة عبد الملك بن مروان من بعد وفاة ابن الزبير.
ولقد ذكرنا آنفاً زيف الروايات التي تذكر أنه أطبق المصحف ساعة توليه الحكم وقال: هذا فراق بيني وبينك وذكرنا أنه من علماء المدينة المعروفين يومها لدى الناس، وأنه حتى آخر أيامه كان يجلس في حلقات العلم، ولا بأس أن نكرر هنا رواية مسلم التي ذكرناها آنفاً.
فقد أخرج مسلم عن أبي قزعة أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: =

= (يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر فإن قومك قصّروا في البناء) ، فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين ، فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا. قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير. [صحيح مسلم: كتاب الحج: ح٤٠٤: ١٣٣٣].

ومن أعمال عبد الملك الحضارية: ضرب الدنانير ولقد ذكرنا روايات الطبري في هذا الباب آنفاً وكذلك رواية ابن الجوزي عن مالك بن أنس رضي الله عنه: «أول من ضرب الدنانير عبد الملك وكتب عليها القرآن» [المنتظم ٢٩٥: ١٦٤٩].

قال الأستاذ يوسف العش رحمه الله: فليست القضية قضية إنشاء مصنع للنقود ، ونقل السكة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية فحسب بل يدخل في هذا الأمر وزن النقود وشكلها:

أما وزنها فله علاقة بالزكاة فيجب أن يسهل وزن النقد أداء الزكاة بحسب الأصول الشرعية ، وهكذا جعل عبد الملك وزن الدراهم متفقاً مع حسابات الزكاة بحيث لا تكون هنالك صعوبات في حساب إخراجها فجعل الدرهم ستة دوانق بحيث أصبح العشرة دراهم سبعة مثاقيل. [الدولة الأموية: ص ٢٢٥].

وقال الحافظ ابن كثير ـ في ترجمة عبد الملك ـ : سمع عثمان بن عفان وشهد الدار مع أبيه ، وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة اثنتين وأربعين. [البداية والنهاية (٧: ٢١٢)].

قلنا: والإسلام أمرنا أن نقول الحق ولو على أنفسنا فالخليفة عبد الملك خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، والله أعلم ، بما فعل وللأمانة التاريخية أمام الله أولاً ثم أمام المسلمين نقول:

إن عبد الملك يتحمل قسطاً وافراً من الظلم الذي مارسه الحجاج بعد أن سلطه على العراق وسائر المشرق ـ مهما كانت نواياه ـ والظلم الذي مارسه الحجاج كان معول هدمٍ في عهد الأمويين بقي أثره حتى أفل نجمهم والله تعالى أعلم.

ومعلوم لدى الناس جميعاً أن الإنسان حين تقترب منيته وتحين ساعة المفارقة يرق قلبه وتصغر الدنيا في عينه ويندم على سيئاته ، ويتمنى لو أنه لم يتقلد منصباً حتى لا يحمل ظلم الناس وكذلك كان حال عبد الملك ـ رحمه الله تعالى ـ فقد قال سعيد بن عبد العزيز ـ لما احتضر عبد الملك ـ: أمر بفتح أبواب قصره فلما فتحت سمع قصاراً بالوادي فقال: ما هذا؟ قالوا: قصّار (أي: الذي يصبغ الثياب ويقصرها) فقال: يا ليتني كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال: الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفرُّ إليهم ، وقال: لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول: وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربي عز وجل وطاعته. [البداية والنهاية (٧: ٢١٨)].

وأخيراً فإننا نريد أن نربط بين أعمال الخلفاء الراشدين وآثار سنتهم في الحكم المتبقية من =

= بعدهم. فمعلوم لدينا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوّن الدواوين، ومنها ديوان العطاء وديوان الخراج و... إلخ.
وديوان العطاء: يختص بتوزيع الأعطية على الرعايا جميعاً (ما يسمى اليوم بحقوق المواطنين، وخاصة المجاهدين، ويسجل في هذا الديوان أسماء الناس واستحقاقاتهم).
نعم كان الإسلام يعرف هذا منذ عهد قديم (قبل أربعة عشر قرناً) ولكن ما نقول لمستشرق أغمض عينيه فلا يرى حسنة من حسنات التاريخ الإسلامي!
ومن الأعمال الحضارية التي طوّرها عبد الملك هو ذلك العمل التجديدي في ديوان الخراج الذي يعتمد على الأرقام والحساب وهو ديوان يتضمن أسماء الأراضي الزراعية ومقادير محاصيلها مع مقدار الخراج الموضوع عليها وكانت هذه المعلومات تكتب بلغة البلاد المفتوحة (أي: الفارسية في العراق، والقبطية في مصر، والرومية بالشام) فعمد عبد الملك إلى توحيد لغتها فأصبحت جميعاً بلغة القرآن (العربية) وبذلك أصبح عصب مهم من اقتصاد الخلافة واضحاً ومفتوحاً أمام الخليفة بعد أن كان صعباً عليه أن يقرأها دون الاستعانة بمترجمين أو دون استدعاء القائمين عليها ولكن بعد توحيد لغة الدواوين أصبح الاقتصاد الإسلامي في قبضة الخلافة وذلك إنجاز إداري في غابر الزمان لو تدبره المنصف لتبين له عظمة التاريخ الإسلامي.
وأخيراً فإن خلفاء بني أمية (خلا اليزيدين؛ يزيد بن معاوية، ويزيد بن الوليد الفاسق) كانوا يتولون الحج كل عام أو يرسلون من ينوب عنهم من الأمراء، فالناس يرون الخليفة يصلي الصلوات الخمس ويحكم في قضاياهم ويدير شؤونهم ويتولون الحج ويشاركون مع سائر الأمة في شعائر الحج ومناسكه.
كما أخرج ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا محمد بن بكر البرساني قال: أخبرنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن محمد بن صهيب أنه رأى عبد الملك بن مروان يبتاع بمنى بدنة. [الطبقات الكبرى (٥: ٢٣٥)].
قلنا: والثابت تاريخياً أن عبد الملك قد أمر بتعريب الدواوين وكتابتها جميعاً بلغة القرآن [المصدر الأول من مصادر هذا الدين] وأمر بضرب النقود كذلك، وبهاتين العمليتين الحضاريتين أضاف إلى جهود الفتوحات والدعوة الإسلامية أموراً أخرى أدت بالنتيجة إلى قوة نظام الخلافة ووحدة الصف من الشرق إلى الغرب وكما اعترف أحد المستشرقين (المعادين للتاريخ الإسلامي) وهو: أندريه مايكل إذ قال: لقد أقام الأمويون نظاماً من أقوى النظم التي عرفتها البشرية بأسرها، وبفضلهم دخل الإسلام في ذروة العصور الوسطى....
وكان لهذا الحدث عواقب يصعب حسابها فلأول مرة تقع هاتان المنطقتان من مصب أنهار السند إلى أسبانيا تحت سلطة واحدة وتندمج في مجال اقتصادي واحد وتنظمها ثقافة واحدة.
[الإسلام وحضارته: الباب الرابع: ٩٧].

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بُويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة ، فَذُكر أنه لما دَفَن أباه وانصرف عن قَبره ، دخل المسجدَ فصعد المنبرَ ، واجتَمَع إليه الناس ، فخطَب فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون! واللهُ المستعان على مصيبتنا بموتِ أميرِ المؤمنين ، والحمدُ لله على ما أنعَم به علينا من الخلافة. قومُوا فبايعوا[1]. (٦ : ٤٢٣).

ولاية قتيبة بن مسلم على خُراسان من قِبَل الحجاج

وفي هذه السنة قَدِم قتيبةُ بن مسلم خُراسان والياً عليها من قبَل الحجّاج ، فذكر عليّ بن محمد أنّ كُليب بن خَلَف ، أخبَره عن طُفَيل بن مِرداس العميّ والحسنَ بن رُشيد ، عن سليمان بن كثير العميّ ، قال: أخبرَني عمّي قال: رأيت قُتيبَة بنَ مُسلم حين قَدِم خُراسانَ في سنة ست وثمانين ، فقدَم والمفضّلُ يَعرِض الجُندَ ، وهو يريد أن يَغْزُوَ أخْرون وشُومان ، فَخَطَب الناس قتيبة ، وحثّهم على الجهاد ، وقال:

إنّ الله أحلّكم هذا المَحلّ ليُعزَّ دينَه ، ويذبَّ بكم عن الحُرُمات ، ويزيد بكم المال استفاضة ، والعدوّ وقَماً ، ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾. ووعَدَ المجاهدين في سبيله أحسنَ الثواب ، وأعظمَ الذُّخْر عندَه فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ثم أخبر عمن قُتل في سبيله أنه حيّ مرزوق ، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(١) قلنا: وقال خليفة: ثم بويع الوليد بن عبد الملك في النصف من شوال سنة (٨٦ هـ) (ص ٣٠٢).
وكذلك أرخ الحافظ ابن كثير لذلك بالنصف من شوال سنة (٨٦ هـ) [البداية والنهاية (٧ : ٢٦٠)].

يُرْزَقُونَ﴾. فتنجَّزوا موعودَ ربكم ووطِّنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم، وإيّاي والهُوَيني[١]. (٦ : ٤٢٤).

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم.

وفيها حَبس الحجّاج بنُ يوسفَ يزيدَ بنَ المهلَّب، وعَزَل حبيبَ بن المهلَّب عن كرمان، وعبد الملك بن المهلب عن شُرْطته.

وحَجّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميّ، كذلك حدّثني أحمد بنُ ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقديّ.

كان الأمير على العراق كله والمشرق كلّه الحجاج بنُ يُوسف، وعلى الصّلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقَيل، وعلى الحرب بها من قبل الحجّاج زيادُ بنُ جرير بن عبد الله. وعلى البَصْرة أيوب بن الحَكَم، وعلى خُراسان قُتيبة بن مُسلِم[٢]. (٦ : ٤٢٦).

ثم دخلت سنة سبع وثمانين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عَزَل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة، وورَدَ عزلُه عنها ـ فيما ذُكر ـ ليلةَ الأحد لسبعِ ليال خلَوْن من شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين. وكانت إمرته عليها أربعَ سنين غيرَ شهر أو نحوه[٣]. (٦ : ٤٢٧).

---

(١) هذا إسناد مركب، فالخبر رواه المدائني من طريقين لا يخلو واحد منهما من مجهول أو ضعيف، ولم نجد في المتن نكارة أو غرابة، وراجع المقدمة للمزيد من التعليق على هذا الإسناد المركب.
ولقد قال خليفة بن خياط: ثم ضمَّ (أي عبد الملك) خراسان إلى الحجاج فولاّها الحجاج قتيبة بن مسلم فقدمها سنة (٨٦ هـ) قبل وفاة عبد الملك. [تاريخ خليفة (ص ٢٩٧)].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد الوليد.

(٣) قال خليفة: مات عبد الملك، وعليها هشام بن إسماعيل المخزومي فأقره الوليد سنتين ثم عزله وولى عمر بن عبد العزيز بن مروان سنة (٨٧ هـ) حتى أولها أو آخر سنة (٨٦ هـ) فأقام بها إلى سنة (٩٣ هـ) [ص ٣١٥].

خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينة ، قال الواقديّ : قدمها والياً في شهر ربيع الأوّل؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وُلد سنة اثنتين وستّين[١] . (٦ : ٤٢٧) .

خبر صلح قتيبة ونيزك

وفي هذه السنة قَدِم نَيزَك على قُتيبة ، وصالَح قتيبةُ أهلَ باذَغيس على ألاّ يَدخُلها قتيبة .

ذكر الخبر عن ذلك :

ذَكَر عليّ بنُ محمد أن أبا الحَسَن الجُشميّ أخبَرَه عن أشياخ من أهل خُراسانَ ، وجبلة بن فرّوخ عن محمد بن المثنّى ، أنّ نيزك طَرْخان كان في يديه أسراءُ من المسلمين ، وكتب إليه قُتيبة حينَ صالَح مَلِكَ شُومان فيمن في يدَيه من أسرَى المسلمين أن يُطلِقهم ، ويهدّده في كتابه ، فخافَه نيزك ، فأطلق الأسرى ، وبَعث بهم إلى قتيبة ، فوجّه إليه قتيبة سُليماً الناصح مولَى عُبيد الله بنِ أبي بَكرة يدعوه إلى الصّلح وإلى أن يؤمِّنه ، وكتب إليه كتاباً يحلِف فيه بالله : لئن لم يقدم عليه ليغزونّه ، ثمّ ليطلبنّه حيث كان ، لا يُقلع منه حتى يَظفر به أو يموتَ قبل ذلك . فقَدم سُلَيم على نَيزَك بكتاب قتيبة ـ وكان يستنصحه ـ فقال له : يا سليم ، ما أظنّ عند صاحبك خيراً ، كتَبَ إليّ كتاباً لا يُكتَب إلى مثلي! قال له سليم : يا أبا الهَيّاج ، إنّ هذا رجل شديد في سلطانه ، سَهْل إذا سُوهل ، صعب إذا عُوسِر ، فلا يمنعْك منه غلظة كتابه إليك ، فما أحسن حالَكَ عندَه وعندَ جميع مُضَر! فقَدِم نيزك مع سُلَيم على قُتيبة ، فصالَحه أهلُ باذَغيس في سنة سبع وثمانين على ألاّ يَدخُل باذَغيس[٢] . (٦ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩) .

---

(١) وكذلك أرخ الحافظ ابن كثير لمقدم عمر أميراً على المدينة . [البداية والنهاية (٧ : ٢٢١)] .

(٢) قال خليفة : فيها (٨٧ هـ) قدم نيزك طرخان على قتيبة بن مسلم فصالحه وأطلق من في يده من الأسارى . [تاريخ خليفة : ص ٣٠٣] .

خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم

وفي هذه السنة غزا مَسلَمة بنُ عبد الملك أرض الرّوم ومعه يزيدُ بن جُبَير ، فلقي الرّوم في عدد كثير بسوسَنة من ناحية المَصيصَة .

قال الواقديّ : فيها لاقَى مسلمةُ مَيْموناً الجُرْجمانيّ ومع مَسلمة نحو من ألفِ مُقاتِل من أهل أنطاكية عند طُوانة ، فقَتَل منهم بَشَراً كثيراً ، وفتَح الله على يديه حُصوناً[1] . (٦ : ٤٢٩).

وقيل : إنّ الذي غَزَا الرّوم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ، ففتح الله على يديه حصنَ بولق وحصن الأخرم وحصن بولس وقمقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل . وسبى ذراريِّهم ونساءهم . (٦ : ٤٢٩).

خبر غزو قتيبة بِيكَنْد

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيْكَنْد .

ذكر الخبر عن غَزْوَتِه هذه :

ذكَر عليّ بنُ محمّد أن أبا الذّيال أخبَره عن المهلّب بن إياسو ، عن أبيه ، عن حسين بن مُجاهد الرّازيّ وهارون بن عيسى ، عن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم ، أن قتيبة لما صالَحَ نيزك أقام إلى وَقْت الغَزو ، ثمّ غزا في تلك السنة ـ سنة سبع وثمانين ـ بيكند ، فسار من مَرْوَ وأتى مَرْوَ الرُّوذ ، ثمّ أتى آمُلَ! ثمّ مضى إلى زَمّ فقَطَع النهر ، وسار إلى بيكَنْد ـ وهي أدنى مدائنِ بُخارى إلى النهر ، يقال لها مدينة التجّار على رأس المَفازة من بُخارى ـ فلما نزل بعَقْوَتهم استنصَروا الصُّغْد ، واستمدّوا من حولهم ، فأتَوْهم في جمع كثير ، وأخذوا بالطريق ، فلم ينفذ لقتيبة رسولٌ ، ولم يصل إليه رسول ، ولم يجر له خبرٌ شَهْرَين ، وأبطأ خبرُه على الحجّاج ، فأشفق الحجّاج على الجند ، فأمر الناس بالدّعاء لهم في المساجد ، وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يقتتلون في كلّ يوم .

---

(١) انظر تاريخ خليفة (ص ٣٠٤).

قال: وكان لقُتيبة عينٌ يقال له تنذر من العجم ، فأعطاه أهل البخارى الأعلى مالاً على أن يفثأ عنهم قتيبة؛ فأتاه ، فقال: أخْلني ، فنَهَض الناسُ واحتَبَس قتيبةُ ضرارَ بنَ حصين الضّبيّ ، فقال تنذر: هذا عاملٌ يَقدُم عليك ، وقد عُزل الحجاج ، فلو انصرفتَ بالناس إلى مروَ! فدعا قتيبة سيَاه مولاه ، فقال: اضرب عُنُقَ تنذر ، فقتَلَه ، ثم قال لضرار: لم يبق أحدٌ يَعلَم هذا الخبر غَيْري وغيرك ، وإنّي أعطي اللهَ عَهْداً إن ظَهَر هذا الحديثُ من أحد حتى تَنْقَضيَ حربُنا هذه لألحقنّك به؛ فأملك لسانَك ، فإنّ انتشار هذا الحديث يَفُتّ في أعضاد الناس. ثمّ أذن للناس.

قال: فدخلوا ، فَراعَهم قَتلُ تنذر ، فوَجَموا وأطرَقوا ، فقال قتيبة: ما يَروعُكم من قتل عبد أحانه الله! قالوا: إنا كنا نظنّه ناصحاً للمسلمين ، قال: بل كان غاشّاً فأحانَه الله بذنْبه ، فقد مضى لسبيله ، فاغدُوا على قتال عدوّكم ، والقوهم بغير ما كنتم تلقَونهم به ، فغدا الناس متأهّبين ، وأخذوا مصافَّهم ، ومَشَى قُتيبة فحضّ أهل الرايات ، فكانت بين الناس مُشاوَلة ، ثم تزاحَفوا والتقَوا ، وأخذت السيوفُ مأخذَها ، وأنزَل اللهُ على المسلمين الصبرَ ، فقاتلوهم حتى زالت الشمس ، ثمّ مَنَح اللهُ المسلمين أكتافَهم ، فانهزَموا يريدون المدينة ، وأتبعهم المسلمون فشَغَلوهم عن الدخول فتفرّقوا ، وركبهم المسلمون قَتلاً وأسراً كيف شاؤوا ، واعتصم من دخَل المدينة بالمدينة ، وهم قليل ، فوَضَع قتيبةُ الفَعَلة في أصلها ليَهدِمها ، فسألوه الصلحَ فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلاً من بني قُتيبة.

وارتحل عنهم يريدُ الرّجوع ، فلما سار مرحلةً أو ثنتين ، وكان منهم على خَمسة فراسخ نَقَضوا وكَفَروا ، فقتلوا العاملَ وأصحابَه ، وجدّعوا أنُوفَهم وآذانَهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصّنوا ، فقاتَلَهم شهراً ، ثمّ وضع الفعلة في أصل المدينة فعلّقوها بالخشب ، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدِم ، فسقط الحائط وهم يعلّقونه ، فقتل أربعين من الفَعَلة ، فطلبوا الصّلح ، فأبى وقاتَلَهم ، فظفِر بهم عَنْوة ، فقتل من كان فيها من المُقاتلة ، وكان فيمن أخذُوا في المدينة رَجُل أعوَر كان هو الذي استجاش التُّرْك على المسلمين ، فقال لقتيبة: أنا أفدي نفسي ، فقال له سُليم الناصح: ما تَبذُل؟ قال: خمسة آلاف

حزيرة صينية قيمتُها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما تَرَون؟ قالوا : نرى أنّ فداءه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كَيْد هذا! قال : لا والله لا تُروَّع بك مسلمةٌ أبداً ، وأمَرَ به فقُتِل[١] . (٦ : ٤٢٩ ـ ٤٣١).

قال عليّ : قال أبو الذّيال، عن المهلّب بن إياس، عن أبيه والحسن بن رُشيد، عن طُفَيل بن مِرْداس ، أنّ قتيبة لما فتح بيكنْد أصابوا فيها من آنية الذهب والفضّة ما لا يُحصَى ، فولى الغنائم والقَسْم عبد الله بن وَألان العدويّ أحد بني ملكان ـ وكان قتيبة يسمِّيه الأمينَ ابنَ الأمين ـ وإياس بن بَيْهَس الباهليّ ، فأذابا الآنيَة والأصنام فرَفَعاه إلى قتيبة ، ورَفعا إليه خَبَث ما أذابا ، فوهبه لهما ، فأعطيا به أربعين ألفاً ، فأعلماه فرَجع فيه وأمَرَهما أن يُذيباه فأذاباه ، فخرج منه خمسون ومئة ألف مثقال ـ أو خمسون ألف مثقال ـ وأصابوا في بيكَنْد شيئاً كثيراً ، وصار في أيدي المسلمين من بيكَنْد شيء لم يُصيبوا مثلَه بخُراسان. ورجع قتيبة إلى مرو ، وقَوِي المسلمون ، فاشترَوا السلاح والخيلَ ، وجُلبتْ إليهم الدّوابّ ، وتَنافَسوا في حُسن الهيئَة والعُدّة ، وغالَوا بالسلاح حتى بَلَغ الرّمح سبعين؛ وقال الكُمَيت :

ويـومَ بيكَنْـدَ لا تُحصَـى عجـائبـهُ   ومـا بُخـارَاءُ ممّـا أخطـأ العَـدَدُ

وكان في الخزائن سلاحٌ وآلةٌ من آلة الحرب كثيرة ، فكَتَب قتيبةُ إلى الحجّاج يستأذنه في دَفْع ذلك السلاح إلى الجُنْد ، فأذن له ، فأخرجوا ما كان في الخزائن من عُدَّة الحرب وآلة السَّفر. فقَسَمه في الناس ، فاستعدّوا ، فلما كان أيامُ الربيع ندب الناسَ وقال : إنّي أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حَمْل الزاد ، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدفاء؛ فسار في عدّة حَسَنة من الدّوابّ والسلاح ، فأتى آمُلَ ، ثم عبرَ من زَمّ إلى بُخارَى ، فأتى نُومشكَث ـ وهي من بُخارى ـ فصالحوه[٢] . (٦ : ٤٣١ ـ ٤٣٢).

---

(١) هذا إسناد مركب من إسنادين أحدهما من طريق المدائني عن هارون بن عيسى عن يونس بن أبي إسحاق فهو عن المدائني عن أبي الذيال (الهنيد) عن المهلب بن إياس عن أبيه عن حسين بن مجاهد الرازي وكلا الطريقين لا يخلو من مجهول أو ضعيف ولعلهما يعتضدان ببعضهما إذا أخذنا بعين الاعتبار تساهل العلماء في رواية التاريخ ونحن نأخذ بذلك بشرط خلو المتن من النكارة والله أعلم. وانظر الرواية التي تليها.

(٢) قلنا : وهاتان روايتان عند الطبري عن فتح هذه الأماكن ، وكذلك أرخ خليفة بن خياط [تاريخ=

وحجّ بالناس في هذه السنة ـ فيما حدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ـ عمر بن عبد العزيز ، وهو أميرٌ على المدينة .

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حَزْم من قبَل عُمَر بن عبد العزيز .

وكان على العراق والمشرق كلِّه الحجّاج بن يوسف . وخليفته على البَصْرة في هذه السنة ـ فيما قيل ـ الجَرَّاح بنُ عبدِ الله الحكَميّ . وعلى قضائها عبد الله بن أذَينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعريّ . وعلى خراسان قتيبة بن مسلم[١] . (٦ : ٤٣٣) .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الرّوم

فمن ذلك ما كان من فَتْح الله على المسلمين حِصناً من حصون الرّوم يُدعَى طُوانة في جُمادَى الآخرة ، وشتَوا بها ، وكان على الجيش مسْلمة بنُ عبد الملك ، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك[٢] . (٦ : ٤٣٤) .

[ذكر غزو قتيبة نومشَكث وراميِثَنه]

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكث وراميثَنه .

ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

= خليفة : ٣٠٣] .

وقال البلاذري : وفتح قتيبة بيكندوش ونسف والشاش وغزا فرغانة وفتح بعضها ، وغزا السغد وأشروسنة . [فتوح البلدان : ٢٥٢] .

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد الوليد بن عبد الملك .

(٢) وقال خليفة : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك فرابطا بأنطاكية وشتوا بها فجمعت لهم الروم جمعاً كثيراً فزحفوا إليهم فهزم الله الروم وقتل منهم بشراً كثيراً (يقال خمسون ألفاً) وفتح الله جرثومة وطوانة . اهـ . [تاريخ خليفة : ٣٠٥] .

ذكَر عليّ بنُ محمد ، أنّ المفضّل بن محمد أَخبَرَه عن أبيه ومصعب بن حيّان ، عن مولى لهم أدرك ذلك ، أن قتيبة غزا نومشَكَث في سنة ثمان وثمانين ، واستخلَف على مرْو بشّار بن مُسلم ، فتلقّاه أهلُها ، فصالحهم ، ثم صار إلى راميثنه فصالَحه أهلُها ، فانصرف عنهم وزحَفَ إليه الترك ، معهم السُّغد وأهل فَرْغانة ، فاعتَرَضوا المسلمين في طريقهم ، فلَحقوا عبد الرحمن بن مسلم الباهليّ وهو على الساقة ، بينه وبين قُتيبة وأوائل العسكر ميلٌ ، فلما قربوا منه أرسل رسولاً إلى قتيبة بخبره ، وغشيه الترك فقاتلُوه ، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس ، فانتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلُهم ، وقد كاد الترك يستعملونهم ، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصَبَروا ، وقاتلوهم إلى الظهر ، وأبلَى يومئذ نيزكَ وهو مع قتيبة ، فهَزَم اللهُ الترك ، وفض جمعهم ، ورجع قتيبةُ يُريدُ مَرْوَ وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ ، ثم أتى مَرْو. وقال الباهليّون: لقي الترك المسلمين عليهم كُورمغانون التركي ابن أخت ملك الصّين في مئتي ألف ، فأظهر اللهُ المسلمين عليهم[1] . (٦ : ٤٣٦ ـ ٤٣٧).

ذكر ما عمل الوليد من المعروف

وفي هذه السنة كتب الوليد بنُ عبد الملك إلى عمرَ بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان.

---

(١) هذا إسناد مركب:
الأول: من طريق المفضل بن محمد عن أبيه ، والمفضل ثقة في التاريخ ضعيف في الحديث.
والثاني: من طريق مصعب بن حيان لينه الحافظ وذكره ابن حبان في الثقات ورواه مصعب عن مولى أدرك تلك الحوادث (أبهم اسمه).
ولعل الطريقان تعتضدان ببعضهما من باب التساهل في رواية التاريخ ما لم يكن في المتن نكارة.
ولقد قال خليفة متحدثاً عن حوادث سنة (٨٨ هـ) فيها غزا قتيبة بن مسلم نومشكث فتلقاه أهلها فصالحوه ثم سار إلى راميثنة فصالحه أهلها وانصرف فزحف إليهم الترك ومعهم الصغد ، وأهل فرغانة . . . . . فأظهر الله المسلمين. [تاريخ خليفة: ص ٣٠٥].
وكذلك قال البلاذري: وغزا (أي: قتيبة) تومشكث وكرمينية سنة ٨٨ هـ. [فتوح البلدان: ص ٢٥١].

قال محمد بن عمر: حدّثني ابنُ أبي سَبْرة، قال: حدّثني صالح بن كيسان، قال: كتب الوليدُ إلى عمَر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة، وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك، وكتب الوليدُ إلى خالد بن عبد الله بذلك. قال: وحَبَس المجذَّمين عن أن يخرجوا على الناس، وأجرى عليهم أرزاقاً، وكانت تجرى عليهم.

وقال ابن سبرة، عن صالح بن كيسان؛ قال: كتب الوليدُ إلى عمر بن عبد العزيز أن يعمل الفوّارة التي عند دار يزيدَ بن عبد الملك اليومَ، فعملها عمر وأجرى ماءها، فلما حجّ الوليد وقَف عليها، فنظر إلى بيت الماء والفوّارة فأعجبته، وأمر لها بقُوّام يقومون عليها، وأن يُسقى أهلُ المسجد منها، ففعل ذلك[1]. (٦: ٤٣٧).

وحجّ بالناس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز في رواية محمّد بن عمر. ذكرَ أنّ محمد بن عبد الله بن جُبير ـ مولى لبني العباس ـ حدّثه عن صالح بن كَيْسان، قال: خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة ـ يعني سنة ثمان وثمانين ـ بعدّة من قريش، أرسل إليهم بصلات وظَهْر للحُمولة، وأحرموا معه من ذي الحُلَيفة، وساق معه بُدْناً، فلما كان بالتّنعيم لقيَهم نَفَر من قريش، منهم ابن أبي مُلَيكة وغيره، فأخبروه أنّ مكّة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاجّ العطش، وذلك أن المطر قلَّ، فقال عمر: فالمَطْلب ها هنا بيِّن، تعالوا نَدْع الله. قال: فرأيتُهم دَعَوا ودعا معهم، فألحّوا في الدعاء. قال صالح: فلا والله إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل، وسَكَبت السماء، وجاء سَيْلُ الوادي، فجاء أمرٌ خافَه أهلُ مكة، ومُطرت عرفةُ ومنى وجُمْعٌ، فما كانت إلا عُبْراً، قال: ونبتت مكة تلك السنة للخِصْب[2]. (٦: ٤٣٧ ـ ٤٣٨).

وأمّا أبو مَعشر فإنه قال: حجّ بالناس سنة ثمان وثمانين عمرُ بنُ الوليد بن

---

(١) قلنا: سنتحدث عن أعمال الوليد رحمه الله بعد انتهائنا من فترة حكمه إن شاء الله.

(٢) وكذلك قال خليفة: أقام الحج عمر بن عبد العزيز [ص ٣٠٦].

عبد الملك ، حدّثني بذلك أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عنه[١]. (٦ : ٤٣٨).

وكانت العمّال على الأمصار في هذه السنة العمّال الذين ذكرْنا أنهم كانوا عمّالها في سنة سبع وثمانين[٢]. (٦ : ٤٣٨).

ثمّ دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

خبر غزو مسلمة أرض الرُّوم

فمن ذلك افتتاحُ المسلمين في هذه السنة حصنَ سُورية ، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك ، زعم الواقديّ أنّ مَسلمَة غزا في هذه السنة أرض الرّوم ، ومعه العبّاس بن الوليد ودخلاها جميعاً ثمّ تفرّقا ، فافتتح مسلمة حصنَ سُورية ، وافتتح العبّاس أذروليّة ، ووافق من الرّوم جَمْعاً فهزَمهم.

وأما غيرُ الواقديّ فإنه قال: قصد مسلمة عموريّة فوافق بها للرّوم جَمعاً كثيراً ، فهَزَمهم الله ، وافتتح هِرَقْلةَ وقمودية.

وغزا العبّاس الصائفة من ناحية البُدَنْدُون[٣]. (٦ : ٤٣٩).

خبر غزو قتيبة بخارى

قال عليّ: أخبَرَنا أبو الذّيّال عن المهلّب بن إياس ، وأبو العلاء عن إدريس بن حنظلة ، أنّ قتيبة غزا وَرْدانَ خُذَاه ملك بُخارى سنة تسع وثمانين فلم

---

(١) قلنا: الذي اختاره ابن كثير في البداية والنهاية أن عمر بن عبد العزيز هو الذي حج بالناس هذه السنة. [البداية والنهاية (٧: ٢٢٤)].

(٢) انظر قوائم العمال بعد نهاية عهد الوليد.

(٣) قلنا: قول الطبري هنا (وزعم الواقدي) دليل على تشكيكه في خبره هنا لذلك عارضه بقول الآخرين.

ولقد قال خليفة: وفيها (٨٩ هـ) غزا مسلمة بن عبد الملك عمورية فلقي جمعاً من المشركين فهزمهم الله. [تاريخ خليفة: ٣٠٦].

يُطِقْه ، ولم يظفر من البلد بشيء ، فرجع إلى مرو ، وكتب إلى الحجاج بذلك ، فكَتَب إليه الحجاج : أنْ صَوّرها لي ، فبعث إليه بصُورتها ، فكَتَبَ إليه الحجّاج : أن ارجع إلى مراغتك فتُبْ إلى الله مما كان منك ، وائْتِها من مكانِ كذا وكذا[١]. (٦ : ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

وفيها غَزَا مسلمة بنُ عبد الملك التُّرك حتى بلغ الباب من ناحية أذْربيجان ، ففتح حُصوناً ومدائنَ هنالك.

وحَجّ بالناس في هذه السنة عمر بنُ عبد العزيز ، حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذَكَره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعشَر.

وكان العمّال في هذه السنة على الأمصار العمال في السنة التي قَبْلَها ، وقد ذكرناهم قَبْل[٢]. (٦ : ٤٤١).

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

ففي هذه السنة غزا مَسْلمةُ أرضَ الرّوم ـ فيما ذكر محمد بن عمَر ـ من ناحية سُورية ، ففتَحَ الحُصونَ الخمسةَ التي بسُورية.

وغزا فيها العباس بن الوليد؛ قال بعضهم : حتى بَلَغ الأرزَن؛ وقال بعضُهم : حتى بَلَغ سُورية. وقال محمد بنُ عمر : قولُ من قالَ : حتى بَلَغ سُورية أصحّ.

وفيها قَتَل محمّدُ بنُ القاسم الثقفيّ داهرَ بن صصّة مَلِك السِّند ، وهو على جيش من قِبَل الحجّاج بنِ يوسف[٣]. (٦ : ٤٤٢).

---

(١) قال خليفة : فيها (٨٩ هـ) : غزا قتيبة بن مسلم وردان خذاه ملك بخارى فلم يطقهم فرجع. [تاريخ خليفة : ص ٣٠٥].

(٢) انظر قوائم العمال بعد نهاية عهد الوليد بن عبد الملك.

(٣) قلنا : قال البلاذري : وحدثني علي بن محمد المدائني عن أبي محمد الهندي عن أبي الفرج قال : لما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند [فتوح البلدان : ٢٦١].
وقال البلاذري أيضاً : ثم إن محمداً (ابن القاسم) احتال لعبور مهران حتى عبره مما يلي بلاد راسل ملك قصة من الهند على جسر عقده وداهر مستخف به لاه عنه ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكره فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله وترجل داهر =

وفيها استَعملَ الوليد قُرَّةَ بن شريك على مصرَ موضع عبد الله بن عبد الملك.

وفيها أسرت الرّومُ خالد بن كَيْسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى مَلِكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوَليد بنِ عبد الملك. (٦ : ٤٤٢).

[خبر فتح بخارى]

وفيها فَتَح قُتيبةُ بُخارَى، وهَزَم جُموعَ العدوّ بها.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عليّ بنُ محمد أن أبا الذّيال أخبَرَه عن المهلّب بن إياس؛ وأبا العلاء عن إدريس بن حَنْظلة؛ أنّ كِتَاب الحجّاج لمّا ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان من انصرافه عن وَرْدان خُذاه ملك بُخارى قبل الظفر به والمصير إليه. ويعرّفه الموضَع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه، خرج قُتيبة إلى بُخارى في سنة تسعين غازياً، فأرسل وردان خذاه إلى السُّغد والتُّرك ومن حملهم يستنصرونهم، فأتوْهم وقد سَبَق إليها قتيبةُ فحَصَرهم، فلمّا جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزْد: اجعَلونا على حدة، وخَلُّوا بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدَّموا؛ فتقدّموا يقاتلونهم وقتيبةُ جالسٌ. عليه رداءٌ أصفر فوق سلاحه، فصبَروا جميعاً مليّاً، ثمّ جالَ المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساءُ وجوه الخيل وبكين، فكرّوا راجعين، وانطوت مُجنّبَتا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردّوهم إلى مواقفهم، فوقف الترك على نَشَز، فقال قتيبة: من يُزيلُهم لنا عن هذا الموضع؟ فلم يقدم عليهم أحد، والأحياء كلّها وقوفٌ.

فمشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الحطميّة، فيومٌ كأيّامكم، أبي لكم الفداء! قال: فأخذ وكيعٌ اللواءَ بيَده، وقال: يا بني تميم، أتسلمونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرّف - وهريم بن أبي طَلْحة المُجاشعيّ على خيل بني تميم ووكيع رأسُهم، والناس وقوف - فأحجَموا جميعاً، فقال

= وقاتل فقتل عند المساء وانهزم المشركون فقتلهم المسلمون. [فتوح البلدان: ٢٦١].

وكيع: يا هُريمُ، قَدِّم، ودفع إليه الرّاية، وقال: قدّم خيلَك فتقدّم هُرَيم، ودبّ وكيع في الرجال، فانتهى هُريم إلى نهر بينه وبين العدوّ فوقف، فقال له وكيع: اقحم يا هُرَيم؛ قال: فنظر هُرَيم إلى وكيع نظرَ الجَمَل الصَّؤول وقال: أنا أقحم خيلي هذا النهرَ، فإن انكشفت كان هلاكُها! والله إنك لأحمق؛ قال: يا بن اللَّخناء، ألا أراك تردّ أمري وحَذَفه بعمود كان معه، فضَرَب هريم فرسَه فأقحمه، وقال: ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هُريم في الخَيل، وانتهى وكيع إلى النهر، فدعا بخَشَب؛ فقَنْطر النهر وقال لأصحابه: من وطّن منكم نفسه على الموت فليعبُر، ومن لا فلْيثبت مكانَه؛ فما عبَر معه إلا ثمانمئة راجل، فدبّ فيهم حتى إذا أعيوا أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدوّ، فجعل الخيل مجنّبتين، وقال لهريم: إني مُطاعن القوم، فاشغلهم عنّا بالخيل، وقال للناس: شُدّوا، فحملوا فما انثنوا حتى خالطوهم، وحمل هريم خيله عليهم فطاعنوهم بالرّماح فما كفّوا عنهم حتى حَدّروهم عن موقفهم، ونادى قتيبة: أما تَرَون العدوّ منهزمين! فما عبرَ أحدٌ ذلك النهر حتى ولّى العدوُ منهزمين، فأتبعهم الناسُ، ونادى قتيبة: من جاء برأس فله مئة.

قال: فزعم موسى بن المتوكّل القُريْعيّ، قال: جاء يومئذ أحدَ عشرَ رجلاً من بني قُرَيع، كلّ رجل يجيء برأس، فيقال له: من أنت؟ فيقول: قُريعيّ. قال: فجاء رجل من الأزْد برأس فألقاه، فقالوا له: من أنت؟ قال: قُريعيّ؛ قال: وجَهم ابن زحر قاعد، فقال: كَذَب والله أصلحك الله! إنه لابن عمي؛ فقال له قُتيبة: ويحك! ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيتُ كلَّ من جاء قُريعيّ: فظننتُ أنه ينبغي لكلّ من جاء برأس أن يقول قُريعي قال: فضحك قُتيبة.

قال: وجُرح يومئذ خاقان وابنُه، ورجع قتيبةُ إلى مَرْوَ، وكتب إلى الحجّاج: إني بعثتُ عبدَ الرحمن بنَ مسلم، ففتح الله على يديه.

قال: وقد كان شهد الفتحَ مولى للحجّاج، فقَدم فأخبرَه الخبر، فغَضِب الحجّاج على قتيبة، فاغتمّ لذلك. فقال له الناس. ابعثْ وَفْداً من بني تميم وأعطهم وأرضهم يُخبروا الأميرَ أنّ الأمرَ على ما كتبْتَ، فبعثَ رجالاً فيهم عُرام بن شُتير الضّبيّ، فلمّا قدموا على الحجّاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجّام بيَده مقراض فقال: لأقطِّعنّ ألسنتكم أو لتصدقُنّي، قالوا: الأميرُ قتيبة، وبعث

عليهم عبدَ الرحمن ، فالفتحُ للأمير والرأسِ الذي يكون على الناس ، وكلّمه بهذا عُرام بن شُتير ، فسَكن الحجّاج[١] . (٦ : ٤٤٢ ـ ٤٤٤).

غدر نِيزَك

وفي هذه السنة غَدَرَ نيزَك ، فنقض الصّلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته ، وعاد حَرْباً ، فغَزاه قُتيبة.

ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظَّفَر به :

قال عليّ: ذَكَر أبو الذّيال ، عن المهلّب بن إياس والمفضَّل الضّبيّ ، عن أبيه ، وعليّ بن مجاهد وكُليب بن خَلَف العميّ؛ كلّ قد ذكر شيئاً فألّفته؛ وذَكَر الباهليّون شيئاً فألحقتُه في خَبَر هؤلاء وألفتُه؛ أنّ قتيبة فَصَل من بخارَى ومعه نيزَك وقد ذعَره ما قد رأى من الفتوح ، وخاف قتيبة : فقال لأصحابه وخاصّته : مُتَّهم أنا مع هذا ، ولستُ آمَنُه؛ وذلك أنّ العربيّ بمنزلة الكَلْب؛ إذا ضربتَه نَبَح ، وإذا أطعَمْته بَصْبَص واتّبعك، وإذا غَزَوْته ثمّ أعطيته شيئاً رضيَ ، ونسيَ ما صنعتَ به، وقد قاتَلَه طرْخونُ مراراً ، فلما أعطاه فديةً قبلها ورضيَ ، وهو شديد السَّطْوة فاجر فلو استأذنت ورجعتُ كان الرأي ، قالوا: استأذنه. فلما كان قتيبة بآمُل استأذَنَه في الرّجوع إلى تُخارِسْتان ، فأذن له ، فلما فارق عسكرَه متوجِّهاً إلى بَلْخَ قال لأصحابـه : أغـذُّوا السَّيـرَ؛ فساروا سيراً شديداً حتى أتَـوا النّوبهار فنَـزَل يصلّي فيه وتبرّك به. وقال لأصحابه: إني لا أشكّ أنّ قتيبة قد نَدِم حين فارقنَا عسكرَهُ على إذنه لي ، وسيُقدم الساعةَ رسوله على المغيرة بن عبد الله يأمره بحبْسي ، فأقيموا ربيئةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسولَ قد جاوَز المدينةَ وخرج من الباب فإنه لا يبلغ

---

(١) ولم نجد هذه التفاصيل التي ذكرها الطبري في الخبر في مكان آخر من المصادر التاريخية إلاّ أن أصل الخبر (أي: فتح بخارى من قبل قتيبة في هذه السنة) أكده كل من خليفة بن خياط والبلاذري.

قال خليفة: فيها (٩٠ هـ) غزا قتيبة بن مسلم وردان خذاه الغزوة الثانية وأرسل وردان خذاه إلى الصغد والترك ومن حولهم يستنصرهم فلقيهم قتيبة فهزمهم الله وفضَّ جمعهم. [تاريخ خليفة: ٣٠٦].

وقال البلاذري: وغزا قتيبة بخارى ففتحها صلحاً. [فتوح البلدان: ص ٢٥١].

البُروقان حتى نبلغ تخارِستان ، فيبعث المغيرة رجلاً فلا يُدرِكنا حتى ندخلَ شعب خُلم؛ ففعلوا.

قال: وأقبل رسولٌ من قِبَل قتيبة إلى المغيرة يأمُرُه بحبس نيزَك. فلما مرّ الرّسول إلى المغيرة وهو بالبُروقان ـ ومدينة بَلْخ يومئذ خَراب ـ ركب نيزَك وأصحابه فمضَوا ، وقَدم الرسولُ على المغيرة فركب بنفسه في طلبه ، فوَجَدَه قد دَخَل شعب خُلم ، فانصرف المغيرة ، وأظهَر نيزَك الخلع ، وكتب إلى أصبهذ بَلْخ وإلى باذام مِلِك مَرْوَروذ ، وإلى سهرب ملك الطالقان ، وإلى ترسُل ملك الفارياب. وإلى الجوزجانيّ ملك الجُوزجان يدعوهم إلى خَلْع قتيبة ، فأجابوه ، وواعَدَهم الرّبيع أن يجتمعوا ويغزُوا قتيبة. وكتب إلى كابل شاه يستظهِر به ، وبعث إليه بثَقَله ومالِه ، وسأله أنْ يأذَن له إن اضطر إليه أن يأتيَه ويؤمِّنَه في بلاده ، فأجابه إلى ذلك وضَمَّ ثَقَله.

قال: وكان جبْغويه مَلِك تخارستان ضعيفاً ، واسمه الشذّ ، فأخذه نيزَك فقيَّده بقَيْد من ذَهَب مخافة أن يشغَب عليه ـ وجبغويه ملك تخارستان ونيزَك من عبيده ـ فلما استوثق منه وضَعَ عليه الرّقبَاء ، وأخرج عامل قُتيبَةَ من بلاد جبْغويه ، وكان العامل محمد بن سُليم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعَه قبل الشتاء ، وقد تفرّق الجند فلم يَبقَ مع قتيبة إلا أهلِ مَرْو ، فبعث عبد الرّحمن أخاه إلى بَلْخ في اثني عشر ألفاً إلى البروقان ، وقال: أقم بها ، ولا تُحدث شيئاً ، فإذا حَسَر الشتاء فعَسْكِرْ وسِرْ نحو تخارستان ، واعلم أني قريب منك ، فسار عبدُ الرّحمن فنزل البروقان ، وأمهَل قتيبة حتى إذا كان في آخر الشتاء كتَبَ إلى أبرشهر وبيورْد وسَرَخْس وأهل هَراة ليقدَموا قبل أوانِهم الّذي كانوا يَقدَمون عليه فيه. (٦ : ٤٤٥ ـ ٤٤٧).

وحَجّ بالنّاس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشَر. وكذلك قال محمد بن عمر.

كان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكّة والمدينة والطائف. وعلى العراق والمشرق الحجّاج بن يوسف ، وعامل الحجّاج على البَصْرة الجرّاح بن عبد الله. وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى الكوفة زياد بن جَرير بن عبد الله. وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى. وعلى خُراسان قتيبة بن مُسلم ، وعلى مصر قُرّة بن قُرّة بن شَريك. (٦ : ٤٤٧).

هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج

وفي هذه السنة هَرَب يزيدُ بن المهلّب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم ، فلَحقوا بسُليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجّاج بن يوسف ، والوليد بنِ عبد الملك[١]. (٦ : ٤٤٨).

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا ـ فيما ذَكَر محمّد بن عمَر وغيرُه ـ الصائفةَ عبدُ العزيز بن الوليد ، وكان على الجيش مسلَمة بن عبد الملك .

وفيها غزا أيضاً مسلَمة الترْك ؛ حتى بلغ البابَ من ناحية أذْرَبيجان ، ففُتح على يديه مدائنُ وحُصون .

وفيها غزا موسى بن نُصَير الأندلس ، ففتُح على يديه أيضاً مدائنُ وحصون[٢]. (٦ : ٤٥٤).

وفي هذه السنة قَتَل قتيبةُ بن مسلم نيزَكَ طَرْخان .

تتمَّة خبر قتيبة مع نِيزك

قال الطبري : رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد وقصّة نيزَك وظَفَر قُتيبة به حتى قتله[٣].

يقول الطبري : ولما قدم مَنْ كان قتيبةُ كتب إليه يأمره بالقُدوم عليه من أهل

---

(١) ثم ذكر الطبري الخبر في سبب تخلصهم من سجن الحجاج وذلك من طريق المتروك هشام عن شيخه الهالك أبي مخنف ولقد ذكرنا الرواية في قسم الضعيف .

(٢) قلنا : الأحداث التي لم يعطها الطبري حقها مسألة فتوح الأندلس على يدي القائدين الجليلين (طارق وموسى) والله أعلم .

(٣) انظر الرواية وإسنادها آنفاً [٦ : ٤٤٥ ـ ٤٤٦ ـ ٤٤٧] ، والطبري هنا يكمل تلك الرواية السابقة كعادته في قطع سلسلة الأحداث لتوالي السنين لأن تاريخه حولي كما نعلم .

أبْرَشَهْر وبيوَرْد وسرْخس وهرَاةَ على قتيبة ، سار بالناس إلى مَرْوَروذ واستَخلَف على الحرب حمّاد بن مسلم ، وعلى الخَراج عبد الله بن الأهتم. وبلغ مَرزُبان مَرْوَروذ إقبالُه إلى بلاده ، فَهَرَب إلى بلاد الفُرْس. وقَدِم قتيبة مَرْوَروذ فأخذ ابنين له فقتَلهما وصلَبهما ، ثمّ سار إلى الطالَقان فقام صاحبُها ولم يحاربْه ، فكفّ عنه ، وفيها لصوص ، فقتلهم قتيبة وصلبهم ، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ، ومضى إلى الفارياب ، فخرج إليه ملك الفارياب مُذْعناً مقرّاً بطاعته ، فرضيَ عنه ، ولم يقتل بها أحداً ، واستعمَل عليها رجلاً من باهلة ، وبلغ صاحبُ الجُوزجان خبرُهم ، فترك أرضَه وخَرَج إلى الجبال هارباً ، وسار قتيبةُ إلى الجُوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين ، فقَبل منهم ، فلم يَقتُل فيها أحداً ، واستعمل عليها عامرَ بنَ مالك الحمّانيّ ، ثمّ أتى بَلْخ فلقيَه الأصبهبَذ في أهلِ بَلْخ ، فدخلها فلم يُقِم بها إلاّ يوماً واحداً.

ثم مضى يَتبع عبدَ الرحمن حتى أتى شعب خُلْم ، وقد مضى نيزَك فعسكَر ببَغْلان ، وخلف مُقاتلةً على فم الشّعب ومَضايِقِه يمنعونه ، ووضَع مقاتِلَةً في قَلْعة حصينة من وراء الشِّعب ، فأقام قتيبة أيّاماً يقاتلهم على مَضِيق الشِّعب لا يقدر منهم على شيء ، ولا يَقدِر على دخوله ، وهو مَضيقٌ ، الوادي يجري وسَطه ، ولا يَعرف طريقاً يُفضي به إلى نِيزَك إلا الشِّعب أو مفازة لا تحتَمل العساكر ، فبقي متلدِّداً يلتمس الحيَل.

قال: فهو في ذلك إذْ قَدِم عليه الرّوب خان مَلِك الرّوب وسمنْجان ، فاستأمَنه على أن يدلّه على مَدخَل القَلْعة التي وراءَ هذا الشِّعب ، فآمنه قتيبة ، وأعطاه ما سأله ، وبعث معه رجالاً ليلاً ، فانتهى بهم إلى القَلْعة التي من وراء شِعْب خُلْم ، فطرَقُوهم وهم آمنون فقتَلوهم ، وهرب مَنْ بَقيَ منهم ومن كان في الشِّعب ، فدخل قتيبة والناسُ الشِّعب ، فأتى القلعة ثمّ مضى إلى سِمنْجان ونيزَك ببغْلان بعين تدعى فَنْج جاه ، وبين سِمنْجان وبَغْلان مفازة ليست بالشديدة.

قال: فأقام قتيبة بسمنْجانَ أياماً ، ثمّ سار نيزَك ، وقدّم أخاه عبد الرحمن ، وبلغ نيزَك فارتحَل من منزله حتى قطع وادي فَرْغانة ، ووجّه ثقلَه وأموالَه إلى كابُل شاه ، ومضى حتى نَزلَ الكرْز وعبد الرّحمن بن مسلم يَتبعه ، فنزل عبدُ الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ، ونزل قُتيبة أسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فَرْسخان ،

فتحرّز نيزَك في الكرز وليس إليه مسلَك إلا من وجه واحد ، وذلك الوجه صَعْب لا تُطيقه الدّوابّ ، فحصَرَه قتيبة شهرَين حتى قلّ ما في يد نيزَك من الطعام ، وأصابهم الجُدَرِيّ وجُدِّر جبغويه ، وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سُليماً الناصح ، فقال: انطلِق إلى نيزَك واحتَلْ لأنْ تأتيَني به بغيرِ أمان ، فإنْ أعياك وأبَى فآمنه ، واعلم أني إن عاينتُك وليس هو معك صلبتُك؛ فاعمل لنفسك. قال: فاكتب لي إلى عبد الرحمن لا يُخالفني؛ قال: نعم. فكتب له إلى عبد الرحمن فقَدم عليه ، فقال له: ابعثْ رجالاً فليكونوا على فمِ الشِّعب. فإذا خرجت أنا ونيزَك فلْيَعطفوا من ورائنا فيَحُولوا بينَنا وبين الشِّعب. قال: فبعث عبدُ الرحمن خَيْلاً فكانوا حيث أمَرَهم سُلَيم ، ومضَى سُليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقي أياماً والأخْبِصة أوقاراً ، حتى أتى نيزَك ، فقال له نيزَك: خذلْتني يا سليم ، قال: ما خذلْتُك ، ولكنك عصيتني وأسأت بنفسك ، خلعتَ وغدرتَ ، قال: فما الرأي؟ قال: الرأيُ أن تأتيَه فقد أمحكته. وليس ببارح موضعَه هذا. قد اعتزم على أن يشتُوَ بمكانه؛ هلك أو سلم ، قال: آتيه على غيرِ أمان! قال: ما أظنه يؤمنك: لما في قلبه عليك ، فإنك قد ملأتَه غيظاً ، ولكن أرى ألاّ يعلم بك حتى تَضَع يدَك في يده ، فإني أرجو إن فعلتَ ذاك أن يستحييَ ويعفوَ عنك ، قال: أترى ذلك؟ قال: نعم ، قال: إنّ نفسي لتأبَى هذا ، وهو إنْ رآني قتَلني ، فقال له سليم: ما أتيتُك إلا لأشيرَ عليك بهذا ، ولو فعلتَ لرجوتُ أن تَسلَم وأن تعودَ حالُك عندَه إلى ما كانت؛ فأما إذْ أبيتَ فإني منصرف. قال: فنغدّيك إذاً ، قال: إني لأظنكم في شُغْل عن تَهيئة الطعام ، ومعنا طعامٌ كثير.

قال: ودعا سليم بالغَداء فجاؤوا بطَعام كثير لا عَهدَ لهم بمثله منذ حصروا ، فانتهبه الأتراك ، فغمّ ذلك نيزَك ، وقال سليم: يا أبا الهيّاج ، أنا لك من الناصحين ، أرى أصحابَك قد جُهِدوا ، وإن طال بهم الحصار وأقمتَ على حالك لم آمَنْهم أن يستأمنوا بك ، فانطَلق وائْتِ قُتيبة ، قال: ما كنتُ لآمَنَه على نفسي ، ولا آتيه على غير أمان؛ فإنّ ظنّي به أنه قاتلي وإن آمنني ، ولكنّ الأمان أعذَر لي وأرجَى ، قال: فقد آمنك أفتتّهمني! قال: لا ، قال: فانطلق معي ، قال له أصحابه: اقبل قولَ سليم ، فلم يكن ليقولَ إلا حقّاً ، فدعا بدوابّه وخرج مع سليم ، فلما انتهَى إلى الدرجة التي يُهبط منها إلى قرار الأرض قال: يا سليم ،

من كان لا يعلم متى يَموت فإني أعلَم متى أمُوت ، أموتُ إذا عاينْتُ قُتيبة؛ قال: كلاّ أيقتلُك مع الأمان! فركب ومضَى معه جبغويه ـ وقد بَرَأ من الجُدَريّ ـ وصُولُ وعثمانُ ابنا أخي نيزَك ـ وصول طَرْخان خليفة جبْغويه ، وخنس طرخان صاحب شرطه ـ قال: فلما خرج من الشِّعب عطفت الخيلُ التي خلفها سليم على فوّهة الشعب؛ فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال نيزَك لسُلَيم: هذا أوّل الشرّ؛ لا تفعل ، تخلُّف هؤلاء عنك خيرٌ لك.

وأقبَل سليم ونيزَك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بنِ مُسلم ، فأرسل رسولاً إلى قتيبة يُعلِمه ، فأرسَل قتيبةُ عمرو بن أبي مهزَم إلى عبد الرحمن: أن اقدم بهم عليّ ، فقَدِم بهم عبدُ الرحمن عليه ، فحبَس أصحابَ نيزَك ، ودفع نيزَك إلى ابن بسّام اللّيثي ، وكتب إلى الحجّاج يستأذنه في قتل نيزَك ، فجعل ابن بسام نيزَك في قُبّته ، وحفر حول القبة خَنْدقاً ، ووَضَع عليه حَرَساً ، ووجّه قتيبةُ معاويةَ بن عامر بن علقمة العُلَيميّ ، فاستخرج ما كان في الكُرز مَنْ مَتاع ومن كان فيه ، وقَدِم به على قتيبة ، فحبسهم ينتظر كتابَ الحجاج فيما كتب إليه ، فأتاه كتابُ الحجاج بعد أربعين يوماً يأمُره بقَتْل نيزَك. قال: فدعا به فقال: هل لك عندي عَقْد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم؟ قال: لي عند سليم؛ قال: كذبتَ ، وقام فدَخَل ورَدَّ نيزَك إلى حَبْسه ، فمكث ثلاثة أيام لا يَظهرَ للناس. قال: فقام المهلب بنُ إياس العدويّ ، وتكلّم في أمْر نيزَك ، فقال بعضهم: ما يحِلّ له أن يقتُله ، وقال بعضهم: ما يحلّ له تَركُه ، وكثرت الأقاويلُ فيه.

وخرج قتيبة اليومَ الرابعَ فجلس وأذن للناس ، فقال: ما تَروْن في قَتْل نيزَك؟ فاختَلَفوا ، فقال قائلٌ: اقتلْه ، وقال قائل: أعطيتَهُ عَهْداً فلا تَقتُله؛ وقال قائل: ما نأمنه على المسلمين. ودخل ضرار بن حصين الضّبيّ فقال: ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إنّي سمعتك تقول: أعطيتُ اللهَ عَهْداً إنْ أمكنَك منه أن تقتُلَه ، فإن لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبداً. فأطرَق قُتيبةُ طويلاً ، ثمّ قال: والله لو لم يبق من أجلي إلا ثلاث كلمات لقلتُ: اقتُلوه ، اقتُلوه ، اقتُلوه؛ وأرسَل إلى نيزَك فأمر

بقتله وأصحابه فقتِل مع سبعمئة[1]. (٦ : ٤٥٤ ـ ٤٥٨).

قال عليّ: أخبَرَنا مصعَب بن حيّان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس نيزك مع محفن بن جَزْء الكلابيّ، وسوّار بن زَهْدم الجَرْميّ، فقال الحجاج: إن كان قُتيبة لحقيقاً أن يَبعَث برأسِ نيزَك مع وَلَدِ مُسْلم، فقال سَوَّار:

أقولُ لمحفَنٍ وجَرى سنيحٌ وآخَرُ بارح مِنْ عَنْ يَميني
وَقَدْ جَعلَتْ بوائقُ من أمورٍ ترفَّع حولَه وتكفّ دوني
نشدْتُكَ هَلْ يسُرّك أنَّ سَرْجي وسَرْجك فوق أبغُل باذيينِ

قال: فقال محْفَن: نعم وبالصّين. (٦ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩).

قال عليّ: أخبَرنا حمزة بنُ إبراهيم وعليّ بنُ مجاهد، عن حَنْبل بن أبي حريرة؛ عن مَرْزبان قهستان وغيرهما، أنّ قتيبة دعا يوماً بنيزَك وهو محبوس، فقال: ما رأيُك في السَّبَل والشذّ؟ أتراهما يأتيان إن أرسلتُ إليهما؟ قال: لا؛ قال: فأرسَل إليهما قتيبة فقَدما عليه، ودعا نيزَك وجبغويه فَدخَلا، فإذا السَّبَل والشذّ بين يديه على كرسيّين، فجلسا بإزائهما، فقال الشذّ لقتيبة: إن جبغويه ـ وإن كان لي عدوّاً ـ فهو أسَنّ منّي، وهوالمَلِك وأنا كَعَبْده، فائْذن لي أدنُ منه، فأذن له، فدنا منه. فقبّل يده وسجَد له، قال: ثم استأذَنَه في السَّبَل، فأذن له فَدنَا منه فقبّل يده، فقال نيزك لقتيبة: ائذن لي أدن من الشذّ، فإني عَبْدُه، فأذن له، فدنا منه فقبّل يَده، ثم أذن قتيبة للسَّبَل والشذّ فانصرَفَا إلى بلادهما، وضم إلى الشذّ الحجّاج القينيّ، وكان من وُجوه أهلِ خُراسان. وقتل قتيبةُ نيزَك، فأخذ الزبيرُ مولَى عابس الباهليّ خُفّاً لنيزَك فيه جوهر، وكان أكثرَ من في بلاده مالاً وعقاراً؛ من ذلك الجوهر الذي أصابه في خُفّة، فسَوّغه إياه قُتَيبة، فلم يَزَل مُوسراً حتى هَلَك بكابُل في ولاية أبي داود. (٦ : ٤٥٩).

---

(١) قلنا: ثم يذكر الطبري عن المدائني عن الباهليين قولاً مغايراً وهو أن قتيبة لم يعطه العهد ولا الأمان... إلخ وقد ذكرنا قول الباهليين في الضعيف فلم يبين المدائني من هؤلاء الباهليين.

ولاية خَالِد بن عبد الله القسْريّ على مكة

وفي هذه السنة ولَّى الوليدُ بن عبد الملك مكةَ خالدَ بنَ عبد الله القَسْريّ فلَم يزل والياً عليها إلى أن مات الوليد[١]. (٦ : ٤٦٤).

وحجّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بن عبد الملك ، حدّثني أحمدُ بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي مَعشر ، قال : حجّ الوليد بنُ عبد الملك سنة إحدى وتسعين[٢]. (٦ : ٤٦٥).

قال : وأقام الحجّ الوليد بن عبد الملك .

وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمّال الذين كانوا عمالَها في سنة تسعين ، غير مكة فإنّ عاملَها كان في هذه السنة خالد بن عبدِ الله القَسْريّ في قول الواقديّ .

وقال غيرُه : كانت ولايَة مكّة في هذه السنة أيضاً إلى عمر بنِ عبد العزيز[٣]. (٦ : ٤٦٧).

ثمّ دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غَزْوة مَسلمةَ بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرضَ الرّوم ، ففُتح على يَدي مسلمةَ حُصون ثلاثة ، وجَلا أهلُ سُوسَنَة إلى جَوْف أرض الرّوم .

---

(١) انظر قوائم الولاة والعمال في نهاية عهد الوليد بن عبد الملك .

(٢) قلنا : والطبري يكرر هذه العبارة بعد قليل (أي حج الوليد) . قلنا : وقال خليفة ـ ضمن حديثه عن أحداث سنة (٩١ هـ) : وأقام الحج الوليد بن عبد الملك . [ص ٣٠٣] .

(٣) انظر قوائم الولاة فيما بعد .

فتح الأندلس

وفيها غزا طارِقُ بنُ زياد مولَى موسى بن نصير الأندلسَ في اثني عشرَ ألفاً ، فلقي مَلك الأندلس[١]. (٦ : ٤٦٨)

وفيها غَزَا ـ فيما زَعَم بعضُ أهل السيَر ـ قتيبةُ سجِسْتانَ يريد رُتبيل الأعظم والزّابل ، فلما نَزَل سجِسْتانَ تلقته رُسُلُ رُتبِيل بالصُّلح ، فَقبل ذلك وانصرف ، واستَعمَل عليهم عبد ربّه بن عبد الله بن عُمَير اللّيْثيّ[٢]. (٦ : ٤٦٨)

وحَجّ بالناس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعشَر. وكذلك قال الواقديّ وغيرُه.

وكان عُمّال الأمصار في هذه السنة عمّالها في السنة التي قَبْلَها[٣]. (٦ : ٤٦٨)

ثمّ دخلت سنة ثلاث وتسعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

فممّا كان فيها من ذلك غَزْوة العبّاس بنِ الوليد أرضَ الرّوم ، فتَح الله على يديه سَمَسْطِيّة[٤]. (٦ : ٤٦٩).

وفيها كانت أيضاً غَزْوة مَرْوان بن الوليد الرّومَ ، فبَلَغ خَنْجَرة وفيها كانت غزوة مَسلَمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم ، فافتَتح ماسا وحصن الحديد وغَزالةَ

---

(١) قال خليفة بن خياط : وفيها وجه موسى بن نصير مولاه طارقاً فأتى طنجة وهي على ساحل البحر وعبر إلى الأندلس فلقيه ملكها فقتل وسبى وأسر . [تاريخ خليفة : ص ٣٠٧].
وذكر البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٤١): أن طارق بن زياد غزا الأندلس في سنة (٩٢ هـ) وفتحها وانظر البداية والنهاية (٧ : ٢٢٣).

(٢) وقال خليفة : وفيها افتتح قتيبة شومان وكس ونسف فكتب إليه الحجاج أن سر إلى رتبيل. [تاريخ خليفة : ٣٠٧].

(٣) انظر قوائم العمال في نهاية عهد الوليد . اهـ.

(٤) انظر خليفة [ص ٣٠٩].

وبرجمة من ناحيةِ ملطية[١]. (٦ : ٤٦٩)

صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد

وفيها قَتَل قتيبة ملك خام جرد ، وصالَحَ ملك خُوارَزْم صُلْحاً مجدّداً[٢]. (٦ : ٤٦٩)

فتح سمرقند

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا قُتيبة بنُ مُسلم منصرفَه من خُوارزم سَمَرقْند ، فافتَتَحها[٣]. (٦ : ٤٧٢)

فتح طليطلة

وفي هذه السنة عَزَل موسى بنُ نُصير طارقَ بنَ زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة[٤]. (٦ : ٤٨١)

خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز

وفيها عُزِل عمر بنُ عبد العزيز عن المدينة. (٦ : ٤٨١)

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) قلنا: وكذلك أرخ خليفة لهذا الصلح فقال: وفيها (أي: ٩٣ هـ) غزا قتيبة بن مسلم خوارزم فصالحوه على عشرة آلاف رأس ثم سار إلى سمرقند فقاتلوه قتالاً شديداً وحاصرهم حتى صالحوه على ألف ألف ومئتي ألف. [تاريخ خليفة (ص ٣٠٩)].

(٣) انظر خليفة [٣٠٩].

(٤) قال خليفة: وفيها (٩٣ هـ) غزا موسى بن نصير بلاد المغرب فحدثني بكر بن عطية عن عوانة قال: غزا موسى بن نصير في المحرم سنة (٩٣ هـ) فأتى طنجة ثم عبر لا يأتي مدينة حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ثم سار إلى قرطبة. [خليفة (ص ٣٠٨)].
ونسب البلاذري إلى طارق بن زياد فتح مدينة طليلطة بعد معارك طويلة.

فتوح محمد بن القاسم الثقفي

وفيها (٩٣) افتتح محمد بن القاسم الثقفي الديبل ، ثم سار إلى بيرون[١] .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غَزْوة العباس بن الوليد أرضَ الرّوم ، فقيل : إنه فَتَح فيها أنطاكية .

وفيها غَزَا ـ فيما قيل ـ عبدُ العزيز بنُ الوليد أرضَ الرّوم حتى بلَغ غَزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطيّ أرض بُرْج الحمام ، ويزيد بن أبي كَبشة أرضَ سُورِية .

وفيها كانت الرَّجفة بالشأم .

وفيها افتَتَح القاسمُ بنُ محمد الثقفيّ أرض الهناء (٦ : ٤٨٣) .

ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جُبَيْر

وفي هذه السنة قَتَل الحجاجُ سعيد بنَ جُبَيْر .

ذكر الخبر عن مقتله :

---

(١) قلنا : ولقد قال خليفة : فحدثني عون بن كهمس بن الحسن قال : حدثني أبي قال : كنت مع محمد بن القاسم فجاءنا داهر في جمع كثير ومعه سبعة وعشرون فيلاً ، فعبرنا إليهم فهزمهم الله وهرب داهر . قال أبي : ثم عبرنا إليهم واتبع عصابة من المسلمين العدو ، فقتلوهم ، ثم رجعوا إلى العسكر ، فلما كان في الليل أقبل داهر ومعه جمع كثير مصلتين فقُتل داهر وعامة أصحابه وانهزم الآخرون واتبعهم محمد بن القاسم حتى أتى مدينة برْهما فخرج إليه قوم منهم فقاتلوهم فألجأهم إلى مدينتهم فحصرهم حتى فتحها . [تاريخ خليفة (ص ٣٠٨)] .
قلنا : وشيخ خليفة هنا (عون بن كهمس) ذكره ابن حبان في الثقات (٨ : ٥١٥) وأبوه كهمس ثقة أخرج له الستة وهو شاهد على هذه المعارك كما في قوله : (كنت مع محمد بن القاسم فجاءنا داهر) .

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع من خرَج عليه مع عبد الرحمن بنِ محمد بن الأشعث ، وكان الحجاج جعله على عطاء الجُنْد حين وجّه عبدَ الرحمن إلى رُتْبيل لقتاله ، فلما خلع عبدُ الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خَلَعه معه ، فلما هُزِم عبدُ الرحمن وهَرَب إلى بلاد رُتْبيل هَرَب سعيد.

فحدّثنا أبو كريب ، قال: حدّثنا أبو بكر بن عياش ، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان ـ وكان سعيد ، قال الطبريّ: أظنه أنه لما هَرَب من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكَتَب إليه ـ: إنّ سعيداً عندَك فخُذْه فجاء الأمرُ إلى رجل تحرَّج ، فأرسل إلى سعيد: تحوَّلْ عني ، فتنحَّى عنه ، فأتى أذْرَبيجان ، فلم يزَل بأذْرَبيجان فطَال عليه السنون ، واعتَمَر فخَرَج إلى مكة فأقامَ بها ، فكان أناس من ضربه يستخفُون فلا يُخبرون بأسمائهم. قال: فقال أبو حَصِين وهو يحدّثنا هذا: فبلَغنا أنّ فلاناً قد أمِّر على مكة. فقلت له: يا سعيد ، إنّ هذا الرجل لا يُؤمَن ، وهو رَجُل سَوْء ، وأنا أتقيه عليك ، فاظعَن واشخص ، فقال: يا أبا حَصين ، قد والله فررت حتى استحييتُ من الله! سيجيئُني ما كَتَب الله لي. قلتُ: أظنك والله سعيداً كما سمتْك أمك. قال: فقَدِم ذلك الرجل إلى مَكة ، فأرسلَ فأخذ فلان له وكلّمه. فجعل يديره[1]. (٦ : ٤٨٧ ـ ٤٨٨).

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس ، قال: كتَبَ الحجاج إلى الوليد: إنّ أهلَ النفاق والشقاق قد لجؤوا إلى مكة ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أنْ يأذَن لي فيهم! فكتَبَ الوليدُ إلى خالد بن عبدِ الله القَسْريّ؛ فأخَذ عطاءً وسعيد بنَ جُبَير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار؛ فأما عمرو بنُ دينار وعطاء فأرسلا لأنهما مكيّان ، وأما الآخَرون فبعث بهم إلى الحجّاج ، فمات طلقٌ في الطريق ، وحُبِس مجاهدٌ حتى مات الحجاج. وقُتِل سعيدُ بن جُبير. (٦ : ٤٨٨).

---

(١) قلنا: وهذا إسناد حسن والله أعلم.
وكذلك الحافظ الأزدي ، فقد أخرجه في كتاب المتوارين قال: ثنا أبو علي النرسي ثنا أحمد بن عبد الله بن شابور ثنا واصل (وهو عبد الأعلى) ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت: إن هذا الرجل قادم (يعني: خالد بن عبد الله القسري) ولم تبعد ولا آمنه عليك فأطعني واخرج. قال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله عز وجل. . . . إلى آخر الرواية. [المتوارين (١ : ٥٦)].

حدّثنا أبو كريب ، قال: حدّثنا أبو بكر ، قال: حدّثنا الأشجعيّ ، قال: لما أقبل الحرَسِيّان بسعيد بن جُبير نَزَل منزلاً قريباً من الرَّبذَة ، فانطلَق أحد الحرَسيين في حاجته وبقي الآخَر ، فاستيقَظ الذي عندَه ، وقد رأى رُؤْيا ، فقال: يا سعيد ، إني أبرأ إلى الله من دمك! إنّي رأيتُ في منامي؛ فقيل لي: ويلَك! تبرّأ من دَمِ سعيد بنِ جُبَير. اذهبْ حيث شئتَ لا أطلُبك أبداً؛ فقال سعيد: أرجو العافيةَ وأرجو ، وأبى حتى جاء ذاك؛ فنزَلا من الغد ، فأري مثلها ، فقيل: ابرَأ من دمِ سعيد. فقال: يا سعيد ، اذهَبْ حيثُ شئتَ إني أبرأ إلى الله من دَمِك ، حتى جاء به[1]. (٦ : ٤٨٨ ـ ٤٨٩).

قال وهب بن جَرير: حدّثنا أبي ، قال: سمعت الفضل بن سويدٍ قال: بعَثَني الحجاج في حاجة ، فجيء بسعيدِ بنِ جُبَير ، فرجعتُ فقلت: لأنظرنَ ما يصنَع ، فقمتُ على رأس الحجاج ، فقال له الحجاج: يا سعيد ، ألم أشرِكْك في أمانتي! ألم أستَعْمِلْك! ألم أفْعَل! حتى ظننتُ أنه يخلي سبيله؛ قال: بلى ، قال: فما حَمَلك على خروجك عليّ؟ قال: عُزِم عليّ. قال: فطار غَضَباً وقال: هيه! رأيت لعزمة عدو الرحمن عليك حقّاً ، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي عليك حَقّاً! اضرِبا عنقَه ، فضربت عُنقُه ، فنَدَر رأسه عليه كمّة بيضاء لا طية صغيرة[2]. (٤ : ٤٨٩).

وحُدّثت عن أبي غسانَ مالك بن إسماعيل ، قال: سمعتُ خلف بنَ خليفة يَذكُر عن رجل قال: لما قُتل سعيدُ بنُ جبير فنَدرَ رأسُه لله ، هلل ثلاثاً: مرّة يُفصح

---

(١) قلنا: وأما شيخ الطبري ، وشيخ شيخه فمعروفان.
وأما الأشجعي فهو عبيد الله بن عبيد الرحمن وهو: ثقة روى عن سعيد بن جبير. والله أعلم.

(٢) قلنا: هذا الخبر أخرجه ابن سعد في طبقاته قال: أخبر وهب ابن جرير بن حازم قال: ثني أبي قال: سمعت الفضل بن سويد يحدث وكان في حجر الحجاج ، وكان أبوه أوصى إلى الحجاج قال: بعثني الحجاج في حاجة ، فقيل: قد جيء بسعيد بن جبير ، فرجعت لأنظر ما يصنع به..... وفي آخر الخبر: فندر رأسه في قلنسية بيضاء لا طية كانت على رأسه. [الطبقات الكبرى (٦ : ٢٦٥)].
ورجال إسناد ابن سعد ثقات سوى الفضل بن سويد (راوي الخبر) ولا بأس بحديثه كما قال أبو حاتم والله أعلم.

بها ، وفي الثِّنتَين يقول مِثلَ ذلك فلا يُفصِح بها[١] . (٦ : ٤٨٩).

قال أبو جعفر : وكان يقال لهذه السنة سنةُ الفُقَهاء ، ماتَ فيها عامّة فُقَهاء أهل المدينة ، مات في أوّلها عليّ بنُ الحُسَين عليه السلام ، ثمّ عُروة بن الزّبير ، ثم سعيدُ بن المسيّب ، وأبو بكر بنُ عبد الرّحمن بن الحارث بن هشام[٢] . (٦ : ٤٩١).

واستقضَى الوليدُ في هذه السنة بالشأم سليمانَ بن حبيب .

واختلف فيمن أقامَ الحج للناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر ـ فيما حَدّثني أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى عنه ـ قال : حَجّ بالناس مسلمة بنُ عبدِ الملك سنة أربع وتسعين .

وقال الواقديّ : حجّ بالناس سنة أربع وتسعين عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك ـ قال : ويقال : مَسلَمة بن عبد الملك .

وكان العاملُ فيها على مكة خالد بن عبد الله القَسْريّ . وعلى المدينة عثمان بن حيّان المُرّيّ ، وعلى الكوفة زياد بن جَرير ، وعلى قَضائها أبو بكر بن أبي موسى . وعلى البَصْرة الجرّاح بن عبد الله ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى مصر قرّة بن شريك ، وكان العراق

---

(١) قلنا : ولم يفصح الطبري عن اسم شيخه الذي حدثه عن أبي غسان وقد أخرج الأزدي قال : ثنا أبو أحمد السعدي : ثنا محمد بن أعين : ثنا ابن أبو المقابري : ثنا خلف بن خليفة : ثنا رجل من الحرس . . . . إلخ كما عند الطبري [المتوارين (١ : ٦١)].
وقال الحافظ ابن كثير : وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله أكثرها لا تصح . [البداية والنهاية (٧ : ٢٤٦)].

(٢) قلنا : أما علي بن الحسين فقد اختلف الأئمة في تاريخ وفاته : فأما الذين أرخو لوفاته بسنة (٩٤ هـ) هم : ابن معين ، وابن نمير ، والزبير بن بكار ، ومصعب الزبيري ، وغيرهم .
وقال مصعب : وكان يقال لهذه السنة سنة القضاء لكثرة من مات فيها منهم .
وأما يعقوب بن سفيان فقد روى عن إبراهيم بن المنذر عن معن بن عيسى قال : توفي أنس بن مالك ، وعلي بن الحسين ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعروة بن الزبير سنة (٩٣ هـ).
[تهذيب الكمال (تر ٤٦٣٩) و(تر ٢٣٤٢)].

والمشرق كله إلى الحجاج[١]. (٦ : ٤٩١).

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت غَزْوة العباس بنِ الوليد بنِ عبد الملك أرضَ الرّوم، ففتَحَ اللهُ على يديه ثلاثةَ حُصون فيما قيل: وهي: طولس، والمرزبانين، وهَرَقْلة، وفيها فتح آخر الهند إلا الكَيْرَج والمَنْدَل. (٦ : ٤٩٢).

بقية الخبر عن غزو الشاش

وفيها غزا قُتيبة بنُ مُسلِم الشاش.

ذكر الخبر عن غزوته هذه:

رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد، قال: وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين، فغزا، فلما كان بالشاش - أو بكُشماهن - أتاه موتُ الحجاج في شوّال، فغمَّه ذلك، وقَفَل راجعاً إلى مَرْوَ. وتمثل:

لَعمري لنِعمَ المرءُ من آلِ جَعفَرٍ ... بحَورَانَ أمسى أعلَقَتْه الحَبَائلُ
فإنْ تَحْيَ لا أملَلْ حياتي وإن تَمُتْ ... فما في حَيَاة بَعد مَوتِكَ طائلُ

قال: فرجع بالناس ففرّقهم، فخلَّف في بخارَى قوماً، ووجّه قوماً إلى كسّ ونَسَف، ثمّ أتَى مَرْوَ فأقام بها، وأتاه كتابُ الوليد: قد عَرَف أميرُ المؤمنين بلاءَك وجِدك في جهادِ أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعُك وصانع بك كالذي يجب لك، فالمم مغازيك، وانتظرْ ثوابَ ربك، ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبَك؛ حتى كأني أنظرُ إلى بلادك والثغر الذي أنتَ به[٢]. (٦ : ٤٩٢ - ٤٩٣).

وفيها مات الحجاج بنُ يوسفَ في شوّال - وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة

---

(١) انظر قوائم الولاة حقاً.

(٢) وقال خليفة: وفيها (٩٥) غزا قتيبة الشاش غزوة ثانية فأتته وفاة الحجاج فرجع إلى مروان. [تاريخ خليفة (ص ٣١٢)].

وقيل: ابن ثلاث وخمسين سنة ـ وقيل: كانت وفاتُه في هذه السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان[1]. (٦ : ٤٩٣).

وفيها استخلف الحجاج لما حضرته الوفاةُ على الصلاة ابنَه عبدَ الله بن الحجاج. وكانت إمرةُ الحجاج على العراق فيما قال الواقديّ عشرين سنة.

وفي هذه السنة افتَتَح العبّاس بنُ الوليد قِنَّسْرين.

وفيها قُتِلَ الوضّاحيّ بأرض الرّوم ونحو من ألفِ رجل معه.

وفيها ـ فيما ذكر ـ وُلد المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ.

وفيها ولّى الوليدُ بنُ عبدِ الملك يزيدَ بنَ أبي كَبْشة على الحَرْب والصلاة بالمصرين: الكوفةَ والبَصْرة، وولَّى خراجَهما يزيدَ بنَ أبي مسلم.

وقيل: إن الحجاج كان استخْلَفَ حين حضرتْه الوَفاة على حرب البلدين والصَّلاة بأهلهما يزيد بن أبي كَبْشة، وعلى خراجهما يزيدَ بنَ أبي مسلم،

(١) قلنا: وقال خليفة: وفيها مات الحجاج وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. [تاريخ خليفة (ص ٣١٢)].
قلنا: ولمسيرة الحجاج أثر سيىء في تاريخ الأمويين، وبقي ذلك الأثر السَّيىء في أذهان الناس، وكان عاملاً من العوامل التي دفعت بالأمة إلى نصرة وتأييد الدعوة إلى الرضا من آل محمد والذي قام بأعبائه بنو العباس كما سنذكر عند حديثنا عن أسباب انحسار بني أمية وظهور بني العباس، وتسلمهم إدارة الخلافة فيما بعد.
وللإمام الذهبي تقييم بعبارات وجيزة لخص فيها أعمال الحجاج وذكر رأيه فيه كإمام حافظ ناقد مؤرخ:
قال الذهبي: أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً وكان ظلوماً جباراً ناصبياً خبيثاً سافكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيماً للقرآن، قد سُقتُ من سوء سيرته في تاريخي الكبير وحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق وإذلاله لأهل الحرمين ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله فنسبُه ولا نُحبّه بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان.
وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه وأمره إلى الله وله من توحيد في الجملة، ونظراء ظلمة الجبابرة والأمراء.
[سير أعلام النبلاء (٤ : ٣٤٣: تر ١١٧)].

فأقرّهما الوليد بعدَ موتِ الحجاج على ما كان الحجاج استخلَفهما عليه. وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم، أقرّهم بعدَه على أعمالهم التي كانوا عليها في حَياته.

وحَجّ بالناس في هذه السنة بشر بنُ الوليد بنِ عبدِ الملك، حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقديّ.

وكان عُمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها، إلا ما كان من الكُوفة والبَصْرة، فإنهما ضُمّتَا إلى مَن ذكرتُ بعد موتِ الحَجّاج[1]. (٦: ٤٩٣ ـ ٤٩٤)

ثم دخلت سنة ستّ وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت ـ فيما قال الواقديّ ـ غَزْوَة بِشْر بن الوَليد الشاتية، فقَفَل وقد ماتَ الوليد. (٦: ٤٩٥)

ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك

وفيها كانت وَفاةُ الوَليد بنِ عبدِ الملك، يومَ السبت في النّصف من جُمادَى الآخِرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السَير[2]. (٦: ٤٩٥).

واختُلف في قَدْر مدّة خلافته، فقال الزُّهْري في ذلك ـ ما حُدّثت عن ابن وَهْب عن يونس عنه: ملك الوليدُ عشرَ سنين إلا شهراً.

وقال أبو معشر فيه ما حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكَرَه، عن إسحاقَ بن عيسى، عنه: كانت خلافةُ الوليدِ تسعَ سنينَ وسبعةَ أشهر. وقال هشام بنُ

---

(١) انظر قائمة الولاة بعد وفاة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رحمه الله.

(٢) قلنا: وقال خليفة في تاريخه: حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن المغيرة عن أبيه وأبو اليقظان وغيرهم أن الوليد توفي يوم السبت في النصف من شهر ربيع الأول. وقال بعضهم: الآخر سنة ست وتسعين وهو ابن أربع وأربعين. [تاريخ خليفة (ص ٣١٤)].

محمد: كانت ولايةُ الوَليد ثمان سنين وستة أشهر.

وقال الواقديّ: كانت خلافتُه تسعَ سنين وثمانيةَ أشهر وليلتين.

واختلف أيضاً في مبلَغ عمره، فقال محمد بنُ عمر: توفي بدِمَشق وهو ابنُ ست وأربعين سنة وأشهر.

وقال هشامُ بنُ محمد: توفي وهو ابنُ خمس وأربعين سنة.

وقال عليّ بنُ محمد: تُوُفِّي وهو ابنُ اثنتين وأربعين سنةً وأشهر.

وقال علي: كانت وفاةُ الوليدِ بدَير مُرَّان، ودفِنَ خارجَ باب الصّغير. ويقال: في مَقابر الفراديس.

ويقال: إنه توفي وهو ابنُ سبع وأربعين سنة.

وقيل: صلى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز[1]. (٦: ٤٩٥)

وكان له ـ فيما قال عليّ ـ تسعة عشر ابناً: عبد العزيز، ومحمّد، والعباس، وإبراهيم، وتمَّام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشّر، ومسرور، وأبو عُبيدة، وصَدَقة، ومنصور، ومروان، وعَنْبسة، وعمر، ورَوْح، وبِشْر، ويزيد، ويحيى.

أمُّ عبد العزيز ومحمد وأمّ البنين بنتَ عَبد العزيز بن مَرْوان، وأم أبي عُبيدة فزارّية، وسائرهم لأمهات شتى. (٦: ٤٩٦)

ذكر الخبر عن بعض سيره:

حدّثني عُمَر، قال: حدّثني عليّ، قال: كان الوليدُ بنُ عبد الملك عند أهل الشأم أفضل خلائفهم، بنى المساجدَ مسجدَ دمَشق ومسجدَ المدينة، ووضَع المَنار، وأعطَى الناسَ، وأعطَى المُجَذَّمين، وقال: لا تسألوا الناس. وأعطَى كلَّ مُقْعَد خادماً، وكلَّ ضَرير قائداً. وفُتِحَ في ولايته فُتوحٌ عِظام؛ فتَحَ موسى بنَ نُصير الأندلس، وفَتَح قتيبة كاشْغَر، وفَتَح محمد بنُ القاسم الهند.

---

(١) قلنا: وقال خليفة: وكانت خلافته تسع سنين وخمسة أشهر وأيام [ص ٣١٤].

قال: وكان الوليدُ يمرّ بالبقال فيَقف عليه فيأخذ حُزْمة البَقْل فيقول: بكَمْ هذه؟ فيقول: بفَلْس؛ فيقول: زدْ فيها.

قال: وأتاه رجلٌ من بني مخزوم يسألُه في دَيْنِه، فقال: نعم، إن كنت مستحقّاً لذلك، قال: يا أميرَ المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقّاً لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادْنُ مني، فدَنا منه، فنَزَع عمامتَه بقَضيب كان في يده، وقَرَعه قَرَعات بالقَضيب، وقال لرجل: ضُمَّ هذا إليك، فلا يُفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمانُ بنُ يزيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّ عليّ ديْناً، فقال: أقرأتَ القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشرَ آيات من الأنفال، وعشْر آيات من براءة، فقرأ، فقال: نَعَم، نَقْضي عنكم، ونصل أرحامَكم على هذا.

قال: ومَرِض الوليدُ فرهقتْه غشْيَة، فمكث عامة يومِه عندَهم ميتاً، فبُكيَ عليه، وخرجت البُرُد بموته، فقَدِم رسولٌ على الحجاج، فاسترْجَع، ثمّ أمر بحبل فَشُدّ في يديه. ثم أوثق إلى أسطوانة، وقال: اللهمّ لا تسلط عليَّ من لا رحمةَ له، فقد طالما سألتُك أن تجعل منيتي قبل مَنِيته! وجعل يدعُو، فإنه لكذلك إذ قَدِم عليه بريدٌ بإفاقته.

قال عليّ: ولما أفاق الوليدُ قال: ما أحدٌ أسَرَّ بعافية أميرِ المؤمنين من الحجاج؛ فقال عمرُ بنُ عبد العزيز: ما أعظم نعمةَ الله علينا بعافيتك، وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه برؤك خرّ الله ساجداً، وأعتق كلَّ مملوك له، وبعث بقوارير من أنْبَج الهند فما لَبث إلا أياماً حتى جاء الكتاب بما قال.

قال: ثمّ لم يمُت الحجّاجُ حتى ثَقُل على الوَليد، فقال خادمٌ للوليد: إني لأوضّىء الوليدَ يوماً للغَداء، فمدّ يدَه، فجعلتُ أصبّ عليه الماء، وهو ساه والماء يسيلُ ولا أستطيعُ أن أتكلم، ثمّ نضَح الماءَ في وجهي، وقال: أناعسٌ أنتَ! ورَفَع رأسه إليّ وقال: ما تَدْري ما جاء الليلة؟ قلتُ: لا؛ قال: وَيْحَك!

مات الحجاج! فاسترجعتُ. قال: اسكُتْ ما يُسرّ مولاك أنَّ في يده تفاحةً يشُمّها[١]. (٦: ٤٩٦ _ ٤٩٧).

---

(١) [وقفة عند سيرة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك]
(٨٦ _ ٩٦ هـ)

عرف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بأعمال صالحة وفتوح ذكرتها كتب التاريخ فقد أقام الجهاد في أيامه وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة (كما قال السيوطي) وكان مع ذلك يُخَتِّنُ الأيتام، ويُرَتِّبُ لهم المؤدبين، ويُرتِبُ للزَّمْنى من يخدمهم وللأضراء من يقودهم وعمّر المسجد النبوي ووسعه ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء وحرّم عليهم سؤال الناس وفرض لهم ما يكفيهم وضبط الأمور أتمَّ الضبط، قال ابن أبي عبلة: رحم الله الوليد وأين مثل الوليد؟ افتتح الهند والأندلس وبنى مسجد دمشق وكان يعطيني قطع الفضة أقسمها على قرّاء مسجد بيت المقدس. [تاريخ الخلفاء (ص ٢٢٤)].

ونود هنا أن نذكر رأي الأخباري الصدوق المدائني رحمه الله: إذ أخرج ابن جرير قال: حدثني عمر بن شبة: حدثنا علي بن محمد المدائني قال: كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم بنى المساجد بدمشق، ووضع المنائر، وأعطى الناس، وأعطى المجذومين، وقال لهم لا تسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادماً، وكل ضرير قائداً، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظاماً، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم، فتح الأندلس والهند والسند وأقاليم بلاد العجم حتى دخلت جيوشه إلى الصين.

[انظر البداية والنهاية (٧: ٣١٢) وتاريخ الطبري (٦: ٤٩٧)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: بنى الوليد بن عبد الملك جامع دمشق على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير، وبنى صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة، وبنى المسجد النبوي ووسعه حتى دخلت الحجرة النبوية التي فيها القبر فيه. وله آثار حسان جداً ثم كانت وفاة الوليد في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة أعني: سنة ست وتسعين. [البداية والنهاية (٧: ٣١٢)].

ومن واجب المؤرخ المسلم الملتزم أن يبحث في أمهات الكتب ليكشف عن زيف أهل البدع والأهواء من المؤرخين الذين شوّهوا كثيراً من الحقائق التاريخية ونسبوا إلى بعض الخلفاء ما ليس فيهم كالواقدي إذ وصف الوليد بأنه جبار وتبعه بعض الأئمة المتأخرين كالسيوطي رحمه الله.

ولكن تلك الفرية لم تنطل على الحافظ المؤرخ المحدث المفسر ابن كثير فرد على الواقدي المتروك المبتدع فريته تلك إذ قال الواقدي: «وكان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب». فرده ابن كثير قائلاً: يُرادُ بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك باني الجامع. [البداية والنهاية (٧: ٣١٢)].

وقد استوقفتنا رواية عند البسوي قال: أخبرنا ابن وهب: حدثني الليث: عن عقيل: عن ابن=

= شهاب: أن عمر بن عبد العزيز أخبره أن الوليد بن عبد الملك أرسل إليه بالظهيرة في ساعة لم يكن يرسل إليه في مثلها فوجده في قيطون صغير له بابان باب يدخل عليه فإذا هو قاطب عينيه فأشار إليَّ أن اجلس، فجلست بين يديه مجلس الخصم وليس عنده إلاَّ ابن الديان قائماً بسيفه فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء أترى أن يقتل؟ قال: فسكت، فانتهرني وقال: مالك لا تتكلم؟ فسكت فعاد لمثلها فقلت: أقتل يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ولكنه سبَّ الخلفاء. قال: فقلت: فإني أرى أن ينكل به فيما أنهك من جهة الخلفاء. قال: فرفع رأسه إلى ابن الريان قال: وما أظنه إلاَّ أنه يقول اضربوا رقبته، فقال: إنه فيهم لتائه (أو لنابه)، ثم حوّل وركه فدخل إلى أهله. فقال لي ابن الريان: به انقلب. [المعرفة والتاريخ (١: ٦٠٣) تاريخ دمشق (٤٥: تر ٥٢٤٢)].

قلنا: وهذه الرواية تبين لنا ما يلي:

لقد تأثر الوليد بن عبد الملك بما انتهى إلى أسماعه من أن الخصوم يسبون الخلفاء ويتعرضون لهم ومع ذلك لم يصدر أمراً بعقوبة أو شيء ولكنه استدعى عمر بن عبد العزيز المعروف بعلمه وورعه وتقواه ومعارضته للمظالم. ويبدو أن تلك الأقوال قد استفزت الوليد وأثارت غضبه حتى دفع به إلى أن يستدعي عمر بن عبد العزيز في وقت لم يكن يستدعي فيه في الأيام العادية ومعلوم أن الوليد عاش ردحاً من الزمن يصارع الخصوم ويقاتل لتثبيت دعائم حكمه ولكنه لم يأمر بقمع المعارضة السلمية كما يذكر بعض الباحثين والناقدين والله أعلم.

ولعل في الوليد حدّة أو شدة، والحدّة شيء وما يدّعيه البعض من أنه كان جباراً عنيداً شيء اخر والله أعلم.

وأما عن ظلمه بإبقاء الحجاج على المشرق فقد تحدثنا عنه بما فيه الكفاية وذلك من مثالبه التي لا تخفى. وإن كان البعض يحاول إيجاد مبررات لتولية الحجاج كما ذكر الشيخ الحصيني المؤرخ عن هؤلاء البعض فقال: (ومن رأى وتصفح تاريخ الخوارج وما كانت عليه العراق من الفتن وتكالب رؤوس الخوارج على الخلفاء وصلابتهم وثباتهم على مبدئهم وغايتهم التي يرمون إليها، وما استولى على نفوس الناس من العامة والقواد إذ ذلك من الملل من الحرب وسامة الخوض فيها بل من سماع ذكرها على الموقف الذي كان فيه عبد الملك، وعذره في اختيار الحجاج عاملاً على العراق وخصوصاً مع ما عرف به أهله من التسرع للفتنة والخفة والانصياع فيها واتباعهم كل صائح إليها مع ابتلائهم واختيار أنجح المؤثرات فيهم فعلم بالاختبار الرجل فرماهم به (أي رمى الخوارج من أهل العراق وغيرهم بالحجاج). اهـ (ص ٩٣).

قلنا: ومهما كانت المبررات فلا عذر في تولية الحجاج والنصوص النبوية تنهى الإمام عن تولية الضعيف والذي ليس بأهل فكيف بتولية الظالم والغليظ الجلف؟

ونختتم وقفتنا هذه بذكر جانب من الأعمال الصالحة التي قام بها الخليفة الوليد بن =

= عبد الملك وهي الفتوحات التي أنجزت في أيام حكمه كما ذكرها السيوطي.
فيها [٨٧ هـ] فتحت بيكند وبخارى وسردانية ومطمورة وقميتم وبحيرة الفرسان عنوة.
وفي [٨٨ هـ] فتحت جرثومة وطوانة.
وفي [٨٩ هـ] فتحت جزيرة تافورقة وميورقة.
وفي [٩١ هـ] فتحت نسف وكسّ وشومان ومدائن وحصون من بحر أذربيجان.
وفي [٩٢ هـ] فتح إقليم الأندلس بأسره ومدينة أرمابيل وقتربون.
وفي [٩٣ هـ] فتحت الديبل وغيرها ثم الكرخل وبرهم وباجة والبيضاء وخوارزم وسمرقند والصغد.
وفي [٩٤ هـ] فتحت كابل وفرغانة والشاش وسندرة وغيرها.
وفي [٩٥ هـ] فتحت الموقان ومدينة الباب.
وفي [٩٦ هـ] فتحت طوس وغيرها وفيها مات الخليفة الوليد في نصف جمادى الآخرة وله إحدى وستون سنة.
وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الوليد: أقام الجهاد في أيامه وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب. [تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٠٩)].
وقال الحافظ ابن كثير: وفتح في ولايته (الوليد) فتوحات كثيرة عظاماً وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم، فتح الأندلس وأقاليم بلاد العجم حتى دخلت جيوشه إلى الصين. [البداية والنهاية (٧ : ٣١١)].
وقديماً قالوا: الحق ما شهد به الأعداء.
نعم فالحق سبحانه يجري أحياناً قولة صادقة على لسان هؤلاء الذين طالما شوهوا التاريخ الإسلامي فها هو أندريه مايكل يقول:
(لقد أقام الأمويون نظاماً من أقوى الأنظمة التي عرفتها البشرية بأسرها وبفضلهم دخل الإسلام في ذروة العصور الوسطى).
ويقول أيضاً: (وكان لهذا الحدث عواقب يصعب حسابها فلأول مرة تقع هاتان المنطقتان ـ من مصب أنهار السند إلى أسبانيا ـ تحت سلطة واحدة وتدمج في مجال اقتصادي واحد وتنظمها ثقافة واحدة). [الإسلام وحضارته أندريه مايكل (ص ٩٧)].
[أسماء الولاة والقضاة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك]
كما ذكرها خليفة بن خياط.
قال خليفة: تسمية عمال الوليد بن عبد الملك والحجاج.
على البصرة: الحكم بن أيوب في ولاية الوليد، ثم عزله وولى طلحة بن سعيد الجهني من أهل دمشق، ثم عزله وولى عمرو بن سعيد العوذي من أهل دمشق، ثم عزله وولي مهاصر بن سحيم الكناني من أهل حمص، ثم عزله وولى قطن بن مدرك الكلابي، ثم عزله =

= ووَلى الجراح بن عبد الله الحكمي ، فلم يزل والياً حتى مات الحجاج والوليد.
الكوفة: عروة بن المغيرة بن شعبة الثقفي سنة خمس وتسعين ، وزياد بن جرير بن عبد الله الشرط حتى مات الحجاج ، فولاها يزيد بن أبي كبشة حرملة بن عمير اللخمي حتى مات الوليد.
خراسان: قتيبة بن مسلم حتى مات الحجاج والوليد.
سجستان: كانت إلى قتيبة ، فولاها قتيبة عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي ، ثم عزله وولى النعمان بن عوف اليشكري في ولاية الوليد حتى مات الحجاج والوليد.
البحرين: ولّاها الحجاج قطن بن زياد بن الربيع الحارثي سنة تسع وسبعين فلم يزل والياً حتى مات عبد الملك والوليد والحجاج.
عمان: عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، ثم عبد الجبار بن سبرة المجاشعي حتى مات الحجاج.
السند: محمد بن القاسم بن أبي عقيل سنة خمس وتسعين.
مكة: مات عبد الملك وعليها نافع بن صفوان ، فأقرّه الوليد سنتين ثم عزله ، وولى خالد بن عبد الله القسري ، وذلك سنة تسع وثمانين ، فلم يزل والياً حتى مات الوليد.
المدينة: مات عبد الملك وعليها هشام بن إسماعيل المخزومي ، فأقرَّه الوليد سنتين ، ثم عزله وولي عمر بن عبد العزيز بن مروان سنة سبع وثمانين حتى أولها أو آخر سنة ست وثمانين ، فأقام بها إلى سنة ثلاث وتسعين ، ثم عزل واستخلف على المدينة أبا بكر بن حزم ، فعزله الوليد وولاها عثمان بن حيان المري ، فلم يزل والياً حتى مات الوليد.
اليمامة: مات عبد الملك وعليها إبراهيم بن عربي فأقره الوليد.
الجزيرة: أقرَّ عليها حتى مات محمد بن مروان بن الحكم مع أرمينية وأذربيجان.
مصر: مات عبد الملك وعليها ابنه عبد الله بن عبد الملك ، فأقره الوليد ثم عزله.
ومن عمال الوليد عليها قرة بن شريك العبسي.
إفريقية: مات عبد الملك وعليها موسى بن نصير ، فأقام سنتين ، ثم شخص إلى الوليد سنة خمس وتسعين ، واستخلف ابنه عبد الله بن موسى حتى مات الوليد.
اليمن: أقرَّ عليها محمد بن يوسف حتى مات الوليد.
الشامات:
دمشق: عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حتى مات الوليد.
الأردن: ابنه عمر بن الوليد حتى مات الوليد.
فلسطين: سليمان بن عبد الملك.
حمص: العباس بن الوليد حتى مات الوليد.
الموسم: سنة ست وثمانين: هشام بن إسماعيل.

قال عمر: قال عليّ: وأخبرنا أبو عاصم الزّياديّ عن الهِلْواث الكلبيّ، قال: كنا بالهِنْد مع محمد بن القاسم، فقَتَل الله داهِراً، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلَعوا سليمانَ، فلما ولي سليمانُ جاءنا كتابُ سليمانَ: أن ازرَعوا واحرُثوا، فلا شأمَ لكم، فلم نزلْ بتلك البلاد حتى قام عمرُ بنُ عبد العزيز فأقفلنا. (٦:٤٩٩).

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفي هذه السنة افتتح قتيبةُ بنُ مسلم كاشغر، وغَزَا الصين.

ذكر الخبر عن ذلك:

رَجْع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد بالإسناد الذي ذكرتُ قبلُ قال: ثمّ

= سبع وثمانين: عمر بن عبد العزيز.
ثمان وثمانين: عمر بن الوليد بن عبد الملك.
تسع وثمانين: عمر بن عبد العزيز.
تسعين: عمر بن عبد العزيز.
إحدى وتسعين: الوليد بن عبد الملك.
اثنتين وتسعين: عمر بن عبد العزيز.
ثلاث وتسعين: عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك.
أربع وتسعين: مسلمة بن عبد الملك.
خمس وتسعين: بشر بن الوليد بن عبد الملك.

القضاة

قضاء المدينة: ولى الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز المدينة سنة ست وثمانين في آخرها أو في أول سنة سبع، فولى عمر القضاء عبد الرحمن بن يزيد بن جارية، ثم عزله واستقضى أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ثم عزله الوليد وولى عثمان بن حيان المري، ثم ولى أبا بكر بن حزم المدينة سنة ثلاث وتسعين.
وعلى الكوفة: عامر الشعبي.
وفي سنة ست وتسعين: فيها جمع سليمان بن عبد الملك العراق ليزيد بن المهلب بن أبي صفرة. وولى الخراج صالح بن عبد الرحمن.
[تاريخ خليفة (ص ٣١٤ ـ ٣١٧)].

غزا قتيبةُ في سنة ست وتسعين ، وحَمَل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يُحرِز عيالَه في سَمرقَنْد خوفاً من سليمان ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخُوارَزْمِيّ على مَقطَع النهر ، وقال: لا يجوزَنّ أحدٌ إلا بجَواز؛ ومَضَى إلى فَرْغانة ، وأرسَل إلى شِعْب عصام من يُسَهّل له الطريق إلى كاشغر ، وهي أدنَى مدائن الصين ، فأتاه موتُ الوَليد وهو بفرْغانة.

قال: فأخبَرنا أبو الذّيال عن المهلب بن إياس ، قال: قال إياس بن زُهير: لما عبر قتيبةُ النهرَ أتيتهُ فقلت له: إنك خرجتَ ولم أعلم رأيَك في العِيال فنأخذَ أهبْةَ ذلك. وبَنيَّ الأكابر معي ، ولي عيال قد خلَفْتهم وأم عجوز ، وليس عندهم مَن يقوم بأمرِهم ، فإن رأيت أن تَكتُب لي كتاباً مع بعض بَنيَّ أوجّهه فيقدم عليّ بأهلي! فكتَبَ ، فأعطاني الكتابَ فانتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخَر ، فألوَيت بيدي ، فجاء قومٌ في سفينة فقالوا: مَن أنتَ؟ أين جَوازك؟ فأخبرتُهم ، فقَعدَ معي قومٌ وردّ قومٌ السفينةَ إلى العامل ، فأخبروه. قال: ثمّ رجعوا إليّ فحملوني ، فانتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائعٌ ، فرميتُ بنفسي ، فسألَني عن الأمر ، وأنا آكلُ لا أجيبه ، فقال: هذا أعرابيّ قد ماتَ من الجوع ، ثمّ ركبتُ فمضيتُ فأتيتُ مروَ ، فحملت أمي ، ورجعتُ أريدُ العسكر ، وجاءنا موتُ الوَليد ، فانصرفتُ إلى مرْو.

وقال: وأخبرَنا أبو مخنف ، عن أبيه ، قال: بعث قتيبةُ كثير بن فلان إلى كاشغَر ، فسبَى منها سَبْياً ، فختم أعناقَهم مما أفاء الله على قُتيبة ، ثمّ رجع قتيبةُ وجاءهم موتُ الوليد.

قال: وأخبرَنَا يحيى بن زَكرياء الهَمْدانيّ عن أشياخ من أهلِ خرُاسان والحَكَم بن عثمان ، قال: حدّثني شيخٌ من أهل خُراسانَ. قال: وَغَل قتيبة حتى قرب من الصين. قال: فكتَبَ إليه مَلِك الصين أن ابعثْ إلينا رجلاً من أشراف مَن مَعَكم يُخبرنا عنكم ، ونُسائِله عن دينكم. فانتخَب قتيبةُ من عسكره اثني عشرَ رجلاً - وقال بعضُهم: عشرة - من أفناء القبائل ، لهم جَمال وأجْسام وألسُن وشُعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوَجَدهم مِن صالح مَن هم منه. فكلّمهم قتيبةُ ، وفاطَنَهم فرأى عقولاً وَجمالاً ، فأمر لهم بعُدّة حسنة من السلاح والمَتاع الجيّد من الخَزّ والوَشْي واللّين من البَياض والرّقيق والنعال والعِطْر ، وحَملَهم

على خيول مطهّمة تُقادُ معهم ، ودوابّ يرَكَبونها . قال : وكان هُبيرة بن المشمْرَج الكلابيّ مفوّهاً بسيطَ اللسان ، فقال : يا هُبيرة ، كيف أنتَ صانع؟ قال : أصلح الله الأمير! قد كُفيتَ الأدبَ وقلْ ما شئت أقُله . وآخذ به ، قال : سِيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق ، لا تَضعوا العمائمَ عنكم حتى تقدموا البلادَ ، فإذا دخلتمْ عليه فأعلموهُ أني قد خفتُ ألاّ أنصرِفَ حتى أطأ بلادَهم ، وأختمَ ملوكهم ، وأجْبي خَراجَهم .

قال : فساروا ، وعليهم هبيرة بن المشَمرَج ، فلما قدموا أرسلَ إليهم مَلِكُ الصين يدعوهم ، فدَخلَوا الحمام ، ثمّ خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً تحتَها الغَلائل ، ثم مَسّوا الغاليةَ ، وتدخّنوا ولبسوا النعال والأردية . ودخلوا عليه وعندَه عظماءُ أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحدٌ من جلسائه فنَهضوا ، فقال الملك لمَن حَضَره : كيف رأيتم هؤلاء؟ قالوا : رأيْنا قوماً ما هُمْ إلاّ نساء ، ما بقيَ منا أحد حين رآهم ووَجَد رائحتَهم إلا انتشَر ما عندَه .

قال : فلما كان الغد أرسَل إليهم فَلِبسوا الوشيَ وعَمائمَ الخَزّ والمَطارِف ، وغدَوْا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجِعوا ، فقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالوا : هذه الهيئة أشبَهُ بهيئة الرّجال من تلك الأولى ، وهم أولئك ، فلما كان اليوم الثالث أرسَلَ إليهم فشَدّوا عليهم سلاحَهم ، ولَبسوا البَيْضَ والمَغافِرَ ، وتقلَّدوا السيوف ، وأخَذوا الرّماح ، وتنكبوا القسِيّ ، وركِبوا خيولَهم ، وغَدوا فنَظَر إليهم صاحبُ الصين فرأى أمثالَ الجِبال مُقْبِلة ، فلما دَنوا ركزوا رِماحَهم ، ثمّ أقَبلوا نحوَهم مشمّرين ، فقيل لهم قبلَ أن يدخلوا : ارجعوا ، لِما دَخَل قلوبَهم من خَوْفهم .

قال : فانصَرَفوا فَركِبوا خيولهم ، واختَلَجوا رِماحَهم ، ثم دفعوا خيولَهم كأنهم يتطارَدون بها ، فقال المَلِك لأصحابه : كيف ترونهم؟ قالوا : ما رأينا مثلَ هؤلاء قطّ ، فلما أمسَى أرسَل إليهم الملك ، أن ابعَثوا إليّ زعيمَكم وأفضَلَكم رجلاً ، فبَعثوا إليه هُبَيرة ، فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم عظيمَ مُلْكي ، وإنه ليس أحدٌ يمَنَعكم مني ، وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البَيْضة في كفي وأنا سائلك عن أمر فإنْ لم تَصدقني قَتلتُكم . قال : سَل؛ قال : لِمَ صَنعتم من الزيّ في اليوم الأول والثاني والثالث؟ قال : أما زيُّنا الأوّل فلِباسنا في أهالينا وريحنا

عندَهم ، وأما يومُنا الثاني فإذَا أتينا أمراءنَا ، وأما اليومُ الثالث فزّينّا لعدّونا ، فإذا هاجَنَا هيْج وفزع كنا هكذا ، قال: ما أحسنَ ما دبّرتم دَهْركم! فانصرِفوا إلى صاحبكم فقولوا له: يَنصرِف ، فإني قد عرفتُ حِرصَه وقلة أصحابه ، وإلا بعثتُ عليكم من يُهلِككم ويُهلِكه ، قال له: كيف يكون قليل الأصحاب مَنْ أوّل خيلِه في بلادك وآخِرها في منابت الزّيتون! وكيف يكون حَريصاً من خلّف الدنيا قادراً عليها وغَزاك! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنّ لنا آجالاً إذا حَضَرْت فأكرمها القتلُ ، فلسنْا نكرهه ولا نَخافُه؛ قال: فما الذي يُرضِي صاحبَك؟ قال: إنه قد حلف ألاّ ينصرف حتى يطأ أرضَكم ، ويختم ملوكَكم ، ويُعطَى الجِزْية ، قال: فإنا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه بتراب من ترابِ أرضِنا فيطؤه ، ونَبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بِجزية يرضاها ، قال: فدعا بصِحاف من ذهب فيها تُرابٌ ، وبَعث بحرير وذهب وأربعةِ غِلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسَنَ جَوائزهم ، فساروا فقَدِموا بما بَعَث به ، فَقبِل قتيبةُ الجِزْية ، وختم الغِلْمة وردّهم ، ووَطِىء التراب ، فقال سوادة بنُ عبد الله السَّلُوليّ:

لا عَيبَ في الوَفْدِ الذينَ بَعَثْتَهُمْ ... للصين إنْ سَلَكوا طريقَ المَنهجِ
كسرُوا الجفونَ على القذَى خوفَ الرَّدَى ... حاشَا الكريم هُبَيرةَ بن مُشَمرجِ
لَم يَرضَ غيرَ الخَتْمِ في أعناقِهم ... ورهائِنٍ دُفِعَتْ بِحَملِ سَمَرَّجِ
أَدَّى رسالتَك التي استرعَيتَهُ ... وأتاكَ مِن حِنثِ اليمين بمخرجِ

قال: فأوفَد قتيبةُ هبيرةَ إلى الوليد ، فمات بقربةَ من فارِسَ ، فرَثاه سوادَةُ ، فقال:

لله قبرُ هُبيرَة بن مُشمرَجِ ... ماذا تَضَمَّنَ من نَدىً وجَمَالِ!
وبديهةٍ يَعيَا بها أَبناؤها ... عند احتفالِ مَشاهدِ الأَقوال
كان الربيعَ إذا السّنون تَتَابعَت ... والليثَ عند تكعكع الأَبطالِ
فَسَقَتْ بقربةَ حيثُ أَمسى قبرُه ... غرٌّ يَرُحنَ بمسبِلٍ هطّالِ
بكَتِ الجيادُ الصافنات لفقدِه ... وبَكاه كلُّ مُثَقّفٍ عَسّالِ
وبكتْهُ شُعْثٌ لم يجدنَ مُواسِياً ... في العام ذي السَّنَوات والإِمحالِ

قال: وقال الباهليّون: كان قتيبة إذا رجع من غَزاتِه كلّ سنة اشترَى اثنَيْ عشر فرساً من جِياد الخيل؛ واثنى عشرَ هجيناً ، لا يُجاوز بالفرَس أربعة آلاف ، فيقام

عليها إلى وقت الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعَسكَر قيّدت وأضمِرتْ ، فلا يَقطَع نهراً بخيل حتى تخفّ لُحومُها ، فيَحمِل عليها من يَحمِله في الطلائع ، وكان يبعثِ في الطلائع الفُرسان من الأشراف ، ويبعث معهم رجالاً من العجم فمن يستنصح على تلك الهجن ، وكان إذا بعث بطَليعة أمرَ بلَوْح فنُقِش ، ثمّ يشقّه شقّتين فأعطاه شقّة ، واحتبس شقة ، لئلا يمثّل مثلها ، ويأمره أن يَدفِنها في موضع يصفُهُ له من مخاضَة معروفة ، أو تحتَ شجرة معلومة ، أو خربة ، ثمّ يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادِقٌ في طليعته أم لا .

وقال ثابت قُطنة العَتَكيّ يذكر مَنْ قُتِل من ملوك الترك :

أَقَــرَّ العَيــنَ مقتــلُ كــارزنــكٍ ... وكَشْبيــــز ومــــا لاقَــــى بيـــار

وقال الكُميتُ يَذكُر غَزوة السُّغْد وخُوارزْم :

وبعــدُ فــي غــزوةٍ كــانــت مُبــاركــةً ... تــردِي زراعــةَ أَقــوامٍ وتَحتَصِــدُ
نــالــتْ غَمــامتُهــا فِيــلاً بَــوابِلِهَــا ... والسُّغْـد حيـن دنـا شؤبُـوبُهـا البَـرِدُ
إذ لا يـــزالُ لــــه نَهــــبٌ يُنَفِّلــــهُ ... مـنَ المقـاسِـمِ لا وَخْـشٌ ولا نَكَـدُ
تلـك الفُتـوحُ التـي تُـدْلـي بِحُجَّتِهَـا ... علــى الخليفــةِ إنَّــا معشــرٌ حُشُــدُ
لَـم تَثـنِ وجهَـكَ عـن قـومٍ غَـزوتَهُـم ... حتـى يُقَـالَ لهـم : بُعـداً وقـد بعِـدُوا
لم ترضَ مِن حِصنهمْ إن كان ممتَنِعاً ... حتـى يُكَبَّـرَ فيـه الـواحـدُ الصَّمَـدُ[١]

(٦ : ٥٠٠ ـ ٥٠٤).

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بُويع سليمانُ بنُ عبد الملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي تُوفّي فيه الوليدُ بنُ عبدِ الملك ، وهو بالرَّمْلة[٢]. (٦ : ٥٠٥).

وفيها عَزَل سليمانُ بنُ عبد الملك عثمانَ بن حيّان عن المدينة ، ذكرَ

---

(١) ولقد ذكر الحافظ ابن كثير هذه الأحداث ضمن وقائع سنة (٩٦) [البداية والنهاية (٧ : ٢٨٨)].

(٢) وانظر تاريخ خليفة (ص ٣١٤).

وقال الحافظ ابن كثير : بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة (٩٦هـ) وكان سليمان بالرملة [٧ : ٣١٣].

محمد بن عمرَ ، أنه نزعه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ستّ وتسعين .

قال: وكان عملُه على المدينة ثلاثَ سنين. وقيل: كانت إمرتُه عليها سنتين غير سَبْعِ ليال[1] . (٦ : ٥٠٥)

خبر مقتل قتيبة بن مسلم

وفي هذه السنة قُتِل قتيبة بنُ مسلمٍ بخُراسان[2] . (٦ : ٥٠٦)

وكذلك قال خليفة (ص ٣١٨)

ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بنَ عبد الملك أراد أن يجعلَ ابنهَ عبدَ العزيز بن الوليد وليّ عهدِه ، ودَسّ في ذلك إلى القوّاد والشعراء ، فقال جرير في ذلك :

إذا قيلَ أيّ الناس خيرُ خليفةٍ؟ أشارَتْ إلى عبدِ العزيزِ الأَصابعُ
رَأَوْهُ أَحقَّ الناس كلِّهم بها وما ظَلموا ، فبايَعوه وسَارعُوا

وقال أيضاً جرير يحضّ الوَليد على بيَعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيزِ سَمَت عيونُ الرَّ عيّةِ إذ تَحيَّرَت الرِّعاءُ
إليه دَعتْ دَواعِيهِ إذا مَا عمَادُ المُلكِ خَرَّت والسَّماءُ
وقال أُولو الحكومةِ من قُرَيش علينا البيعُ إن بلغ الغلاءُ
رَأَوْا عبدَ العزيز وليَّ عَهْدٍ وما ظلموا بذاكَ ولا أَسَاؤُوا
فماذا تنظرونَ بها وفيكمْ جسُورٌ بالعظائم واعتلاَءُ!
فزَحِلفها بأَزْمَلِهَا إليه أميرَ المؤمنين إذا تَشاءُ
فإنَّ الناسَ قد مَدُّوا إليه أكُفَّهُمْ وقد بَرِحَ الخفاءُ

فبايَعهَ على خلَعْ سليمانَ الحجاجُ بن يوسفَ وقتيبة ، ثم هلك الوليد وقامَ سليمانُ بنُ عبد الملك ، فخافه قتيبة . (٦ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧)

---

(١) انظر تاريخ خليفة (ص ٣١٥).
(٢) وكذلك قال خليفة (ص ٣١٨).

قال عليّ بن محمد: أخبَرَنا بِشْر بن عيسى والحَسَن بنُ رشيد وكُلَيب بن خَلَف عن طُفيل بن مِرْداس، وجَبَلة بن فَروخ عن محمد بن عزيز الكِنْديّ، وجَبَلة بن أبي روّاد ومسلمة بن محارب عنِ السَّكِن بن قَتَادة؛ أن قتيبةَ لما أتاه موتُ الوليدِ بنِ عبد الملك وقيامُ سليمانَ. أشفقَ من سليمانَ لأنه كان يَسعى في بَيْعة عبد العزيز بنِ الوليد مع الحجاج. وخاف أن يولّي سليمانُ يزيدَ بنَ المهلب خُراسان. قال: فكتب إليه كتاباً يُهنّئه بالخلافة. ويعزّيه على الوليد. ويُعلمه بلاءَه وطاعتَه لعبد الملك والوليد. وأنه له على مِثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يَعزِلْه عن خُراسان. وكتب إليه كتاباً آخرَ يُعلِمه فيه فتُوحَه ونِكايتَه وعظمَ قَدرِه عند مُلوك العَجَم، وهيبته في صدورهم، وعظم صوته فيهم، ويذمّ المهلب وآل المهلَّب. ويحلف بالله لئن استعمل يزيدَ على خُراسان ليخلعنّه. وكتب كتاباً ثالثاً فيه خَلْعُه. وبعث الكُتُب الثلاثة مع رجل من باهِلة. وقال له: ادفع هذا الكتاب، فإن كان يزيدُ بن المهلب حاضراً، فقرأه ثم ألقاه إليه؛ فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قَرَأه وألقاه إلى يزيدَ؛ فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأ الأوّل ولم يدفعْه إلى يزيد؛ فاحتبس الكتابَين الآخرَين.

قال: فقَدِم رسولُ قتيبةَ فدخل على سليمانَ وعندَه يزيدُ بن المهلب. فَدَفَع إليه الكتاب، فقرأه. ثم ألقاه إلى يزيد. فدفع إليه كتاباً آخرَ فقرأه، ثمّ رَمَىٰ به إلى يزيدَ، فأعطاه الكتاب الثالث. فقرأه فتمعرَّ لونُه ثم دَعَا بطِين فختمه ثم أمسكه بيده[1]. (٦: ٥٠٧ ـ ٥٠٨).

رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد. قال: ثمّ أمر ـ يَعني سليمان ـ برسولِ قتيبةَ أن يُنزَّل. فحوِّل إلى دار الضيافة. فلما أمسَى دعا به سليمانَ. فأعطاه صُرّةً فيها دنانير. فقال: هذه جائزتُك. وهذا عهدُ صاحبك على خُراسان فسرْ، وهذا رسولي معك بعَهْده. قال: فخرج الباهليّ، وبعث معه سليمانُ رجلاً مِن عبد القيس. ثمّ أحد بني لَيْث يقال له صَعْصعة ـ أو مُصعَب ـ فلما كان بحُلوانَ تلقّاهم الناس بخَلْعِ قُتيبة. فرجع العبديّ، ودفع العهدَ إلى رسول قتيبة. وقد

---

(١) قلنا: هذا إسناد مركب رواه المدائني من عدة طرق فيها من لم نعرفهم وفيهم من ذكره ابن حبان في الثقات كجبلة بن رواد، ومسلمة بن محارب وهو أخباري مأمون كما نقل الذهبي في الميزان. (راجع التراجم في المقدمة).

خلع ، واضطرب الأمرُ. فدفع إليه عهدَه ، فاستشار إخوتَه. فقالوا: لا يَشق بك سليمان بعدَ هذا[1]. (٦: ٥٠٨).

وفي هذه السنة عَزَل سليمانُ بنُ عبد الملك خالدَ بنَ عبد الله القَسريّ عن

---

(١) وانظر خليفة (ص ٣١٨). وانظر تعليقنا السابق على الإسناد.
قلنا: وهذه الرواية التي اعتمدناها في الصحيح تبين أسباب خروج قتيبة ورفضه البيعة لسليمان بن عبد الملك ولقد ذكر الحافظ الناقد ابن كثير سبباً آخر وجيهاً فرأينا لزاماً أن نذكر رأيه كإمام من أئمة التاريخ.
قال ابن كثير رحمه الله: وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على عدم مبايعة سليمان بن عبد الملك وأراد الدعوة لنفسه لما تحت يده من العساكر ولما فتح من البلاد والأقاليم. [البداية والنهاية (٧: ٢٨٨)].
قلنا: وكذلك أرخ خليفة بن خياط لمقتل قتيبة بن مسلم الباهلي فقال ضمن أحداث سنة (٩٦ هـ): وفيها قتل قتيبة بن مسلم حدثني عبد الله بن المغيرة قال: ثني أبي: عن عبد الله بن أبي حاضر الأسدي قال: أتيت حصين بن المنذر حين سار إلى قتيبة فقال لي: ما صنع القوم؟ قلت: ما أراهم إلاَّ قاتليه إن يصلوا إلى قتله ، فأطرق طويلاً ثم قال: يابن أبي حاضركم ترى في هذا العسكر من فرس ودابة وبغل وحمار؟ قلت: مئة ألف. قال: فو الله لو انتخبوا من ذلك عشرة آلاف ، ثم انتخبوا من العشرة آلاف ألفاً ، ثم بعثوا كل واحد في وجه يطلبون مثل قتيبة ما قدروا عليه. [تاريخ خليفة (ص ٣١٣)].
قلنا: وكل مسلم غيور يتألم للخاتمة التي ختم بها قتيبة حياته بعد كل تلك البطولات والفتوحات ، ولكن الحافظ ابن كثير كتب مقالة رائعة في ذلك فقال: (وقد كان قتيبة بن مسلم من سادات الأمراء وخيارهم وكان من القادة النجباء الكبراء والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة ، والآراء الحميدة ، وقد هدى الله على يديه خلق لا يحصيهم إلاَّ الله ، فأسلموا ودانوا لله عز وجل ، وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يخيب تعبه وجهاده. ولكن زل زلة كان فيها حتفه وفعل فعلة رغم فيها أنفه وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه وفارق الجماعة ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ويضاعف به حسناته والله يسامحه ويعفو عنه ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء. [البداية والنهاية (٩: ١٦٧)].
وقال الحافظ الذهبي عن قتيبة بن مسلم الباهلي: أحد الأبطال الشجعان ومن ذوي الحزم والدهاء والرأي والفناء. وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند وكانوا قد نقضوا وارتدوا ثم إنه افتتح فرغانة وبلاد الترك في سنة ٩٥ هـ ولما بلغه موت الوليد نزع الطاعة فاختلف عليه جيشه. . . . فقتلوه في ذي الحجز سنة ست وتسعين. [مختصر سير أعلام النبلاء (٣/ تر٥٣٧)].

مكّة ، وولاّها طَلْحة بنَ داودَ الحضْرَميّ .

وفيها غزا مَسلَمة بن عبد الملك أرضَ الرّوم الصائفةَ ، ففتح حِصْناً يقال له حِصْن عَوْف .

وفي هذه السنة تُوُفِّي قرّة بن شريك العَبْسيّ وهو أميرُ مصرَ في صفر في قول بعض أهل السّيَر .

وقال بعضهم : كان هلاكُ قرّة في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين في الشهر الذي هلك فيه الحجّاج .

وحجّ بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكَرَه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقديّ وغيرُه .

وكان الأميرُ على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وعلى مكة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حَرْب العراق وصلاتها يزيد بن المهلّب ، وعلى خرَاجها صالح بن عبد الرّحمن ، وعلى البَصرة سُفْيان بنُ عبد الله الكِنْديّ من قبَل يزيد بن المهلّب ، وعلى قضاء البَصْرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حَرْب خُراسان وكيعُ بن أبي سُود[١] . (٦ : ٥٢٢).

ثمّ دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القُسْطنطينيّة واستعماله ابنَه داودَ بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصنَ المرأة . (٦ : ٥٢٣).

قال عليّ بنُ محمد : حدّثنا مسلَمة بن مُحارِب وأبو العَلاء التّيْميّ والطفيل بن مِرْداس العمّي وأبو حفص الأزْديّ عمّن حدّثه عن جَهْم بن زَحْر بن قيس ، والحسن بن رشيد عن سليمانَ بن كثير ، وأبو الحسن الخُراسانيّ عن الكَرَمانيّ ،

---

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد سليمان.

وعامر بن حفص وأبو مخنَف عن عثمانَ بن عمرو بن محصَن الأزديّ وزهير بن هنيد وغيرهم ـ وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض ، فألّفت ذلك ـ أنّ سليمان بنَ عبد الملك ولى يزيدَ بنَ المهلَّب العِراقِ ولم يولِّه خُراسان ، فقال سليمان بنُ عبد الملك لعبد الملك بن المهلب وهو بالشأم ويزيدُ بالعراق : كيف أنتَ يا عبدَ الملك إنْ وليتُك خُراسان؟ قال : يجدني أميرُ المؤمنين حيثُ يحبّ ، ثمّ أعرضَ سليمانُ عن ذلك. قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جرير بن يزيدَ الجَهْضميّ وإلى رجال من خاصّته : إنّ أمير المؤمنين عَرَض عليّ ولاية خُراسانَ فبلغ الخبرُ يزيدَ بنَ المهلَّب ، وقد ضَجِر بالعراق ، وقد ضَيّق عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يصل معه إلى شيء ، فدعا عبد الله بن الأهتم ، فقال : إني أريدك لأمر قد أهمَّني ، فأحبّ أن تكفينيه ، قال : مُرْني بما أحببْت ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجَرني ذلك ، وخُراسان شاغِرةٌ برجلها ، وقد بَلَغني أنّ أميرَ المؤمنين ذكَرَها لعبدِ الملك بن المهلب ، فهل من حيلة؟ قال : نعم ، سرِّحني إلى أميرِ المؤمنين ، فإني أرجو أن آتيَك بعَهْدك عليها ، قال : فاكتم ما أخبرْتُك به ، وكتب إلى سليمان كتابين : أحدهما يَذكُر له فيه أمرَ العراق. وأثنى فيه على ابن الأهتم وذكَر له علمه بها ، ووجّه ابن الأهتم وحمَله على البَريد ، وأعطاه ثلاثين ألفاً. فسار سبعاً ، فقَدم بكتاب يزيدَ على سليمان ، فدخل عليه وهو يتغدَّى ، فجلس ناحيةً ، فأتيَ بدجاجَتين فأكلَهما.

قال : فدخل ابنُ الأهتم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرُ هذا تعود إليه. ثمّ دعا به بعدَ ثالثة ، فقال له سليمان : إنّ يزيدَ بنَ المهلب كتب إليّ يذكُر علمَك بالعراق وبخُراسان ، ويُثْني عليك ، فكيف علمُك بها؟ قال : أنا أعلَم الناس بها؛ بها وُلدتُ ، وبها نشأتُ ، فلي بها وبأصْلها خبر وعِلم. قال : ما أحوَجَ أميرَ المؤمنين إلى مثلك يُشاوره في أمرها! فأشرْ عليّ برَجُل أولِّيه خُراسان ، قال : أميرُ المؤمنين أعلم بمن يريد يولي ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرتُه برأيي فيه ، هل يَصلُح لها أو لا؛ قال : فسمَّى سليمانُ رجلاً من قريش؛ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس من رجال خُراسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عدّد رجالاً ، فكان في آخر من ذكر وكيع بن أبي سُود ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، وكيعٌ رجلٌ شجاعٌ صارم بَئيس مقدام. وليس بصاحبها مع هذا ، إنه لم يقُد ثلاثمئةٍ قط فرأى

لأحد عليه طاعة. قال: صدقتَ ويْحك، فمن لها قال: رجلٌ أعلَمه لم تُسمّه، قال: فمن هو؟ قال لا أبوح باسمه إلا أن يَضمَن لي أميرُ المؤمنين ستر ذلك. وأن يُجيرَني منه إنْ علم؛ قال: نعم، سَمّه مَن هو؟ قال: يزيدُ بنُ المهلب؛ قال: ذاك بالعراق، والمُقام بها أحبّ إليه من المقام بخُراسان، قال: قد علمتُ يا أميرَ المؤمنين، ولكن تُكرِهه على ذلك، فيَستخلف على العراق رجلاً ويسير؛ قال: أصبتَ الرأيَ. فكَتَب عهدَ يزيد على خُراسان، وكتب إليه كتاباً: إن ابنَ الأهتم كما ذكرتَ في عَقْلِه ودينه وفضله ورأيه. ودفع الكتابَ وعَهْد يزيدَ إلى ابن الأهتم، فسار سَبْعاً. فقدم على يزيدَ فقال له: ما وراءك؟ قال: فأعطاه الكتاب، فقال: ويْحك! أعندَك خير؟ فأعطاه العهد، فأمر يزيدُ بالجهاز للمسير من ساعته، ودعا ابنه مخلَداً فقدّمه إلى خراسان. قال: فسار من يومِه، ثمّ سار يزيدُ واستخلف على واسطَ الجَرّاح بنَ عبد الله الحَكَميّ، واستعمَل على البَصْرة عبدَ الله بن هلال الكلابيّ، وصيّر مروانَ بن المهلب على أموالِه وأمورِه بالبَصرة، وكان أوثَقَ إخوتِه عندَه، ولمروان يقول أبو البَهاء الإياديّ:

رأيــتُ أبــا قبيصــةَ كــلَّ يــومٍ ... علـى العَـلاَّتِ أكـرَمَهُـمْ طِبَـاعَـا
إذَا مـا هُـمْ أَبَـوْا أن يَسْتطيعـوا ... جسيـمَ الأَمْـرِ يحْمِـل مـا اسْتَطَـاعَـا
وإنْ ضـاقـت صُـدُورُهُـم بـأَمـرٍ ... فضلتَهُـمُ بـذاك نـدىً وبَـاعَـا

(٦: ٥٢٤ ـ ٥٢٦).

وفي هذه السنة شَخَص يزيدُ بنُ المهلّب إلى خُراسانَ أميراً عليها، فذكر عليّ بنِ محمد عن أبي السريّ المروزي الأزْديّ، عن عمه، قال: ولِيَ وكيع خُراسانَ بعد قتل قُتيبة تسعةَ أشهر أو عشرة. وقدم يَزيدُ بنُ المهلب سنة سبع وتسعين[1]. (٦: ٥٢٨).

قال عليّ: فذَكَر المفضّل بنُ محمد عن أبيه، قال أدنَى يزيدُ أهلَ الشأم وقوماً من أهل خراسان، فقال نهارُ بنُ تَوْسِعة:

ومــا كنّــا نُــؤمّــلُ مــن أَمِيــرٍ ... كمــا كُنّــا نـؤمّــلُ مــن يــزيــدِ

---

(١) وقال خليفة: مات الوليد وعليها (أي: خراسان) قتيبة بن مسلم فخلع سليمان فقتل قتيبة وتولى أمر الناس وكيع بن أبي الأسود الفدّاني فعزله يزيد بن المهلب وولى ابنه مخلد بن يزيد ثم قدمها يزيد ثم شخص واستخلف ابنه مخلداً حتى مات. (ص ٣٢٤).

فـأَخْطَـأَ ظَنُّنَـا فيـه وقِـدْمـاً زهِـدْنـا فـي معـاشَـرَة الـزَّهيـد
إذا لـم يُعطِنـا نَصَفـاً أميـرٌ مشَيْنَـا نحْـوَهُ مِثـلَ الأُسُـود
فمهـلاً يـا يَـزيـدُ أَنِـبْ إلينـا ودَعْنَـا مـن معَـاشـرَةِ العبيـدِ
نَجِـيءُ فـلا نَـرَى إلاَّ صُـدوداً علـى أنـا نُسلـم مـن بعيـدِ
ونَـرجِـعُ خـائبيـنَ بـلا نـوالٍ فمـا بَـالُ التجَهُّـمِ والصُّـدُودِ!
(٦: ٥٢٨).

قال عليّ: أخبرَنا زيادُ بن الرّبيع. عن غالب القطّان، قال: رأيتُ عمَر بنَ عبد العزيز واقفاً بعَرفات في خلافة سليمان. وقد حَجّ سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد: العَجَب لأمير المؤمنين، استعمَل رجلاً على أفضل ثَغْر للمسلمين! فقد بلَغَني عمّن يقدم من التجار من ذلك الوَجْه أنه يُعطي الجارية من جواريه مثل سهم ألفِ رجل. أما والله ما الله أراد بولايته ـ فعرفتُ أنه يعني يزيدَ والجهنية ـ فقلتُ: يشكر بلاءَهم أيام الأزارقة. (٦: ٥٢٨ ـ ٥٢٩).

وفي هذه السنة حجّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك، حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمن ذكَره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر[1]. (٦: ٥٢٩).

وفيها عَزَل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحضْرميّ عن مكة، قال الواقديّ: حدّثني إبراهيم بنُ نافع عن ابن أبي مُلَيكة، قال: لما صدَر سليمانُ بنُ عبد الملك من الحجّ عَزَل طلحةَ بنَ داودَ الحضْرميّ عن مكة، وكان عَمَلُه عليها ستة أشهر، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وكانت عُمّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان، فإن عامِلَها على الحَرْب والخَراج والصّلاة يزيدُ بن المهلب.

وكان خليفته على الكوفة ـ فيما قيل ـ حَرْملة بن عُمير اللَّخْميّ أشهُراً، ثمّ

(١) انظر خليفة (ص ٣٢٠).

عزَلَه وولاّها بشير بن حسّان النَّهْديّ[١] . (٦ : ٥٢٩) .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القُسْطَنْطينيّة ، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشَتَا بها وصاف . (٦ : ٥٣٠) .

وفي هذه السنة فُتِحتْ مدينَة الصّقالبة ، قال محمد بن عمر : أغارتْ بُرْجان في سنة ثمان وتسعين على مَسلَمة بن عبد الملك وهو في قلّة من الناس ، فأمَدّه سليمانُ بنُ عبد الملك بمَسْعدة ـ أو عَمْرو بن قَيْس ـ في جَمْع فمَكَرتْ بهم الصّقالبة ، ثمّ هزمَهم اللهُ بعد أن قَتَلوا شَراحيلَ بن عبد بن عَبدَة . (٦ : ٥٣٢) .

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جُرْجان وطَبرسْتان[٢] . (٦ : ٥٣٢) .

وأما غيرُ أبي مخنَف ، فإنه قال في أمر يزيدَ وأمرِ أهلِ جُرْجان ما حدّثني أحمد بنُ زُهير ، عن عليّ بن محمد ، عن كُليب بن خَلَف وغيره؛ أنَّ سعيدَ بن العاص صالَح أهلَ جُرْجان ، ثمّ امتنَعوا وكَفروا ، فلم يأتِ جُرْجان بعدَ سعيد

---

(١) انظر قائمة الولاة في نهاية عهد سليمان. قال خليفة: فيها (٩٧ هـ) غزا يزيد بن المهلب جرجان.
وحدثني حاتم بن مسلم: عن يونس بن أبي إسحاق أنه شهد ذلك مع يزيد بن المهلب. قال: صالحهم على خمسمئة ألف درهم (ص ٣١٩).
وحدثني الوليد بن هشام: عن أبيه: عن جده قال: صالحهم يزيد على خمسمئة ألف درهم يؤدونها كل عام. (ص ٣١٩).

(٢) وقال خليفة: فيها (٩٧ هـ) غزا يزيد بن المهلب جرجان ، وحدثني حاتم بن مسلم: عن يونس بن أبي إسحاق أنه شهد ذلك مع يزيد بن المهلب قال: صالحهم يزيد على خمسمئة ألف درهم يؤدونها كل عام. [تاريخ خليفة (ص ٣١٩)].

أحد ، ومَنَعوا ذلك الطريق ، فلم يكن يسلُك طريقَ خُراسانَ من ناحيته أحدٌ إلا على وَجَل وخَوْف من أهلِ جُرْجان؛ كان الطريق إلى خُراسانَ من فارسَ إلى كَرمانَ ، فأوّل من صَيّر الطريقَ من قومس قُتيبة بن مسلم حينَ وليَ خُراسانَ. ثم غزا مصقَلة خُراسانَ أيام معاويةَ في عشرة آلاف ، فأصيب وجنده بالرُّويَان ، وهي متاخمةُ طبَرسْتان فهلكوا في وادٍ من أوديَتها ، أخَذ العدوّ عليهم بمضايِقه ، فقتلُوا جميعاً ، فهو يُسمَّى وادي مصقَلة.

قال: وكان يُضرَب به المَثَل: حتى يَرجعَ مصقلة من طَبرسْتان ، قال عليّ عن كُليب بن خَلَف العَمّى عن طُفَسا بن مرْداس العميّ وإدريس بن حَنْظلة: إنّ سعيدَ بنَ العاص صالَح أهل جُرْجان ، فكانوا يجيئون أحياناً مئة ألف ، ويقولون: هذا صلحنا ، وأحياناً مئتي ألف ، وأحياناً ثلثمئة ألف؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك ، وربما منَعوه ، ثم امتنعوا وكَفَروا فلم يُعطُوا خَراجاً ، حتى أتاهُم يزيدُ بن المهلب فلم يُعازّه أحدٌ حين قَدِمها ، فلما صالح صول وفتح البُحيرة ودهستان صالَح أهلَ جُرْجَانَ على صُلْح سعيد بن العاص. (٦: ٥٣٦).

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن كُلَيب بن خَلَف العميّ ، عن طُفيل بن مِرْداس ، وبشر بنِ عيسى عن أبي صَفْوان ، قال عليّ: وحدّثني أبو حفص الأزْديّ عن سليمانَ بن كثير ، وغيرهم؛ أنّ صولا التركيّ كانَ ينزل دهستان والبُحيرة ـ جزيرة في البَحْر بَينَها وبين دهستانَ خمسة فراسخ ، وهما من جُرجَان مما يلي خُوارَزم ـ فكان صول يُغير على فيروزَ بن قول ، مَرْزبان جُرْجان ، وبينهم خمسة وعشرون فَرْسخاً ، فيصيب من أطرافهم ثمّ يرجع إلى البُحيرة ودهسْتان ، فوقع بين فَيْروز وبينَ ابن عمّ له يقال له المرْزُبان منازعة ، فاعتَزَله المَرْزُبان ، فنزل البياسان ، فخاف فيروز أن يُغيرَ عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخُراسان ، وأخذ صُول جُرْجان ، فلما قَدِم على يزيدَ بن المهلب قال له: ما أقدَمك؟ قال: خفتُ صُولا ، فهَرَبْتُ منه ، قال له يزيد: هل من حيلة لقتاله؟ قال: نعم ، شيء واحد ، إن ظفرتُ به قتلتُه ، أو أعطى بيده ، قال: ما هُوَ؟ قال: إن خرَج مِنْ جرجان حتى يَنزِل البُحَيرة ، ثم أتيتَهُ ثَمَّ فحاصرْتَهُ بها ظفرتَ به ، فاكتب إلى الإصبهبذ كتاباً تسأله فيه أن يحتالَ لصول حتى يقيمَ بجُرْجان ، واجعلْ له على ذلك جُعْلاً ، ومنّه ، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرّبُ به إليه لأنه يعظمه ،

فيتحوّل عن جُرجانَ ، فيَنزل البُحيرة. (٦: ٥٣٦ ـ ٥٣٧).

فكتَبَ يزيدُ بنُ المهلب إلى صاحب طَبَرِسْتَان: إني أريد أن أغزوَ صولا وهو بجُرْجان ، فخفتُ إن بَلَغه أني أريدُ ذلك أن يتحوّل إلى البحيرة فينزلها ، فإن تحوّل إليها لم أقدر عليه؛ وهو يسمَع منك ويستنصحك ، فإن حَبستَه العامَ بجُرجانَ فلم يأت البُحيرة حملتُ إليك خمسينَ ألفَ مثقال؛ فاحتلْ له حيلةً؛ تَحبسه بجُرجان ، فإنه إن أقام بها ظَفرتُ به ، فلما رأى الإصبهبذ الكتابَ أراد أن يتقرّب إلى صُول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتابُ أمَر الناسَ بالرّحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعمة ليتحصّن فيها ، وبَلَغ يزيدَ أنه قد سار من جُرْجان إلى البحيرة ، فاعتزَم على السَّيْر إلى الجُرْجان ، فخرج في ثلاثين ألفاً ، ومعه فيروزُ ابنُ قول ، واستخلَف على خُراسان مخلَد بن يزيد ، واستَخلف على سَمَرقَنْد وكس ونَسَف وبُخارى ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طَخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب. وأقبَل حتى أتى جُرْجان ـ ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال مُحيطةٌ بها ، وأبوابٌ ومخارم ، يقوم الرجلُ على باب منها فلا يقدم عليه أحدٌ ـ فدخلها يزيد لم يعازّه أحد ، وأصابَ أموالاً ، وهَرَب المَرْزُبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البُحيرة ، فأناخَ على صول ، وتمثّل حينَ نَزَل بهم:

فخـــرّ السيـــفُ وارْتَعَشَـــتْ يَـــداهُ وكـــانَ بنَفسِـــهِ وُقِيَـــتْ نُفُـــوسُ

قال: فحاصَرهم ، فكانَ يخرُج إليه صُول في الأيّام فيُقاتله ثمّ يرجع إلى حِصْنه ، ومع يزيد أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة ، ثم ذكر من قصة جَهْم بن زَحْر وأخيه محمد نحواً مما ذكره هشام ، غير أنه قال في ضَرْبة التركي ابنَ أبي سبرة: فنَشَب سَيْف التركي في دَرَقة ابن أبي سَبْرة.

قال علي بنُ محمد ، عن عليّ بن مجاهد ، عن عَنْبسة ، قال: قاتَلَ محمد بن أبي سَبْرة الترك بجرجانَ فأحاطوا به واعتَورُوه بأسيافهم ، فانقطع في يده ثلاثة أسياف.

ثم رَجع إلى حديثهم؛ قال: فمكثوا بذلك ـ يعني الترْك ـ محصُورين يَخْرجون فيقَاتلون ، ثمّ يَرجعون إلى حِصنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماء الأحساء ، فأصابهم داءٌ يسمَّى السؤاد ، فوَقَع فيهم الموتُ ، وأرسَل صُول في ذلك يطلبُ الصّلح ، فقال يزيدُ بنُ المهلب: لا ، إلا أن ينزل على حُكْمي ، فأبى. فأرسَل

إليه: إني أصالِحُك على نفسي ومالي وثلثمئة من أهلِ بيتي وخاصّتي، على أن تؤمّنني فتنزل البُحيرة. فأجابَه إلى ذاك يزيدُ، فخرج بمالِه وثلثمئة ممن أحَبّ، وصار مع يزيدَ، فقَتلَ يزيدُ من الأتراك أربعةَ عشر ألفاً صَبْراً، ومنَّ على الآخرين فلم يَقتُل منهم أحداً. وقال الجُنْد ليزيدَ: أعطنا أرزاقَنا، فدَعَا إدريس بن حنظلة العمّيّ، فقال: يا بن حَنْظلة، أحْصِ لنا ما في البُحَيرة حتى نُعطِيَ الجندَ، فدَخَلها إدريسُ، فلم يَقدر على إحصاء ما فيها، فقال ليزيد: فيها ما لا أستَطيع إحصاءَه، وهو في ظُروف، فنُحصي الجواليق ونعلّم ما فيها، ونقول للجند: ادخُلوا فخذُوا، فمن أخَذَ شيئاً عرّفَنا ما أخَذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم والعَسَل. قال: نعْمَ ما رأيت، فأحصَوا الجَواليق عَدَداً، وعَلّموا كلّ جوالق ما فيه، وقالوا للجند: خُـذُوا، فكان الرجلُ يخرُج وقد أخذ ثياباً أو طعاماً أو ما حَمَل من شيء فيُكتَب على كلّ رجل ما أخَذ، فأخذوا شيئاً كثيراً. (٦: ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

قال عليّ: قال أبو محمد الثَّقَفيّ: أصاب يزيدُ بن المهلب تاجاً بجُرْجان فيه جَوْهر، فقال: أتَرون أحداً يزَهد في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الأزديّ، فقال: خذْ هذا التاجَ فهو لك؛ قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمتُ عليك، فأخذَه، وخرج فأمر يزيدُ رجلاً ينظر ما يصنع به، فلقِيَ سائلاً فدَفَعه إليه، فأخذ الرجلُ السائل، فأتَى به يزيدَ وأخبرَه الخبر، فأخذ يزيدُ التاجَ، وعَوَّض السائل مالاً كثيراً[1]. (٦: ٥٣٩).

قال عليّ: وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتَتح قتيبةُ فَتْحاً قال ليزيد بن المهلب: أما تَرَى ما يَصنَع الله على يديْ قُتيبة؟ فيقول ابنُ المهلب: ما فعلَتْ جُرْجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم، وأفسدَت قُومِس وأبرشَهْر! ويقول: هذه الفتوحُ ليستْ بشيء، الشأنُ في جُرجانَ، فلما ولي يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جُرْجان. قال: ويقال: كان يزيدُ بنُ المهلب في

---

(١) الخبر أورده الطبري من طريق المدائني عن شيخه أبو محمد الثقفي ولا نستغرب هذا الخبر فجيوش الفاتحين كانت تضم في حناياها كثيراً من الزهاد والعباد والعلماء والصالحين، والله أعلم.

عشرين ومئة ألف ، معه من أهل الشأم ستون ألفاً[١] . (٦ : ٥٣٩) .

قال عليّ في حديثه ، عن شيوخه ، الذين قد ذكرتُ أسماءَهم قبلُ وكتب يزيدُ إلى سليمان بن عبد الملك :

أما بعد فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فَتْحاً عظيماً ، وصَنَع للمسلمين أحسَنَ الصُّنْع ، فلرَبّنا الحمدُ على نِعمه وإحسانه ، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جُرجان وطَبَرستان ، وقد أعيا ذلك سابُورَ ذا الأكْتاف وكسرى بن قُباذ وكسرى بن هُرْمُز . وأعيَا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومَن بعدهما من خلفاء الله ، حتى فَتَح الله ذلك لأمير المؤمنين؛ كرامةً من الله له ، وزيادة في نعمه عليه . وقد صار عندي من خُمس ما أفاءَ اللهُ على المسلمين بعد أن صار إلى كلّ ذي حقٍّ حقه من الفيء والغَنيمة ستةُ آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

فقال له كاتبه المغيرة بنُ أبي قرّة مولَى بني سَدُوس : لا تكتُب بتسمية مال ، فإنك مِنْ ذلك بين أمرين : إما استَكْثرَه فأمَرَك بحَمله ، وإما سخَت نفسُه لك به فسوّغكَه فتكلفت الهديّة . فلا يأتيه من قبَلك شيء إلا استقبله ، فكأني بك قد استغرقت ما سمّيت ولم يقع منه موقعاً ، ويبقى المالُ الذي سميت مخلّداً عندهم عليك في دواوينهم ، فإن وليَ والٍ بعدَه أخذَك به ، وإن ولي من يتحامَل عليك لم يرض منك بأضعافه ، فلا تمضِ كتابَك ، ولكن اكتب بالفتح ، سَلهْ القُدومَ فتُشافههُ بما أحببتَ مُشَافهةً ، ولا تقصّر ، فإنك إن تقصّر عما أحببتَ أحرَى من أن تكثّر .

فأبى يَزيدُ وأمضَى وقال : بعضُهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف[٢] . (٦ : ٥٤٤ ـ ٥٤٥) .

---

(١) لم نورد هذا الخبر في قسم الصحيح لنثبت صحة هذا الحوار بين الخليفة سليمان وأحد قواده (يزيد بن المهلب) فهذا رأي المدائني كمؤرخ فلعل الخبر ثابت ، أو غير ثابت ، وإنما أوردناه لعبارة في المتن تؤكد ما ذكرته الروايات السابقة من أن جرجان على الطريق الرئيسي المؤدي إلى ماوراء جرجان من البلاد وكان لا بد من فتحها مرة أخرى بعد أن كفر أهلها ونقضوا صلحهم القديم والله أعلم .

(٢) قلنا : وقد مضى الحديث عن هذا الإسناد آنفاً ، وهذه مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي .

وفي هذه السنة فُتِحت مدينة الصّقالبة.

وفيها غزا داود بنُ سليمانَ بن عبد الملك أرضَ الرّوم، ففَتح حِصْنَ المرأة مما يلِيَ مَلطيَة.

وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بنُ عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أميرٌ على مكة، حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت. عمن ذَكَره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سَبْع، وقد ذكرْناهم قبلُ، غير أنّ عامل يزيد بن المهلب على البَصْرة في هذه السنة كان ـ فيما قيل ـ سُفيان بن عبد الله الكِنْديّ[١]. (٦: ٥٤٥).

ثم دخلت سنة تسع وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
وفاة سليمان بن عبد الملك

فمن ذلك وفاةُ سليمانَ بن عبد الملك، تُوفِّيَ ـ فيما حُدثت عن هشام، عن أبي مخنَف ـ بدابِق من أرض قِنَّسْرين يوم الجمعة لعشر ليال بقينَ من صفر، فكانت ولايتُه سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفّي لعشرِ ليال مضين من صفر. وقيل: كانت خلافتُه سَنَتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدّث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلفَ سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين. وصلى عليه عمرُ بن عبد العزيز.

وحدثني أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي مَعشَر، قال: توفّي سليمانُ بنُ عبد الملك يومَ الجمعة لعشر خلوْن من صفر سنة تسع

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد الخليفة سليمان.

وتسعين ، فكانت خلافتُه ثلاثَ سنين إلا أربعة أشهر[١] . (٦ : ٥٤٦) .

ذكر الخبر عن بعض سيره

حدّثتُ عن عليّ بن محمد ، قال: كان الناسُ يقولون: سليمانُ مفتاحُ الخَيْر ، ذَهَب عنهم الحجاج ، فولى سليمانُ ، فأطلق الأسارى ، وخَلَّى أهلَ السجون ، وأحسنَ إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبد العزيز ، فقال ابن بِيض:

حاز الخلافة والداكَ كلاهُمَا ... من بَيْنِ سُخْطَةِ سَاخِطٍ أو طَائِعِ
أبَوَاكَ ثمّ أخُوكَ أَصْبَحَ ثالثاً ... وعلى جَبِينِكَ نورُ مُلْكِ الرابعِ

(٦ : ٥٤٦) .

حدثني عبدُ الله بنُ أحمد ، قال: حدّثني ، أبي قال: حدّثني سليمان قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن عُيَينة ، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس ، قال: شهد سليمانُ بنُ عبد الملك جَنَازةً بدابِق ، فدُفنتْ في حقل ، فجعلَ سليمانُ يأخذ من تلك التربة فيقول: ما أحسنَ هذه التربة! ما أطيَبها! فما أتى عليه جمعةٌ ـ أو كما قال ـ حتى دُفن إلى جنب ذلك القبر[٢] . (٦ : ٥٤٩) .

---

(١) وقال خليفة: حدثني الوليد بن هشام: عن أبيه: عن جده ، وعبد الله بن مغيرة: عن أبيه قالا: مات سليمان بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ وهو ابن ثلاث وأربعين. [تاريخ خليفة (ص ٣٢٢)].
قلنا: وهذان إسنادان يعتضدان ببعضهما ، وبذلك تؤيد رواية المؤرخ خليفة (بسنده الموصول) رواية الطبري المسندة عن أبي معشر ، والله تعالى أعلم.

(٢) الخليفة سليمان بن عبد الملك
(٩٦ ـ ٩٩ هـ)
قال الحافظ السيوطي في ترجمته: وكان فصيحاً مفوّهاً مؤثراً للعدل محباً للغزو ، ومولده سنة ستين ، ومن محاسنه أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير فكان يمتثل أوامره في الخير فعزل عمال الحجاج ، وأخرج من كان في سجن العراق وأحيا الصلاة لأول ميقاتها. [تاريخ الخلفاء (ص ٢٢٦)].
وقال محمد بن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة لمواقيتها واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز.

=

= وفي أيامه فتح جرجان وحصن الحديد وسردانية وطبرستان والسقالبة ومات غازياً رحمه الله بدابق في صفر سنة ٩٩ هـ.
وقال الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة سليمان: وكان فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو. [تر ٦٧٣].
وقال الدينوري: وكانت ولايته سنة ست وتسعين فافتتح بخير وختم بخير لأنه رد المظالم إلى أهلها ورد المسيرين وأخرج المسجونين الذين كانوا بالبصرة واستخلف عمر بن عبد العزيز وأغزى مسلمة أخاه الصائفة حتى بلغ القسطنطينية فأقام بها حتى مات سليمان. [المعارف (ص ٣٦٠)].
وأخيراً فإننا نذكر هنا رواية تاريخية مسندة أخرجها المؤرخ البسوي رحمه الله قال: ثني عبد الرحمن: ثنا الوليد قال: ثني عبيد الله قال: دخلت على الحجاج فأشار بيده فقلت: عبيد الله بن يزيد بن أبي مسلم الثقفي. قال: قد فرضنا لك في كذا وكذا، قال عبيد الله: فلما مات الحجاج في بقية خلافة الوليد، تولى يزيد بن أبي مسلم على العراق أربعة أشهر، فلما هلك الوليد، وولي سليمان عزله وولى يزيد بن المهلب العراق، فأشخصه إلى سليمان فقدم عليه وهو بالبقاء، فأوقفه للناس فما أتى أحد يتكلم فيه بشيء إلاَّ أن رجلاً من أهل المدينة أدلى بأن يزيد قد نال منه بالعراق لطمة، فسأله القود منه، فأقاده، فلطمه لطمة أخضرت منها عينيه، فلما رأى سليمان أن أحداً لا يتبعه بمظلمة أدخله عليه وجعل يسائله عن أمور الناس وعن سيرة الحجاج وأعماله، فكلما أخبره ببعض ما يكره يقول: ويحك يا يزيد ما ترى الله صانعاً بالحجاج يوم القيامة؟ قال: فسكت يزيد، فلما أكثر عليه قال: أقول يا أمير المؤمنين إن الله سيجعله ثالثاً لأبيك وأخيك وبينهما فإن دخلا الجنة فعاملهما والمنفذ لأمرهما، وإن دخلا النار فما سؤالك عنه... إلخ الخبر. [المعرفة والتاريخ (٢: ٤٨١ ـ ٤٨٢)].
قلنا: وهذه الرواية تؤكد أن خلفاء بني أمية كانوا مهتمين برأي الناس في ولاتهم (نقول: بصورة عامة وخاصة سيدنا معاوية وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام وغيرهم) وتؤكد كذلك خطأ من اعتمد على الروايات الضعيفة جداً والتي تزعم أن الخليفة الأموي أطلق قولة لا قود من العمال والله تعالى أعلم.
وكما قررنا في حديثنا عن خلافة معاوية رضي الله عنه أن الأمة نعمت في عهده بالأمن والأمان ولقد جعل الله لذلك سببين بقدره:
الأول: تنازل الحسن من منصبه لأخيه معاوية حقناً للدماء وتفضيلاً للجزاء الأخروي.
والسبب الآخر: هو ما رزقه الله معاوية من صفات قيادية حميدة ذكرناها في وقتها.
فكذلك كان لسليمان بن عبد الملك الحظ الأوفر من عدالة عمر بن عبد العزيز وكما روى أبو مهر عن سعيد بن عبد العزيز قال: كانت خلافة سليمان كأنها خلافة عمر بن عبد العزيز =

= كان إذا أراد شيئاً قال له: ما تقول يا أبا حفص ، قال فعهد إلى عمر من بعده فأقام من بعده فأقام سنتين . . . . إلخ. [تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥ : ١٦٧ : تر ٥٢٤٢)].

تسمية عمال سليمان بن عبد الملك

مكة: أقرَّ عليها خالد بن عبد الله القسري ، ثم عزله وولى داود بن طلحة ، ثم عزله وولى عبد العزيز بن عبد الله حتى مات سليمان.

المدينة: مات الوليد وعليها عثمان بن حيان المري ، فعزله سليمان وولى أبا بكر بن حزم في شهر رمضان سنة ست وتسعين حتى مات سليمان.

اليمن: عروة بن محمد بن عطية السعدي من بني سعد بن بكر بن معاوية.

البصرة: ولاها يزيد بن المهلب في خلافة سليمان بن عمير الكندي ، وعزل عنها الجراح ، وذلك سنة مئة ، ثم ولاها يزيد بن عبد الله بن بلال الكلابي ، ثم عزله وولى مروان بن المهلب حتى مات سليمان.

الكوفة: مات الوليد وعليها حرملة بن عمير ، فأقره يزيد بن المهلب أشهراً ، ثم عزله وولى بشر بن حسان المهري ، ثم عزله وولّى سفيان بن حريش الخولاني حتى مات سليمان.

خراسان: مات الوليد وعليها قتيبة بن مسلم ، فخلع سليمان ، فقتل قتيبة وتولى أمر الناس وكيع بن أبي سود الغدَّاني ، فعزله يزيد بن المهلب وولى ابنه مخلد بن يزيد ، ثم قدمها يزيد ، ثم شخص واستخلف ابنه مخلداً حتى مات سليمان.

سجستان: ولاها يزيد أخاه مدركاً ثم عزله ، وولى ابنه معاوية بن يزيد حتى مات سليمان.

السند: كتب سليمان بن عبد الملك إلى صالح بن عبد الرحمن أن يأخذ آل بني عقيل ويحاسبهم ، فولى صالح حبيب بن المهلب حرب الهند ويزيد بن أبي كبشة الخراج ، فأقام بها يزيد بن أبي كبشة أقل من شهر ، ثم مات واستخلف أخاه عبيد الله بن أبي كبشة فعزله صالح وولى عمران بن النعمان الكلاعي ، ثم جمع حربها وخراجها لحبيب بن المهلب.

البحرين: ولاها يزيد بن المهلب الأشعث بن عبد الله بن الجارود ، فأخرجه منها مسعود ابن أبي زينب العبدي من بني محارب وغلب عليها ، وذلك سنة ست وتسعين.

إفريقية: أقر عليها عبد الله بن موسى بن نصير ، ثم عزله سنة سبع وتسعين ، ويقال: محمد بن يزيد مولى ريحانة بنت أبي العاص سنة سبع وتسعين.

عمان: ولاها صالح بن عبد الرحمن عبد الرحمن بن قيس الليثي ، ثم ولاها يزيد بن المهلب أخاه زياد بن المهلب.

اليمامة: ولاها سليمان سفيان بن عمرو العقيلي ، ثم نوح بن هبيرة.

أرمينية: عبد العزيز بن حاتم بن النعمان ، ولم تغز أرمينية حتى مات سليمان.

الموسم: سنة ست وتسعين: أبو بكر بن عمرو بن حزم. =

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم.

ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه:

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: حدّثنا محمد بن عمر، قال: حدّثني الهيثم بن واقد، قال: استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يومَ الجمعة لعشر مضَين من صفر سنة تسع وتسعين.

قال محمد بن عمر: حدّثني داود بن خالد بن دينار، عن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حَيوة، يقول: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خُضراً من خَزّ، ونظر في المرآة، فقال: أنا والله الملك الشابّ، فخرج إلى الصّلاة فصلى بالناس الجمعة. فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقُل عهدَ في كتاب كتبَه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلُغ فقلت: ما تصنع يا أميرَ المؤمنين! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله وأنظُر فيه. ولم أعزم عليه، قال: فمكث يوماً أو يومين، ثمّ خرّقه، فدعاني، فقال: ما ترى في داودَ بن سليمان؟ فقلت: هو غائب عنك بقُسْطنطينية وأنت لا تدري أحَيٌّ هو أم ميت! فقال لي: فمن ترى؟ قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أنظر من يذكر، قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعْلَمُه والله خيراً فاضلاً مسلماً؛ فقال: هو والله على ذلك، ثم قال: والله لئن وليته ولم أوَلّ أحداً سواه لتكونَنّ فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعدَه، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال: فيزيد بن عبد الملك أجعلُه بعدَه، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضَوْن به؛ قلتُ: رأيك. قال: فكتب.

بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين

= وسبع وتسعين: سليمان بن عبد الملك.
وثمان وتسعين: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد. [تاريخ خليفة (ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥)].

لعُمَر بن عبد العزيز ، إني قد ولّيتك الخلافةَ من بعدي ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمَعَ فيكم.

وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسيّ صاحب شُرَطه فقال: مُرْ أهلَ بيتي فليجتمعوا؛ فأرسل كعب إليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا ، ثمّ قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم: اذهبْ بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أنّ هذا كتابي ، وأمرُهم فليبايعوا من وليت فيه؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلِّم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ في هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حَيْوة ـ عهدي ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سمّيت في هذا الكتاب. فبايَعوه رجلاً رجلاً ، ثمّ خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بنِ حَيْوة.

قال رجاء: فلما تفرّقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسندَ إليّ من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحُرْمتي ومَوَدّتي إلا أعلَمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتيَ حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة! قال رجاء: لا والله ما أنا بمُخبرك حَرْفاً؛ قال: فذهب عمرُ غضبان.

قال رجاء: لقيني هشام بنُ عبد الملك ، فقال: يا رجاء ، إنّ لي بك حُرمةً ومودّةً قديمةً ، وعندي شكر ، فأعْلِمْني هذا الأمر ، فإن كان إليّ علمتُ ، وإن كان إلى غيري تكلّمتُ ، فليس مثلي قصّر به ، فأعلِمني فلك اللهُ عليّ ألاّ أذكر من ذلك شيئاً أبداً. قال رجاء: فأبيت فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسِرَّ إليّ.

قال: فانصرف هشام وهو قد يئس ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى من إذاً نُحِّيَتْ عني؟ أتخرج من بني عبد الملك؟ قال رجاء: ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذَتْه السَّكْرة من سَكَرات الموت حرّفتُه إلى القبلة ، فجعل يقول حين يُفيق: لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاء ، ففعلت ذلك مرّتين ، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهدُ أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله. قال: فحرّفته ومات؛ فلما غمّضته سجّيته بقطيفة خضراء ، وأغلقتُ البابَ ، وأرسلت إليّ زوجتُه تقول:

كيف أصبَح؟ فقلتُ: نائم، وقد تَغطّى، فنظر الرّسول إليه مغطًّى بالقطيفة، فرجع فأخبرَها فقبِلَتْ ذلك، وظنّتْ أنه نائم، قال رجاء: وأجلستُ على الباب من أثق به، وأوصيتُه ألاّ يبرح حتى آتيَه، ولا يدخل على الخليفة أحد.

قال: فخرجتُ فأرسلتُ إلى كعب بن حامد العبسيّ، فجمَعَ أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق، فقلت: بايعوا، فقالوا: قد بايعنا مرّة ونبايع أخرى! قلتُ: هذا عهد أمير المؤمنين، فبايعوا على ما أمَرَ به ومن سمّى في هذا الكتاب المختوم، فبايَعوا الثانية؛ رجلاً رجلاً. قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيتُ أني قد أحكمتُ الأمر، قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون! وقرأتُ الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشامُ بن عبد الملك: لا نبايعه أبداً، قلتُ: أضرب والله عنقَك، قُم فبايِع، فقام يجرّ رجليه.

قال رَجاء: وأخذتُ بضَبْعَيْ عمر بن عبد العزيز فأجلستُه لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون! حين صارت إليّ لكراهته [إياها]، والآخَر يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، حيث نُحِّيَتْ عني.

قال: وغُسل سليمانُ وكفّن وصلّى عليه عمرُ بنُ عبد العزيز؛ قال رجاء: فلما فُرِغ من دفنه أتيَ بمراكب الخلافة: البَراذين والخيل والبغال ولكلّ دابة سائس، فقال: ما هذا! قالوا: مَركَب الخلافة، قال: دابتي أوفَق لي، وركب دابّته، قال: فصُرفت تلك الدوابّ، ثمّ أقبل سائراً، فقيل: منزل الخلافة، فقال: فيه عيال أبي أيوب وفي فُسطاطي كفاية حتى يتحوّلوا، فأقام في منزله حتى فرّغوه بعدُ؛ قال رجاء: فلما كان المساء من ذلك اليوم قال: يا رجاء، ادعُ لي كاتباً، فدعوتُه وقد رأيتُ منه كلَّ ما سَرَّني، صَنَع في المراكب ما صنَعَ، وفي منزل سليمان؛ فقلتُ: كيف يصنع الآن في الكتاب؟ أيصنع نُسخاً، أم ماذا؟ فلما جلس الكاتب أملَى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة، فأملى أحسنَ إملاء وأبلغَه وأوجزَه، ثمّ أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كلّ بلد.

وبلغ عبدَ العزيز بن الوليد ـ وكان غائباً ـ موتُ سليمان بن عبد الملك، ولم يعلم ببيعة الناس عُمَر بن عبد العزيز، وعهدِ سليمان إلى عمر، فعقد لواء ودعا

إلى نفسه ، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر: قد بلغني أنك كنتَ بايعتَ من قبلك ، وأردتَ دخول دمشق ، فقال: قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغني أنّ الخليفة سليمان لم يكن عقَد لأحد ، فخفت على الأموال أن تنتهَب ، فقال عمر: لو بويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتُك ذلك ، ولقعدتُ في بيتي ، فقال عبد العزيز: ما أحبّ أنه ولى هذا الأمر غيرُك. وبايع عمر بن عبد العزيز ، قال: فكان يُرجى لسليمان بتوليته عمرَ بن عبد العزيز وترك ولده[1]. (٦: ٥٥٠ ـ ٥٥٣).

---

(١) قلنا: هذا الخبر الذي ساقه الطبري من طريق الواقدي استغرق (٤) صفحات ، ولمتنه ما يشهد له وإن كان لنا مآخذ على تفاصيل ذكرها الواقدي كما سنشير بعد قليل.
وهذه روايات تؤيد رواية الواقدي الآنفة:
١ ـ قال الوليد بن مسلم: عن عبد الرحمن بن حسان الكناني قال: (لما مرض سليمان بدابق قال: يا رجاء أستخلف ابني ، قال: ابنك غائب . . . الخبر ، وفيه: فمن ترى؟ قال: عمر بن عبد العزيز. قال: أتخوف من بني عبد الملك أن لا يرضوا. قال: فوله ومن بعده يزيد بن عبد الملك وتكتب كتاباً وتختمه وتدعوهم إلى بيعته مختوم عليها فكتب العهد وختمه فخرج رجاء وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب. . . . . إلى آخر الخبر). [سير أعلام النبلاء (٥: ١٢٤: تر ٤٨)].
٢ ـ وأخرج ابن سعد قال: أخبرنا علي بن محمد عن جرير بن حازم عن هزان بن سعيد قال: حدثني رجاء بن حيوة قال: لما ثقل سليمان بن عبد الملك رآني عمر في الدار أخرج وأدخل وأتردد فدعاني فقال لي: يا رجاء أذكرك الله والإسلام أن تذكرني لأمير المؤمنين أو تشير بي عليه إن استشارك فو الله ما أقوى على هذا الأمر ، فأنشدك الله إلاّ صرفت أمير المؤمنين عني. فانتهرتُه وقلت: إنك لحريص على الخلافة لتطمع أن أشير عليه بك ، فاستحيا ودخلت ، فقال لي سليمان: يا رجاء من ترى لهذا الأمر وإلى من ترى أن أعهد؟ قلت: يا أمير المؤمنين اتق الله فإنك قادم على الله وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فيه. قال: فمن ترى؟ فقلت: عمر بن عبد العزيز. قال: كيف أصنع بعهد أمير المؤمنين عبد الملك إلى الوليد وإليّ في ابني عاتكة أيهما بقي؟ قلت: تجعلهما من بعده.
قال: أصبت ووفقت ، جئني بصحيفة. فأتيته بصحيفة فكتب عهد عمر ويزيد من بعده وختمها ، ثم دعوت رجالاً فدخلوا عليه فقال لهم: إني قد عهدت عهدي في هذه الصحيفة ودفعتها إلى رجاء وأمرته أمري وهو في الصحيفة ، اشهدوا واختموا الصحيفة. فختموا عليها وخرجوا فلم يلبث سليمان أن مات فكففت النساء عن الصياح وخرجت إلى الناس فقالوا: يا رجاء كيف أمير المؤمنين. قلت: لم يكن منذ اشتكى أسكن منه الساعة. قالوا: لله الحمد! فقلت: ألستم تعلمون أن هذا عهد أمير المؤمنين وتشهدون عليه؟ قالوا: بلى ، قلت: =

وفي هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسلَمة وهو بأرض الروم وأمَرَه بالقُفول منها بمن معه من المسلمين ، ووجَّه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً ، وحثّ الناس على معونتهم ، وكان الذي وجّه إليه الخيل العِتاق ـ فيما قيل ـ خمسمئة فَرس[1] . (٦ : ٥٥٣) .

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذْربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعةً ،

= أفترضون به؟ قال هشام : إن كان فيه رجل من ولد عبد الملك وإلاّ فلا . قلت : فإن فيه رجل من ولد عبد الملك؟ قال : فنعم إذاً . قال فدخلت فمكثت ساعة ثم قلت للنساء : اصرخن ، وخرجت فقرأت الكتاب والناس مجتمعون وعمر في ناحية الرواق . [الطبقات الكبرى (٥ : ٣٣٩)] .

قلنا : وشيخ ابن سعد صدوق وبقية رجال الإسناد ثقات سوى هزان بن سعيد فقد ترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه .

والملاحظ أن متن الرواية عند ابن سعد خالية من المبالغة وما إلى ذلك ، أما الواقدي فقد ذكر في روايته (كما عند الطبري) مثلاً (٦ : ٥٥٢) : (فلما فرغ من دفنه أتي بمراكب الخلافة البراذين والخيل والبغال ولكل دابة سائس ، فقال ما هذا؟ قالوا : مراكب الخلافة . قال : دابتي أرفق لي) .

قلنا : وهذه من مبالغات الواقدي وإلاّ فقد روى ابن سعد أيضاً من طريق أنهم جاؤوا بدواب سليمان دون تفصيل وتهويل ومبالغة هكذا (دواب سليمان) كما أخرجه ابن سعد من طريق محمد بن معن الغفاري عن إسماعيل بن إبراهيم كاتب كان لزياد بن عبيد الله عن أبيه قال : لما انصرف عمر عن قبر سليمان إذا دواب سليمان قد عرضت له . [الطبقات (٥ : ٣٤٠)] .

ولعل أصح رواية تاريخية (وهي أقرب إلى الواقع) تذكر أنهم جاؤوا بدابة سليمان (هكذا بصيغة المفرد) وهذا يوافق ما ذكرنا من الروايات في قسم الصحيح من أن سليمان كان مجاهداً لا يبالي بالأبهة وكثرة المراكب بل كان من بين رعاياه من يركب مراكباً خيراً من فرس الخليفة أو بغلته .

نقول : ولعل أصح رواية تاريخية هي التي أخرجها ابن سعد في طبقاته ، قال أخبرنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا عبد الله بن يونس الثقفي : عن سيار أبي الحكم قال : كان أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك أتي بدابة سليمان التي كان يركب فلم يركبها ، وركب دابته التي جاء عليها فدخل القصر وقد مهدت له فرش سليمان التي كان يجلس عليها فلم يجلس عليها ، ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد . . . . إلخ [الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ : ٣٤٠)] .

(١) وقال خليفة : وفيها (٩٩ هـ) حمل الطعام والدواب إلى مسلمة بن عبد الملك إلى بلاد الروم . . . . وأذن لهم بالقفول . [تاريخ خليفة (ص ٣٢٦)] .

ونالوا منهم ، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهليّ ، فقتل أولئك الترك ، فلم يُفلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ بخناصرة بخمسين أسيراً[١] . (٦ : ٥٥٣ ـ ٥٥٤) .

وفيها عزل عِمرُ يزيد بن المهلَّب عن العراق ، ووجّه على البصرة وأرضها عديّ بن أرطاة الفَزاريّ ، وبعث على الكوفة وأرضها عبدَ الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشيّ ، من بني عديّ بن كعب ، وضمّ إليه أبا الزّناد ، فكان أبو الزّناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عديّ في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميريّ .

وحجّ بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرّحمن ، وعلى البَصرة وأرضها عديّ بن أرطاة ، وعلى خُراسانَ الجرّاح بن عبد الله . وعلى قَضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المُزَنيّ ، وقد ولي فيما ذكر قبلَه الحسن بن أبي الحسن ، فشكا ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة ـ في هذه السنة فيما قيل ـ عامر الشعبيّ ، وكان الواقديّ يقول : كان الشعبيّ على قضاء الكوفة أيامَ عمر بن عبد العزيز من قبَل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبي الحِسن البَصْريّ على قضاء البَصْرة من قبَل عديّ بن أرطاة ، ثمّ إن الحسن استعفى من القضاء عَدِيًّا ، فأعفاه وولّى إياساً[٢] . (٦ : ٥٥٤) .

---

(١) وقال خليفة : وفيها (٩٩ هـ) أغارت الترك على أذربيجان فحدثني أبو خالد عن أبي البراء وغيره أن الترك أصابوا من الناس فصار إليهم عبد العزيز بن حاتم الباهلي فقتل الله الترك فلم يفلت منهم إلاّ الشريد . [تاريخ خليفة (ص ٣٢٦)] .

(٢) انظر قوائم الولاة والقضاة في نهاية عهد عمر بن عبد العزيز .

ثم دخلت سنة مئة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها[1] (٦:٥٥٥)

(١) قلنا: لقد تحدث الطبري رحمه الله عن أحداث ومعارك وقعت في بداية هذه السنة (١٠٠ هـ) كخروج الخارجة على عمر بن عبد العزيز في العراق بقيادة الخارجي (بسطام ، شوذب ، اليشكري) وذكر أن الواقعة انتهت بمفاوضات وحوار بين رسل عمر بن عبد العزيز والخوارج أدت إلى هدنة أو ما شابهها ، وقد ذكرنا تلك الروايات في قسم الضعيف والله أعلم.
ومن الذين روى عنهم (أخبار هذه المعارك ثم المفاوضات) الواقدي وهو متروك ومتنه يخالف ما رواه الطبري نفسه وفي نفس الصفحة عن أبي عبيدة (معمر بن مثنى) ولكن بإسناد معضل وفي آخر الرواية أن بعضهم دسَّ السم لعمر بن عبد العزيز فمات بعده بقليل. وهذه الرواية بالإضافة إلى ضعف إسنادها ففي متنها نكارة فالطبري ذكر هذه الأحداث في بداية وقائع سنة (١٠٠ هـ) بينما توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة (١٠١ هـ).
ونعود إلى مسألة الحوار الذي دار بين عمر بن عبد العزيز والخوارج فقد ذكرها كذلك المؤرخ الثقة ابن عبد الحكم في كتابه سيرة عمر بن عبد العزيز ومعلوم أنه ذكر أسانيد مروياته في مقدمة كتابه فقال: عن أنس بن مالك والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن لهيعة وبكر بن مضر وغيرهم من أهل العلم ممن لم أسم بجميعهم في هذا الكتاب على ما سميت أو رسمت. . . . إلخ [سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ١٧)].
ثم ذكر ابن عبد الحكم في (ص ١١٠ ـ ١١١) عن محمد بن الزبير الحنظلي أنه كان واحداً من الوفد الذي بعثه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى شوذب الحروري (بسطام) الذي كان يقود الخوارج يومها حين خرجوا على الإمام من الجزيرة الفراتية ، وكانت النتيجة أن بعث شوذب رجلين من قبله إلى عمر أحدهم شيباني فلما وصلا إلى دار الخلافة جرى بين الطرفين حوار حضره عبد الملك ابن الخليفة ، وكاتبه مزاحم.
وهذه مقاطع من ذلك الحوار الطويل:
قال عمر: أخبراني عن أهل النهروان أليسوا من أسلافكم وممن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة؟ قالا: بلى. قال: فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم كفوا أيديهم فلم يخيفوا آمناً ولم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً؟ قالا: قد كان ذلك. قال: فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب الراسبي استعرضوا الناس فقتلوهم وعرضوا لعبد الله بن خباب صاحب النبي ﷺ فقتلوه وقتلوا جاريته. . . . إلخ.
وفيه أيضاً: أفلستم أنتم اليوم تبرؤون ممن يخلع الأوثان وممن يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله وتلعنونه وتقتلونه وتستحلون دمه؟ وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم=

خبر القبض على يزيد بن المهلّب

وفي هذه السنة حُمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمرَ بن عبد العزيز.

ذكر الخبر عن سبب ذلك، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه: اختلَف أهلُ السيَر في ذلك[١]. (٥: ٥٥٦).

عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان، وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر، قدمها سنة تسع وتسعين، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مئة[٢]. (٦: ٥٥٨).

= من اليهود والنصارى فتعرفون دمه ويأمن عندكم؟ فقال الذي في جيشه: ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذاً من حجتك أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنني بريء ممن خالفك. فقال للشيباني: فأنت ما تقول؟ قال: ما أحق ما قلت وما أحسن ما وصفت ولكن أكره أن أفتئت على المسلمين بأمر لا أدري ما حجتهم فيه حتى أرجع إليهم فلعل عندهم حجة لا أعرفها، قال: فأنت أعلم. قال: فأمر للجيش بعطائه وأقام عنده خمس عشرة ليلة ثم مات. ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم. اهـ.

[وانظر سيرة عمر بن العزيز لابن عبد الحكم (ص ١١٠ ـ ١١١)].

(١) قلنا: ثم ذكر الطبري خبراً في كيفية ذلك من طريق هشام بن محمد وهو متروك عن شيخه التالف لوط بن يحيى وقد ذكرناه في قسم الضعيف (٥: ٥٥٦ ـ ٥٥٧).

(٢) قلنا: ثم ذكر الطبري رواية مطولة ذكرناها في قسم الضعيف ففي إسنادها مجاهيل ومتروك وفي المتن نكارة ونظراً لأهمية هذه الرواية فقد بحثنا طويلاً في المصادر التاريخية المتقدمة ثم درسنا ما كتب المعاصرون حول هذه المسألة فوجدنا عجباً وتوصلنا في النهاية إلى درة من درر التاريخ الإسلامي.

وتوكيداً لمقولتنا التي ذكرناها مراراً وهي كالآتي:

إن مجرد وجود الروايات المختلقة والمكذوبة والتي سماها الطبري (المستشفة) وعدم تمييزها إلى صحيح وضعيف وبقاءها هكذا لقرون طويلة جعل الناس يعتقدون بصحة ما ورد فيها ومنها مسألة الباب هنا وكما يقول المؤرخ العلامة شاكر رحمه الله تعالى في موسوعة التاريخ الإسلامي واتهم الخلفاء الأمويون أنهم كانوا يبقون الجزية على من أسلم حرصاً على =

= دخل بيت المال. وصدق شاكر رحمه الله فإن عدداً من كتاب الغرب المهتمين بالتاريخ ومعهم بعض المؤرخين من بني جلدتنا قالوا بذلك. يقول أستاذان للتاريخ الإسلامي والعربي وهما يقدمان لسفر كبير من أسفار التاريخ الإسلامي: (والباحث في تاريخ العصر الأموي يجد أن السلطات الأموية لم تشجع في الغالب على الدخول في الإسلام لأسباب مالية وإذا لم تكن السلطة قد تولت نشر الإسلام فمن يتولى ذلك؟).

وقبل أن نفند هذه التهمة من أساسها نودُّ أن نذكر دفاعاً جميلاً للأستاذ شاكر رحمه الله تعالى إذ يقول: إن وضع الجزية عمن أسلم أمر شرعي فهل يجرؤ الخليفة على التساهل فيه؟ وأين دور العلم؟ . . . . إن كل ما حدث أن الجراح بن عبد الله الحكمي عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان قد أخذ الجزية من جماعة ثم أسلموا فلم يُعِدْ لهم ما أخذ منهم فأرسل إليه الخليفة قولته المشهورة: «إن الله قد بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً» [التاريخ الإسلامي (٤ : ٣٦)].

وأما دفاعنا عن هذه المسألة فكالآتي وبالله التوفيق:

لم يثبت لا من طريق صحيح ولا حسن ولا من مظان الحسن أن الجراح بن عبد الله الحكمي قد فعل ذلك بل العكس صحيح والرواية الصحيحة في ذلك منقبة من مناقب الجراح ثم درة من درر التاريخ الإسلامي والفتح الإسلامي. إن الكذابين والوضاعين والمتروكين يتجهون دائماً نحو أبرز قادة الفتح ليلصقوا بهم التهم ابتداءً من سيدنا خالد بن الوليد وانتهاءً بالجراح وقتيبة بن مسلم وغيرهم.

فالجراح رحمه الله كان صالحاً عابداً مجاهداً محباً للشهادة في سبيل الله (كما سنذكر ضمن أحداث سنة ١١٢ هـ) ولكن أصحاب الأهواء والمتروكين أبوا إلَّا أن ينسجوا حوله الأكاذيب ـ ولعلّ أصحّ رواية تاريخية في هذا الباب هو ما أخرجه الإمام ابن سعد في طبقاته تبين حقيقة الأمر حتى يتبين للقارىء مدى التعريف والتشويه الذي أدخله المجاهيل والمتروكون على الواقعة التاريخية:

قال ابن سعد؛ حدثنا أحمد بن محمد بن الوليد (وهو من شيوخ ابن سعد الثقات) قال: حدثنا عبد الرحمن بن حسن (من شيوخ الشافعي): عن أبيه (الحسن بن القاسم الأزرق) من رواة الشافعي غير مشهور: أن عمر بن عبد العزيز كتب وهو خليفة إلى عامله على خراسان الجراح بن عبد الله بن الحكم يأمره أن يدعو أهل الجزية إلى الإسلام فإن أسلموا قبل إسلامهم ووضع الجزية عنهم وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين فقال له رجل من أشراف أهل خراسان: إنه والله ما يدعوهم إلى الإسلام إلَّا أن توضع عنهم الجزية فامتحنهم بالختان ، فقال: أنا أردهم عن الإسلام بالختان؟ هم لو قد أسلموا فحسن إسلامهم كانوا إلى الطهرة أسرع فأسلم على يده نحو من أربعة آلاف. [الطبقات الكبرى (٥ : ٣٨٦)].

أين هذه الرواية من الرواية الملفقة التي اختلطت بافتراءات المتروك الكذاب علي بن مجاهد =

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيريّ خُراسان

وكان سبب ذلك ـ فيما ذُكر لي ـ أنّ الجرّاح بن عبد الله لما شُكيَ ، واستقدمه عمر بن عبد العزيز ، فقدم عليه عزَله عن خراسان لما قد ذكرت قبل.

ثم إنّ عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان ، قال ـ فيما ذكر عليّ بن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعيّ وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خُراسان ، فقيل له: أبو مجلز لاحق بن حميد. فكتّب فيه ، فقدم عليه ـ وكان رجلاً لا تأخذه العين ـ فدخل أبو مجلز على عمر في جفّة الناس فلم يُثْبتْهُ عمر وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل:

دخل مع الناس ثم خرج ، فدعا به عمر فقال: يا أبا مجلز ، لم أعرفك ، قال: فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله ،

= الكابلي [الطبري (٦ : ٥٥٨)]. وهذا يعني أن هذه الحادثة من مناقب الجراح ثم عمر بن عبد العزيز ثم جوهرة من جواهر التاريخ الإسلامي والحمد لله أولاً وآخراً.

هذا بالنسبة للجراح بن عبد الله ، وأما بالنسبة لغير الجراح فقد حصلت حادثة أخرى مشابهة ولكن في الغرب الإسلامي وبالتحديد في مصر وذلك في عهد عمر بن عبد العزيز يوم أن كان الوالي من قبله هو حيان بن شريح فلعلّ بعض الأخباريين قد خلط بين الروايتين بينما حدثت إحداهما في أقصى الشرق في خراسان والأخرى في مصر في الغرب من العاصمة دمشق وكلا الروايتين من مفاخر التاريخ الإسلامي أما الأولى فقد ذكرناها وأما الثانية فقد أخرج ابن سعد قال: أخبرنا سعيد بن منصور قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن: عن أبيه: أن حيان بن شريح عامل عمر بن عبد العزيز على مصر كتب إليه أن أهل الذمة قد أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية ، فكتب إليه عمر أما بعد: فإن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً فإذا أتاك كتابي هذا فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل. [الطبقات الكبرى (٥ : ٣٨٤)].

ورجال هذا الإسناد ثقات ، وهذا من مناقب عمر بن عبد العزيز وهذه الرواية تدل على أن الأمويين لم يأخذوا الجزية أو لم يعيدوها على من أسلموا وإنما خطر على بال الوالي على مصر أن يفعل ذلك ولكن استأذن الخليفة العادل في ذلك فلم يأذن له. والحمد لله على نعمة الإسناد.

قال: يكافىء الأكفاء، ويعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف لين يحبّ العافية، وتأتي له، قال: الذي يحبّ العافية وتأتي له أحبّ إليّ، فولاه الصّلاة والحرب، وولّى عبد الرحمن القشيريّ، ثم أحد بني الأعور بن قشير الخراج، وكتب إلى أهل خراسان: إني استعملتُ عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أخبرتُ عنهما؛ فإن كان على ما تحبّون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1]. (٦: ٥٦١).

قال عليّ: وحدّثنا أبو السريّ الأزديّ، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

أما بعدُ، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا يأخذك في الله لومة لائم؛ فإنّ الله أولى بك من الناس، وحقّه عليك أعظم، فلا تولِّين شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استُرعِيَ، وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحقّ، فإنّ الله لا تخفى عليه خافية، ولا تذهبنّ عن الله مذهباً؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

قال عليّ: عن محمد الباهليّ وأبي نهيك بن زياد وغيرهما: إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نُعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشيّ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلّب، ووجّه مسلمة سعيدَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف، وليها في شهر رمضان من سنة مئة، وعزل سنة اثنتين ومئة، بعد ما قتل يزيد بن المهلب.

قال عليّ: كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستّة عشر شهراً. (٦: ٥٦١ ـ ٥٦٢).

---

(١) أما المدائني فصدوق وقد رواه عن شيخين. أحدهما: الإمام الحجة المحدث ابن المبارك.

أوّل الـدّعـوة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة ـ أعني سنة مئة ـ وجّه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة مَيْسرة إلى العراق، ووجّه محمد بن خُنَيْس وأبا عكرمة السراج ـ وهو أبو محمد الصادق ـ وحيّان العطار خال إبراهيم بن سلمة إلى خراسان، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكميّ من قِبَل عمر بن عبد العزيز، وأمرهم بالدّعاء إليه وإلى أهل بيته، فلقوا من لقوا، ثم انصرفوا بكُتبِ مَن استجاب لهم إلى محمد بن عليّ، فدفعوها إلى ميسرة، فبعث بها مَيْسرة إلى محمد بن عليّ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليّ اثني عشر رجلاً نُقباء، منهم سليمان بن كثير الخزاعيّ، ولاهز بن قريظ التميميّ، وقحطبة بن شبيب الطائيّ، وموسى بن كعب التميميّ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذُهْل، والقاسم بن مجاشع التميميّ وعمران بن إسماعيل أبو النجم، مولى لآل أبي مُعيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ وطلحة بن رُزَيْق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة. وشِبْل بن طهمان أبو عليّ الهرويّ؛ مولىً لبني حنيفة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة؛ واختار. سبعين رجلاً، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها[١]. (٦: ٥٦٢).

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر. وكذلك قال الواقديّ[٢]. (٦: ٥٦٣).

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم قبلُ ما خلا عامل خراسان؛ فإن عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نُعيم على الصّلاة والحرب، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج[٣]. (٦: ٥٦٣).

---

(١) قلنا: جعل الطبري هذه السنة (١٠٠ هـ) تاريخاً لبداية الدعوة لآل محمد من قبل بني العباس ومن آزرهم وكذلك أرخ جمهور المؤرخين والمتأخرين والله أعلم.

(٢) قلنا: وكذلك قال خليفة في تاريخه (ص ٣٢٧).

(٣) انظر قوائم الولاة فيما بعد.

ثم دخلت سنة إحدى ومئة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
خبر هرب يزيد بن المهلب من سجنه

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز[١]. (٦: ٥٦٤).

خبر وفاة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة توفِّي عمر بن عبد العزيز، فحدّثني أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفي عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومئة.

وكذلك قال محمد بن عمر، حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني عمرو بن عثمان. قال: مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومئة.

وقال هشام عن أبي مخنف: مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سَمْعان في سنة إحدى ومئة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، ومات بدير سَمْعان.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا محمد ب ن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني عمّي الهيثم بن واقد، قال: وُلدتُ سنة سبع وتسعين، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين، فأصابني من قسمه ثلاثة دنانير، وتوفي بخُناصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومئة، وكان شَكْوه عشرين يوماً، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، ودفن بدير سَمْعان.

---

(١) قلنا: أما خليفة فقد ذكر أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حبس يزيد بن المهلب في سنة (٩٩ هـ) وبقي محبوساً حتى مات. [تأريخ خليفة (ص ٣٢٦)].

وقد قال بعضهم: كان له يوم توفّي تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر[١]. (٦ : ٥٦٥).

ذكر بعض سيَره

ذكر عليّ بن محمد أن كليب بن خلف حدّثهم عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل ، عن جدّه ، وعليّ بن مجاهد عن خالد: أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلّب:

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلَفني ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان ، وإنّ الذي ولاّني الله من ذلك وقدّر لي ليس عليّ بهيِّن ، ولو كانت رغبتي في اتّخاذ أزواج واعتقاد أموال ، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليتُ به حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع مَنْ قِبَلنا فبايع من قِبَلك.

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبي عيينة ، فلما قرأه قال: لستُ من عمّاله ، قال: ولم؟ قال: ليس هذا كلام مَنْ مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم. فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا.

قال: ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً[٢]. (٦ : ٥٦٦ ـ ٥٦٧).

---

(١) وقال خليفة بن خياط ـ متحدثاً عن أحداث سنة (١٠١ هـ) حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن مغيرة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان من أرض حمص. . . . وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر. [تاريخ خليفة (ص ٣٢٨)].

وقال الحافظ ابن كثير: مات يوم الجمعة. . . . وقال أيضاً: وقيل في يوم الأربعاء لخمس وقيل لعشر بقين من رجب من هذه السنة ـ أعني سنة إحدَى ومئة ـ عن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل: إنه جاوز الأربعين بأشهر والله أعلم وكانت خلافته (كما ذكر غير واحد) كانت سنتين وخمس أشهر وأربعة أيام. [البداية والنهاية (٧ : ٣٣٧)].

(٢) قلنا: وقد أخرج ابن سعد في طبقاته (٥ : ٣٧٩): أخبرنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا =

قال عليّ: وحدثنا عليّ بن مجاهد، عن عبد الأعلى بن منصور، عن ميمون بن مهران، قال: كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أنّ العَمَل والعلم قريبان، فكن عالماً بالله عاملاً، فإنّ أقواماً علموا ولم يعملوا، فكان علمُهم عليهم وبالاً. (٦: ٥٦٧).

قال وأخبرنا مصعب بن حيّان، عن مقاتل بن حيّان، قال: كتب عمر إلى عبد الرحمن:

أما بعد، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين. (٦: ٥٦٧).

قال عليّ: أخبرنا كليب بن خلف، عن طفيل بن مرداس، قال: كتب عمر إلى سليمان بن أبي السريّ، أن اعمل خانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فاقرُوهم يوماً وليلة، وتعهّدوا دوابّهم، فمن كانت به علة فاقْرُوه يومين وليلتين، فإن كان منقطعاً به فقوّوه بما يصل به إلى بلده.

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان: إن قتيبة غَدَر بنا، وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فائذن لنا فليفد منّا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظُلامنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإنّ بنا إلى ذلك حاجة، فأذن لهم، فوجّهوا منهم قوماً، فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السريّ:

إن أهل سمرقند قد شكَوا إليّ ظلماً أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة.

قال: فأجلس لهم سليمان جُمَيع بن حاضر القاضي الناجيّ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً، فقال أهل السُّغْد: بل نرضى بما كان، ولا نجدِّد حرباً. وتراضوا بذلك،

= محمد بن أبي عيينة المهلبي قال: قرأت رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب: سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أما بعد فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله قبضه الله على أحسن أحواله وأحيانه فرحمه الله.

فقال أهل الرأي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم، وأمِنونا وأمنّاهم، فإن حُكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة، فتركوا الأمر على ما كان، ورضوا ولم ينازعوا.

قال: وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال مَنْ وراء النهر من المسلمين بذراريّهم. قال: فأبوا وقالوا: لا يسعنا مَرْو، فكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمرُ: اللهمّ إني قد قضيت الذي عليّ، فلا تغزُ بالمسلمين، فحسْبُهم الذي قد فتح الله عليهم. (٦: ٥٦٧ ـ ٥٦٨).

قال: وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائيّ ـ وكان قد ولاّه الخراج بعد القُشيْري: إنّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها، فالوالي رُكنٌ، والقاضي ركنٌ، وصاحب بيت المال ركنٌ، والركن الرابع أنا، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمَّ إليّ، ولا أعظم عندي من ثغر خُراسان، فاستوعب الخراج وأحرِزْه في غير ظلم، فإن يك كَفافاً لأعطياتهم فسبيل ذلك، وإلا فاكتب إليّ حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم.

قال: فقدم عُقْبة فوجد خراجهم يفضُل عن أعطياتهم، فكتب إلى عمر فأعلمه، فكتب إليه عمر: أن اقسم الفضل في أهل الحاجة.

وحدّثني عبد الله بن أحمد بن شبّوية، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني سليمان، قال: سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة، عن داود بن سليمان الجُعفيّ، قال: كتب عمر بن عبد العزيز:

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد، سلام عليك؛ أما بعد؛ فإنّ أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجَوْر في أحكام الله وسنّة خبيثة استنّها عليهم عمال السوء، وإن قَوام الدّين العدلُ والإحسان، فلا يكوننّ شيء أهمَّ إليك من نفسك؛ فإنه لا قليل من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر، ولا عامراً على خراب، انظر الخراب فخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رِفْق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرابين، ولا هديّة النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصُّحُف، ولا أجور الفيوج، ولا أجور البيوت، ولا دراهم النكاح، ولا خراجَ على من أسلم من أهل الأرض؛ فاتّبع في ذلك أمري؛ فإني قد وليتك

من ذلك ما ولاّني الله ، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب؛ حتى تراجعَني فيه. وانظر من أراد من الذرّية أن يحجّ ، فعجل له مئة يحجّ بها ، والسلام.

حدّثنا عبد الله بن أحمد بن شبّوية ، قال: حدثني أبي ، قال: حدّثنا سليمان ، قال: حدّثني عبد الله عن شهاب بن شريعة المجاشعيّ ، قال: ألحق عمر بن عبد العزيز ذراريَّ الرّجال الذين في العطايا أقرع بينهم ، فمن أصابته القُرعة جعله في المئة ، ومَنْ لم تُصبه القُرعة جعله في الأربعين ، وقسم في فقراء أهل البصرة كلّ إنسان ثلاثة دراهم؛ فأعطى الزّمنى خمسين خمسين. قال: وأراه رزق الفَطْم.

حدّثني عبد الله ، قال: حدّثنا أبي ، قال: حدّثنا الفُضيل ، عن عبد الله قال: بلغني أنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشأم:

سلام عليكم ورحمة الله ، أمّا بعد؛ فإنه مَنْ أكثر ذكر الموت قل كلامُه ، ومن علم أن الموت حقّ رضي باليسير ، والسلام.

قال عليّ بن محمد: وقال أبو مجْلز لعمر: إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل إلينا الأموال. قال: يا أبا مجلز: قلبتَ الأمر ، قال: يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك؟ قال: بل هو لكم إذا قَصّر خراجكم عن أعطياتكم ، قال: فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض. قال: أحمله إليكم إن شاء الله.

ومرض من ليلته فمات من مرضه ، وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفى عمارة بن أكيْمة الليثيّ ، ويكنى أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين.

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمي ، قال: حدّثنا رجل في مسجد الجُنابذ ، أنّ عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخُناصرة ، فقال: أيّها الناس ،

إنكم لمْ تُخْلَقُوا عَبَثاً ، ولن تُتركُوا سُدى؛ وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر مَنْ خرج من رحمة الله التي وسعت كلّ شيء ، وحُرِم الجنة التي عرضُها السمواتُ والأرضُ ، ألا واعلمُوا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه ، وباع نافذاً بباق ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان. ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلّفها بعدكم الباقون كذلك حتى تردّ إلى خير الوارثين! وفي كلّ يوم تشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبَهُ ، وانقضى أجله ، فتغيّبونه في صَدْع من الأرض ، ثمّ تَدعونه غير موسَّد ولا ممهَّد ، قد فارق الأحبّة ، وخلع الأسبابَ ، فسكن التراب وواجه الحساب ، فهو مرتهَن بعمله ، فقير إلى ما قدّم ، غنيّ عمّا ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه. وايم الله إني لأقولُ لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي؛ فأستغفر الله وأتوب إليه. وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسدّ من حاجته ما قدرتُ عليه ، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددتُ أنه سَدَاي ولحمتي ، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء. وايم الله أن لو أردت غير هذا من الغَضارة والعيش؛ لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنّة عادلة ، يدلّ فيها على طاعته ، وينهى عن معصيته.

ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق وأبكى النَّاس حوله ، ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله.

روى خلف بن تميم ، قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن سعد ، قال: بلَغني أنّ عمر بن عبد العزيز مات ابنٌ له ، فكتب عامل له يعزّيه عن ابنه ، فقال لكاتبه: أجبه عني ، قال: فأخذ الكاتب يبري القلم ، قال: فقال للكاتب: أدقّ القَلم ، فإنه أبقى للقرطاس ، وأوجز للحروف ، واكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد ، فإنَّ هذا الأمر أمرٌ قد كنا وطّنّا أنفسنا عليه ، فلمّا نزل لم ننكره ، والسلام.

روى منصور بن مزاحم ، قال: حدّثنا شعيب ـ يعني ابن صفوان ـ عن ابن عبد الحميد ، قال: قال عمر بن عبد العزيز: مَنْ وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدّى واجب حقِّه؛ فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها.

الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإنّ في القنوع سَعة وبُلْغة وكَفافاً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكلٌّ أمواتٌ عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله! وعاينتم تعجيل إخراجه ، وقسمة تُراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسيّ ، وبابه مهجور ، وكأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتّقوا هول يوم لا تُحْقر فيه مثقال ذرّة في الموازين.

روى سهل بن محمود؛ قال: حدّثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال: حدّثني أبي ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، قال: أمرنا عمرُ أن نشتري موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال: فقال بعض الشعراء:

أَقولُ لما نَعى النَّاعُونَ لي عمَرا ... لا يَبعَدَنَّ قِوامُ العدْل والدِّين

قَدْ غادَرَ القومُ باللحد الذي لحدوا ... بِدَيْر سَمْعَان قسطاسَ الموازِينِ[1]

(٦: ٥٦٨ ـ ٥٧٢).

روى عبد الرحمن بن مهديّ ، عن سفيان ، قال: قال عمر بن عبد العزيز: من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومَنْ لم يعدّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرّضا قليل ، ومُعَوَّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمةً ثم انتزعها منها فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

وقدم كتابُه على عبد الرحمن بن نعيم:

لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تُحدثنّ كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجرّ الشاة إلى مذبحها ، ولا تحدّوا الشَّفرة على رأس الذّبيحة ، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عُذْر. (٦: ٥٧٢).

---

(١) ويؤيد رواية الطبري ما أخرجه ابن سعد (٥: ٤٠٥) قال: أخبرنا حميد بن عبد الرحمن الدواسي ومحمد بن عبد الله الأسدي ومعن بن عيسى والعلاء بن عبد الجبار قالوا: ثنا محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره قبل أن يموت بعشرة دنانير.

روى عفّان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال: حدّثنا أبي ، قال: بلغنا أنّ فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت: اشتدّ علزُه ليلةً ، فسهر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ، فقلتُ له: يا مرثد ، كنْ عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنتَ قريباً منه. ثم انطلقنا فضربنا برؤوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً ، فأيقظته فقلت: يا مرثد ، ما أخرجك؟ قال: هو أخرجني ، قال: يا مرثد؛ اخرج عني! فو الله إني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعته يتلو هذه الآية: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، قال: فدخلت عليه فوجدته قد وجّه نفسه ، وأغمض عينيه[1] . (٦: ٥٧٢ ـ ٥٧٣) .

---

(١) قلنا: والطبري يروي هذا الخبر بإسناد منقطع ، وقد أخرجه ابن سعد من طريق وهب بن جرير بن حازم قال: حدثنا أبي قال: سمعت المغيرة بن حكيم قال: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك كنت أسمع بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه. . . الخبر وفي آخره: فدخلت عليه فإذا هو ميت قد استقبل القبلة وأغمض نفسه ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه.
[الطبقات الكبرى (٥: ٤٠٧)].
قلنا وإسناد ابن سعد إلى فاطمة رجاله رجال الصحيح.

[تسمية عمال عمر بن عبد العزيز]

البصرة: عدي بن أرطأة الفزاري حتى مات عمر.
الكوفة: عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب حتى مات عمر.
خراسان: الجراح بن عبد الله الحكمي ، ثم كتب إليه فاستخلف عبد الرحمن بن نعيم الغامدي.
سجستان: الجراح بن عبد الله ، ثم ضمها إلى عبد الرحمن بن نعيم ، وذلك سنة مئة ، ثم بعث يزيد بن المهلب أخاه مدركاً حين خلع ، فمنعه عبد الرحمن دخولها حتى قتل يزيد.
السند: ولاها عدي بن أرطأة عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع ثم عزله وولى عمرو بن مسلم الباهلي حتى مات عمر.
البحرين: صلت بن حريث بعث إلى عدي منها بخوارج ، ثم عزله عدي وولى عبد الكريم ابن المغيرة أظنه باهلياً.
عمان: عمرو بن عبد الله أبي طلحة الأنصاري.
=

= اليمامة: زرارة بن عبد الرحمن.
مكة: أقر عليها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد حتى مات.
المدينة: أقر عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حتى مات، وزعم عثمان بن عثمان أن محمد بن قيس بن مخرمة قد تولى المدينة لعمر بن عبد العزيز.
اليمن: أقرَّ عليها عروة بن محمد حتى مات.
الجزيرة وأرمينية وأذربيجان: ولى عبد العزيز بن حاتم بن النعمان أرمينية، ثم ولاها عدي ابن عدي، فاستخلف سوادة أبا الصباح بن سوادة الكندي على الجزيرة.
الشامات:
دمشق: عبد بن الحساس العذري.
الأردن: عبادة بن نسيّ الكندي.
فلسطين: النضر بن بريم بن أبرهة بن الصباح.
حمص: يزيد بن حصين السكوني.
قنسرين: الوليد بن هشام بن الوليد بن عقبة.
البلقاء: الحارث بن عمرو طائي.
مصر: أيوب بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح.
إفريقية: عزل عنها محمد بن يزيد، وولى عبد الله بن مهاجر الأنصاري مولى لهم، ثم ولى إسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم، فقدمها سنة مئة، فأسلم عامة البربر في ولايته، وكان حسن السيرة حتى مات عمر.

القضاة

قضاء البصرة: حدثنا عامر بن حفص: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطأة أن اجمع ناساً ممن قبلك فشاورهم في إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني، واستقض أحدهما فجمع عدي ناساً فحلف القاسم أن إياساً أعلم بالقضاء وأصلح له مني، فولاه عدي. فحدثني سهل بن يوسف قال: نا خالد الحذاء قال: قال لي إياس بن معاوية إن هذا الرجل قد بعث إليَّ فانطلقت معه، فدخل على عدي، ثم خرج ومعه حرسي فقال: أبى أن يعفيني، فأتى المسجد، وصلى ركعتين، ثم قال للحرسي: قدِّم. فما قام حتى قضى سبعين قضية، ثم خرج إياس من البصرة في قِصَّةٍ كانت، فولى عدي الحسن بن أبي الحسن.
قضاء الكوفة: القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود.
قضاء المدينة: أبو طوالة واسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم حتى مات عمر.
الموسع: سنة تسع وتسعين أبو بكر بن عمرو بن حزم، وسنة مئة أبو بكر أيضاً.

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيها ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد؛ ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وولاّها عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهريّ ، فقدمها ـ فيما زعم الواقديّ ـ يوم الأربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبدُ الرحمن سلمةَ بن عبد الله بن عبد الأسد المخزوميّ[١] .

بويع له بعهدٍ من أخيه سليمانَ بن عبدِ الملكِ ، أن يكونَ وليَّ العهدِ من بعدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فلمّا توفِّي عمرُ في رجبٍ من هذه السنةِ ـ أعني سنةَ إحدى ومئةٍ ـ بايعه الناسُ البيعةَ العامَّةَ ، وعمرُه إذ ذاك تسعٌ وعشرون سنةً ، فعزَل في رمضانَ منها عن إمرةِ المدينةِ أبا بكرِ بنَ محمدِ بنِ عمرٍو بن حزمٍ ، وولّى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس [البداية والنهاية ٧/ ١٨٠] .

خبر خلع يزيد بن المهلّب يزيدَ بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلّب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عديّ بن أرطاة الفزاريّ ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة :

قد مضى ذكر خبَر هرب يزيد بن المهلّب من محبسه الذي كان عمر بن

(١) وكذلك أرخ خليفة لتولية يزيد بن عبد الملك ضمن أحداث سنة ١٠١هـ [خليفة/ ٢٠٦] وأخرج ابن عساكر بسنده عن سعد بن إبراهيم قال استخلف يزيد بن عبد الملك يوم توفي عمر يعني لست بقين من رجب سنة إحدى ومئة [تاريخ دمشق/ ٦٥/ ٣١٠] .
وأما عزل أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وتولية المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فكذلك أرخ له خليفة في تأريخه/ ص ٢١٣ .

عبد العزيز حبسه فيه ، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة - أعني سنة إحدى ومئة.

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عديّ بن أرطأة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتهيأ لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته (١).

قال أبو جعفر: وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضّحاك بن قيس الفهريّ ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر. وكذلك قال محمد بن عمر.

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد. وكان على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشَّعبيّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد بن المهلّب ، وكان على خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيم (٢).

ثم دخلت سنة اثنتين ومئة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من مَسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إيّاهما لحربه.

* * *

وفيها قتل يزيد بن المهلّب ، في صَفر (٣).

---

(١) وقال خليفة بن خياط: وفي سنة إحدى ومئة دخل يزيد بن المهلب البصرة ليلة البدر في شهر رمضان فحاربه عدي بن أرطاة وهو أمير البصرة [تأريخ خليفة/ ٢٠٦] وانظر الحاشية رقم (١) وتعليقنا على الخبر في الصفحة التالية.
فستتحدث عن روايات مقتله ضمن أحداث سنة ١٠٢ هـ.

(٢) لقد وافق خليفة بن خياط الطبري في أسماء الولاة على هذه الأمصار ضمن أحداث سنة ١٠١ هـ [تأريخ خليفة/ ٢٠٧].

(٣) وكذلك أرّخ خليفة لمقتله بسنة ١٠٢ هـ في يوم الجمعة [تأريخ خليفة/ ٢٠٨] وأخرج خليفة =

= رواية في ذلك: حدثني شهاب قال حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال شهدت دار الإمارة بواسط يوم جاء قتل يزيد بن المهلب، ومعاوية بن يزيد قاعد، فأتي بعدي بن أرطأة وابنه محمد بن عدي ومالك وعبد الملك ابني مسمع والقاسم بن مدلم وعبد الله بن عمر النصري فضرب أعناقهم [تأريخ خليفة/ ٢٠٩] وقال الذهبي في ترجمة يزيد بن المهلب: قتل في صفر سنة اثنتين ومئة [تأريخ الإسلام/ حوادث ١٠١ ـ ١٢٠ هـ ص ٢٨٣].
وقال ابن كثير ضمن حديثه عن وقائع سنة ١٠٢ هـ «ففيها كان اجتماع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب» البداية والنهاية [٧/ ١٨١].
ولقد ذكر الطبري روايات عدة ذكر فيها تفاصيل هذه الوقعة وكلها من طريق التالف الهالك أبي مخنف ولم نجد لتفاصيلها ما يؤيدها ولعل الشيء الذي وافق فيه أبو مخنف الرواية الصحيحة أن الإمام التابعي الحسن البصري كان معارضاً لخروج يزيد بن المهلب ولكنه لم يستطع أن يذكر هذه الحقيقة مجرداً بل لفّق بجنبها أموراً غير صحيحة ونسبها إلى الحسن البصري، والبصري منها براء ومنها أن الحسن لعن بني أمية كذلك وسبّهم وشتمهم وأعلن أنه لامع هؤلاء ولامع هؤلاء بينما الرواية الصحيحة (كما سنذكر بعد قليل) تؤكد أنه كان يدعو الناس إلى الصبر وعدم الخروج وخاصة بعد أن انعقدت البيعة ليزيد بن عبد الملك وبايعه العامة بعد بيعة أهل الحل والعقد.
فقد أخرج البلاذري «حدثني أبو الربيع الزهراني ثنا حماد بن زيد عن كلثوم بن جبر قال: قلت للحسن: إن أكرهني يزيد بن المهلب على الخروج معه فهل عليّ؟ قال: تناشده قلت: فإن أبى قال: فكن عبد الله المقتول قال: فخرجت إلى مكة فسألت مجاهداً فقال لي مثل قول الحسن» [جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٣١٣/ ٣٥٠١].
وأخرج البلاذري حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا أبو داود الطيالسي ثنا شعبة عن الحسن أنه قال في يزيد بن المهلب «كلما نعر لهم ناعر اتبعوه هذا عبد الله بن المهلب» ـ [كتاب جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٣٠٩/ ٣٤٩٧] وهذا إسناد صحيح.
وأخرج البلاذري: وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا وهب بن جرير بن حازم ثنا عمر بن يزيد قال: سمعت الحسن أيام المهلب يقول: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا لم يلبثوا أن يفرّج الله عنهم ـ [٨/ ٣٠٩/ ٣٤٩٧].
ولذلك صحّ قول الحافظ ابن كثير رحمه الله [وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرّض الناس على الكفّ وترك الدخول في الفتنة وينهاهم أشدّ النهي وذلك لما وقع من الشرّ الطويل العريض في أيام ابن الأشعث وما قتل بسبب ذلك من النفوس العديدة وجعل الحسن يخطب الناس ويعظم في ذلك ويحرّضهم على الكف» البداية والنهاية [٧/ ١٨١].

ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حَرْب يزيد بن المهلب ، جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخُراسان في هذه السنة ، فلما ولّاه يزيد ذلك، ولّى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب ـ فيما قيل ـ شبيبُ بن الحارث التميميّ ، فضبطها ، فلمّا ضُمّت إلى مسلمة بعث عاملاً سنة ١٠٢ . عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبيّ، وعلى شُرْطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميميّ[1] .

ذكر استعمال مسلمة سعيد خذينة على خراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجّه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وهو الذي يقال له سعيد خُذينة[2] .

عزل مسلمة عن العراق وخراسان

وفي هذه السنة عُزِل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام[3] .

---

(١) قال خليفة «حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن المغيرة عن أبيه وأبو اليقظان وغيرهم قالوا: جمع يزيد بن عبد الملك لأخيه مسلمة العراق سنة إحدى ومئة في آخرها أو في أول سنة اثنتين ومئة وعزله آخر سنة أو أول سنة ثلاث ومئة فكان على شرط مسلمة بالكوفة قطن بن حبّة الكلبي وعلى شرط الكوفة العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي وعلىٰ شرط البصرة عبد الرحمن بن سليم الكلبي» [تأريخ خليفة/ ٢١٠].
قلت وهذه طرق تتعاضد ببعضها وتؤيد ما ذكره الطبري سوى أشياء يسيرة.
وكذلك أرخ ابن كثير لولاية مسلمة على العراق وخراسان بسنة ١٠٢ هـ [البداية/ ٧/ ١٨٢].

(٢) وقد وافق خليفة بن خياط الطبري في هذا فقال «وفي سنة اثنتين ومئة بعث مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز على خراسان» [تأريخ خليفة ـ ٢١٠].
وقد ذكر الطبري سبباً لتسميته بـ (خذينة) ولا يصح ذلك سنداً ويخالف متنه ما يرويه الطبري في مكان آخر كما هو مبيّن في قسم الضعيف. [وانظر البداية والنهاية ٧/ ١٨٢].

(٣) سبق أن ذكرنا رواية خليفة المسندة التي تذكر تولية مسلمة ومن ثم عزله وهي كالآتي: =

ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية

وفيها ـ أعني سنة اثنتين ومئة ـ قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها[(١)].

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن مُعيَّة بن سكين بن خَديج بن مالك بن سعد بن عديّ بن فزارة على العراق وخراسان.

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك؛ كذلك قال أبو معشر والواقديّ[(٢)].

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضّحّاك، وعلى مكة عبد العزيز ابن عبدالله بن خالد بن أسيد. وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة، وعلى

= «حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن مغيرة عن أبيه وأبو اليقظان وغيرهم قالوا: جمع يزيد بن عبد الملك لأخيه مسلمة العراق سنة إحدى ومئة في آخرها أو في أول سنة اثنتين ومئة وعزله آخر سنة أو أول سنة ثلاث ومئة... إلخ الرواية» [تأريخ خليفة/ ٢١٠] ولقد ذكر الطبري في سبب عزله كلاماً دون إسناد وأيّاً كان السبب فهذا العزل منقبة من مناقب الخليفة لأنه عامل شقيقه معاملة أيّ والٍ آخر في التعيين أو العزل.

(١) هذا الخبر لم يذكر الطبري إسناده، يؤيده ما ذكره المؤرخ المتقدم خليفة بن خياط ضمن أحداث سنة (١٠٢هـ) «وفيها وثب الجند على يزيد بن أبي مسلم فقتلوه. فحدثني أبو اليقظان عن الوضاح بن خيثمة قال: حدثني داود بن أبي هند قال حدثني محمد بن يزيد الأنصاري قال: بعثني عمر بن عبد العزيز حين ولي فأخرجت من في السجون من حبس سليمان ما خلا يزيد بن أبي مسلم، فنذر دمي، فلما مات عمر ولاه يزيد بن عبد الملك أفريقية وأنا بها، فأخذت فأتي بي في شهر رمضان عند الليل فقال محمد بن يزيد؟ فقلت: نعم. قال الحمد لله الذي أمكن منك بلا عهد ولا عقد فطال ما سألت الله أن يمكنني منك. قلت: وأنا طال ما سألت الله أن يعيذني منك. قال: فو الله ما أعاذك الله مني ولو أن ملك الموت سابقني إليك لسبقته. قال وأقيمت المغرب قال: فصلى ركعة فثار به الجند فقتلوه وقالوا: خذ أيّ الطريق شئت» [تأريخ خليفة / ٢٠٩ /] وانظر البداية والنهاية [٧/ ١٨٣].

(٢) وأما الإمرة على العراق وخراسان فسنذكر ما يؤيدها بعد ذكرنا لوفاة الخليفة كالعادة. وأما حجّ عبد الرحمن بن الضحاك في هذه السنة كما نقل الطبري عن أبي معشر والواقدي فقد أيده خليفة كذلك بقوله ضمن ذكره لأحداث سنة ١٠٢ هـ «وأقام الحجّ عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري» [تأريخ خليفة/ ٢١٠].

قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خُذينة ، وعلى مصر أسامة ابن زيد(١).

ثم دخلت سنة ثلاث ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

عزل سعيد خذينة عن خراسان(٢)

قال الطبري : وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها رسلة(٣).

وفيها ضمّت مكة إلى عبدالرحمن بن الضحاك الفهريّ ، فجمعت له مع المدينة.

وفيها ولى عبد الواحد بن عبد الله النضريّ الطائف ، وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة(٤).

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهريّ ، كذلك قال أبو معشر والواقدي(٥).

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضْريّ ، وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشيّ من قِبَل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن

---

(١) راجع قوائم الولاة في نهاية عهد يزيد بن عبد الملك.

(٢) ووافق خليفة بن خياط الطبري في هذا [انظر تأريخ خليفة/ ٥١٤] وانظر قوائم الولاة فيما بعد وكذلك أرخ ابن كثير لهذا العزل والتولية [٧/ ١٨٣] البداية والنهاية.

(٣) وقال خليفة وفيها (١٠٣ هـ) غزا العباس بن الوليد أرض الروم [تأريخ خليفة/ ٢١١].

(٤) انظر قوائم الولاة بعد نهاية عهد يزيد بن عبد الملك.

(٥) وكذلك قال خليفة «وأقام الحج عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري» [خليفة/ ٢١١] و[البداية والنهاية ٧/ ١٨٣].

مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى[1] .

* * *

استعمال ابن هبيرة سعيداً الحَرشيّ على خراسان

وفيها استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحَرشيّ على خراسان.

ذكر الخبر عن سبب استعماله الحَرَشيّ على خراسان:

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه أنّ ابن هبيرة لما ولي العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلَى يوم العَقْر ، ولم يذكر الحَرشيّ ، فقال يزيد بن عبد الملك: لِمَ لم يذكر الحرشيّ؟ فكتب إلى ابن هبيرة: وَلِّ الحرشيّ خراسان. فولاّه ، فقدم الحرشيّ على مقدمته المجشّر بن مزاحم السلميّ سنة ثلاث ومئة ، ثم قدم الحَرَشيّ خراسان ، والناس بإزاء العدوّ ، وقد كانوا نُكبوا ، فخطبهم وحثّهم على الجهاد ، فقال: إنكم لا تقاتلون عدوّ الإسلام بكثرةٍ ولا بعُدّة ، ولكن بنصر الله وعزّ الإسلام ، فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله وقال:

فلَسْتُ لعامرٍ إنْ لم تَروني ... أمامَ الخَيلِ أطعَنُ بالعوالي
فأَضربُ هامَةَ الجَبَّارِ منهُمْ ... بعَضْب الحدِّ حودِثَ بالصَّقالِ
فما أنا في الحُروبِ بُمُستكينٍ ... ولا أخشى مُصاوَلَةَ الرِّجالِ
أبَى لي والدِي من كلِّ ذَمٍّ ... وخالِي في الْحوادِثِ خَيْرُ خال
إذَا خَطَرتْ أَمامي حيُّ كَعْب ... وزَافَتْ كالجِبالِ بنُو هِلال[2]

---

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية أحداث سنة ١٠٥ هـ.

(٢) وقال خليفة ضمن حديثه عن وقائع سنة (١٠٣) هـ فيها جمع يزيد بن عبد الملك لعمر بن هبيرة الفزاري فعزل عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص
وولّي سعيد بن عمرو الحرشي فكفرت الصفر وساروا بأهاليهم وأموالهم وسار إليهم سعيد بن عمرو الحرشي فسألوه الصلح على أن يرجعوا إلى بلادهم ويؤدوا الجزية فخرج بعضهم وبقي بعضهم ثم خرجوا على الناس يضربونهم يميناً وشمالاً فقتلهم سعيد عن آخرهم» تأريخ خليفة/ ٢١٠].
[وانظر البداية والنهاية ٧/ ١٨٣].

ثم دخلت سنة أربع ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عن المدينة ومكة وذلك للنصف من شهر ربيع الأول وكان عامله على المدينة ثلاث سنين.

وفيها ولّى يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النضري(١).

وولي المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بشر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم والٍ أحبّ عليهم منه ـ وكان يذهب مذاهب الخير لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالماً(٢).

وفي هذه السنة غزا الجراح بن عبد الله الحكمي وهو أمير على أرمينية وأذربيجان أرض الترك ففتح على يديه بلنجر(٣).

---

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) وافق خليفة في هذا الطبري فقال ضمن حديثه عن أحداث سنة (١٠٤) هـ تحت عنوان: ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر: وفيها عزل يزيد بن عبد الملك معلق بن صفار عن أرمينية وولاها الجراح بن عبد الله الحكمي فغزا الجراح فافتتح بلنجر يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع ومئة ثم لقي الجراح ابن خاقان دون الباب فرسخين على نهر أرّان فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم ابن خاقان وتبعهم المسلمون يقتلونهم فقتلوا جمعاً كثيراً وسبوا. . . . ثم أخرج خليفة رواية فقال: فحدثني أبو خالد عن أبي البراء النميري قال: سأل أهلها الجراح الصلح على أن يحولهم وينزلهم رستاق حيزان فحوّلهم ثم سار إلى رستاق يزغوا فأقام أياماً وسألوه الصلح على أن يحولهم إلى رستاق ميلة. قال أبو البراء: أخبرني سوادة ـ وكان شيخاً صدوقاً ـ قال النافع الجراح ببلنجر فخرج رجل من المسلمين فقال: من يشري لله نفسه فأجابته جماعة ما بلغت عدتهم ثلاثين رجلاً فكسروا جفون سيوفهم وشدّوا على عجل الربض فأجلوا الرجال عنها وأخذوا عجلة، وكانت العجل موصولة بعضها ببعض فلما انحدرت العجلة تبعها بقية العجل حتى صارت كلها في عسكر المسلمين وهي نحو من ثلاثمئة عجلة ثم شدّوا على أهل بلنجر فخرج القوم من الباب وأفلت صاحب بلنجر على ظهر برذونه واستولى الجراح على بلنجر ثم سار الجراح إلى الأتراك وهم أربعون أهل بيت فسألوه الموادعة على أن يكونوا معه على الخزر فقبل ذلك منهم وسار إلى ورثان [تأريخ خليفة/ ٢١٢]=

ولاية مسلم بن سعيد على خراسان

وفي هذه السنة ولّى عمرُ بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة بن عمرو بن خُوَيْلد الصّعق خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو الحَرَشيّ عنها.

ذكر الخبر عن سبب توليته إياها:

ذكر عليّ بن محمد أنّ أبا الذيّال وعليّ بن مجاهد وغيرهما حدّثوه، قالوا: لما قتل سعيد بن أسلم ضمّ الحجّاج ابنَه مسلم بن سعيد مع ولده، فتأدّب ونبُل، فلما قدم عديّ بن أرطاة أراد أن يولّيَه، فشاور كاتبه، فقال: ولّه ولايةً خفيفة ثم ترفعه، فولاّه ولاية، فقام بها وضبطها وأحسن؛ فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام، فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يولّيَه ولاية، فدعاه ولم يكن شاب بعد، فنظر فرأى شيبةً في لحيته، فكبّر[1].

= وانظر تأريخ الإسلام للذهبي حوادث ووفيات ١٠١ ـ ١٢٠ هـ ص ١٢ إذ قال ضمن حديثه عن وقائع سنة ١٠٤ هـ «وفيها كانت وقعة نهر الرّان فالتقى المسلمون والكفار وعلى المسلمين الجرّاح بن عبد الله الحكمي وعلى أولئك ابن الخاقان وذلك بقرب باب الأبواب ونصر الله الإسلام وركب المسلمون أقفية الترك قتلاً وأسراً وسبياً» وانظر البداية والنهاية [٧/ ١٨٤].

(١) ذكر الطبري هذه الرواية من طريق المدائني الصدوق بسندين أحدهما عن أبي الذيال وهو صدوق ولقد ذكرنا سابقاً أن الطبري اطلع على كتب المدائني ومروياته وحفظها عن طريق شيوخ ثقات كعمر بن شبة وغيره، ومن باب التساهل في قبول روايات التأريخ وبالشروط التي ذكرنا فقد بدأنا بقبول قول الطبري ذكر المدائني عن فلان عن فلان وذلك ابتداءً من تأريخ القرن الهجري الثاني أي بعد (١٠١) هـ والاحتمال الآخر قائم وهو أن الطبري اطلع على كتب ومرويات أخرى للمدائني من دون إجازة فيقول ذكر المدائني إذا ذكر الطبري الرواية عن المدائني معضلاً (أي من قوله) لم نقبله في الصحيح وإذا ذكره مسنداً موصولاً من طريق رواة ثقات قبلناه في الصحيح إن لم يخالف ما هو أصح منه وكذلك إذا كان مروياً مرسلاً ولكنه متعدد المخارج والله أعلم.

وما ذكره خليفة يوافق ماذكره الطبري هنا ويؤيده. قال خليفة «خراسان: كان بها عبد الرحمن بن نعيم الغامدي فلما خلع. . . . إلى أن قال ثم عزله وولّى سعيد بن عمرو الحرشي سنة ثلاث ومئة ثم عزله وولّى مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي سنة أربع ومئة» تأريخ خليفة/ ٢١٤ وانظر البداية والنهاية [٧/ ١٨٤].

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النَّضْريُّ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقديّ[١].

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبدُ الواحد بن عبد الله النَّضْريّ، وعلى العراق والمشرق عمر بن هُبيرة، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكِنديّ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يَعْلَى[٢].

ثم دخلت سنة خمس ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ اللّان؛ حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون من وراء بَلَنْجَر، ففتح بعض ذلك، وجلّى عنه بعض أهله، وأصاب غنائم كثيرة[٣].

ذكر موت يزيد بن عبد الملك

وفي هذه السنة مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان، لخمس ليال

---

(١) ووافق خليفة ما ذكره الطبري عن أبي معشر والواقدي فقال «وأقام الحج (في سنة ١٠٤) عبد الواحد بن عبد الله النضري» تأريخ خليفة/ ٢١٢ وانظر البداية والنهاية [٧/ ١٨٤].

(٢) انظر قوائم الولاة فيما بعد.

(٣) وكذلك أرّخ خليفة لهذه الواقعة «وفيها غزا الجراح بن عبد الله اللان حتى أتىٰ مدائن من وراء بلنجر فافتتح بعضها وأجلى بعضها وقتل وغنم، وذلك سنة خمس ومئة» [تأريخ خليفة/ ٢١٣].

ولكن خليفة ذكر ضمن أحداث هذه السنة ما لم يذكره الطبري هنا فقال: وفيها زحف جابان في جمع كثير من الترك نحو أرمينية وزحف الجراح بن عبد الله الحكمي فالتقوا بموضع يقال له ـ الزم ـ بين الكر والرسى في شهر رمضان فاقتتلوا أياماً ثم هزم الله المشركين. قال أبو خالد قال أبو البراء حدثني مالك بن أدهم قال: كنا مع الجراح فقاتلناهم حتى حجز الليل بيننا وفتح الله على المسلمين» [خليفة/ ٢١٣] فقال الذهبي: «وفيها (١٠٥ هـ) زحف الخاقان وخرج من الباب في جمع عظيم من الترك وقصد أرمينية فسار إليه الجراح الحكمي فاقتتلوا أياماً ثم كانت الهزيمة على الكفار وذلك في شهر رمضان». تأريخ الإسلام.

بقين من شعبان منها؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقديّ.

وقال الواقديّ: كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق ، وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة:

وقال بعضهم: كان ابنَ أربعين سنة.

وقال بعضهم: ابن ست وثلاثين سنة؛ فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن محمد وعليّ بن محمد أربعَ سنين وشهراً ، وفي قول الواقديّ أربع سنين.

وكان يزيد بن عبد الملك يكنَّى أبا خالد؛ كذلك قال أبو معشر وهشام بن محمد والواقديّ وغيرهم.

وقال عليّ بن محمد: توفِّي يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة خمس ومئة.

وقال: ومات بإربَد من أرض البلقاء ، وصلّى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بحِمْص؛ حدثني بذلك عمر بن شبّة ، عن عليّ.

وقال هشام بن محمد: توفّي يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[1].

---

(١) لقد ذكر الطبري رحمه الله مختلف الآراء الواردة في تحديد عمر الخليفة يزيد بن عبد الملك وتحديد مدة خلافته والسنة التي توفي فيهما مع ذكر الشهر واليوم ومكان وفاته رحمه الله تعالى.
ولا خلاف بين المؤرخين في سنة وفاته (أي ١٠٥ هـ).
وقد لخّص المؤرخ المتقدم خليفة ما ورد في ذلك بإسنادين يؤيد أحدهما الآخر «فحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن المغيرة عن أبيه وغيرهم أن يزيد بن عبد الملك ـ أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ـ ولد بدمشق سنة إحدى أو اثنتين وسبعين ، ومات بإربد من بلاد البلقاء يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومئة ، صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع أو ثلاث وثلاثين وكانت ولايته أربع سنين وشهراً» [تأريخ خليفة/ ٢١٣]. =

= وهذه الرواية توافق ما ذكره الطبري عن أبي معشر والواقدي في تأريخ وفاته والله أعلم.
وأخرج ابن عساكر روايات عدة تؤيد ما ذكره الطبري من تأريخ وفاته فقد أخرج عن أبي حفص الفلاس وأبي عمر الضرير ومحمد بن يزيد وغيرهم أنه توفي سنة خمس ومئة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه وأن ولايته كانت أربع سنين وشهراً [تأريخ دمشق/ المجلد ٦٥/ تر ٨٣١٣] وقال ابن كثير وكانت خلافته أربع سنين وشهراً على المشهور [البداية والنهاية ٧/ ١٨٥].
لقد دأبنا ومنذ بداية تخريجنا لروايات هذا القسم من تأريخ الطبري أن نذكر أسماء الولاة والقضاة كما ذكرها خليفة بن خياط في نهاية عهد كل خليفة ولقد وافق خليفة في جلّها ما ذكره الطبري فاتفاقهما يؤكد صحة هذه الأسماء والمناصب، إلا أن الطبري يفرّقها بين السنين وخليفة يذكرها مجتمعة في نهاية سيرة كل خليفة - وما نذكره عن خليفة توثيق لمعلومات الطبري - قال خليفة في تأريخه ضمن حوادث سنة ١٠٥هـ:

تسمية عمال يزيد بن عبد الملك

المدينة: عزل عنها أبا بكر بن حزم وولاّها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري سنة إحدى ومئة. ثم عزله وولّى عبد الواحد بن عبد الله من بني نصر بن معاوية سنة أربع ومئة فلم يزل عليها حتى مات.
مكة: عزل عنها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد فضمّها مع الطائف إلىٰ عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس سنة ثلاث ومئة ثم عزله وضمها مع الطائف إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري سنة أربع ومئة حتى مات يزيد.
اليمن: أقرّ عليها عروة بن محمد.
البصرة: خلع يزيد بن المهلب، فقدم البصرة ليلة القدر من شهر رمضان سنة إحدى ومئة. وبها عديّ بن أرطاة، فظهر عليها يزيد فحبسه ثم سار إلى واسط، واستخلف على البصرة أخاه مروان بن المهلب، فلما قتل يزيد - وذلك سنة اثنتين في صفر - تراضى أهل البصرة بشبيب المازني أبي عيسى بن شبيب، ثم قدَّم مسلمة بن عبد الملك وهو على العراق عبد الرحمن بن سليم الكلبي مسلحة، ثم ولّى مسلمةُ عبد الملك بن بشر بن مروان، ثم ولّى يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة الفزاري العراق، فقدم سنة ثلاث ومئة، فولى البصرة سعيد بن عمرو الحرشي، ثم حسان بن عبد الرحمن بن مسعود الفزاري من أهل دمشق، ثم فراس بن سمي الفزاري وهو زوج أم عمر بن هبيرة حتى مات يزيد.
الكوفة: مات عمر بن عبد العزيز وعليها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب =

= فأقرّه يزيد بن عبد الملك ، ثم عزله مسلمة بن عبد الملك وهو والي العراق وولّاها محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، ثم عزله ابن هبيرة سنة ثلاث ومئة وولى الصعر بن عبد الله من مرة غطفان حتى مات يزيد بن عبد الملك.
خراسان: كان بها عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، فلما خلع يزيد بن المهلب بعث أخاه مدركاً فمنعه عبد الرحمن من الدخول ، فلما قدم مسلمة على العراق بعث سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، فأقرَّه ابن هبيرة ، ثم عزله وولّى سعيد بن عمرو الحرشي سنة ثلاث ومئة ثم عزله وولّى مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي سنة أربع ومئة.
سجستان: ولّاها يزيد بن عبد الملك القعقاع بن سويد من بني منقر بن عبيد من أهل الكوفة ، فعزله ابن هبيرة وولّى السيال بن المنذر بن عوف بن النعمان.
السند: مات عمر وعليها عمرو بن مسلم ، ثم ولّاها يزيد بن المهلب فلاناً الشيباني حين غلب على البصرة يزيد بن وداع بن حميد الأزدي ، فلم يزل عليها حتى قدم عيها هلال بن أحوز من قبل مسلمة بن عبد الملك ، وذلك سنة اثنتين ومئة ، ثم ولّاها ابن هبيرة سنة ثلاث ومئة عبيد الله بن علي السلمي ، ثم عزله وولّى عبد الحميد بن عبد الرحمن من مرة غطفان حتى مات يزيد بن عبد الملك.
البحرين واليمامة: ردّ عليها إبراهيم بن عربي.
أرمينية: ولّاها يزيد بن عبد الملك معلق بن صفار بن فلحس بن جنب الجمار بن موقد النار البهراني من أهل حمص سنة ثلاث ومئة ، ثم عزله سنة أربع ومئة ، وولّى الجراح بن عبد الله الحكمي.
الجزيرة: فايد بن محمد الكندي ، والعرس بن قيس بن شعبة بن الأرقم الكندي.
أفريقية: يزيد بن أبي مسلم في ذي القعدة سنة إحدى ومئة فقتل بها ، فولّى يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان سنة اثنتين ومئة ثم خرج بشر وافداً إلى يزيد بن عبد الملك ، واستخلف يحيى بن ماعصة الكلبي سنة خمس ومئة فقدم وقد مات يزيد.
مصر: بشر بن صفوان الكلبي ، ثم ولّاه أفريقية.

القضاة

قضاء البصرة: ولّى مسلمة بن عبد الملك البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، فاستقضى عبد الملك بن بشر النضر بن أنس بن مالك ، ثم ولّى مسلمة بن عبد الملك موسى بن أنس بن مالك سنة اثنتين ومئة ، ثم قدم ابن هبيرة فولّى عبد الملك بن يعلى سنة ثلاث ومئة.
الكوفة: أقرَّ عليها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، ثم عزله سنة ثلاث واستقضى الحسين بن الحسن الكندي.
المدينة: ولّاها يزيد عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فاستقضى مسلمة بن عبد الله بن سلمة المخزومي ، ثم ولي البصرة سنة أربع فاستقضى عبد الواحد بن عبد الله النضري =

= سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ثم عزله وولّى سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت حتى مات يزيد.
الموسم: سنة إحدى واثنتين وثلاث ومئة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، وسنة أربع عبد الواحد النضري.
الصائفة: عبد الرحمن بن سليم الكلبي حتى مات يزيد.
الشرط: كعب بن حامد العبسي حتى مات.
الخراج والجند والرسائل: «صالح بن جبير الغداني ثم عزله وولّى أسامة بن زيد» مولى لأهل اليمن.
الخاتم والخزائن وبيوت الأموال: مطير مولاه.
قال حاتم بن مسلم: على الخاتم أسامة بن زيد.
الحرس: غيلان ختن أبي معن.
قال حاتم: وعلى الحرس أبو مالك السكسكي.
حاجبه: خالد مولاه. [تأريخ خليفة بن خياط/ ٢١٣ ـ ٢١٥].

الجدل الدائر حول شخصية الخليفة يزيد بن عبد الملك وسيرته

بعد مراجعتنا المتكررة ودراستنا الحثيثة وبإشراف أساتذتنا الأفاضل توصّلنا إلىٰ نتيجة تُسرُّ كل باحث جاد وملتزم يروم الوصول إلىٰ الحقيقة التأريخية ، والنتيجة هي أن يزيد بن عبد الملك هو الخليفة المفترىٰ عليه من قبل المتروكين والوضاعين والكذابين الذين ألّفوا حول سيرته الشائعات فجمعها الجمّاعون حتى وصلت إلى أمهات كتب التأريخ وهي تلفيقات لا أصل لها وسنتطرق إليها واحدة تلو الأخرى:
أولاً: قصة تعلّق يزيد بن عبد الملك بالجاريتين حبابة وسلامة قصة غير صحيحة سنداً ولا متناً وللأسباب الآتية:
أ ـ لم ترد من طريق مسند موصول صحيح ولا حسن ولا من مظان الحسن ولا خفيف الضعف.
وأصلها في مصدرين تأريخيين متقدمين الأول تأريخ الطبري وقد أخرجه الطبري معضلاً عن المدائني ، والمدائني ولد بعد وفاة يزيد بن عبد الملك بربع قرن من الزمان أو أكثر ـ والمصدر الثاني هو أنساب الأشراف للبلاذري الذي روىٰ هذا الخبر من طريق متروكين كذابين كابن جعدية والهيثم بن عدي وغيرهما فكيف نعتمد على وضاعين ومتروكين في إثبات هذه التهمة على خليفة حكم الأمة لسنين ولم نسمع عالماً من علماء الأمة كالحسن البصري وغيره يذكر هذه الحادثة علماً بأن العلماء لم يتوانوا عن نهي الأمراء عن المنكر وتنبيههم إلىٰ كل مخالفة شرعية ، والروايات التأريخية شاهدة على ذلك بل إن كثيراً من هؤلاء العلماء تعرضوا للسجن أو الضرب لكثرة انتقادهم للأئمة الظلمة فكيف سكتوا عن هذه=

= المسألة ولم يذكرها إلا الرواة المتروكون أو الكذابون الهالكون وكذلك أخرج ابن عساكر رواية هذه القصة من طرق لا تخلو من مجهول أو مجهولين.
ب ـ هذه الروايات المكذوبة تذكر أنه رحمه الله توفي كمداً وهماً وغمّاً على وفاة تلك الجارية بينما الرواية التأريخية المسندة الموصولة عند ابن عساكر تذكر أنه مات بالسلّ، والسلّ مرض عضوي عبارة عن التهاب الرئتين بالجرثومة المعروفة ـ وأعراضها معروفة لدى الناس وخاصة أنها كانت يومها مستعصية على العلاج [انظر تأريخ دمشق/ مجلد٥٦/ ٨٣١٣].
ج ـ لماذا كل هذا التبذّل والتمسكن والمذلة من خليفة يحكم شطر العالم ومن أجل جارية؟ وباستطاعة الخليفة أن يتزوج أجمل منها وأحسن منها وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الذي تتمناه كل فتاة جميلة ومن أرفع وأنبل العوائل ـ ألا إنه خيال المتروكين الذين لم يكن لهم همّ إلاّ الوضع في مثالب أئمة المسلمين.
د ـ وأخيراً فإن المصادر التأريخية كلها تشهد بأن الخليفة يزيد بن عبد الملك واجه أكبر خطرين هددا الخلافة يومها. الأول: هو الخطر الداخلي الذي تمثل بحركة التمرد التي قادها يزيد بن المهلب الذي استولى على البصرة وأرسل نوابه في الأصقاع (الكوفة ـ واسط ـ خراسان ـ الأهواز) واشتدت شوكته فجرد له الخليفة جيشاً بقيادة أخيه مسلمة ودحره دحراً مبيناً.
وأما الخطر الثاني: فهو خطر الأقوام المتاخمة لحدود الخلافة في الشمال الشرقي سواء كانوا تركاً أو صغداً أو من عاونهم وقد جرّد لهم الجيوش القوية وخاض المسلمون في عهده غمار حروب دامية هناك انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة أعدائهم شرّ هزيمة ولو كان الخليفة يزيد غارقاً في اللهو والحب والهيام والغرام فكيف استطاع أن يحزم أمره ويواجه تلك المصاعب الداخلية والخارجية في آن واحد وأن يقود الأمة إلى برّ الأمان ويسلّمها إلى الخليفة الحازم العادل من بعده هشام بن عبد الملك؟ ولا نقول أكثر من هذا في ردّ هذه الشبهة.
ثانياً: التغييرات الإدراية (من عزل وتنصيب) والتي قام بها يزيد بن عبد الملك كانت هادفة وفي مصلحة الأمة كما سنبين:
تذكر المصادر التأريخية كما بيّنا آنفاً أن يزيد بن عبد الملك أمر بعزل سعيد المعروف بخذينة ونصب مكانه سعيد بن عمرو الحرشي والياً على خراسان وكان سعيد هذا بطلاً من أبطال الفتح المشهورين فانزعج منه الترك وخافوه خوفاً شديداً وتقهقروا من بلاد الصفد إلى ما وراء ذلك من بلاد الصين وغيرها (انظر البداية والنهاية ٧/ ٣٦٦).
وهذا يعني أن الإداري الجديد أزاح خطراً كبيراً عن حدود الخلافة الإسلامية آنذاك.
ثم إن يزيد بن عبد الملك أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش كبير لدحر تمرد يزيد بن المهلب وإخماد نار الفتنة في العراق وما جاورها ففعل ذلك بنجاح فولاّه العراق حتى هدأت الأوضاع هناك ثم عزله في نهاية سنة (١٠٢ هـ). =

= بعد أن خمدت نار الفتنة والمعروف عن مسلمة أنه قائد عسكري يستطيع أن يدير الولاية في حالات الطوارىء والحرب وكذلك ولاّه من بعد يزيداً أخوه هشام مراراً قيادة الجيوش الفاتحة أي أن يزيداً كان يضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
وهذا مثال ثالث: فالمصادر التأريخية تذكر أن الخليفة يزيد بن عبد الملك عزل والي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك لهفوة بدت منه وعيّن مكانه عبد الواحد النضري والذي أبدىٰ بدوره سيرة حسنة في الناس وعدلاً وتسامحاً وكان يشاور في أمره كله علماء المدينة يومها من أمثال القاسم وسالم [وانظر الطبري ٧/ ١٤] وأخيراً فإن الخلفاء من قبل يزيد ومن بعده عزلوا وعيّنوا مراراً لمصلحة راجحة بدت لهم فكان ماذا؟
ثالثاً: على عكس ما تصوره الروايات الملفقة فإن الروايات التأريخية الصحيحة تبيّن أن الخليفة يزيد بن عبد الملك كان يجالس العلماء ويحضر حلقات دروسهم ويتواضع لهم فقد روى الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال: بينما نحن عند مكحول إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فهممنا أن نوسع له فقال مكحول: دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس يتعلم التواضع [البداية والنهاية ٧/ ٣٦٩] [ابن عساكر ١٨/ ٣٣٩].
رابعاً: إن جيوش الخلافة في عهد أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك كانت تدك قلاع الكفر شرقاً وغرباً وتفتح الأقاليم أمام الدعوة الإسلامية وتلك من مزايا يزيد بن عبد الملك الحسنة رحمه الله تعالى ففي عهده أغزى بشر بن صفوان (والي إفريقية) عمرو بن فاتك الكلبي في البحر فغنم وسلم وذلك سنة أربع ومئة (تأريخ خليفة/ ٣٣٨) وفي عهده غزا القائد الفاتح الجراح الحكمي حدود أرمينية وفتح الله على يديه (بلنجر) وهزم ابن خاقان الترك في معركة ضارية علىٰ نهر أرّان ثم صالح أهلها وسار نحو ورثان في حدود أذربيجان (خليفة/ ٣٣٨) وتوغّل الجراح في تلك البلاد حتى أتى مدائن من وراء بلنجر ففتح بعضها وأجلى بعضها وذلك سنة (١٠٥) هـ وانظر خليفة (٣٣٩) ولقد تحدثنا عن هذه المعارك أثناء تخريجنا لروايات الطبري المتعلقة بعهد الخليفة يزيد فلا داعي للتكرار أكثر من ذلك.
خامساً: لماذا لم يحافظ يزيد بن عبد الملك علىٰ المستوىٰ الرفيع الذي رجعت إليه إدارة الخلافة أيام ابن عبد العزيز؟
صحيح أن يزيد بن عبد الملك لم يحافظ علىٰ ذلك المستوى اللائق بالخلافة ولكن لماذا؟
أما قول من قال بأن يزيد بن عبد الملك عمد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز من قبله مما لا يوافق هواه فردّه فهذا غير صحيح وبحثت عن أصل هذا القول فوجدته عند البلاذري وقد أخرجه من طريق المدائني عن أبي جزي وأبو جزي هذا متروك كذاب [قال فيه ابن معين: من المعروفين بالكذب ووضع الحديث وقال النسائي والرازي والدارقطني: متروك. وقال الفلاس: أجمع أهل العلم بالحديث أنه لا يروىٰ عن جماعة أحدهم نصر بن طريق (أبي جزي) وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال أحمد لا يكتب حديثه!!! فبالله عليكم =

= كيف يعتمد علىٰ كذاب وضاع متروك في إثبات هذه التهمة؟؟؟
ولقد أراد الرجل أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز في بداية عهده ولكنه توقف وأخفق فلم يكن صاحب همة عالية كسلفه ولم يكن وازع التقوىٰ عنده قوياً كسلفه أضف إلىٰ ذلك أن ابتعاد العلماء عن مجلس حكمه كان عاملاً اخر يضاف إلى العوامل الأخرى ، والحق يقال فإن عمر بن عبد العزيز لم يرتفع إلى ذلك المستوىٰ الرفيع بجهوده الفردية ، وإنما كان حوله كوكبة من العلماء والقضاة شكلوا بطانة صالحة ومجلس شورى يعينونه على العدل والإحسان وإنصاف المظلوم ، والحق يقال فإن التأريخ السياسي الإسلامي ليس تأريخ أسرة بعينها [أموية كانت أو عباسية] وإنما هو تأريخ الأمة بأسرها؛ شارك في تسطير صفحاته العلماء والأمراء والسواد الأعظم من ورائهم.
وخلاصة القول: إن الخليفة يزيد بن عبد الملك كان شديداً على أعداء الله في الخارج ، وشديداً علىٰ الخوارج وغيرهم من أهل البدع في الداخل؛ فلا غرابة أن ينسج المتروكون من أهل البدع روايات وأغاليط في مثالبه وينشروها بين الناس حتى تصل إلى أسماع الأخباريين الذين كان همّهم الجمع سامحهم الله دون تمييز الروايات إلى غث وسمين والله المستعان.
ولا ذنب للرجل في كل ما اتهموه به سوى أنه جاء من بعد خليفة عادل أطبقت شهرته الآفاق ـ وأراد يزيد أن يسلك مسلك سلفه ولكنه لم يستطع أن يرتفع إلىٰ ذلك الأفق الرفيع الذي بلغه عمر بن عبد العزيز ولكنه كذلك لم يتدنّى إلىٰ ذلك المستوىٰ الهابط كما تصوره روايات التالفين الهالكين.
وهذا مثال آخر يؤكد ما قلنا ـ فقد ارتفعت قيادة الأمة مرة أخرى في عهد هشام بن عبد الملك إلى مستوىٰ مرموق لعدّة عوامل منها همة الخليفة هشام وحزمُهُ وإرادته القوية إضافة إلى كوكبة من العلماء البارزين أحاطوا به كالسوار أو انبروا للتربية والتعليم الطوعي والمنظم فالزهري لازمه طيلة حكمه والحسن البصري كان موجهاً للجماهير في البصرة وميمون بن مهران في الجزيرة وغير واحد في الحجاز كما سنذكر في حينه ـ أمّا في عهد يزيد بن عبد الملك فإنه كان يتودد إلى العلماء ويحضر حلقات دروسهم ولكنهم يبتعدون عنه ولعلّ قرابته من الحجاج أخافت الناس والعلماء فابتعدوا عنه ولعل أسباباً أخرى ، ولكن لله ثم للتأريخ نقول: إن ابتعاد العلماء عن مجلسه كان عاملاً آخر أوهن في عزيمة يزيد وبدلاً من العلماء أحاط به بعض الوصوليين الذين لم يعينوه على ما أعين عليه ابن عبد العزيز وهذه أسباب من القدر الكوني التأريخي: أخرج يعقوب بن سفيان البسوي من طريق سعيد عن ضمرة عن رجاء قال: قدم يزيد بن عبد الملك إلى بيت المقدس فأراد رجاء بن حيوة على أن يصحبه فأبىٰ واستعفىٰ ـ فقال له عقبة بن وساج: إن الله ينفع بمكانك قال إن أولئك الذين تريدون قد ذهبوا». [المعرفة والتأريخ ٢/ ٣٧٠] علماً بأن يزيد كان يتودد إلى رجاء ويجزل له العطاء فقد أخرج يعقوب بن سفيان قال: حدثني سعيد بن أسد قال حدثنا ضمرة عن رجاء بن =

خلافة هشام بن عبد الملك

وفي هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليالٍ بقين من شعبان منها وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر.

حدثني عمر بن شبة قال: حدثني علي قال: حدثنا أبو محمد القرشي وأبو محمد الزيادي والمنهال بن عبد الملك وسحيم بن حفص العجفي قالوا: ولد هشام بن عبد الملك عام قُتل مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين[1].

= أبي سلمة قال: كان يزيد بن عبد الملك يجري علىٰ رجاء بن حيوة ثلاثين ديناراً في كل شهر . . . إلخ. [المعرفة والتأريخ ٢/ ٣٧٠] وقد أخرج ابن عساكر من طريقين عن محمد بن سلام وإبراهيم بن يعقوب (واللفظ لإبراهيم) قال كتب يزيد بن عبد الملك إلى هشام أخيه: أما بعد فإنه بلغ أمير المؤمنين أنك استبطأت حياته وتمنّيت وفاته، ونحلت قولاً للخلافة وذلك فيك فاعلمن أنه ليس ذلك الذين عهد إلينا عبد الملك وأمرنا به ووصّانا، أمرنا بالتواصل والتزاور والاجتماع إن الفرقة شين. قال فكتب إليه جواباً لكتابه:
أما بعد فإن هذا زمان الغدر والعيش الكدر نشأت فيه ناشئة ابتغوا الرزق من كل ناحية ووضعوا له الأبواب وارتقوا إليه بالأسباب والله ما حدثت نفسي بهذا في سرّ ولا علانية بل جعل الله يومي قبل يومك وولدي قبل ولدك فلا خير في العيش بعدك» [تأريخ دمشق/ مجلد ٦٥/ ص ٣٠٦]. وهذا يعني أن بطانة سيئة حاولت أن توقع بينه وبين أخيه وتزيّن له ما لا يُحمد عقباه مما ذكر هشام وهذا يذكّرنا بأصل من أصول التفسير الإسلامي للتأريخ والذي ورد في السنة النبوية حول البطانة الصالحة والبطانة السيئة والله أعلم.
ومع كل ذلك فلا زالت الأمة يومها بخير، ولقد كان كثير من الولاة والقضاة والقادة والعلماء على درجة عالية من اليقظة والورع والتقوىٰ، وقد أخرج البلاذري من طريق الأخباري الصدوق المدائني عن المفضل بن فضالة قال: بعث ابن هبيرة إلى الحسن والشعبي فاجتمعا عنده فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك عبد من عباد الله أخذ عهده لهم وأعطوه عهودهم أن يسمعوا له ويطيعوا، وإنه يأتيني منه أمور لا أجد من إنفاذها بدّاً، والحسن ساكت فقال له: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: إن الله مانعك من يزيد، وإن يزيداً غير مانعك من الله، وإنه يوشك أن ينزل بك أمر من السماء فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فلا يوسعه إلا عملك. يابن هبيرة إني أنهاك عن الله أن تتعرض له، فإن الله إنما جعل السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تركبوا عباد الله بسلطان الله فتذلوهم وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. [كتاب جمل من أنساب الأشراف/ ٨/ ٣٤٦٢].

(١) وكذلك أرخ خليفة لتولية هشام بن عبد الملك منصب الخلافة [تاريخ خليفة/ ٢١٣] وقال =

ذكر ولاية خالد القسري على العراق

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق وولّى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري في شوال.

ذكر عبد الرزاق أنّ حماد بن سعيد الصنعانيّ أخبره قال: أخبرني زياد ابن عبيد الله. قال: أتيت الشّأم، فاقترضت؛ فبينا أنا يوماً على الباب - باب هشام - إذ خرج عليّ رجل من عند هشام، فقال لي: ممّن أنت يا فتى؟ قلت: يمانٍ، قال: فمن أنت؟ قلت: زياد بن عبيد الله بن عبد المَدان، قال: فتبسم، وقال: قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابي: ارتحلوا فإنّ أمير المؤمنين قد رضي عني، وأمرني بالمسير، ووكّل بي من يخرجني قال: قلت: مَنْ أنت يرحمك الله؟ قال: خالد بن عبد الله القسريّ، قال: ومُرْهم يا فتى أن يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الأصفر. فلما جُزْت قليلاً ناداني، فقال: يا فتى، وإن سمعت بي قد وُلّيت العراق يوماً فالحق بي. قال: فذهبتُ إليهم، فقلت: إنّ الأمير قد أرسلني إليكم بأنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه؛ وأمره بالمسير. فجعل هذا يحتضنني وهذا يقبّل رأسي، فلما رأيتُ ذلك منهم، قلت: وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبِرْذونه الأصفر، قالوا: إي والله وكرامةً، قال: فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر، فما أمسى بالعسكر أحد أجودَ ثياباً منّي، ولا أجودَ مركباً منّي. فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل: قد وُلِّيَ خالد العراق، فركبني من ذلك همّ. فقال لي عريف لنا: ما لي أراك مهموماً! قلت: أجل قد وُلّي خالد كذا وكذا، وقد أصبتُ ها هنا رُزَيقاً عشت به، وأخشى أن أذهب إليه فيتغيَّر عليَّ فيفوتني ها هنا وها هنا، فلست أدري كيف أصنع! فقال لي: هل لك في خصلة؟ قلت: وما هي؟ قال: توكّلني بأرزاقك وتخرج، فإن أصبتَ ما تحبّ فلي أرزاقك، وإلاّ رجعتَ فدفعتها إليك، فقلت نعم.

= الذهبي «وبويع لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومئة» ثم نقل الذهبي قول أبي أحمد الحاكم: استخلف وعمره أربع وثلاثون سنة» [تأريخ الإسلام المجلد السابق/ ٢٨٢].

وقال ابن كثير: بويع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه لخمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومئة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة وأشهر لأنه ولد لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثنتين وسبعين. [البداية والنهاية ٧/ ١٨٥].

وخرجت ، فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي ، وأذن للناس ، فتركتُهم حتى أخذوا مجالسَهم ، ثم دخلت فقمت بالباب ، فسلمت ودعوت وأثنيت ، فرفع رأسه ، فقال: أحسنت بالرّحب والسعة ، فما رجعتُ إلى منزلي حتى أصبت ستمئة دينار بين نَقْد وعَرَض.

ثم كنت أختلفُ إليه ، فقال لي يوماً: هل تكتب يا زياد؟ فقلت: أقرأ ولا أكتب ، أصلح الله الأمير! فضرب بيده على جبينه ، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك ، وبقي لك واحدة فيها غنى الدّهر قال: قلت: أيها الأمير ، هل في تلك الواحدة ثمن غلام؟ قال: وماذا حينئذ! قلت: تشتري غلاماً كاتباً تبعث به إليّ فيعلمني ، قال: هيهات! كبرتَ عن ذلك. قال: قلت: كلاّ ، فاشترى غلاماً كاتباً حاسباً بستين ديناراً ، فبعث به إليّ. فأكببتُ على الكتاب ، وجعلت لا آتيه إلا ليلاً ، فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبتُ ما شئت وقرأت ما شئت. قال: فإنّي عنده ليلةً ، إذ قال: ما أدري هل أنجحت من ذلك الأمر شيئاً؟ قلت: نعم ، أكتب ما شئت ، وأقرأ ما شئت ، قال: إنِّي أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك ، قلت: كلا ، فرفع شاذكونه ، فإذا طومار ، فقال: اقرأ هذا الطومار ، فقرأت ما بين طرفيه ، فإذا هو من عامله على الريّ ، فقال: اخرج فقد ولّيتك عملَه ، فخرجت حتى قدمت الرّيّ ، فأخذت عامل الخراج ، فأرسل إليّ: إن هذا أعرابيّ مجنون ، فإنّ الأمير لم يولّ على الخراج عربيّاً قطّ ، وإنما هو عامل المعونة ، فقل له: فليقرّني على عملي وله ثلثمئة ألف ، قال: فنظرتُ في عهدي ، فإذا أنا على المعونة ، فقلت: والله لا انكسرت ، ثم كتبت إلى خالد: إنك بعثتني على الرّيّ ، فظننت أنك جمعتها لي. فأرسل إليّ صاحب الخراج أن أقرّه على عمله ويعطيني ثلثمئة ألف درهم ، فكتب إليَّ أن اقبل ما أعطاك ، واعلم أنّك مغبون ، فأقمت بها ما أقمت ، ثم كتبت: إني قد اشتقت إليك فارفعني إليك ، ففعل ، فلما قدمت عليه ولاّني الشرطة[1].

---

(١) الخبر أخرجه بطوله البلاذري قال: حدثنا بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن حماد بن سعيد الصنعاني عن زياد بن عبيد الله قال: أتيت الشام. . . . إلى آخر الخبر مع اختلاف في الألفاظ والأسماء كقوله قلت «رجل من اليمن أنا زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي [جمل من =

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النَضْريّ وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِنديّ ، وعلى قضاء البَصْرة موسى بن أنس. وقد قيل إنّ هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسريّ على العراق وخراسان في سنة ست ومئة ، وإن عامله على العراق وخراسان في سنة خمس ومئة كان عمر بن هبيرة(١) .

ثم دخلت سنة ست ومئة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضْري وعن مكة والطائف ، وولّى ذلك كله خالَه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الآخرة سنة ست ومئة ، فكانت ولاية النَّضْريّ على المدينة سنة وثمانية أشهر(٢) .

وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة.

وفيها غزا (الحجاج بن عبد الملك) اللاّن ، فصالح أهلَها ، وأدّوا الجزْية(٣) .

وفيها ولد عبد الصمد بن عليّ في رجب.

= أنساب الأشراف/ المجلد التاسع/ ص ٣٦٧٥ ـ ٣٦٧٦] وأما عبد الرزاق فهو الإمام المصنف وحماد بن سعيد الصنعاني قال الذهبي في ترجمته: ما أرى به بأساً [الميزان مع ذيل الميزان/ تر ٢٥٠١].

(١) راجع قوائم العمال والقضاة في نهاية عهد هشام وأما قول الطبري «وقد قيل إن هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسري على العراق وخراسان في سنة ست ومئة ، فقد ذهب إليه بعض المؤرخين المتقدمين كخليفة بن خياط (تأريخ خليفة/ ٢١٧) والإمام المتأخر (الذهبي) تأريخ الإسلام/ المجلد السابق/ ١٤].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام بن عبد الملك.

(٣) وهذا تصحيف والصواب الجراح بن عبد الله. وقال خليفة متحدثاً عن وقائع سنة (١٠٦هـ) وفيها غزا سعيد بن عبد الملك أرض الروم (تأريخ خليفة/ ٢١٧) وقال: فحدثني أبو خالد عن أبي براء النميري قال أوغل الجراح بن عبد الله الحكمي في ارض الخزر فصالحته اللان وأعطوه الجزية والخراج (خليفة/ ٢١٦).

وفيها مات الإمام طاووس مولى بحير بن رَيْسان الحميريّ بمكة وسالم بن عبد الله بن عمر ، فصلّى عليهما هشام. وكان موت طاووس بمكة وموت سالم بالمدينة[١] .

وفيها استقضى إبراهيم بن هشام: محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله واستقضى الصلت الكندي[٢] .

[خبر غزو مسلم بن سعيد الترك]

وفي هذه السنة غزا مسلم بن سعيد الترك فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها[٣] .

حجّ هشام بن عبد الملك

وحجّ بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك ، حدثني بذلك أحمد بن

---

(١) قال خليفة بن خياط وفي سنة ست ومئة مات طاووس بن كيسان وصلى عليه هشام بن عبد الملك [تأريخ خليفة/ ٢١٧] وذكر الذهبي ضمن أسماء من توفي في هذه السنة كلاً من طاووس الكيساني وسالم بن عبد الله بن عمر [تأريخ الإسلام/ حوادث ووفيات ١٠١ ـ ١٢٠هـ].

(٢) انظر قوائم القضاة في آخر عهد هشام بن عبد الملك.

(٣) وكذلك قال خليفة فيها (١٠٦هـ) غزا مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة فرغانة فلقيه الزحف من الترك فقتل ابن أخي خاقان وجماعة من المشركين وذلك في ولاية ابن هبيرة ثم قدم خالد ابن عبد الله القسري والياً على العراق فولّى خالد أخاه أسد بن عبد الله على خراسان ولقي مسلم بن سعيد وقفل بالجيش وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ست ومئة [تأريخ خليفة/ ٢١٦].

وقال الذهبي وفيها (١٠٦هـ) غزا مسلم بن سعيد بن أسلم فرغانة فلقيه ابن خاقان في جمع كبير من تركستان فقتل ابن أخي خاقان في طائفة كبيرة (تأريخ الإسلام/ وفيات وحوادث ١٠١ ـ ١٠٢هـ/ ١٤].

ولقد ذكر الطبري رواية طويلة [٧/ ٣٢ ـ ٣٥] من طريق المدائني عن أشياخه وكان علينا أن نذكرها هنا في قسم الصحيح من باب التساهل في رواية التأريخ وبالشروط التي ذكرنا في المقدمة ولكن بها نكارات ولم نجد ما يؤيد تفاصيلها من طريق آخر والله تعالى أعلم.

ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره لا خلاف بينهم في ذلك[١].

وفي هذه السنة قدم خالد بن عبد الله القسري أميراً علىٰ العراق[٢].

ولاية أسد بن عبد الله القشري على خراسان

وفيها استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً علىٰ خراسان[٣].

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي وعلىٰ العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسري وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد الأعلى وعلىٰ شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود وعلىٰ قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وعلى خراسان أسد بن عبد الله[٤].

ثم دخلت سنة سبع ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

وفيها غزا الصائفة معاوية بن هشام وعلى جيش الشأم ميمون بن مهران فقطع البحر حتى عبر إلى قبرص وخرج معهم البعث الذي كان هشام أمر به في حجته سنة ست فقدموا في سنة سبع على الجعائل غزا منهم نصفهم وقام النصف وغزا البر مسلمة بن عبد الملك[٥].

---

(١) وقال خليفة ضمن حديثه عن أحداث سنة (١٠٦هـ) وأقام الحج هشام بن عبد الملك (تأريخ خليفة/ ٢١٧).
وقال الذهبي: وفيها حجّ بالناس خليفة الوقت هشام والله أعلم (تأريخ الإسلام/ المجلد السابق/ ١٥].
وسنتحدث عن حجته هذه إن شاء الله عند الحديث عن سيرة هشام.

(٢) وانظر خليفة فقد وافق الطبري في هذا [تأريخ خليفة/ ٢١٦] وانظر تأريخ الإسلام للذهبي/ المجلد السابق/ ١٤].

(٣) وكذلك قال خليفة (تأريخ خليفة/ ٢١٦].

(٤) انظر قوائم العمال والولاة والقضاة في آخر عهد هشام.

(٥) وكذلك قال خليفة نقلاً عن ابن الكلبي ـ وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم فبلغ عسكره

وفيها وقع بالشأم طاعون شديد[١].

وفي هذه السنة غزا أسد جبال نمرون ملك الفرشتان ممايلي جبال الطالقان، فصالحه نمرون وأسلم على يديه فهم اليوم يتولون اليمن[٢].

[غزو الغُور]

وفيها غزا أسد الغور وهي جبال هراة[٣].

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وهشام وغيرهما[٤].

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل في سنة ستة مئة[٥].

ثم دخلت سنة ثمان ومئة

ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية مدينة الروم مما يلي الجزيرة فتحها الله على يديه.

وفيها أيضاً غزا إبراهيم بن هشام ففتح أيضاً حصناً من حصون الروم[٦].

= (مختصراً) [تأريخ خليفة/ ٢١٧] وكذلك قال ابن الجوزي (المنتظم ٧/ ١١٧) وابن كثير [البداية والنهاية ٧/ ١٨٦].

(١) وقال خليفة: وفي ذلك العام وقع طاعون شديد بالشام (تأريخ خليفة ٢١٧) وكذلك قال ابن الجوزي (المنتظم ٧/ ١١٧).

(٢) كذلك قال ابن الجوزي في المنتظم [٧/ ١١٧] وابن كثير [البداية والنهاية ٧/ ١٨٦].

(٣) ولكن خليفة جعلها ضمن أحداث سنة (١٠٨)هـ [تأريخ خليفة/ ٢١٨] وأوردها (الغزوة) ابن الأثير كالطبري ضمن أحداث سنة (١٠٧هـ) الكامل.

(٤) هكذا نقل الطبري عن أبي معشر والواقدي وهشام وكذلك قال خليفة [تأريخ خليفة/ ٢١٧].

(٥) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٦) وكذلك قال ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٢٠) وابن كثير (٧/ ١٩٠) وقال خليفة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة اليمنى (تأريخ خليفة/ ٢١٨) وقال الذهبي (وفيها غزا ولد =

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو علىٰ المدينة ومكة والطائف. حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي.

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل(١).

ثم دخلت سنة تسع ومئة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصناً بها يقال له طيبة له وأصيب معه قوم من أهل أنطاكية(٢).

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان وصرف أخاه أسداً عنها(٣).

فلما تعصّب أسد وأفسد الناس بالعصبية كتب هشام إلى خالد بن عبد الله: اعزل أخاك. فعزله(٤).

= الخليفة معاوية بن هشام أرض الروم) [تأريخ الإسلام/ ١٨].

(١) وانظر قوائم الولاة والعمال في نهاية عهد هشام.

(٢) هكذا قال الطبري (طيبة) وقال خليفة وفيها (١٠٩) غزا معاوية بن هشام أرض الروم وافتتح حصناً يقال له الغطاسين (تأريخ خليفة/ ٢١٩) وفي الكامل لابن الأثير (طيبة) [الكامل ٥/ ١٤٥] ـ وكذلك قال ابن الجوزي (المنتظم ٧/ ١٣١).

(٣) بينما ذكر خليفة أن ذلك العزل حصل سنة ١٠٨هـ [تأريخ خليفة/ ٢٣٣] ذكر ابن الجوزي ذلك ضمن أحداث سنة (١٠٩هـ) تبعا للطبري كعادته [المنتظم ٧/ ١٣٩].

(٤) لقد قال الطبري هذا الكلام بعد رواية استغرقت الصفحات (٧/ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩) نقلاً عن المدائني وذكرنا الرواية في قسم المسكوت عنه ولم نجد لتفاصيله ما يؤيده إلاّ أن خلاصة الرواية وأصلها أن أسداً اتبع سياسة سيئة في أهل خراسان وأظهر فيها العصبية فعزله هشام بن عبد الملك ولهذا في الأصل ما يؤيده كما سنذكر رواية في ذلك بإسناد حسن وذلك ضمن أحداث سنة ١٢٠هـ إن شاء الله عند الحديث عن عزل خالد بن عبد الله القسري عن العراق.

ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان

وفي هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس بن عبد الله السُّلميّ ، فذكر عليّ بن محمد ، عن أبي الذيّال العدويّ ومحمد بن حمزة ، عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفيّ أن هشام بن عبد الملك عزل أسد بن عبد الله عن خراسان ، واستعمل أشرس بن عبد الله السُّلميّ عليها ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسريّ ـ وكان أشرس فاضلاً خيّراً ، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم ـ فسار إلى خُراسان ، فلما قدمها فرحوا بقدومه ، فاستعمل على شُرطته عميرة أبا أمية اليشكريّ ثم عزله وولّى السمط ، واستقضى على مرْو أبا المبارك الكنديّ. فلم يكن له علم بالقضاء ، فاستشار مقاتل بن حيّان ، فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه ، فلم يزل قاضياً حتى عزل أشرس[١] .

وحجّ في هذه السنة إبراهيم بن هشام كذلك حدثني أحمد بن نابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره[٢] .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة اليزني وعلى شرطتها بلال بن أبي بردة وعلىٰ قضائها ثمامة بن عبد الله الأنصاري من قبل خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله[٣] .

ثم دخلت سنة عشر ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك التّرك؛ سار إليهم نحو باب اللاّن حتى لقيَ خاقان في جموعه ، فاقتتلوا قريباً من شهر ، وأصابهم مطر

---

(١) أما المدائني فصدوق وكذلك أبو الذيال العدوي ـ وقال خليفة ثم عزله هشام (أي عزل أسداً) سنة ثمان ومئة وولّى أشرس بن عبد الله السلمي ثم عزله سنة ثلاث عشرة ومئة (تأريخ خليفة/ ٢٣٣) وذكر ابن الجوزي تولية الأشرس ضمن أحداث سنة ١٠٩ ـ (المنتظم ٧/ ١٣١).

(٢) وكذلك قال خليفة (تأريخ خليفة/ ٢١٩) وابن كثير (البداية والنهاية ٧/ ١٩٠).

(٣) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد الخليفة هشام.

شديد، فهزم الله خاقان، فانصرف، فرجع مَسْلمة فسلك على مسجد ذي القرنين[١].

وفيها غزا ـ فيما ذكر ـ معاوية بن هشام أرض الروم ففتح صماله وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري وكان على جيش البحر فيما ذكر الواقدي ـ عبد الرحمن بن معاوية بن خديج[٢].

قال عليّ: وخرج أشْرس غازياً فنزل آمُل، فأقام ثلاثة أشهر، وقدّم قطَن بن قُتَيبة بن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف، فأقبل أهل الصُّغْد وأهلُ بُخارى؛ معهم خاقان والترك، فحصروا قطَن بن قتيبة في خَنْدقه، وجعل خاقان ينتخب كلّ يوم فارساً، فيعبرُ في قطعة من الترك النهر. وقال قوم: أقحموا دوابَّهم عُرْياً، فعبروا وأغاروا على سرْح الناس، فأخرج أشرس ثابت قُطْنة بكفالة عبد الله بن بِسْطام بن مسعود بن عمرو، فوجّهه مع عبد الله بن بسطام في الخيل فاتبعوا الترك، فقاتلوهم بآمُل حتى استنقذوا ما بأيديهم؛ ثم قطع الترك النهر إليهم راجعين، ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن بن قتيبة، ووجّه أشرس رجلاً يقال له مسعود ـ أحد بني حَيّان ـ في سريّة، فلقيهم العدوّ، فقاتلوهم، فأصيب رجال من المسلمين وهزِم مسعود؛ حتى رجع إلى أشرس، فقال بعض شعرائهم:

خابَتْ سَرِيَّة مَسْعُودٍ وما غَنِمَتْ إلا أَفانِينَ من شَدٍّ وتَقْريبِ

---

(١) هكذا قال الطبري وقال خليفة عن أبي خالد (ضعيف) عن أبي البراء النميري قال: قصد مسلمة إلى تلميس فلقي طاغية الخزر في جمع كثير قريباً من الباب فاقتتلوا أياماً كثيرة ثم هزمهم الله وذلك يوم الخميس لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة عشر ومئة (تاريخ خليفة/ ٢١٩) ثم قال خليفة نقلاً عن أبي البراء أنه قال: حدثني عبد الله بن أسيد الكلابي أن مسلمة قفل من باب اللاّن فلقيه الخزر فناوشوه حتى حجز بينهم الليل وقفل مسلمة سالماً (تأريخ خليفة/ ٢١٩) ونقل خليفة عن ابن الكلبي كذلك أنه قال: كان قتال مسلمة إياهم نحواً من شهر في مطر شديد ثم هزمهم الله (تأريخ خليفة/ ٢١٩) وقال ابن الجوزي ما قاله الطبري كعادته ولكن دون ذكر لمسجد ذي القرنين (المنتظم ٧/ ١٣٥) وانظر البداية والنهاية (٧/ ١٩٠) [تأريخ الإسلام/ ٢٠].

(٢) قال خليفة: وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم وافتتح حصنين من حصونهم صملة والبوة [تأريخ خليفة/ ٢١٩] وذكر ابن الجوزي ما ذكره الطبري (المنتظم ٧/ ١٣٥) وانظر البداية والنهاية (٧/ ١٩٠) وانظر تأريخ الإسلام للذهبي [المجلد السابق/ ٢١].

حَلُّوا بأَرضٍ قِفارٍ لا أَنِيسَ بها   وَهُنَّ بالسَّفحِ أمثالُ اليعاسيبِ

وأقبل العدوّ ، فلما كانوا بالقرب لقيَهم المسلمون فقاتلوهم ، فجالوا جَوْلة ، فقتل في تلك الجوْلة رجال من المسلمين ، ثم كرّ المسلمون وصبروا لهم ، فانهزم المشركون ، ومضى أشرس بالناس؛ حتى نزل بيكند ، فقطع العدوّ عنهم الماء ، فأقام أشرس والمسلمون في عسكرهم يومهم ذلك وليلتهم ، فأصبحوا وقد نفِد ماؤهم ، فاحتفروا فلم يُنبطوا ، وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التي قطعوا عنهم المياه منها ، وعلى مقدّمة المسلمين قطن بن قُتيبة ، فلقيهم العدوّ فقاتلوهم ، فجهدوا من العطش ، فمات منهم سبعمئة ، وعجز الناس عن القتال ، ولم يبقَ في صفّ الرّباب إلا سبعة ، فكاد ضرار بن حصين يؤسَرُ من الجهد الذي كان به ، فحضّ الحارث بن سُريج الناس ، فقال: أيها الناس ، القتل بالسيْف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً. فتقدّم الحارث بن سُريج وقَطَن بن قُتيبة وإسحاق بن محمد ، ابن أخي وكيع في فوارس من بني تميم وقيس ، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء ، فابتدره الناس فشربوا وارتووا.

قال: فمرّ ثابت قُطْنة بعبد الملك بن دثار الباهليّ ، فقال له: يا عبد الملك ، هل لك في آثار الجهاد؟ فقال: أنظرني ريثما أغتسل وأتحنّط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابه: أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضّهم ، فحملوا على العدوّ ، واشتدّ القتال ، فقُتِل ثابت في عدّة من المسلمين؛ منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبديّ وعبد الملك بن دثار الباهليّ والوجيه الخُراسانيّ والعقّار بن عقبة العوديّ. فضمّ قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان خيلاً من بني تميم وقيس؛ تبايعوا على الموت ، فأقدموا على العدوّ ، فقاتلوهم فكشفوهم؛ وركبهم المسلمون يقتلونهم؛ حتى حجزهم الليل ، وتفرّق العدوّ. فأتى أشرس بُخارى فحصر أهلها[(١)].

قال عليّ بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك: حدّثني هشام بن عُمارة بن

(١) هذا الخبر أخرجه الطبري من طريق المدائني الذي لم ينسبه إلى أحدٍ من شيوخه والروايات التالية المسندة والموصولة منها تتعاضد معاً لتؤكد أصل القصة والله أعلم.

القعقاع الضبيّ عن فُضيل بن غَزْوان ، قال: حدّثني وجيه البُنانيّ ونحن نطوف بالبيت ، قال: لقيَنا الترك ، فقتلوا منّا قوماً ، وصُرعتُ وأنا أنظر إليهم ، يجلسون فيستقُون حتى انتهوا إليّ ، فقال رجل منهم: دعوه فإن له أثراً هو واطئه ، وأجلاً هو بالغُه؛ فهذا أثر قد وطئته ، وأنا أرجو الشهادة. فرجع إلى خراسان؛ فاستشهد مع ثابت[١] .

قال: فقال الوازع بن مائق: مرّ بي الوجيه في بغلين يوم أشرس ، فقلت: كيف أصبحت يا أبا أسماء؟ قال: أصبحتُ بين حائر وحائز؛ اللهمّ لفّ بين الصفين؛ فخالط القوم وهو متنكّب قوسه وسيفه ، مشتمل في طَيْلسان واستُشهد ، واستُشهد الهيثم بن المنخّل العبديّ[٢] .

قال عليّ ، عن عبد الله بن المبارك ، قال: لما التقى أشرس والترك ، قال ثابت قُطْنة: اللهمّ إنّي كنت ضيف ابن بسطام البارحة ، فاجعلني ضيفَك الليلة؛ والله لا ينظر إليّ بنو أمية مشدوداً في الحديد؛ فحمل وحمل أصحابُه ، فكذب أصحابُه وثبت؛ فرُمِيَ بِرْذونه فشبّ ، وضربه فأقدم ، وضُرب فارتُثّ: فقال وهو صريع: اللهمّ إني أصبحتُ ضيفاً لابن بسطام ، وأمسيت ضيفك؛ فاجعل قِرايَ من ثوابك الجنة[٣] .

وفي هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصّلاة بالبصرة مع الشّرْطة؛ والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بُردة؛ فجمع ذلك كلّه له ، وعزل به ثُمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء[٤] .

---

(١) أما المدائني فصدوق وابن المبارك هو الإمام الثبت الثقة وهشام بن عمارة ترجم له ابن أبي حاتم وقال روى عنه ابن المبارك وذكره ابن حبان في الثقات وفضيل بن غزوان ثقة من كبار السابعة توفي بعد ١٤٠هـ.

(٢) لم يبيّن الطبري من روى هذا الخبر عن الوازع هل هو الفضيل بن غزوان أم المدائني ولكن أصل الخبر من استبسال وجيه البناني واستشهاده يؤيده الخبر.

(٣) وهذه هي الرواية الرابعة ذكرها الطبري من طريق المدائني عن الإمام المحدث ابن المبارك وقد أرسله ابن المبارك (هنا) والمتن يؤيد ما ذكره المدائني في الرواية (٥٥) معضلاً من استبسال ثابت قطنة واستشهاده رحمه الله تعالى. والروايات بمجموعها تتعاضد والله أعلم.

(٤) انظر قوائم الولاة والقضاة في نهاية عهد هشام.

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل؛ كذلك قال أبو معشر والواقديّ وغيرهما؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر[١].

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام، وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله، وعلى خُراسان أشرس بن عبد الله[٢].

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصّائفة اليسرَى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيساريّة[٣].

وفيها ولّى هشام الجرّاح بن عبد الله الحكَمي على أرمينية[٤].

وفيها عزل هشام أشرَس بن عبد الله السُّلميّ عن خُرسان، وولاها الجُنيدَ بن عبد الرحمن المرّيّ[٥].

ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان واستعماله الجنيد

ذكر عليّ بن محمد، عن أبي الذّيال، قال: كان سببُ عزل أشرس أنّ

---

(١) وكذلك قال خليفة بن خياط (تاريخ خليفة/ ٢١٩).

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٣) وكذلك قال خليفة وفيها غزا سعيد بن هشام الصائفة أيضاً مما يلي الجزيرة فبلغ قيسارية [تأريخ خليفة/ ٢٢٠] والبداية والنهاية ٧/ ١٩٤ وابن الجوزي ٧/ ١٤٣/ المنتظم].

(٤) وقال خليفة: وفيها عزل هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة عن أرمينية وأذربيجان وولى الجراح بن عبد الله الحكمي الولاية الثانية [تأريخ خليفة/ ٢٢٠].

(٥) بينما ذكر خليفة أن هشام بن عبد الملك عزل أشرس عن خراسان وولاها الجنيد بن عبد الرحمن سنة (١١٣هـ) [تأريخ خليفة/ ٢٣٣] وانظر البداية والنهاية (٧/ ١٩٤) والمنتظم لابن الجوزي (٧/ ١٤٣).

شدّاد بن خالد الباهليّ شخص إلى هشام فشكاه ، فعزله واستعمل الجُنَيْد بن عبد الرحمن ، على خراسان سنة إحدى عشرة ومئة[١] .

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي وكان إليه من العمل في هذه السنة ما كان إليه في السنة التي قبلها وقد ذكرت ذلك قبل[٢] .

وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله وعلى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن[٣] .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خَرْشنَة ، وحرق فرنديّة من ناحية مَلَطيَة[٤] .

ذكر خبر قتل الجراح الحكمي

وفيها سار الترك من اللاّن ، فلقيهم الجرّاح بن عبد الله الحكَميّ فيمن معه من أهل الشأم وأذْرَبيجان ، فلم يتتامّ إليه جيشُه ، فاستُشهد الجرّاح ومن كان معه

(١) ذكر الطبري هذا الخبر من طريق المدائني (الأخباري الصدوق) عن أبي الذيال وهو مقبول كما قال ابن حجر ـ وأما عزل أشرس وتولية الجنيد من قبل الخليفة هشام فصحيح على اختلاف بين الطبري وخليفة في السنة أي هي (١١١هـ) أم (١١٣هـ) ولكن الغرابة في هذا المتن أن هشاماً عزل الأشرس بمجرد شكوى من شداد وهذا مخالف لطبع هشام الذي كان يتأنى في عزل الولاة حتى يتأكد من أمرهم والله أعلم.

(٢) وكذلك قال خليفة (تأريخ خليفة/ ٢٢٠) وابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٤٣) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٤).

(٣) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٤) وذكر خليفة وفيها (١١٢هـ) غزا معاوية بن هشام فافتتح خرشنة من ناحية ملطية[تأريخ خليفة/ ٢٢٢] وكذلك قال ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٥٣) وابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٩٤).

بمرج أردبيل؛ وافتتحت الترك أردبيل؛ وقد كان استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية[١].

ذكر محمد بن عمر أنّ الترك قتلت الجراح بن عبد الله ببلَنْجَر، وأن هشاماً لما بلغه خبرُه دعا سعيد بن عمرو الحَرَشيّ، فقال له: إنه بلغني أن الجرّاح قد انحاز عن المشركين. قال: كلاّ يا أمير المؤمنين، الجرّاح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدوّ، ولكنه قُتِل، قال: فما الرأي؟ قال: تبعثني على أربعين دابة من دوابّ البريد؛ ثم تبعث إليّ كلّ يوم أربعين دابّة عليها أربعون رجلاً، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافونني. ففعل ذلك هشام.

فذُكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثةَ جموع وفوداً إلى خاقان بمَنْ أَسَروا من المسلمين وأهل الذمّة، فاستنقذ الحَرشيّ ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم[٢].

---

(١) هذه روايات عدة في تلك الوقعة الشديدة الوقع على المسلمين والتي قتل فيها خلق من المسلمين وفي مقدمتهم القائد الفاتح الشجاع الجراح بن عبد الله الحكمي مع عددٍ من الحفاظ ووجوه الناس ثم أنزل الله نصره على المسلمين بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي الذي هزم الترك واسترد أسرى المسلمين من رجالٍ ونساء وقد ذكر الطبري هذا الخبر كما ترى تارة عن المدائني من قوله وتارة من طريق الواقدي صاحب المغازي وهو مجمع على ضعفه مع سعة علمه ولكن يؤيد ما ذكره الطبري ما ورد في تأريخ خليفة بن خياط وغيره.

(٢) قال خليفة: وفيها زحف الجراح من برذعة سنة اثنتي عشرة ومئة، فقدم أذربيجان فعسكر في مرج سبلان، وفعقد عليه جسراً فهو اليوم يدعى: جسر الجراح.
قال أبو خالد: قال أبو براء: «زحف الجراح سنة اثنتي عشرة ومئة إلى ابن خاقان وهو محاصر أهل أردبيل: فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الجراح رحمه الله لثمان بقين من شهر رمضان سنة اثنتي عشرة ومئة، وغلبت الخزر على أذربيجان وساحت خيولهم حتى بلغوا قريباً من الموصل ونصبوا على أردبيل المجانيق وأهل أردبيل يقاتلونهم فلما طال عليهم الحصار أسلموها، ودخلها الخزر فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية.
قال أبو خالد: قال أبو الخطاب: حدثني رجل من بني سليم قال: قتل الجراح بأرشق.
قال أبو الخطاب: لما قتل الجراح وجَّهَ هشام بن عبد الملك سعيد بن عمرو الحرشي، ووجّه معه فرسان العرب على البريد، فمضى سعيد بن عمرو حتى قدم برذعة.
قال أبو خالد: قال أبو براء: حدثني عبد الله بن عبد الله العامري: أن سعيد بن عمرو الحرشي لقيَ ابن خاقان فبيَّتهم فقتلهم مقتلة عظيمة، وهرب طاغية الخزر وكتب بالفتح إلى هشام بن عبد الملك.
قال ابن الكلبي: استشهد الجراح ومن معه بمرج أردبيل، وقد كان استخلف أخاه =

وذكر عليّ بن محمد أنّ الجنيد بن عبد الرحمن قال في بعض ليالي حربه التّرك بالشِّعب: ليلةٌ كليلة الجراح ويومٌ كيومه؛ فقيل له: أصلحك الله! إن الجراح سير إليه فقُتِلَ أهل الحجى والحفاظ فجنّ عليه الليل فانسلّ الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذربيجان وأصبح الجراح في قلّة فقتل.

ذكر وقعة الجنيد مع الترك

وفي هذه السنة كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشِّعب. وفيها قتل سَوْرة بن الحرّ؛ وقد قيل إن هذه الوقعة كانت في سنة ثلاث عشرة ومئة.

= الحجاج بن عبد الله فأتاهم الحرشي فهزمهم الله واستنقذ ما في أيديهم. [تأريخ خليفة/ ٢٢١].

وأصل الوقعة ذكرها البلاذري كذلك في كتابه فتوح البلدان وخلاصة ما ذكره أن الجراح التقى المشركين واستمر القتال ثلاثة أيام وكانت النتيجة استشهاد القائد المجاهد الجراح ثم أنقذ الله المسلمين بسعيد بن عمرو الحرشي فجعله سبباً لانتصار المسلمين وهزيمة أعدائهم شرّ هزيمة - وانظر (فتوح البلدان للبلاذري/ ٢٩٠).

قال الحسن الزرقي: كان الجراح بن عبد الله على خراسان كلها حربها وصلاتها و..الها (سير أعلام النبلاء/ ٥/ ١٩٠].

وقال سليم بن عامر: دخلت على الجراح فرفع يديه فرفع الأمراء أيديهم فمكث طويلاً ثم قال لي يا أبا يحيى هل تدري ما كنّا فيه؟ قلت لا وجدتكم في رغبة فرفعت يدي معكم، قال سألنا الله الشهادة فو الله ما بقي منهم أحد في تلك الغزاة حتى استشهد [سير أعلام / ٥/ ١٩٠].

وقال أبو سفيان الحميري كان الجراح على أرمينية وكان رجلاً صالحاً فقتله الخزر ففزع الناس لقتله في البلاد (سير ٥/ ١٩٠).

وفي هذه السنة وجّه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فسار في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم فيما ذكر - حتى جاز الباب في آثارهم وخلف الحارث بن عمرو الطائي بالباب*.

* وذكر خليفة عن ابن الكلبي: خرج مسلمة بن عبد الملك في شوال سنة اثنتي عشرة ومئة في طلب الترك في شدة المطر والثلج حتى جاوز الباب وخلف الطائي في بنيان الباب وتحصينه (تاريخ خليفة/ ٢٢١).

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت:

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازياً في سنة اثنتي عشرة ومئة يريد طخارستان ، فنزل على نهر بلخ ، ووجّه عمارة بن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفاً وإبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر ، وجاشت الترك فأتوا سمرقند ، وعليها سورة بن الحر؛ أحد بني أبان بن دارم ، فكتب سورة إلى الجنيد: إن خاقان جاش بالترك ، فخرجتُ إليهم فما قدرتُ أن أمنع حائط سمرقند؛ فالغوث! .

فأمر الجنيد الناس بالعُبور ، فقام إليه المجشّر بن مزاحم السلميّ وابن بسطام الأزْديّ وابن صُبْح الخَرَقيّ ، فقالوا: إن التُرك ليسوا كغيرهم ، لا يلقونك صفّاً ولا زحفاً ، وقد فرَّقت جندك ، فمسلم بن عبد الرحمن بالنيْروذ ، والبختريّ بهراة ، ولم يحضرك أهل الطالَقان ، وعمارة بن حريم غائب. وقال له المجشِّر: إن صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقلّ من خمسين ألفاً؛ فاكتب إلى عمارة فليأتك ، وأمهل ولا تعجل ، قال: فكيف بسورة ومَن معه من المسلمين! لو لم أكن إلا في بني مُرّة ، أو من طلع معي من أهل الشأم لعبرتُ. وقال: أليس أحقَّ الناسِ أن يَشهَدَ الوغى وأن يقتل الأبطال ضَخْمٌ على ضخم وقال:

مـا علّتـي مـا علّتـي مـا عِلّتـي! إنْ لـم أقـاتِلْهُـمْ فجُـزّوا لِمّتـي

قال: وعبر فنزل كِسَّ؛ وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظليّ ليعلم علمَ القوم ، فرجع إليه وقال: قد أتوْك فتأهبْ للمسير.

وبلغ الترك فعَوّروا الآبار التي في طريق كِسّ وما فيه من الركايا ، فقال الجنيد: أيّ الطريقين إلى سَمرَقند أمثل؟ قالوا: طريق المحترقة. قال المجشِّر بن مزاحم السلميّ: القتل بالسيف أمثلُ من القتل بالنار؛ إن طريق المحترقة فيه الشّجر والحشيش ولم يُزْرَع منذ سنين ، فقد تراكم بعضه على بعض ، فإن لقيتَ خاقان أحرق ذلك كله ، فقتلنا بالنار والدخان؛ ولكن خذ طريق العَقَبة ، فهو بيننا وبينهم سواء.

فأخذ الجُنيد طريقَ العَقَبة ، فارتقى في الجبل ، فأخذ المجشّر بعنان دابته ، وقال: إنه كان يقال: إنّ رجلاً من قيس مترَفاً يهلك على يديه جند من جنود

خراسان؛ وقد خِفْنا أن تكونه. قال: أفرِخْ رَوْعك، فقال المجشِّر: أمّا إذا كان بيننا مثلك فلا يُفْرَخ. فبات في أصل العقبة، ثم ارتحل حين أصبح؛ فصار الجُنيد بين مرتحل ومقيم؛ فتلقى فارساً، فقال: ما اسمك؟ فقال: حرب؛ قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن محرَبة، قال: من بني مَن؟ قال: من بني حَنْظلة، قال: سلط الله عليك الحرْب والحرَب والكلب. ومضى بالناس حتى دخل الشِّعب وبينه وبين مدينة سَمْرقند أربعة فراسخ، فصبّحه خاقان في جمع عظيم، وزحف إليه أهلُ الصُّغد والشاش وفَرْغانة وطائفة من الترك. قال: فحمل خاقان على المقدّمة وعليها عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير، فرجعوا إلى العسكر والترك تتبعهم؛ وجاؤوهم من كلّ وجه؛ وقد كان الإخْريد قال للجنيد: ردّ الناس إلى العسكر؛ فقد جاءك جمع كثير؛ فطلع أوائل العدوّ والناس يتغدّوْن، فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيّان، فكره أن يُعلِم النَاس حتى يفرغوا من غدائهم؛ والتفت أبو الذّيال، فرآهم، فقال: العدوّ! فركب الناس إلى الجنيد، فصيّر تميماً والأزد في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل؛ وعلى مجفّفة خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حيّان، وعلى المجرّدة عمر - أو عمرو - بن جرفاس بن عبد الرحمن بن شقران المنقريّ، وعلى جماعة بني تميم عامر بن مالك الحمانيّ، وعلى الأزد عبد الله بن بِسْطام بن مسعود بن عمرو المعنيّ؛ وعلى خيلهم: المجفّفة والمجرّدة فُضَيل بن هناد وعبد الله بن حوذان؛ أحدهما على المجفّفة، والآخر على المجرّدة - ويقال: بل كان بشر بن حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهضميّ - فالتقوا وربيعة ممّا يلي الجبل في مكان ضيّق؛ فلم يقدم عليهم أحد؛ وقصد العدوّ للميمنة وفيها تميم والأزْد في موضع واسع فيه مجال للخيل. فترجّل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه، ودفع برذونه إلى أخيه عبد الملك، فقال له أبوه: يا حيّان، انطلق إلى أخيك فإنه حَدَث وأخاف عليه، فأبى، فقال: يا بُنيّ، إنك إن قتِلت على حالك هذه قُتِلت عاصياً. فرجع إلى الموضع الذي خلّف فيه أخاه والبرذوْن؛ فإذا أخوه قد لحق بالعسكر، وقد شدّ البرذون، فقطع حيّان مِقوَده وركبه؛ فأتى العدو؛ فإذا العدوّ قد أحاط بالموضع الذي خلف فيه أباه وأصحابه، فأمدّهم الجُنيد بنصر بن سيار في سبعة معه؛ فيهم جميل بن غزوان العدويّ، فدخل عبيد الله بن زهير معهم، وشدُّوا على العدو فكشفوهم ثم كرُّوا عليهم؛ فقتلوا جميعاً، فلم يفلت منهم أحد ممن كان في ذلك

الموضع ، وقُتل عبيد الله بن زهير وابن حوذان وابن جِرْفاس والفُضيل بن هَنّاد.

وجالت الميمنة والجُنيد واقف في القلب ، فأقبل إلى الميمنة ، فوقف تحت راية الأزْد ـ وقد كان جفاهم ـ فقال له صاحب راية الأزد: ما جئتنا لتحبوَنا ولا لتكرمنا؛ ولكنّك قد علمت أنه لا يوصَل إليك ومنّا رجل حيّ؛ فإن ظفرنا كان لك؛ وإن هلكنا لم تبْك علينا. ولعمري لئن ظفرنا وبقيتُ لا أكلّمك كلمة أبداً. وتقدّم فقتل. وأخذ الرّاية ابن مُجّاعة فقُتل ، فتداول الرّاية ثمانية عشر رجلاً منهم فقتلوا ، فقتل يومئذ ثمانون رجلاً من الأزْد.

قال: وصبَر الناس يقاتلون حتى أعيَوْا؛ فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً ، فقطع عبيدُهم الخشب يقاتلون به ، حتَّى ملّ الفريقان فكانت المعانقة ، فتحاجزوا ، فقتل من الأزد حمزة بن مُجّاعة العتكيّ ومحمد بن عبد الله بن حَوْذان الجهضميّ ، وعبد الله بن بسطام المعنّي وأخوه زُنيم والحسن ابن شيخ والفُضيل الحارثيّ ـ وهو صاحب الخيل ـ ويزيد بن المفضّل الحُدّانيّ؛ وكان حجَّ فأنفق في حجه ثمانين ومئة ألف؛ فقال لأمه وحشيَّة: ادعي الله أن يرزقني الشهادة ، فدعت له ، وغُشي عليه؛ فاستُشهد بعد مَقْدَمه من الحج بثلاثة عشر يوماً ، وقاتل معه عبدان له؛ وقد كان أمرهما بالانصراف فقاتلا ؛ فاستُشهدا.

قال: وكان يزيد بن المفضّل حمل يوم الشّعب على مئة بعير سويقاً للمسلمين؛ فجعل يسأل عن الناس ، ولا يسأل عن أحد إلا قيل له: قد قتل؛ فاستقدم وهو يقول: لا إله إلا الله؛ فقاتل حتى قُتِل.

وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حَوْذان وهو على فرس أشْقر ، عليه تجفاف مذهّب ، فحمَل سبع مرات يقتل في كلّ حملة رجلاً ، ثم رجع إلى موقفه ، فهابه من كان في ناحيته ، فناداه تَرجمان للعدوّ: يقول لك الملك: لا تقبل وتحوّل إلينا؛ فنرفض صنَمنا الذي نعبده ونعبدك؛ فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده. فقاتل واستُشهد.

وقتل جُشَم بن قرط الهلاليّ من بني الحارث ، وقُتِل النَّضْر بن راشد العبديّ؛ وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون ، فقال لها: كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضرَّجاً بالدماء؟ فشقّت جيبها ودعت بالويْل؛ فقال: حسبك ، لو أعولتْ عليّ كلّ أنثى لعصيتُها شوقاً إلى الحُور العين؛ ورجع فقاتل حتى استُشهد رحمه

الله. قال: فبينا النّاس كذلك إذ أقبل رَهَج، فطلعت فُرسان؛ فنادى منادي الجُنيد: الأرضَ، الأرضَ! فترجّل وترجّل الناس، ثم نادى منادي الجُنيد: ليخندق كلّ قائد على حياله؛ فخندق الناس، قال: ونظر الجُنيد إلى عبد الرحمن بن مكية يحمل على العدوّ، فقال: ما هذا الخرطوم السائل؟ قيل له: هذا ابن مكيّة، قال: ألسان البقرة! لله درّه أيّ رجل هو! وتحاجزوا، وأصيب من الأزْد مئة وتسعون.

وكانوا لقوا خاقان يوم الجمعة، فأرسل الجنيد إلى عبد الله بن معمر بن سمير اليشكريّ أن يقف في الناحية التي تلي كسّ ويحبس من مرّ به، ويحوز الأثقال والرّجالة؛ وجاءت الموالي رجّالة، ليس فيهم غير فارس واحد والعدوّ يتبعونهم؛ فثبت عبد الله بن معمَر للعدوّ، فاستُشهد في رجال من بَكْر، وأصبحوا يوم السَّبت، فأقبل خاقان نصفَ النهار؛ فلم ير موضعاً لقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل، وعليهم زياد بن الحارث، فقصد لهم، فقالت بكر لزياد: القوم قد كَثرونا، فخلّ عنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا، فقال لهم: قد مارست سبعين سنة، إنكم إن حملتم عليهم فصعدتم انهزمتم؛ ولكن دعوهم حتى يقربوا. ففعلوا، فلما قربوا منهم حملوا عليهم فأفرجوا لهم، فسجد الجُنيد، وقال خاقان يومئذ: إنّ العرب إذا أحرِجوا استقتلوا؛ فخلّوهم حتى يخرجوا؛ ولا تَعرّضوا لهم؛ فإنكم لا تقومون لهم.

وخرج جوارٍ للجنيد يولولْنَ؛ فانتدب رجال من أهل الشأم، فقالوا: الله الله يا أهل خراسان! إلى أين؟ وقال الجنيد: ليلة كليلة الجرّاح، ويوم كيومه.

ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحرّ

وفي هذه السنة قتل سَوْرة بن الحرّ التميميّ.

ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر عليّ عن شيوخه: أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيد: اختر بين أن تهلك أنت أو سورة، فقال: هلاك سورة أهون عليّ، قال: فاكتب إليه فليأتِك في أهل سَمرقَند؛ فإن الترك إن بلغهم أن سورة قد توجّه إليك انصرفوا إليه فقاتلوه. فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم ـ وقيل: كتب أغثني ـ فقال عبادة بن السليل المحاربيّ

أبو الحكم بن عبادة لسَوْرة: انظر أبْرَد بيت بسَمرَقند فنمْ فيه، فإنك إن خرجت لاتبالي أسخط عليك الأمير أم رضي. وقال له حُلَيْس بن غالب الشيبانيّ: إن التّرك بينك وبين الجنيد؛ فإن خرجت كرّوا عليك فاختطفوك.

فكتب إلى الجنيد: إني لا أقدر على الخروج؛ فكتب إليه الجُنيد: يا بن اللخناء، تخرج وإلا وُجّهت إليك شدّاد بن خالد الباهليّ - وكان له عدوّاً - فاقدَم، وضع فلاناً بفرخشاذ في خمسمئة ناشب، والزم الماء فلا تفارقه.

فأجمع على المسير، فقال الوَجَف بن خالد العبديّ: إنك لمهلك نفسَك والعرب بمسيرك؛ ومهلك من معك، قال: لا يُخْرَج حملي من التّنّور حتى أسير؛ فقال له عبادة وحُليس: أما إذ أبيتَ إلا المسير فخذ على النهر، فقال: أنا لا أصل إليه على النهر في يومْين، وبيني وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبّحه؛ فإذا سكنت الزُّجَل سرتُ فأعبره.

فجاءت عيون الأتراك فأخبروهم، وأمر سَوْرة بالرحيل؛ واستخلف على سَمَرقند موسى بن أسود؛ أحد بني ربيعة بن حنظلة، وخرج في اثني عشر ألفاً، فأصبح على رأس جبل؛ وإنما دلّه على ذلك الطريق عِلْج يسمى كارتقبد؛ فتلقّاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ، وبينه وبين الجنيد فرسخ: فقال أبو الذيّال: قاتلهم في أرض خَوّارة، فصبر وصبروا حتى اشتدّ الحرّ.

وقال بعضهم: قال له غوزك: يومك يوم حارّ فلا تقاتلهم حتى تحمَى عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم. فلم يقاتلهم خاقان؛ وأخذ برأي غوزك، وأشعل النار في الحشيش، وواقفهم وحال بينهم وبين الماء، فقال سَوْرة لعبادة: ما ترى يا أبا السليل؟ قال: أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة؛ فاعقِرْ هذه الدوابّ وأحرِق هذا المتاع، وجرّد السيف؛ فإنهم يُخلّون لنا الطريق. قال أبو الذّيال: فقال سَوْرة لعبادة: ما الرأي؟ قال: تركت الرأي، قال: فما ترى الآن؟ قال: أن ننزل فنُشرع الرّماح، ونزحف زحفاً، فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر، قال: لا أقوى على هذا؛ ولا يقوى فلان وفلان..... وعدّد رجالاً؛ ولكن أرى أن أجمع الخيل ومن أرى أنه يقاتل فأصكّهم؛ سلمتُ أم عَطبتُ؛ فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك، وثار الغُبار فلم يبصروا، ومن وراء الترك اللّهبُ فسقطوا فيه، وسقط فيه العدوّ والمسلمون، وسقط سَورة

فاندقّت فخذه ، وتفرّق الناس ، وانكشفت الغمة والناس متفرّقون ، فقطعتهم الترك ، فقتلوهم فلم ينجُ منهم غير ألفين ـ ويقال: ألف ـ وكان ممن نجا عاصم بن عمير السَّمرقنديّ ، عرفه رجل من الترك فأجاره؛ واستُشهد حُليس بن غالب الشيبانيّ ، فقال رجل من العرب: الحمد لله؛ استُشهد حُلَيس ، ولقد رأيته يرمي البيت أيام الحجاج ويقول: درّى عُقاب ، بلبن وأخشاب؛ وامرأة قائمة ، فكلّما رمى بحَجر قالت المرأة: يا ربّ بي ولا ببيتك! ثم رُزق الشهادة.

وانحاز المهلَّب بن زياد العجليّ في سبعمئة ومعه قريش بن عبد الله العبديّ إلى رُستاق يسمى المرغاب؛ فقاتلوا أهل قَصْر من قصورهم؛ فأصيب المهلّب بن زياد ، وولّوا أمرهم الوجَف بن خالد ، ثم أتاهم الأشكند صاحب نَسف في خَيْل ومعه غوزك ، فقال غوزك: يا وَجَف ، لكم الأمان ، فقالت قريش: لا تثقوا بهم؛ ولكن إذا جنّنا الليل خرجنا عليهم حتى نأتي سَمَرقند؛ فإنا إن أصبحنا معهم قتلونا.

قال: فعصوْه وأقاموا ، فساقوهم إلى خاقان؛ فقال: لا أجيز أمان غَوْزك ، فقال غوزك للوجَف: أنا عبد لخاقان من شاكريّتذه ، قالوا: فلمَ غرزتنا؟ فقاتلهم الوجف وأصحابه ، فقُتلوا غير سبعة عشر رجلاً دخلوا الحائط. وأمسوا ، فقطع المشركون شجرة فألقوْها على ثلمة الحائط؛ فجاء قريش بن عبد الله العبديّ إلى الشجرَة فرمى بها؛ وخرج في ثلاثة فباتوا في ناووس فكمنوا فيه وجبن الآخرون فلم يخرجوا، فقتلوا حين أصبحوا. وقتل سَوْرة؛ فلما قُتل خرج الجنيد من الشِّعب يريد سمرقند مبادراً ، فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب: سِر سر ، ومجشّر بن مزاحم السّلميّ يقول: أذكرك الله أقم؛ والجنيد يتقدّم ، فلما رأى المجشّر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيد، فقال: والله لا تسير ولتنزلنّ طائعاً أو كارهاً، ولا ندعك تُهلكنا بقول هذا الهجريّ. انزل. فنزل ونزل الناس فلم يتتامّ نزولهم حتى طلع الترك ، فقال المجشّر: لو لقونا ونحن نسير ، ألم يستأصلونا! فلما أصبحوا تناهضوا ، فانكشفت طائفة ، وجال الناس ، فقال الجنيد: أيّها الناس؛ إنها النّار؛ فتراجعوا ، وأمر الجنيد رجلاً فنادى: أيّ عبد قاتَلَ فهو حرٌ؛ فقاتل العبيد قتالاً شديداً عجب الناس منه؛ جعل أحدهم يأخذ اللِّبد فيجوبه ويجعله في عنقه ، يتوقّى به. فسر الناس بما رأوْا من صبرهم ، فكرّ العدوّ ، وصبر الناس

حتى انهزم العدوّ ، فمضوا ، فقال موسى بن النعر للناس : أتفرحون بما رأيتم من العبيد! والله إنّ لكم منهم ليوماً أرْوَنان. ومضى الجُنيد فأخذ العدوّ رجلاً من عبد القيس فكتفوه ، وعلّقوا في عنقه رأس بلعاء العنبريّ بن مجاهد بن بلعاء؛ فلقيه الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ، ومضى الجُنيد إلى سَمرقند؛ فحمل عيال مَن كان مع سَوْرة إلى مَرْو ، وأقام بالسُّغْد أربعة أشهر؛ وكان صاحبَ رأي خراسان في الحرب المجشِّر بن مزاحم السُّلميّ وعبد الرحمن بن صبح الخَرَقيّ وعبيد الله بن حبيب الهجريّ ، وكان المجشِّر يُنزل الناس على راياتهم ، ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه في ذلك ، وكان عبد الرحمن بن صبح إذا نزل الأمر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه؛ وكان عبيد الله بن حبيب على تعبئة القتال ، وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب؛ فمنهم الفضل بن بسّام مولى بني ليث وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم والبَختريّ بن مجاهد مولى بني شيبان.

قال : فلما انصرف الترك إلى بلادهم بعث الجُنيد سيفَ بن وصّاف العجليّ من سَمرقند إلى هشام ، فجبُن عن السير وخاف الطريق ، فاستعفاه فأعفاه؛ وبعث نهار بن تَوْسعة أحد بني تيم اللات وزُمَيل بن سُوَيد المرِّيّ؛ مرّة غطفان. وكتب إلى هشام : إن سَوْرة عصاني ، أمرتُه بلزوم الماء فلم يفعل ، فتفرّق عنه أصحابه ، فأتتني طائفة إلى كِسّ ، وطائفة إلى نَسَف ، وطائفة إلى سَمرقند ، وأصيب سورة في بقيّة أصحابه.

قال : فدعا هشام نهارَ بن توسعة ، فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد ، فقال نهار بن توسعة :

لعمـرُكَ مـا حـابَيْتنـي إذْ بَعَثتَنـي	ولكنَّمـا عَـرّضتنـي للمَتـالـفِ
دعـوتَ لهـا قـومـاً فهـابـوا ركـوبَهـا	وكنـتُ امْـرأ رَكَّـابـة للمَخـاوف
فـأَيقنـتُ إنْ لـم يَـدْفَـع اللهُ أَنـنـي	طعـامُ سِبـاعٍ أَو لطَيْـرٍ عـوائـفِ
قَـريـنُ عَـراكٍ وهـوَ أيسَـرُ هـالـك	عليـك وقـدْ زَمَّلْتَـهُ بِصَحَـائِـفِ
فـإنـي وإن آثـرتَ منـه قَـرابَـةً	لأعظـمُ حظـاً فـي حِبَـاءِ الخـلائـف
علـى عهـدِ عثمـانٍ وفَـدْنـا وقبْلَـهُ	وكنَّـا أُولـي مجـد تليـدٍ وطـارِفِ

قال : وكان عراك معهم في الوفد ، وهو ابن عمّ الجنيد ، فكتب إلى الجنيد :

قد وجّهت إليك عشرين ألفاً مدداً؛ عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نُعيم، ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها تِرسَة، فافرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر ألفاً.

قال: ويقال إن الجُنيد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله، فأوفد خالد إلى هشام: إنّ سَوْرة بن الحُرّ يتصيّد مع أصحاب له فهجم عليهم التّرك، فأصيبوا. فقال هشام حين أتاه مصاب سورة: إنا لله وإنا إليه راجعون! مُصاب سَوْرة بن الحرّ بخراسان والجرّاح بالباب! وأبْلى نصر بن سيّار يومئذ بلاء حسناً، فانقطع سيفه، وانقطع سيور ركابه؛ فأخذ سيور ركابه؛ فضرب بها رجلاً حتى أثخنَه، وسقط في اللّهب مع سَوْرة يومئذ عبد الكريم بن عبد الرحمن الحنفيّ وأحد عشر رجلاً معه. وكان ممّن سلم من أصحاب سَوْرة ألف رجل، فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان: رأيت فساطيط مبنيّة بين السماء والأرض؛ فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لعبد الله بن بسطام وأصحابه، فقتلوا من غدٍ؛ فقال رجل: مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة. قال: ولم يشكر الجُنيد لنصر ما كان من بلائه، فقال نصر:

إنْ تحسُدُوني على حُسن البلاءِ لكُمْ ... يوماً فمِثْلُ بَلائي جَرَّ لي الحَسَدَا
يأبَى الإلهُ الذي أعلى بقدرتِه ... كعبي عليكم وأعطى فوقكم عَضُدا
وضَربيَ التركَ عنكم يوم فَرْقِكُمُ ... بالسَّيفِ في الشِّعب حتى جاوز السَّنَدَا

قال: وكان الجُنيد يوم الشِّعب أخذ في الشِّعب، وهو لا يرى أنّ أحداً يأتيه من الجبال، وبعث ابنَ الشِّخِّير في مقدمته، واتخذ ساقةً؛ ولم يتخذ مجنَّبتين.

وأقبل خاقان فهزم المقدّمة، وقتل مَنْ قتل منهم، وجاءه خاقان من قبَل ميسرته وجبغويه من قِبَل الميمنة، فأصيب رجال من الأزْد وتميم، وأصابوا له سرادقات وأبنية، فأمر الجنيد حين أمسى رجلاً من أهل بيته، فقال له: امش في الصفوف والدرّاجة، وتسمّع ما يقول الناس؛ وكيف حالهم؛ ففعل ثم رجع إليه، فقال رأيتُهم طيبةً أنفسهم، يتناشدون الأشعار، ويقرؤون القرآن؛ فسرّه ذلك، وحمد الله.

قال: ويقال نهضت العبيد يوم الشِّعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك

والصُّغد ينحدرون؛ فاستقبلهم العبيد وشدّوا عليهم بالعَمَد، فقتلوا منهم تسعة، فأعطاهم الجنيد أسلابهم.

وقال ابن السِّجْف في يوم الشِّعب؛ ويعني هشاماً:

اذكر يَتَامَى بأَرض التُّركِ ضائعَةً ... هزْلَى كأَنهُمُ في الحائطِ الحَجَلُ
وارحم، وإلاَّ فهَبْهَا أمةً دَمِرَتْ ... لا أَنفُسٌ بَقِيَتْ فيها ولا ثُقَلُ
لا تأمُلَنَّ بقاءَ الدَّهر بَعدَهَمُ ... والمَرْءُ ما عاشَ ممْدودٌ له الأَمَلُ
لاَقَوْا كتائبَ مِنْ خاقانَ مُعْلِمَةً ... عنهم يَضيقُ فضاءُ السَّهلِ والجبلُ
لَمَّا رَأَوْهُمْ قَليلاً لاَ صَرِيخَ لهمْ ... مدُّوا بأَيديهمُ لله وابْتَهَلوا
وَبَايَعُوا رَبَّ موسى بيعةً صَدَقت ... ما في قُلوبِهمُ شكٌّ وَلاَ دَغَلُ

قال: فأقام الجُنيد بسَمَرْقَنْد ذلك العام، وانصرف خاقان إلى بُخارى وعليها قَطَن بن قتيبة، فخاف الناس الترك على قَطَن، فشاورهم الجنيد، فقال قوم: الزم سَمَرْقند، واكتب إلى أمير المؤمنين يمدّك بالجنود. وقال قوم: تسير فتأتي رَبِنْجَن، ثم تسير منها إلى كِسّ، ثم تسير منها إلى نَسَف، فتصل منها إلى أرض زَمّ؛ وتقطع النهر وتنزل آمُل، فتأخذ عليه بالطريق.

فبعث إلى عبد الله بن أبي عبد الله، فقال: قد اختلَف الناس عليّ - وأخبره بما قالوا - فما الرأي؟ فاشترط عليه ألا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال، قال: نعم؛ قال: فإني أطلب إليك خِصالاً، قال: وما هي؟ قال: تخندق حيثما نزلْت؛ ولا يفوتنّك حمل الماء ولو كنت على شاطىء نهر، وأن تطيعني في نزولك وارتحالك. فأعطاه ما أراد. قال: أما ما أشار به عليك في مُقامك بسَمَرْقند حتى يأتيك الغياث، فالغياث يبطىء عنك، وإن سرتَ فأخذت بالناس غيرَ الطريق فتتَّ في أعضادهم؛ فانكسروا عن عدوّهم، فاجترأ عليك خاقان؛ وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له، فإن أخذت بهم غير الطريق تفرّق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم، ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا لعدوّهم؛ وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدوّ؛ والرأي لك أن تعمد إلى عيالات مَنْ شهد الشِّعب من أصحاب سَوْرة فتقسّمهم على عشائرهم وتحملهم معك؛ فإني أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوّك، وتعطى كلَّ رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرساً.

قال: فأخذ برأيه، فخلّف في سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير في ثمانمئة: أربعمئة فارس وأربعمئة راجل، وأعطاهم سلاحاً. فشتم الناس عبدَ الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم، وقالوا: عرّضنا لخاقان والترك، ما أراد إلا هلاكنا!

فقال عبيد الله بن حبيب لحرب بن صبح: كم كانت لكم الساقة اليوم؟ قال: ألف وستمئة، قال: لقد عُرِّضنا للهلاك. قال: فأمر الجنيد بحمْل العيال.

قال: وخرج والناس معه، وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسيّ وزياد بن خَيران الطائيّ، فسرّح الجُنيد الأشهب بن عبيد الحنظليّ، ومعه عشرة من طلائع الجند، وقال له: كلما مضيت مرحلة فَسَرّحْ إليّ رجلاً يعلمني الخبر.

قال: وسار الجُنيد؛ فلما صار بقصْر الريح أخذ عطاء الدّبُوسيّ بلجام الجُنيد وكبحَه، فقرع رأسه هارون الشاشيّ مولى بني حازم بالرّمح حتى كسره على رأسه، فقال الجنيد لهارون: خلّ عن الدبوسيّ، وقال له: مالك يا دبوسيّ؟ فقال: انظر أضعف شيخ في عسكرك فسلّحه سلاحاً تامّاً، وقلّدْه سيفاً وجعبة وتِرساً، وأعطه رمحاً، ثم سر بنا على قدر مشيه؛ فإنا لا نقدر على السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجّالة. ففعل ذلك الجُنيد؛ فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة، ودنا من الطواويس، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان، فعرضوا له بكَرْمِينيَة أوّل يوم من رمضان. فلما ارتحل الجُنيد من كرْمِينيَة قدم محمد بن الرُّنديّ في الأساورة آخر الليل؛ فلما كان في طرف مفازة كَرْمِينية رأى ضعف العدوّ؛ فرجع إلى الجنيد فأخبره؛ فنادى منادي الجنيد: ألا يخرج المكتَّبون إلى عدوّهم؟ فخرج الناس، ونشبت الحرب، فنادَى رجل: أيها الناس، صرتم حروريّة فاستقتلتم. وجاء عبد الله بن أبي عبد الله إلى الجنيد يضْحك، فقال له الجنيد: ما هذا بيوم ضحك! فقيل له: إنه ضَحِك تعجّباً، فالحمد لله الذي لم يلقك هؤلاء إلا في جبال معطّشة؛ فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار كالّين وأنت معك الزّاد، فقاتلوا قليلاً ثم رجعوا. وكان عبد الله بن أبي عبد الله قال للجُنيد وهم يقاتلون: ارتحل، فقال الجنيد: وهل من حيلة؟ قال: نعم، تمضي برايتك قَدْر ثلاث غِلاء، فإنّ خاقان ودّ أنك أقمت فينطوي عليك إذا شاء. فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبي عبد الله على الساقة.

فأرسل إليه: انزل ، قال: أنزل على غير ماء! فأرسل إليه: إن لم تنزل ذهبت خراسان من يدك؛ فنزل وأمر الناس أن يسقوا ، فذهب الناس الرّجالة والناشبة؛ وهم صَفّان؛ فاستقوْا وباتوا ، فلما أصبحوا ارتحلوا ، فقال عبد الله بن أبي عبد الله: إنكم معشَر العرب أربعة جوانب؛ فليس يعيب بعضهم بعضاً؛ كلّ ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه: مقدَّمة ـ وهم القلب ـ ومجنِّبتان وساقة؛ فإن جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانباً منكم ـ وهم الساقة ـ كان بوارُكم ، وبالحَري أن يفعل؛ وأنا أتوقّع ذلك في يومي ، فشدُّوا الساقة بخيل. فوجّه الجُنَيد خيل بني تميم والمجففة ، وجاءت الترك فمالت على الساقة؛ وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا ، فاشتدّ الأمر بينهم ، فحمل سلْم بن أحوَز على رجل من عظماء الترك فقتله. قال: فتطيّر الترك ، وانصرفوا من الطَواويس؛ ومضى المسلمون؛ فأتوا بُخَارى يوم المهرجان. قال: فتلقّوْنا بدراهم بخارية ، فأعطاهم عشرة عشرة ، فقال عبد المؤمن بن خالد: رأيتُ عبد الله بن أبي عبد الله بعد وفاته في المنام فقال: حدّث الناس عني برؤيا يوم الشعب(١). اهـ.

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزوميّ؛ كذلك حدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر.

(١) لرواية المدائني عن شيوخه ما يؤيده من قول خليفة بن خياط وقد ذكرنا في المقدمة أننا ومن باب التساهل في رواية التأريخ قبلنا ما رواه الطبري عن الفتوحات الإسلامية في عهد الأمويين وإن لم يكن مسنداً موصولاً ولكن بشرط خلو المتن من النكارات وتأييد ذلك من قبل مؤرخ آخر ثقة كابن خياط أو البلاذري وابن سعد والبسوي وغيرهم ـ ولقد قال خليفة ضمن حديثه عن وقائع سنة (١١٣) هـ فيها خرج الجنيد بن عبد الرحمن من مرة غطفان غازياً يريد طخارستان فجاشت الترك بسمرقند فسار الجنيد حتى كان على أربع من سمرقند فلقيه خاقان فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى أمسوا فتحاجزوا وكتب الجنيد إلى سورة بن أبجر من بني أبان بن دارم وهو واليه على سمرقند يأمره بالقدوم عليه فأتاه فلقيته الترك قبل أن يصل إلىٰ الجنيد فقتل سورة بن أبجر وعامة جيشه وقتل معه مجاهد بن بلعاء العنبري ثم لقيهم الجنيد فهزمهم الله ومضى الجنيد فدخل سمرقند [تأريخ خليفة/ ٢٢٢] وكذلك ذكر الذهبي أحداث هذه الوقعة تبعاً لخليفة بن خياط ضمن أحداث سنة (١١٣) هـ [تأريخ الإسلام ـ وفيات وحوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠ هـ ص٣٠٧] والله أعلم.

وقد قيل: إن الذي حجّ بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام[١].

وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة عمّالها الذين كانوا في سنة إحدى عشرة ومئة، وقد ذكرناهم قبل[٢].

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

قتل عبد الوهاب بن بخت

فممّا كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بُخت، وهو مع البطّال عبد الله بأرض الرّوم[٣].

وحجّ بالناس في هذه السنة - في قول أبي معشر - سليمان بن هشام بن عبد الملك، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وقال بعضهم: الذي حجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي[٤].

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم الذين كانوا عمالها في سنة إحدى عشرة واثنتي عشرة وقد مضى ذكرنا لهم[٥].

---

(١) ذكر الطبري اسم إبراهيم بن هشام بصيغة الجزم بينما ذكر حجّة سليمان بصيغة التمريض أي أنه يميل إلى أن الذي حجّ هذه السنة هو إبراهيم وكذلك قال خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٢].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٣) وقال خليفة قتل سنة ثلاث عشرة ومئة [طبقات خليفة/ ٢٠١١].

وقال الحافظ ابن كثير ضمن ذكره لوفيات سنة ١١٣هـ عبد الوهاب بن بخت... روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة وحديثه عن أنس مرفوعاً نضّر الله امرأً سمع مقالتي هذه فوعاها... الحديث] وقال مالك كان كثير الحج والعمرة والغزو حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رحله من رفقائه وكان سخياً جواداً استشهد ببلاد الروم مع الأمير أبي محمد عبد الله البطال ودفن هناك رحمه الله [البداية والنهاية ٧/ ١٩٥].

(٤) وكذلك قال خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٣] وابن كثير [البداية والنهاية ٧/ ١٩٥] أي: سليمان بن هشام بن عبد الملك والله أعلم.

(٥) انظر قوائم الولاة في نهاية خلافة هشام.

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومئة
ذكر الإخبار عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصّائفة اليمنى؛ فذُكر أنّ معاوية بن هشام أصاب رَبَض أقرن ، وأن عبد الله البطال التقى وقسطنطين في جَمْعٍ فهزمهم؛ وأسر قسطنطين؛ وبلغ سليمان بن هشام قيساريّة(١).

وفي هذه السنة عزلَ هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن المدينة ، وأمّر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم. قال الواقديّ: قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول؛ وكانت إمْرة إبراهيم بن هشام على المدينة ثماني سنين.

وقال الواقديّ: في هذه السنة ولي محمد بن هشام المخزوميّ مكة.

وقال بعضُهم: بل ولي محمد بن هشام مكة سنة ثلاث عشرة ومئة ، فلما عزل إبراهيم أقرّ محمد بن هشام على مكة(٢).

وفي هذه السنة وقع الطاعون ـ فيما قيل ـ بواسط وفيها قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعدما هزم خاقان وبنى الباب فأحكم ما هنالك (٨٣).

وفي هذه السنة ولّى هشام مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان.

واختلف فيمَن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر ـ فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه: حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومئة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم؛ وهو على المدينة.

وقال بعضهم حجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة فأقام

---

(١) وكذلك ذكر خليفة بن خياط [تأريخ خليفة/ ٢٢٣] وابن الجوزي [المنتظم ٧/ ١٥٩] وابن كثير [البداية والنهاية ٧/ ١٩٦].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام والمنتظم [٧/ ١٥٩] [والبداية والنهاية ٧/ ١٩٦].

خالد بن عبد الملك تلك السنة لم يشهد الحج. قال الواقدي: حدثني بهذا الحديث.

عبد الله بن جعفر عن صالح بن كيسان.

قال الواقدي: وقال لي أبو معشر: حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومئة خالد بن عبد الملك ومحمد بن هشام على مكة. قال الواقدي: وهو الثبت عندنا[١].

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها غير أن عامل المدينة في هذه السنة كان خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد بن هشام وعامل أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد[٢].

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومئة
ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرضَ الروم[٣].

وفيها وقع الطاعون بالشام[٤].

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل؛ وهو أمير مكة والطائف كذلك قال أبو معشر، فيما حدثني أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه[٥].

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة عمّالها في سنة أربع عشرة ومئة، غير أنه اختُلف في عامل خراسان في هذه السنة، فقال المدائنيّ: كان عاملها الجنيد بن

---

(١) وهذا يعني أن الطبري يرجح الرأي الأول الذي رواه عن أبي معشر أي أن خالد بن عبد الملك هو الذي كان على الحج سنة ١١٤هـ وهذا ما يؤيده خليفة بن خياط [تأريخ خليفة/ ٢٢٣] وانظر (البداية والنهاية ٧/ ١٩٦).

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٣) وكذلك ذكر خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٤] وابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٦٤) وابن كثير [البداية والنهاية ٧/ ١٩٦].

(٤) وانظر المنتظم لابن الجوزي (٧/ ١٦٤) والبداية والنهاية [٧/ ١٩٦].

(٥) وقال خليفة: وأقام الحج محمد بن هشام بن إسماعيل [تأريخ خليفة/ ٢٢٤] وابن الجوزي (المنتظم ٧/ ١٦٤) والبداية والنهاية [٧/ ١٩٦].

عبد الرحمن ، وقال بعضهم. كان عاملها عمارة بن حُرَيم المرّيّ. وزعم الذي قال ذلك أنّ الجنيد مات في هذه السنة ، واستُخلف عمارة بن حُرَيم ، وأما المدائنيّ فإنه ذكر أن وفاة الجنيد كانت في سنة ست عشرة ومئة[١].

ثم دخلت سنة ست عشرة ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة. وفيها كان طاعون شديد بالعراق والشأم وكان أشد ذلك ـ فيما ذكر ـ بواسط[٢].

وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله خراسان

وفيها كانت وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي خراسان[٣].

ذكر خلع الحارث بن سريج

وفي هذه السنة خلع الحارث بن سريج وكانت الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله[٤].

وحجّ بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو وليّ العهد؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقديّ وغيره[٥].

وكانت عمال الأمصار في هذه السَّنة عمالها في التي قبلها إلا ما كان من

---

(١) يبدو من كلام الطبري أنه يرجح الرأي القائل بأن عامل خراسان في سنة (١١٥هـ) هو الجنيد وانظر قوائم الولاة في آخر عهد هشام بن عبد الملك.

(٢) وانظر المنتظم لابن الجوزي (٧/ ١٦٩) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٧).

(٣) هكذا ذكر الطبري ويؤيده ما رواه هو عن المدائني كما مرّ قبل قليل (٧/ ٩٢) ولقد ذكر الذهبي وفاة الجنيد ضمن وفيات سنة ١١٥هـ [تأريخ الإسلام (المجلد السابق/ ٣١١) وانظر الوافي بالوفيات [١١/ ٢٠٤].

(٤) ولكن خليفة ذكر هذا الحدث ضمن أحداث سنة (١١٥هـ) [تأريخ خليفة/ ٢٢٤].

(٥) وكذلك قال خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٤] وانظر المنتظم [٧/ ١٧٠].

خُراسان فإن عاملها في هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلاليّ[١].

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصّائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصّائفة اليمنى من نحو الجزيرة، وفرّق سراياه في أرض الروم[٢].

وفيها بعث مروان بن محمد ـ وهو على أرمينية ـ بعثين، فافتتح أحدهما حصوناً ثلاثة من اللاّن ونزل الآخر على تُومانشاه، فنزل أهلها على الصلح[٣].

وفيها عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان، وضمها إلى خالد بن عبد الله، فولاّها خالد أخاه أسدَ بن عبد الله.

وقال المدائنيّ: كان عزل هشام عاصماً عن خراسان وضمّ خراسان إلى خالد ابن عبد الله في سنة ستّ عشرة ومئة[٤].

وحجّ بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك[٥].

وكان العامل فيها على المدينة وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن

---

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٢) والذي قاله خليفة هو أن معاوية بن هشام سار حتى بلغ سيرة، وبلغت سراياه سردة أرض الروم [تأريخ خليفة/ ٢٢٥].

(٣) ذكر خليفة من طريق أبي خالد عن أبي البراء قال فيها بعث مروان بن محمد وهو والي أرمينية وأذربيجان ببعثين إلى جبل القبق فافتتح أحد البعثين ثلاثة حصون من اللان ونزل البعث الآخر على تومان شاه فنزل تومان شاه على حكم مروان بن محمد فبعث به مروان إلى هشام بن عبد الملك فرده هشام إلى مروان فأعاده مروان على مملكته [تأريخ خليفة/ ٢٢٥] وانظر المنتظم لابن الجوزي ٧/ ١٧٤.

(٤) ذكر خليفة هذا العزل وهذه التولية دون ذكر للسنة [تأريخ خليفة/ ٢٣٣] وانظر المنتظم لابن الجوزي (٧/ ١٧٤).

(٥) وكذلك ذكر خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٥].

إسماعيل وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد[١].

وفيها توفيت فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين بن علي[٢].

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومئة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك أرض الروم[٣].

وفي هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل. ذكر الواقديّ أن أبا بكر بن عمرو بن حَزْم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمْرته على المدينة؛ فصعد المنبر، وصلى بالنّاس ستة أيام، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملاً على المدينة[٤].

وفي هذه السنة مات عليّ بن عبد الله بن العباس؛ وكان يكنى أبا محمد، وكانت وفاته بالحُمَيمة من أرض الشأم؛ وهو ابن ثمان ـ أو سبع ـ وسبعين سنة[٥].

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف.

وقد قيل إنما كان عامل المدينة في هذه السنة خالد بن عبد الملك، وكان إلى

---

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٢) وكذلك ذكر الذهبي في تأريخ الإسلام (وفيات سنة ١٠١ ـ ١٢٠/ ص ٣١٣)وكذلك قال ابن حجر (تقريب التهذيب/ تر ١١٧٢٧) في ترجمة فاطمة وأما في ترجمة سكينة فقد ذكر الذهبي مرة أخرى أنها توفيت في ربيع الأول من سنة ١١٧هـ على قول الواقدي وغيره [تأريخ الإسلام/ المجلد السابق/ ٢٧٣] وانظر وفيات الأعيان (٢/ ٣٩٤).

(٣) وكذلك ذكر ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٨٦) ولكن خليفة ذكر اسم معاوية بن هشام فقط في هذه الغزوة [تأريخ خليفة/ ٢٢٦].

(٤) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام بن عبد الملك.

(٥) وكذلك قال خليفة بن خياط [تأريخ خليفة/ ٢٢٦].

محمد بن هشام فيها مكة والطائف؛ والقول الأول قول الواقديّ(١).

وكان على العراق خالد بن عبد الله ، وإليه المشرق كله ، وعامله على خُراسان أخوه أسد بن عبد الله ، وعامله على البصرة وأحداثها وقضائها والصّلاة بأهلها بلال بن أبي بُرْدة ، وعلى أرمينية وأذْرَبيجان مَرْوان بن محمد بن مروان(٢).

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه

وفي هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في نفر ، فأخذهم خالد فقتلهم.

ذكر الخبر عن مقتلهم:

أما المغيرة بن سعيد ، فإنه كان ـ فيما ذكر ـ ساحراً. حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، قال: سمعت المغيرة بن سعيد ، يقول: لو أردتُ أن أحيي عاداً أو ثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لأحييتهم. قال الأعمش: وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم ، فيُرى مثل الجراد على القبور؛ أو نحو هذا من الكلام(٣).

---

(١) وكذلك ذكر خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٦].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٣) هذان خبران بإسنادين ضعيفين ولكنهما يتعاضدان في توكيد أصل الخبر ولهما ما يؤيدهما كما سنذكر فقد روى حماد بن زيد عن ابن عون قال لنا إبراهيم: إياكم والمغيرة بن سعيد وأبا عبد الرحيم فإنهما كذابان (ميزان الاعتدال/ تر ٩١٩٤) وقال جرير بن عبد الحميد كان المغيرة بن سعيد كذاباً ساحراً (المصدر السابق) وروى أبو معاوية عن الأعمش أنه سأل المغيرة بن سعيد أكان عليّ يحيي الموتى قال إي والذي نفسي بيده لو شاء أحيا عاداً وثموداً [ميزان الاعتدال/ تر ٩١٩٤].

وقال الحافظ ابن عدي: لم يكن بالكوفة ألعن من المغيرة بن سعيد فيما يُروى عنه من الزور عن علي رضي الله عنه هو (أي المغيرة بن سعيد) دائم الكذب، على أهل البيت [الكامل ٦/ ١٨٣٧].

=

وذكر أبو نعيم، عن النّضر بن محمد، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قدم علينا رجلٌ من أهل البَصْرة يطلب العلم؛ فكان عندنا، فأمرتُ جاريتي يوماً أن تشتري لي سمكاً بدرهمين، ثم انطلقت أنا والبصريّ إلى المغيرة بن سعيد، فقال لي: يا محمد، أتحب أن أخبرك، لم افترق حاجباك؟ قلت: لا، قال أفتحبّ أن أخبرك لم سماك أهلك محمداً؟ قلت: لا، قال: أما إنك قد بعثت خادمك يشتري لك سمكاً بدرهمين. قال: فنهضنا عنه. قال أبو نعيم: وكان المغيرة قد نظر في السحر، فأخذه خالد القسريّ فقتله وصلبه[1].

قال أبو جعفر: وحجّ في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك وحجّ معه ابن شهاب الزهري في هذه السنة[2].

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسري وعامل خالد على خراسان أخوه أسد بن عبد الله ـ وقد قيل إن أخا خالد أسداً هلك في هذه السنة واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني.

وقيل: إن أسداً أخا خالد بن عبد الله إنما هلك في سنة عشرين ومئة.

وكان على أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد[3].

= وروى شبابة قال: حدثنا عبد الأعلى بن أبي المساور سمعت المغيرة بن سعيد الكذاب يقول: إن الله يأمر بالعدل ـ عليّ ـ والإحسان ـ فاطمة ـ وإيتاء ذي القربى الحسن والحسين ـ وينهى عن الفحشاء والمنكر قال فلان أفحش الناس والمنكر فلان [ميزان الاعتدال مع الذيل/ تر ٩١٩٤] و[تأريخ الإسلام/ المجلد السابق/ ٤٧٦/ تر ٥٦٩].

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) وقد وافق خليفة بن خياط قول الطبري هنا (تأريخ خليفة/ ٢٢٧).

(٣) سنذكر أسماء الولاة في نهاية عهد خليفة الوقت (يومها) هشام وأما عن موت أسد فقد ذكر الطبري أنه توفي سنة ١١٩ بصيغة التوكيد ولكن ذكر سنة ١٢٠هـ بصيغة التمريض وهو الذي أخذ به خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٣٣] و[تأريخ الإسلام/ المجلد السابق/ ٣٢٢] وكذلك أرخ ابن حجر لوفاته [تقريب/ تر ٤٥٧] والعجيب من الطبري أنه ذكر هنا وفاة أسد العتري وذكر قول من أرخ لوفاته بسنة (١٢٠) بصيغة التمريض بينما أفرد لوفاته عنواناً خاصاً في بداية أحداث سنة (١٢٠هـ) والله أعلم.

ثم دخلت سنة عشرين ومئة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصّائفة وافتتاحه ـ فيما ذكر ـ سندرة، وغزوة إسحاق بن مسلم العُقيليّ وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه أرضه، وغزوة مَرْوان بن محمد أرض الترك[١].

خبر وفاة أسد بن عبد الله القسريّ

وفيها كانت وفاة أسد بن عبد الله في قول المدائنيّ[٢].

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياها كلها[٣].

ذكر الخبر عن عمل هشام
في عزل خالد حين صحّ عزمه علىٰ عزله

قال عمر قال علي عن بشر بن عيسى عن أبيه قال: قال حسان النبطي هيّأت لهشام طيباً فإني لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطيب إذ قال لي: يا حسان في كم يقدم القادم من العراق إلى اليمن؟ قال: قلت لا أدري فقال:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

---

(١) وكذلك ذكر خليفة فيما يتعلق بالصائفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٧] وكذلك ذكر ابن الجوزي (كعادته) ما ذكره الطبري هنا [المنتظم ٧/ ١٩٩].

(٢) ذكر الطبري وفاته مرة أخرى وبصيغة التوكيد ضمن أحداث سنة ١٢٠هـ عن المدائني. وكذلك ذكر خليفة بن خياط [تأريخ خليفة ٢٣٣] وابن الجوزي [المنتظم ٧/ ١٩٩] والذهبي [تأريخ الإسلام/ وفيات ١٠١ ـ ١٢٠هـ/ ص ٣٢٢] وابن حجر [تقريب التهذيب/ تر ٤٥٧].

(٣) وهذا ما ذكره خليفة من طرق عدة فقال حدثنا الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن المغيرة عن أبيه وأبو اليقظان عامر بن حفص وغيرهم قالوا: جمعت العراق لخالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي في سنة ست ومئة وعزل سنة عشرين ومئة [تأريخ خليفة/ ٢٢٧].

قال فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها وذلك في جمادى الآخرة سنة عشرين ومئة[١].

وذكر الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش، أنّ هشاماً أزمع على عَزْل خالد، وكان سبب ذلك أنه اتخذ بالعراق أموالاً وحفر أنهاراً؛ حتى بلغت غَلته عشرين ألف ألف؛ منها نهر خالد، وكان يُغل خمسة آلاف ألف وباجَوّى وبارُمّانا والمبارك والجامع وكُورة سابور والصِّلح، وكان كثيراً ما يقول: إنني والله مظلوم؛ ما تحت قدميّ من شيء إلا وهو لي - يعني أن عمر جعل لبجيلة ربع السواد[٢].

وكان هشام حسوداً متيقظاً، فبلغه ذلك فأحفظه، وأصرّ عليه فكلّم خالداً أخلاؤه وصنائعه العُريان بن الهيثم، وبلال بن أبي بُردة، وغيرهما. فقالوا: نشيرُ عليك برأي قد أصبناه ورأيناه صواباً، فيه دوام نعمتك، وكبت أعاديك. قال: وما هو؟ قالوا: قد بلغنا عن أمير المؤمنين هشام ما غمّنا من سؤاله وقتاً بعد وقتٍ عن غلاتك وأموالك، فاكتب إليه فاعرض عليه أموالك. فقال: والله ما يعارضني شكٌّ في نصيحتكم، ولكني - والله - لا أعطي الدنيّة، ولا أخرج عن يدي درهماً قسراً فما فوقه أبداً. قالوا: فإن هشاماً أعذر منك، ولاّك ولا تملك شيئاً، وقد عرفت شرهه وحرصك، فإن هو قبض ما تعرض عليه فعلينا جمعه لك ثانية، فلما كان في سنة تسع عشرة ومئة كتب إليه هشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمرٌ لم يحتمله منك إلا لِما أحبَّ

---

(١) عمر هو ابن شبة ثقة وشيخه علي المدائني صدوق وبشر بن عيسى ذكره ابن حبان في الثقات أما أبوه فلم نجد له ترجمة وخبر عزل خالد وتولية يوسف العراق متفق عليه عند المؤرخين المتقدمين والمتأخرين كما سبق وسنذكر بعد قليل ما يؤيده والله أعلم.

(٢) الهيثم بن عدي متروك ولكن توبع فيه فقد أخرجه البلاذري قال حدثنا العمري (حفص بن عمر) عن ابن عياش به [البلاذري ٩/ ٣٧١٢] ولعلّ أصحّ رواية في الباب هو ما أخرجه المؤرخ الثقة: الزبير بن بكار المتوفى (سنة ٢٥٦ هـ) قال حدثني أبو الحسن المدائني (صدوق) عن قحذم مولى آل أبي بكرة (ذكره ابن حبان في الثقات ولم نعلم فيه جرحاً) وكان قحذم كاتباً ليوسف بن عمر قال: لما ولي خالد بن عبد الله القسري العراق اتخذ أموالاً وضياعاً، وحفر أنهاراً، فكان يستغل عشرين ألف ألف درهم بالعراق، منها نهر خالد، وكان يغلّ خمسة آلاف ألف درهم، والجامع، والمبارك ولؤبة سابور، والصلح.

من رب صنيعته قبلك ، واستتمام معروفه عندك ، وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد منك ، فإن تعُدْ لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك ، رأى في معاجلتك بالعقوبة رأيه ، إنّ النعمة إذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته ، فأساء حمل الكرامة ، واستغل النعمة ، ونسب ما في يده إلى جبلته وبيته ورهطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغير ، وانكشط عنه عماية الغنى والسلطان ، ذل منقاداً وندم قسراً ، وتمكّن منه عدوه قادراً عليه ، قاهراً له ، ولو أراد أمير المؤمنين إفسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك ، وعظيم زللك ، حيث تقول لجلسائك: والله ما زادني العراق رفعةً ولا شرفاً ولا ولاّني أمير المؤمنين شيئاً لم يكن مَنْ كان قبلي ممّن هو دوني يلي مثله. ولو ابتليت ببعض مقاوم الحَجّاج أهل العراق في تلك المضايق بمثل الجماعات التي لَقي ، لعلمتَ أنك من بَجيلة ، ولقد خرج عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنك ، فما استطعتم إلا بأمانٍ ، ثم أخفرتَ ذِمّتك ، فيهم رزين وأصحابه ، ولعمري لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بلفظ في مجلسك ، وجحودك فضله عليك في تصغير عظيم ما أنعمَ به عليك ، فحلَّ العقدة ، ونقض الصنيعة ، وردَّك إلى منزلة أنت أهلها ، لكنتَ له مستحقّاً ، ولقد حشدَ جدُّك يزيد بن أسد مع معاوية يوم صفّين ، وعرض دينه ودمه فما اصطنع إليه ، ولا ولاّه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين وولاّك ، وقِبَلَه من أشراف أهل اليمن والبيوتات مَنْ قبيلتُه أكرم من قبيلتك من كندة وغسّان وآل ذي يَزن وذي كلاع وذي رُعَين في نظرائهم من بيوتات قومهم ، كلُّهم أكرم أوليّة ، وأشرف أسلافاً من آل عبد الله بن يزيد. ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق ، بلا بيت عظيم ، ولا شرف قديم ولَهذه البيوت تغمرك وتعلوك ، وتُسكتك وتتقدمك في المحال والمجامع عند ابتداء الأمور وأبواب الخلفاء. ولولا ما أحبّ أمير المؤمنين من ردّ غربك لعاجلك بالتي كنتَ أهلها ، وإنها لقريبٌ منك مأخذها ، سريع مكروهها ، فمنها ـ إن اتّقى الله أمير المؤمنين ـ زوال نعمة الله عليك ، وحلول نقمته بك ، فيما صنعت وارتكبت بالعراق من أهله ، واستعانتك باليهود والنصارى والمجوس ، تولِّيهم أموال المسلمين وخراجَهم ، وتسلّطهم عليهم ، نزعَ بك إلى ذلك عرق سوءٍ من التي قامت عنك ، فبئس الجنين أنت عُديّ نفسه ، وإن الله لما رأى إحسان أمير المؤمنين إليك وسوءَ قيامك بشكره ، قلب قلبه لك فأسخطه عليك ، حتى قبحت أمورك عنده ، وآيسه

مع شكرك ما ظهر له من كفرك النعمة عندك ، فأصبحتَ تنتظر غير النعمة وزوال الكرامة ، وحلول الخزي ، فتأهب لنوازل عقوبة الله بك ، فإنّ الله عليك أوجد ، ولما عملت أكره ، فقد أصبحت وذنوبك أعظم من أن يبكّتك بها أمير المؤمنين ذنباً ذنباً ، ومن يرفع عليك عنده يُبكّتك منها بما نسيته وأحصاه اللهُ عليك ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك بما عرفك من التسرع إلى حماقاتك في غير واحدة ، منها القرشي الذي تناولته بالحجاز ظالماً ، فضربك الله بالسوط الذي ضربته به ، مفتضحاً على رؤوس رعيتك ، ولعلّ أمير المؤمنين أن يعود عليك بمثلها ، فإن فعل فأنت أهلها ، وإن صفح فأهلُه هو ، والله لو لم يستدلّ أمير المؤمنين على ضعف نحائزك ، وسوء تدبيرك إلا فسالة دخلائك وبطانتك وعمّالك ، والغالبة عليك جاريتك الرائقة ، بائعة العهود ، ومُشغلة الرجال ، مع ما أتلفتَ من مال الله بالمبارك اثني عشر ألف ألف درهم ، والله أن لو كنت من ولد عبد الملك لما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من أموال الله ، وضيّعت من أمور المسلمين ، وسلّطتَ من ولاة السوء على جميع كوَر الإسلام ، تُحمَل إليك هدايا النيروز والمهرجان ، خالساً لأكثرها ، رافعاً لأقلّها مع كثرة مساويك المتروك تقريرك بها ، ومناصبتك أمير المؤمنين في موالاة حسّان ووكيله في ضياعه ، وأحوازه في العراق ، وسيكون لك ولأمير المؤمنين نبأ إن لم يعفُ عنك ، ولكنه يظن الله طالبك بأمور ، غير تارك لتكشيفك عنها ، وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة ، وترك رفع محاسبتك سنة كذا وكذا لما وليتَ من خراج العراق ، وتوجيهك أخاك أسداً إلى خراسان ، مظهراً بها العصبية ، متحاملاً على هذا الحيّ من مضرَ ، قد أتت أمير المؤمنين عيونه بتصغيره لهم ، واحتقاره إياهم ، ناسياً لحديث زَرْنَب وقِصَص الهجريّين كيف كانت في يزيد بن أسد ، فإذا خلوتَ أو توسَّطتَ مَلأً فاعرف نفسَك ، واحذر رواجع البغي عليك ، وعاجلات العقوبة ، فإنّ ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا أفسدُ لك ، وأشدُّ عليك ، فإن أمير المؤمنين قد تأنّى فيئك ، وأمّلَ رجعتك ، واستنظرَ توبتك ، وقِبَل أمير المؤمنين خلف كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم ، وفيهم عِوَضٌ منك ، واللهُ من ورائك إن شاء الله ، وكتب [عبد الله بن] سالم ، مولى أمير المؤمنين سنة تسع عشرة ومئة .

فلما دخلت سنة عشرين ومئة كتب هشام إلى يوسف بن عمر وهو عامل اليمن بولايته على العراق لما بلغه من شهامته ورجولته وخبثه ، . . . . . الرواية وفي آخرها : وعذب يوسفُ خالداً ، من غير أن يبلغ نفسه ، ثم أتاه كتاب هشام في استخلاصه إلى ما قبله ، فوجّهه إليه ، فخلّى سبيله ، فكان مقيماً بالشام إلى أن مات هشام في سنة خمس وعشرين ومئة ، فردّه الوليد بن يزيد إلى يوسف بالعراق فعذّبه حتى قتله[١] . [الأخبار الموفقيات/ ٢٤٨].

وفي هذه السنة قدم يوسف بن عمر العراق والياً عليها ، وقد ذكرت سبب ولايته عليها .

وفي هذه السنة ولّى خراسان يوسف بن عمر جُديْعَ بن عليّ الكرماني وعزل جعفر بن حنظلة[٢] .

وفي هذه السنة عزل الكرماني عن خراسان ووليها نصر بن سيَّار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جريّ بن عوف بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وأمّه زينب بنت حسان من بني تغلب[٣] .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وقد قيل : إن الذي حجّ بهم فيها سليمان بن هشام وقيل : حجّ بهم يزيد بن هشام[٤] .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق كله يوسف بن عمر . وعلى خراسان نصر بن سيار ـ وقيل جعفر بن حنظلة ـ وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمي من قبل يوسف بن عمر

---

(١) ورجال هذا الإسناد بين الثقة والصدوق كما ذكرنا في مقدمة الخبر وفحذم كاتب والي العراق ذكره ابن حبان في الثقات ولم نعلم فيه جرحاً فقد وضعنا رواية من هذا حاله في قسم الصحيح إذا لم يكن في المتن ما يتعلق بأمور العقيدة أو التشريع أو طعناً في عدالة الصحابة أو نكارة والله أعلم .

(٢) انظر قوائم الولاة بعدُ.

(٣) انظر الحاشية السابقة .

(٤) لقد ذكر الطبري الرأي الأول بصيغة الجزم وكذلك قال خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٢٧].

وعلى قضائها عامر بن عبيدة الباهلي وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة[(١)].

ذكر الخبر عن ظهور زيد بن عليّ

وفيها قُتل زيد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب في قول الواقديّ في صفر؛ وأما هشام بن محمد فإنه زعم أنه قتل في سنة اثنتين وعشرين ومئة، في صفر منها[(٢)].

ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه

وقد قيل: إن هشام بن عبد الملك إنما استقدم زيداً من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر؛ وكان السبب في ذلك ـ فيما زعم أبو عبيدة ـ أن يوسف بن عمر عَذّب خالد بن عبد الله. فادّعى خالد أنه استودع زيد بن عليّ وداود بن عليّ ابن عبد الله بن عباس ورجليْن من قريش: أحدهما مخزوميٌّ والآخر جُمَحيٌّ مالاً عظيماً، فكتب بذلك يوسف إلى هشام، فكتب هشام إلى خاله إبراهيم بن هشام ـ وهو عامله على المدينة ـ يأمره بحملهم إليه فدعا إبراهيم بن هشام زيداً وداود، فسألهما عما ذكر خالد، فحلفا ما أودعهما خالد شيئاً، فقال: إنكما عندي لصادقان؛ ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان، فلا بدّ من إنفاذه. فحملهما إلى الشأم، فحلفا بالأيمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيئاً قطّ، وقال داود: كنت قدمت عليه العراق، فأمر لي بمئة ألف درهم، فقال هشام: أنتما

---

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٢) يبدو أن الطبري يميل إلى تثبيت سنة (١٢١هـ) كتأريخ لمقتله رضي الله عنه ويضعف قول من قال أنه قتل سنة ١٢٢ بينما قال خليفة بن خياط أنه قتل سنة ١٢٢هـ [تأريخ خليفة/ ٢٢٩].
وقال الذهبي: وقد اختلف في تأريخ مصرعه على أقوال: فقال مصعب الزبيري قتل في صفر سنة عشرين ومئة وله اثنتان وأربعون سنة وقال أبو نعيم قتل يوم عاشوراء سنة اثنين وعشرين ومئة رواه ابن سعد وقال هشام بن الكلبي والليث بن سعد والهيثم بن عدي وغيرهم قتل سنة اثنتين وعشرين ومئة وقال الزبير بن بكار قال محمد بن الحسن قتل زيد يوم الإثنين ثاني صفر سنة اثنتين وعشرين ومئة / تأريخ الإسلام/ حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠هـ/ ١٠٨.

عندي أصدق من ابن النصرانيّة ، فاقدما على يوسف ، حتى يجمع بينكما وبينه فتكذّباه في وجهه(١) .

ولرواية ضمرة بن ربيعة عن مهلب ما يؤيده (مختصراً) فقد أخرج البلاذري بإسناده المركب (حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وقرأت على المدائني عن أشياخ ذكرهم وأخبرني عبد الله بن صالح رحمه الله عن عبثر بن القاسم بن زبيد ، وابن كناسة قالوا: كان زيد بن علي رضي الله تعالى عنه مع خالد بن عبد الله القسري في أصحابه في الكوفة ، وخالد والي العراق. وكان داود بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم مع خالد أيضاً ، فلما ولي يوسف بن عمر الثقفي العراق مكان خالد بلغه أن خالداً أودع زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم وداود بن علي بن عبد الله بن العباس مالاً ، فَحَلَفا

---

(١) هذا الخبر أورده الطبري عن أبي عبيدة بصيغة التمريض فيما زعم.
ولكن له ما يؤيده فقد أخرج ابن العديم (بغية الطلب ٩/ ٤٠٣٧) وابن عساكر (١٩/ ٤٧١) عن ضمرة بن ربيعة قال: إنما كان سبب وجود زيد بالعراق أنه ـ يعني يوسف بن عمر ـ سأل القسري وابنه عن ودائعهم فقالوا: لنا عند داود بن علي وديعة وعند زيد بن علي وديعة فكتب بذلك إلى هشام فكتب هشام إلى صاحب المدينة في إشخاص زيد بن علي وكتب إلى صاحب البلقاء في إشخاص داود بن علي إليه فقدما على هشام ، فأما داود بن علي فحلف لهشام أنه لا وديعة لهم عندي فصدّقه ـ وأذن له بالرجوع وأما زيد بن علي فأبى أن يقبل منه وأنكر أن يكون لهما عنده شيء فقال أقدم على يوسف فقدم على يوسف فجمع بينه وبين يزيد وخالد فقال إنما هو شيء تبردت به مالي عنده شيء فصدّقه وأجازه يوسف وخرج يريد المدينة فلحقه رجال من الشيعة فقالوا له: ارجع فإن لك عندنا الرِّجال والأموال فرجع وبلغ ذلك يوسف ، قال ضمرة فسمعت مهلباً يقول: أمر يوسف بالصلاة جامعة فمن لم يحضر المسجد فقد حلت عليه العقوبة قال: فاجتمع الناس وقالوا ننظر ما هذا الأمر ثم نرجع قال فاجتمع الناس فأمر الأبواب فأخذ بها فبنى عليهم قال وأمر الخيل فجالت في أزقة الكوفة قال فمكث الناس ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في المسجد يؤتىٰ الناس من منازلهم بالطعام يناوبهم الشرط والحرس ، قال فخرج زيد على تلك الحال فلم يلبث أن ترتفع الشمس حتى قتل من يومه لم يخرج معه إلا جُميع فأخذه رجل في بستان له مصرف الماء عن الساقية وحفر له تحت الساقية ودفنه وأجرى عليه الماء قال وغلام له سندي في بستان له ينظر فذهب إلى يوسف فأخبره فبعث فاستخرجه ثم صلبه. قال ضمرة فمن يومئذ سمعت الرافضة أتوا إلى يزيد فقالوا سُبَّ أبا بكر وعمر نقوم معك وننصرك فأبىٰ فرفضوا ذلك فسموا يومئذ روافض فالزيدية لا تستحلّ الصلاة خلف الشيعة] ا هـ.

على ذلك فقبل يمينهما ، وانصرفا إلى مكة فلقيهما نصر بن خزيمة العبسي فدعاهما إلى الخروج فأجابه زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ، فقال داود لزيد: يا بن عمر لا تفعل فإنهم يَغُرُّوْنَك ويُسلمونك. قال عبد الله بن صالح في حديثه عن ابن كناسة ، وأنشد داود:

أنـا ابـن بجـدتهـم عِلْمـاً وتَجْـربَـةً فَاسْألْ بِسَعْدٍ تجِدْني أَعْلَم الناس[1]

[كتاب جمل من أنساب الأشراف ٣/ ١٣٥٧].

وذكر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر؛ فقال له: لا أصدّقك ، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ الله لم يرفع قَدْر أحدٍ عن أن يرضى بالله ، ولم يضع قَدرَ أحدٍ عن ألا يُرْضى بذلك منه ، فقال له هشام: لقد بلغني يا زيدُ أنك تذكر الخلافة وتتمنّاها ، ولستَ هناك وأنت ابن أمة! فقال زيد: إن لك يا أمير المؤمنين جواباً، قال: تكلم، قال: ليس أحدٌ أولَى بالله ، ولا أرفع عنده منزلة من نبيّ ابتعثه؛ وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء ، وولد خيرهم محمداً ﷺ ، وكان إسماعيل ابن أمَة وأخوه ابنَ صريحة مثلك؛ فاختاره الله عليه ، وأخرج منه خير البشر؛ وما على أحد من ذلك جدَّه رسول الله ﷺ ما كانت أمه [أمَةً] فقال له هشام: اخرج ، قال: أخرج ثم لا تراني إلا حيث تكره ، فقال له سالم: يا أبا الحسين؛ لا يظهرنّ هذا منك[2].

---

(١) أما الإسناد الأول فتالف والثاني فقد أبهم المدائني أسماء شيوخه ولكن الجزء الثالث من هذا الإسناد المركب فرجاله ثقات ولكن البلاذري خلط المتون رحمه الله. فلعل نكارة أو غرابة من ضعيف يختلط مع متن صحيح لراوٍ ثقة والحالة هذه والله أعلم.

(٢) ومتن رواية البلاذري لم تتحدث عن وفود زيد بن علي ومن معه إلى دار الخلافة في دمشق بل اختصر متن هذه المسألة واقتصر على ما جرى بين زيد بن علي ووالي العراق والله أعلم.
ذكر الطبري هذه الرواية بلا إسناد وقد أخرج ابن عساكر.
٢ ـ وأخرج ابن عساكر من طريق يموت بن المزرع (لا بأس به) عن محمد بن حميد اليشكري (ثقة) عن معاذ بن أسد (ثقة) قال أقرّ ابن لخالد بن عبد الله القسري علىٰ زيد بن علي وداود ابن علي بن عبد الله بن العباس وأبو سلمة المخزومي ومحمد بن عمر بن علي وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنهم قد أزمعوا علىٰ خلع هشام بن عبد الملك فقال هشام لزيد قد بلغني كذا وكذا؟ قال ليس كما بلغك يا أمير المؤمنين قال بلىٰ قد صحّ عندي ذلك. قال أحلف لك فقال وإن حلفت فأنت غير مصدق فقال زيد إن الله لم يرفع من قدرِ أحدٍ أن =

= يحلف بالله فلا يصدق فقال له هشام اخرج عني قال إذاً لا تراني إلا حيث تكره فلما خرج من بين يدي هشام قال: من أحبّ الحياة ذلّ ، فقال له الحاجب يا أبا الحسين لا يسمعن هذا منك أحد (١٩/ ٤٦٧) وهذا إسناد غير موصول.
هذه الرواية تخالف رواية الطبري التي ذكرت أن هشاماً صدّقهم عندما أقسموا له بالأيمان المغلظة وأخرج ابن عساكر من طريق يموت بن المزرع عن أبي مسلم عبد الله بن مسلمٌ حدثني أبي عن أبيه قال: دخل زيد بن علي بن الحسين علىٰ هشام بن عبد الملك وكان زيد لأم ولد فقال هشام: يا زيد بلغني أن نفسك تسمو بك إلىٰ الإمامة والإمامة لا تصلح لأبناء الإماء. فقال له زيد يا أمير المؤمنين إن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام كان لأمة وقد كانت له النبوة وكان صادق الوعد وكان عند ربه مرضياً والنبوة أكبر من الإمامة... إلخ الرواية [تأريخ دمشق/ ١٩/ ٤٦٨].
وأما عن إقناع شيعة الكوفة للإمام زيد بالخروج علىٰ خليفة الوقت هشام فصحيح كما مرّ بنا في الروايات السابقة ويؤيدها ما أخرجه ابن عساكر عن زكريا بن أبي زائدة قال: لما حججت مررت بالمدينة فقلت لو دخلت علىٰ زيد بن علي بن الحسين فسلمت عليه... الرواية...
وفي آخرها: فخرجت من عنده فمضيت فقضيت حجتي ثم انصرفت إلىٰ الكوفة فبلغني قدومه فأتيته فسلمت عليه ومسألته عما قدم له فأخبرني بكتب من كتب إليه يسأله القدوم عليه فأشرت عليه بالانصراف فلحقه القوم فردوه [تأريخ دمشق ١٩/ ٤٦٩] ولرواية الطبري وروايات ابن عساكر ما يؤيدها من رواية البلاذري من طريق المدائني عن عبد الله بن مسلم الفهري قال دخل زيد بن علي علىٰ هشام فلما مثل بين يديه لم ير لنفسه موضعاً ـ يجلس فيه فعلم أنه إنما فعل ذلك على عمد ، فقال يا أمير المؤمنين إنه ليس أحدٌ فوق أن يؤمر بتقوىٰ الله ولا أحد دون أن يأمر به فقال: لا أم لك ، قال: أم لم تلدني؟ قال: أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة... إلخ الخبر) وفيه الحوار الذي ذكرته رواية الطبري وابن عساكر.. والمدائني صدوق وعبد الله بن سلم إن كان البصري فهو معروف كما قال ابن حجر وصدوق كما قال علي بن الحسين بن الجنيد (لسان الميزان/ تر ٤٦٢٩).
ومسألة لقاء الإمام زيد بالخليفة هشام قبل سفر الأول إلىٰ العراق مذكورة في روايات عدة تؤكد أن هشام بن عبد الملك لم يكن ليّن الكلام مع زيد بل كان حواره استفزازاً لزيد الذي كان سريع الانفعال وخرج مغضباً كما تؤكد رواية أخرىٰ فقد أخرج ابن عساكر من طريق عباد ابن يعقوب ـ رافضي صادق ـ قال: حدثنا يونس بن أبي يعفور ـ ثقة ـ عن الزهري ـ ثقة إمام ـ قال كنت علىٰ باب هشام بن عبد الملك قال فخرج من عنده زيد بن علي وهو يقول والله ما كره قوم الجهاد في سبيل الله إلاَّ ضربهم الله تعالىٰ بالذل) [تأريخ دمشق ١٩/ ٤٥٥].
ولا ندري ماذا عنىٰ زيد بهذه العبارة هل عنىٰ أنه ترك الجهاد مع الجيوش الفاتحة علىٰ أطراف الخلافة وبقي في المدينة منشغلاً عن الجهاد أم أنه يعتبر الخروج علىٰ هشام جهاداً؟ الله =

وأما غير أبي مخنف فإنه قال ما ذكر عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم أن زيد بن علي لما قدم على يوسف قال له يوسف: زعم خالد أنه قد أودعك مالاً قال: أنّى يودعني مالاً وهو يشتم آبائي على منبره فأرسل إلى خالد فأحضره في عباءة فقال له: هذا زيد زعمت أنك قد أودعته مالاً وقد أنكر فنظر خالد في وجههما ثم قال أتريد أن تجمع مع إثمك فيّ إثماً في هذا؟ وكيف أودعه مالاً وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر قال فشتمه يوسف ثم رده[١].

وقال عبيد بن جناد، عن عطاء بن مسلم الخفَّاف، قال: كتب هشام إلى

= أعلم.
ولقد أخرج الطبري رواية (ذكرناها في قسم الضعيف) عن محمد بن عبد العزيز الزهري (منكر الحديث) قال: لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك.... الرواية وفي آخرها فقال (أي زيد) والله لا يحب الدنيا أحدٌ إلاّ ذلّ فلما صار إلى هشام قضىٰ حوائجهُ ثم مضىٰ نحو الكوفة)... إلخ وقد أخرج البلاذري رواية أخرىٰ نحو رواية الطبري [كتاب جمل من أنساب الأشراف ١٨/ ٣٦١٠].

(١) لم يذكر الطبري الواسطة بينه وبين عبيد بن جناد والذي يبدو لنا أنه عمر بن شبة فقد أخرج البلاذري هذا الخبر مع اختلاف يسير من طريق عمر بن شبة عن عبيد بن جناد عن عطاء بن معلم وعمر بن شبة هو المؤرخ الثقة المعروف وعبيد صدوق ولكن عطاء ضعيف يعتبر به وله ما ينكر أحياناً ومتنه هنا له ما يؤيده إلاّ أن عبارة (يشتم آبائي على منبره) غير صحيح بل محرّف وهو من تخليط وأخطاء عطاء بن مسلم فلم يصح عن خالد القسري أنه كان يشتم آباء زيد بن علي على المنبر ولو فعله لنقله الثقات إلينا ولو فعله لم يسكت عنه الحسن البصري وأمثاله وهم كثيرون لطالما عرّضوا أنفسهم لغضب الوالي وقالوا كلمة الحق وهم روّاد في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتغيير باللسان - بل لعلّ الصواب هنا أن خالداً كان يذمّ آباء زيد بن علي (رضي الله عنهم أجمعين انتهاءاً بسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) وكان له رأي سوء كان يبديه ولكن لم يتفوه به على منبره كما أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن أحمد سمعت ابن معين قال خالد بن عبد الله القسري كان والياً لبني أمية وكان رجل سوء وكان يقع في علي بن أبي طالب (تأريخ دمشق ٦/ ١٦٠).
وأخرج ابن عساكر من طريق عمر بن شبة ثنا أبو نعيم عن الفضل بن الزبير أنه سمع القسري يقع في علي بن أبي طالب [تأريخ دمشق ٦/ ١٦٠] فلو صح هذان الخبران يكون الصواب أنه كان يقع في سيدنا علي رضي الله عنه في مجلسه لا على منبره والله أعلم بالصواب.
ولذلك قال الذهبي في ترجمة خالد القسري: صدوق لكنه ناصبي بغيض ظلوم [الميزان/ ١/ ٦١٧] وأما بقية المتن فصحيح كما ذكرنا آنفاً.

يوسف أن أشخِصْ زيداً إلى بلده ، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعُوَ أهله إلا أجابوه ، فأشخصه ، فلما كان بالثعلبيَّة ـ أو القادسية ـ لحقه المشائيم ـ يعني أهل الكوفة ـ فردُّوه وبايعوه ، فأتاه سلمة بن كُهيل ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقه فأحسن. ثم تكلم زيد فأحسن ، فقال له سلمة: اجعل لي الأمان ، فقال: سبحان الله! مثلك يسأل مثلي الأمان! وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم قال: لك الأمان ، فقال: نشدتُك بالله ، كم بايعك؟ قال: أربعون ألفاً ، قال: فكم بايع جدَّك؟ قال: ثمانون ألفاً ، قال: فكم حصل معه؟ قال ثلثمئة ، قال: نشدتُك الله أنت خير أم جدّك؟ قال: بل جدّي ، قال: أفقَرْنُك الذي خرجتَ فيهم خير أم القَرْن الذي خرج فيهم جدُّك؟ قال: بل القَرْن الذي خرج فيهم جدّي ، قال: أفتطمع أن يفيَ لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدّك! قال: قد بايعوني ، ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم ، قال: أفتأذن لي أن أخرج من البلد؟ قال: لمَ؟ قال: لا آمن أن يحدث في أمر حدثٌ فلا أملك نفسي ، قال: قد أذنتُ لك ، فخرج إلى اليمامة ، وخرج زيد فقتل وصلب. فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه سلمة بن كُهيل يخرج من الكوفة ، ويقول: مقامه كان خيراً من كذا وكذا من الخيل تكون معك[1].

---

(١) إن الطبري في قوله (وقال عبيد بن جناد) أمين جداً في نقله للخبر فهو قد اطلع على صحف ورسائل وكتب في التأريخ كثيرة وقد أجازه شيوخه في رواية كتب الأخباريين الذين لم يلقهم فشيخه عمر بن شبة هو الواسطة بينه وبين كتب المدائني وغيره وعلى ما يبدو فإنه قد اطلع على مرويات أخرى للمدائني وعبيد بن جناد وغيرهما كثير ولكن دون إجازة من شيوخه فهو يقول استناداً إلى اطلاعه الشخصي فيقول (قال) المدائني أو (عبيد بن جناد كما ها هنا وعبيد ثقة إلا أن عطاء بن مسلم ضعيف يعتبر به وهو عند ابن حجر صدوق يخطىء كثيراً ـ وقد ذكر هنا جزءاً يسيراً من رسالة الخليفة هشام إلى واليه على العراق يأمره فيه أن يبذل جهده في إقناع زيد بالرحيل عن الكوفة والرجوع إلى المدينة ـ ثم ذكر الطبري رواية أخرى مطولة في ذكر تفاصيل الرسالة التي أرسلها هشام إلى واليه على العراق وقد ذكرنا الرواية في قسم الضعيف (١٦٩/٧) وقد ذكرها الطبري بلا إسناد ومتنها الطويل يخالف ما ذكره البلاذري عن هذه الرسالة التي شاهدها هو وقرأها بنفسه فقد قال البلاذري وقرأتُ في كتاب سالم كاتب هشام كتاباً نُسْخَتُه: «أما بعد فقد عرفتَ حال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت ، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم لافتراضهم على أنفسهم طاعتهم ، ونحلتهم إياهم عظيم ما هو كائن مما استأثر الله بعلمه دونهم حتى حملوه على تفريق الجماعة والخروج على الأئمة ، وقد قدم=

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ـ كذلك قال أبو مَعْشر ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت. عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه. وكذلك قال الواقديّ وغيره[١].

وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة محمد بن هشام ، وعامله على العراق كلّه يوسف بن عمر ، وعامله على أذرَبيجان وأرمينية مَرْوان بن محمد ، وعلى خراسان نصر بن سيّار ، وعلى قضاء البصرة عامر بن عُبيدة ، وعلى قضاء الكوفة ابن شُبُرمة[٢].

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

[خبر مقتل زيد بن علي][٣]

وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القُشيريّ الذي كان هشام بن عبد الملك

= زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومة ، فرأى رجلاً جدلاً لَسِناً حُوَّلاً قُلَّباً ، خليقاً بصوغ الكلام وتمويهه واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وكثرة مخارجه في حُجَجه ، وبما يدلي به عند الخصام من العُلُوِّ على الخصم بالقوة المؤدية إلى الفَلْج ، فَعَجِّل إشخاصه إلى الحجاز ، ولا تدعه العام قِبَلكَ [أنساب الأشراف/ ٩/ ١٣٦٠].
وهذه الصيغة التي ذكرها البلاذري أقرب إلى الصحة وأبعد عن التلفيقات التي يدخلها الرواة الوضاعون على رسائل الخلفاء وخطب الأمراء وفيها تأييد لفحوى المسألة التي أرادها الخليفة هشام وكما ورد في رواية الطبري الضعيفة [فعجّل إشخاصه إلى الحجاز] ورواية الطبري التي ذكرنا هنا في قسم الصحيح وفي أولها: كتب هشام إلى يوسف بن عمر أن أشخص زيداً إلى بلده (٧/ ١٦٨) والله أعلم.

(١) وكذلك وافق خليفة قول أبي معشر والواقدي (تأريخ خليفة/ ٢٢٨).

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام بن عبد الملك.

(٣) مقتل الإمام زيد بن علي رضي الله عنه: لقد ذكرنا أصحّ ما ورد في خبر خروج ومقتل الإمام زيد بن علي حشره الله في زمرة الشهداء والصديقين وقد فاتتنا رواية اختصرت مسألة خروجه ومقتله فقد أخرج ابن عساكر وابن العديم كلاهما من طريق المؤرخ الصدوق خليفة قال: ثنا أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء وغيره أن زيد بن علي قدم على يوسف بن عمر فأجازه وأحسن إليه ثم شخص إلى المدينة فأتاه ناس من أهل الكوفة فقالوا له ارجع فليس يوسف =

= بشيء فنحن نأخذ لك الكوفة فبايعه ناس كثير وخرج معه ناس كثير فاقتتلوا فقتل زيد فيها يعني سنة اثنين وعشرين ومئة) ا. هـ.
[تأريخ دمشق/ ٩/ ٤٧٨] [بغية الطلب ٩/ ٤٠٤٩] وأما أبو اليقظان فقد سبق أن ترجمنا له وشيخه جويرية بن أسماء صدوق من السابعة روى عن الزهري وكان يافعاً يوم استشهد الإمام زيد والله أعلم وقال ابن سعد في ترجمة سلمة بن كهيل: توفي سنة ١٢٢هـ حين قتل زيد بن علي بالكوفة [الطبقات الكبرى/ ص٣٢٥].

خلاصة القول في خروج الإمام زيد واستشهاده رضي الله عنه
مستقاة من أصح الروايات في الباب وكما ذكرنا

الإمام زيد بن علي إمام من أئمة أهل السنة والجماعة.
أخرج ابن عساكر من طريقين عن هاشم بن البريد عن زيد بن علي قال: أبو بكر الصديق إمام الشاكرين ثم قرأ ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] [تأريخ دمشق ١٩/ ٤٦٠] وأخرج من طرق عن هاشم بن البريد عن زيد بن علي قال: البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي [المصدر السابق ١٩/ ٤٦٢] وأخرج من طريق يعقوب بن شيبة عن أحمد بن داود الحداني قال سمعت عيسى بن يونس وسئل عن الرافضة والزيدية فقال: أما الرافضة فأول ما ترفضت: جاؤوا إلىٰ زيد بن علي حين خرج فقالوا: تبرّأ من أبي بكر وعمر حتىٰ تكون معك فقال بل أتولاّهما وأبرأ ممن يبرأ منهما، قالوا إذاً نرفضك فسميت الرافضة وقال: وأما الزيدية فقالوا نتولاهما ونبرأ ممّن يتبرأ منهما فخرجوا مع زيد فسميت الزيدية ـ [تأريخ دمشق ١٩/ ٤٦٤].
أما عن طموحه إلىٰ الخلافة فقد وردت الروايات التأريخية بأنه كان يرىٰ نفسه أهلاً لها ولا يقل عن هشام بن عبد الملك في أهليته إن لم يكن خيراً منه فقد أخرج ابن عساكر خبراً من طريقين أحدهما عن عبد الله بن عبد الرحمن الزهري.
والآخر عن عبد الكريم بن شعيب الحجبي والخبر يؤكد أن الإمام زيد بن علي قد أعلن علىٰ ملأٍ من الناس وكبرائهم في المسجد النبوي أنه ليس أقل شرفاً من هشام بن عبد الملك أو أن هشام ليس خيراً منه [تأريخ دمشق/ ١٩/ ٤٦٩ و٤٧٠].
وكانت العلاقة بينه وبين ولاة هشام طيبة وخاصة والي العراق القشري وقد بقي خمسة عشر عاماً في عهد الخليفة هشام لا يدعو إلىٰ خروج أو عصيان حتىٰ كانت سنة (١٢١هـ) فاستدعاه الخليفة لما بلغه عنه من توقان نفسه إلىٰ الخلافة وما إلىٰ ذلك ـ ولكن الخليفة لم يحمد لقياه هذه المرة فقال الإمام زيد كلمته المعروفة: والله لن ترى مني إلا ما تكره ثم شخص إلىٰ العراق والتقىٰ بواليه يوسف بن عمر فأكرمه وأجزل عطاءه وما زال به حتىٰ اقتنع بالرحيل عن الكوفة والسفر إلىٰ موطنه في الحجاز إلاّ أن شيعة الكوفة وكعادتهم مع آبائه أعطوه البيعة

بعثه في خيول أهل الشأم إلى إفريقيّة؛ حيث وقعت الفتنة بالبربر[(١)].

وفيها قتل عبد الله البطَّال في جماعة من المسلمين بأرض الروم[(٢)].

= وأثنوه عن السفر إلىٰ الحجاز وزيّنوا له الأمر وكانت كلماتهم ووعودهم الزائفة أوقع في نفسه من كلام من عذله ومنعه من الخروج علىٰ خليفة الوقت وممن عذله ابن عمه وسلمة بن كهيل وغيرهما ولكن قدّر الله وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وإليك أخي القارىء رأي أئمة أهل السنَّة والجماعة من المؤرخين الحفاظ في الإمام وخروجه.
قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام زيد بن علي رضي الله عنهما : وكان أحد العلماء الصلحاء بدت منه هفوة فاستشهد فكانت سبباً لرفع درجته في آخرته [تأريخ الإسلام/ أحداث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠هـ/ ص ١٠٥].
وقال ابن عماد الحنبلي : ضمن حديثه عن أحداث سنة ١٢٢هـ: وفيها قتل الإمام الشهيد زيد ابن علي بن الحسين رضي الله عنهم بالكوفة وقال أيضاً: وكان من أمر زيد رضي الله عنه أن هشاماً لما عرف كماله واستجماعه لخلال الفضل كتب إلى عامله علىٰ الكوفة يوسف بن عمر ابن أبي عقيل الثقفي يأمره أن يوجه زيداً إلىٰ الحجاز ـ ففعل ـ فلما بلغ يزيد العذيب (واد بظاهر الكوفة) لحقته الشيعة وأخبروه أن الناس مجمعة عليه ولم يزالوا به حتى رجع [شذرات الذهب/ ٢/ ٩٢].
وقال الذهبي أيضاً: وكان ذا علم وجلالة وصلاح هذا وخرج فاستشهد وقدم على متولي العراق يوسف بن عمر فأحسن جائزته ثم سيَّره فأتاه قوم من الكوفة فقالوا ارجع نبايعك فما يوسف بشيء فأصغىٰ إليهم وعسكر فبرز لحربه عسكر يوسف فقتل في المعركة [سير أعلام ٥/ ١٧٨].

(١) صحيح أن كلثوم بن عياش قتل في معركة شرسة أيام فتنة للبربر إلاّ أن مقتله لم يكن في سنة ١٢٢هـ كما ذكر الطبري وإنما سنة ١٢٤هـ كما ذكر الإمام الحجة الليث بن سعد وهو أقرب إلى أخبار هذه الوقعة وهو مصري (ت ١٧٥هـ) فقد أخرج ابن عبد الحكم قال: حدثنا يحيى ابن بكير عن الليث بن سعد قال: ثم وجّه هشام على أفريقية كلثوم بن عياض القيسي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومئة فلما قدم كلثوم أفريقية أمر أهل أفريقية بالجهاز والخروج معه إلى البربر ، وقال أيضاً: حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال قتل كلثوم في سنة أربع وعشرين ومئة [فتوح مصر/ ١٤٥ ـ ١٤٦].
وكذلك ذكر خليفة بن خياط أن كلثوم بن عياض قدم والياً على إفريقية في سنة (١٢٣) وقتل سنة ١٢٤هـ [تأريخ خليفة/ ٢٣٠] والله أعلم.

(٢) أما خليفة فقد ذكر أن البطال قتل بأرض الروم سنة ١٢١هـ/ تأريخ خليفة/ ٢٢٩ وكذلك ذكر الذهبي وفاته ضمن أحداث سنة ١٢١هـ ونسبه إلى خليفة [تأريخ الإسلام/ ٦] وقال ابن كثير وفي هذه السنة قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم ولم يزد ابن جرير =

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام المخزوميّ ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر؛ وكذلك قال الواقديّ وغيره(١).

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم قبل؛ إلا أنّ قاضي الكوفة كان ـ فيما ذكر ـ في هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى(٢).

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

وحجّ بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي أيضاً(٣).

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرتهم قبل(٤).

= على هذا فقد ذكر هذا الرجل الحافظ ابن عساكر في تأريخه الكبير فقال: ثم سرد ابن كثير سيرة هذا البطل الشجاع وأخباره كما ذكر ابن عساكر ثم عقب قائلاً: فهذا ملخص ما ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة البطال من السيرة المنسوبة إلى دلهمة والبطال والأمير عبد الوهاب والقاضي عقبة، وهي كذب وافتراء ووضع بارد وجهل كبير [البداية والنهاية ٧/ ٢٠٧].
وقال الذهبي في ترجمته: رأس الشجعان والأبطال وقال أيضاً ولكن كذب عليه جهلة القصاص وحكوا عنه من الخرافات ما لا يليق [دول الإسلام ١/ ٧٩].

(١) وكذلك قال خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٣٠].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

(٣) ووافق خليفة قول الطبري هنا [تأريخ خليفة/ ٢٣٠].

(٤) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد هشام.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومئة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

ابتداء أمر أبي مسلم الخُراساني[(١)]

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي[(٢)].

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة اثنتين وعشرين ومئة وفي سنة ثلاث وعشرين ومئة وقد ذكرناهم قبل[(٣)].

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة.

---

(١) مع الأسف الشديد لم نجد أحداً من المؤرخين المتقدمين (فيما نعلم) يتحدث عن بدء عمل الدعوة العباسية بإسناد موصول أو منقطع، وإنما ذكروا تلك الأخبار بلا إسناد ولقد ذكر الطبري ضمن أحداث سنة ١٢٤هـ أن بكير بن ماهان اشترى غلاماً وهو في السجل وكان هذا الغلام المجهول هو أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وفي إسناد الخبر مجهولون ورواه بسند آخر وبصورة مغايرة ولكن دون إسناد والذي نميل إليه أن بني العباس لم يكونوا بهذه السذاجة فيختاروا غلاماً مجهولاً لمجرد نبوغه وذكاءه وأدبه بل الذي نميل إليه أن أبا مسلم كان معروف الأب والجد كما أخرج ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله المرثدي ثنا أبو إسحاق الصلحي ثني أبو مسلم محمد بن عبد المطلب بن فهم بن محرز وهو من ولد أبي مسلم قال: كان اسم أبي مسلم صاحب الدعوة إبراهيم بن عثمان بن يسار وكان يكنى أبا إسحاق وولد بأصبهان ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى إلى عيسى بن موسى السراج فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين فقال إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن العباس: لما عزم على توجيهه إلى خراسان غيّر اسمك . . . إلى آخر الرواية وتكنّى أبا مسلم وتوجه أبو مسلم لشأنه وهو ابن تسع عشرة سنة وزوّجه إبراهيم بن محمد بن علي: بنت عمران بن إسماعيل الطائي وهي بخراسان مع أبيها تزوجها وقت خروجه إلى خراسان] [تأريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/ ٢٠٧/ ٥٣٥٢] و[تأريخ دمشق / ٣٥/ ٤١٠].

(٢) وكذلك قال خليفة [تأريخ خليفة/ ٢٣١].

(٣) انظر قوائم الولاة في آخر عهد هشام.

خبر وفاة هشام بن عبد الملك

ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان فيها ، وكانت وفاته ـ فيما ذكر أبو معشر ـ لستّ ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى؛ عنه.

وكذلك قال الواقديّ والمدائنيّ وغيرهما؛ غير أنهم قالوا: كانت وفاتُه يوم الأربعاء لستّ ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فكانت خلافتُه في قول جميعهم تسعَ عشرة سنة ، وسبعة أشهر وأحداً وعشرين يوماً في قول المدائنيّ وابن الكلبيّ ، وفي قول أبي معشر: وثمانية أشهر ونصفاً ، وفي قول الواقديّ: وسبعة أشهر وعشر ليالٍ.

واختلف في مبلغ سنه ، فقال هشام بن محمد الكلبيّ: توفِّيَ وهو ابن خمس وخمسين سنة. وقال بعضهم توفِّيَ وله اثنتان وخمسون سنة.

وقال محمد بن عمر: كان هشام يوم تُوفِّيَ ابن أربع وخمسين سنة. وكانت وفاته بالرُّصافة وبها قبره ، وكان يكنى أبا الوليد[1].

ذكر بعض سيَر هشام

حدثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثني عليّ بن محمد ، عن وَسْنان الأعرجيّ،

---

(١) لا خلاف بين المؤرخين في أنه توفي رحمه الله سنة ١٢٥هـ ولا خلاف بينهم كما ذكر الطبري في أنه حكم تسع عشرة سنة وبضعة أشهر والخلاف في الأشهر فقط فالمدائني والكلبي يرى أنه حكم (١٩) عاماً وسبعة أشهر وعشرين يوماً ، وأبو معشر يرى الأشهر المضافة سبعة أشهر وعشرين يوماً والواقدي يرى الأشهر المضافة سبعة أشهر وعشر ليالٍ.
وكذلك اختلفوا في سنه يوم توفي ـ ولقد أخرج خليفة في تأريخه من طرق تتعاضد ببعضها قال حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده (أي قحذم الذي أدرك هشام فكان كاتباً لواليه على العراق) وعبد الله بن مغيرة عن أبيه ، وأبي اليقظان وغيرهم قالوا: مات هشام بن عبد الملك بالرصافة يوم الأربعاء لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومئة وهو ابن ثلاث وخمسين وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك [تأريخ خليفة/ ٢٣٢] وانظر [البداية والنهاية ٧/ ٢١٦)] وتأريخ الإسلام [المجلد السابق/ ٢١٤].

قال: حدّثني ابن أبي نُحَيلة عن عقّال بن شَبَّة قال: دخلتُ على هشام، وعليه قبَاء فنَك أخضر، فوجّهني إلى خُراسان، وجعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء، ففطن، فقال: ما لك؟ قلت: رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قَباء فَنَك أخضر، فجعلت أتأمّل هذا، أهو ذاك أم غيره؟ فقال: هو والله الذي لا إله إلا هو ذاك، ما لي قَباء غيره. وأما ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فإنه لكم. قال: وكان عقَّال مع هشام. فأما شبّة أبو عَقّال؛ فكان مع عبد الملك بن مروان، وكان عقّال يقول: دخلت على هشام، فدخلت على رجل محشوّ عَقْلاً[1].

حدّثني أحمد بن زهير، قال: حدّثني عليّ، قال: قال مروان بن شجاع؛ مولى لمروان بن الحكم: كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك، فأرسل إليّ يوماً، فدخلتُ عليه، وقد غضب وهو يتلهّف، فقلتُ: ما لك؟ فقال: رجل نَصرانيٌّ شجَّ غلامي - وجعل يشتمه - فقلت له: على رِسْلك! قال: فما أصنع؟ قلت: ترفعه إلى القاضي، قال: وما غير هذا! قلت: لا، قال خصيّ له: أنا أكفيك، فذهب فضربه. وبلغ هشاماً فطلب الخصيّ، فعاذ بمحمد، فقال محمد بن هشام: لم آمرك، وقال الخصيّ: بلى والله لقد أمرتَني، فضرب هشام الخصي وشتم ابنَه[2].

حدّثني أحمد، قال: حدّثنا عليّ، قال: قال جعفر بن سليمان: قال لي عبد الله بن عليّ: جمعتُ دواوين بني مروان، فلم أرَ ديواناً أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام[3].

---

(١) الخبر أخرجه البلاذري (٨/ ٣٥٦) وفيه ريسان الأعرجي بدل وسنان - ولفظه دخلت على هشام وعليه قباء أخضر. . . . إلخ وليس فيه (فنك) وشيخ الطبري هنا ثقة والمدائني صدوق ولم نجد لوسنان ترجمة وأما ابن أبي نحيلة فقد ترجم له عقال بن عساكر وعقال بن شبة ذكره ابن حبان في الثقات ولآخر الخبر ما يشهد له [وأما ما ترون من جمعي المال وصونه لكم] فله ما يؤيده كما سنذكر في الخلاصة فيما بعد عند الحديث عن السياسة المالية لهشام بن عبد الملك.

(٢) رجال هذا الإسناد بين الثقة والصدوق وهو دليل ساطع على احترام حقوق أهل الذمة أيام الخلافة الإسلامية وعدالة هشام مع رعيته.

(٣) رجال هذا الإسناد بين الثقة والصدوق إلى عبد الله بن علي والخبر أخرجه البلاذري [كتاب جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٣٩١] ويشهد له الذي بعده.

حدثنا أحمد ، قال: قال عليّ: قال غسان بن عبد الحميد: لم يكن أحدٌ من بني مَرْوان أشدّ نظراً في أمر أصحابي ودواوينه ، ولا أشدّ مبالغة في الفَحْص عنهم من هشام[١].

حدّثني أحمد ، قال: حدّثنا عليّ ، عن عمير بن يزيد ، (عن أبي خالد) قال: حدّثني الوليد بن خليد ، قال: رآني هشام بن عبد الملك ، وأنا على بِرْذون طُخَاريّ ، فقال: يا وليد بن خليد ، ما هذا البرذون؟ قلت: حملني عليه الجُنيد ، فحسدني وقال: والله لقد كثرت الطُّخاريّة ، لقد مات عبد الملك فما وجدنا في دوابه برذوناً طُخاريّاً غير واحد ، فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه؛ وما منهم أحدٌ إلا يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئاً[٢].

حدثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: قال قحذم كاتب يوسف: بعثني يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي ، وحبّة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحبّ ، فدخلت عليه فدنوت منه ، فلم أر وجْهه من طول السرير وكثرة الفُرش ، فتناول الحَجَر والحبّة ، فقال: أكتب معك بوزنهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين؛ هما أجلّ عن أن يُكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما! قال: صدقت ، وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله ، اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار[٣].

---

(١) أما شيخ الطبري أحمد فثقة والمدائني صدوق وأما غسان بن عبد الحميد فقد ذكره ابن حبان في الثقات والخبر أخرجه البلاذري [المصدر السابق/ ٨/ ٣٥٧٩] وهو يتقوى بالذي قبله ، وهذه شهادة ذات أهمية بالغة فهي شهادة من خصومه بني العباس؛ فعبد الله بن علي عمّ الخليفة العباسي الأول وهو هنا يشهد أن الخليفة هشام كان إدارياً من الدرجة الأولى حازماً دقيقاً في إدارة الخلافة.

(٢) في إسناد الطبري تصحيف والصواب عن أبي خلدة (خالد بن دينار) وإسناد الطبري حسن صحيح إلى الوليد بن خليد والخبر أخرجه ابن عساكر بتمامه[٦٣/ ١٢٩] وفي هذا الخبر من مناقب هشام ومثالبه أما الذي من مثالبه فلا يليق بخليفة مسلم يحكم شطر العالم القديم يحسد بعض رعاياه.
وأما الذي من مناقبه أن من بين رعايا الخليفة من يملك عربة أو دابة فارهة (برذون طخاري ـ أي عتيق فاره) لا يملكه الخليفة ولا يسلبه منه وهذه درة من درر التأريخ الإسلامي.

(٣) شيخ الطبري ثقة والمدائني صدوق وقحذم ذكره ابن حبان في الثقات وقال: لم نعلم فيه =

وفي هذه السنة ولي الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وليَها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومئة في قول هشام بن محمد الكلبيّ .

وأما محمد بن عمر فإنه قال: استُخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلْون من شهر ربيع الآخر من شهر خمس وعشرين ومئة .

وقال في ذلك عليّ بن محمد مثل قول محمد بن عمر (١) .

* * *

= جرحاً ومن ذكره ابن حبان في الثقات وقال: لم نعلم فيه جرحاً قبلنا روايته في التأريخ إذا لم يكن في متن خبره ما يتعلق بالعقيدة أو التشريع وليس فيه طعن في عدالة الصحابة ولا يخالف رواية من هو أوثق منه ولا نكارة فيه ـ وهذه الرواية تضاف إلى الروايات الأخرى التي تؤكد أن خالداً استغلّ منصبه في العراق وصارت لديه ثروة كبيرة يوزعها على الناس دون ضابط مما دفع الخليفة هشام إلى عزله عن العراق وقد قطعنا على أنفسنا أن نبيّن حقيقة الواقعة التأريخية دون أن نختار ما يروق لنا ونترك ما لا يروق. والله الموفق.

(١) وكذلك قال خليفة أي أنه ولي الخلافة سنة (١٢٥)هـ في شهر ربيع الآخر [تأريخ خليفة ٢٣١] وانظر [تأريخ الإسلام/ أحداث ووفيات سنة ١٢١ ـ ١٤٠هـ/ ص١٢].

الخليفة هشام بن عبد الملك

١٠٥ هـ ـ ١٢٥ هـ

«مناقبه ومثالبه»

مناقبه:

١ ـ كان هشام إدارياً حازماً دقيقاً:

لقد ذكرنا في قسم الصحيح قبل قليل رواية الطبري المسندة الموصولة (ورجال إسناده بين ثقة وصدوق) يشهد فيها عمّ الخليفة العباسي (عبد الله بن علي) أنه فتّش دواوين خلفاء بني مروان فوجد دواوين هشام بن عبد الملك أصحّها وأصلحها للعامة والسلطاان سواءً بسواء ـ والرواية الثانية عن غسان بن عبد الحميد: لم يكن أحدٌ من بني مروان أشد نظراً في أمر أصحابه ودواوينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام.

٢ ـ السياسة المالية لهشام بن عبد الملك:

لقد عرف هشام رحمه الله تعالى بحرصه على المال العام فضبط موارد ومخارج بيت المال ـ ولقد ذكرنا الرواية في قسم الصحيح وفيها يقول هشام: وأما ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فإنه لكم ، وسنذكر هنا ما يؤيد هذا المفهوم فقد أخرج ابن عساكر عن أبي عمير بن النحاس (ثقة) حدثني أبي قال: كان لا يدخل بيت مال هشام مال حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه ولقد أعطي لكل ذي حق حقه [مختصر تأريخ دمشق ٢٧/ ٩٩ وتأريخ =

= الإسلام/ أحداث ووفيات/ ١٢١ ـ ١٤٠ هـ/ ٢٨٣].
وأخرج البلاذري حدثني محمد بن أنس الأسدي عن ابن كناسة الأسدي قال: قدم رصافة هشام رجل من بني أسد، ثم من بني فقعس على هشام، فدخل عليه حين جلس للعامة، فقال: يا أمير المؤمنين أتت علينا سنونٌ ثلاثٌ أجحفت بالأموال ونحبت قلوب الرجال، فأما الأولى منهنّ فأذابت الشحم، وأما الثانية فَنَحَضَتِ اللحم، وأما الثالثة فهاضت العظم، وفي أيديكم فضول أموال، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله، وإن تكن لهم فعلام تحظرونها عنهم وتمنعونها ذوي خلّتهم، وإن تكن لكم فتصدقوا فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال هشام: هذه حاجتك في خاصتك، فما حاجتك في عامتك؟ قال: مالي حاجة في خاصة دون عامة، فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله أن أنفق على من أقحمته السنة حتى يأتي الله بالحيا والخصب. وكتب بمثل ذلك إلى إبراهيم بن هشام عامله بالمدينة فأنفقا، فاحتسب بألفي ألف درهم، واحتسب إبراهيم بسبعين ألف دينار فسميت السنة سنة خالد. [كتاب جمل من أنساب الأشراف/ ٨/ ٣٥٨٤].
وأخرج البلاذري: حدثنا محمد بن الأعرابي عن المفضّل الضبيّ قال: دخل قرواش بن حبيب على هشام في غمار الناس فقال: إنا أنضاء سفر، وفَلّ سنة، وعندكم أموال فإن تكن لله فبثّوها في عباد الله، وإن تكن لهم فعلام تمنعونهم إياها، وإن تكن بينكم وبينهم فقد أسأتم الأثرة وتركتم النِّصْفَة. فقال هشام: نحن أقفال عند الله مفاتيحها، فإذا أذن في شيء فتحنا له [المصدر السابق/ ٨/ ٣٥٨٠].
وأخرج البسوي من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده قال (كنت عند هشام بن عبد الملك جالساً فأتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى إذا استخلف عمر رحم الله عمر ـ نزعها . . . الخبر وفيه قال (أي هشام) والله إن فيك لعجباً تذكر من أقطع جدك ومن أقرها في يده فلا ترحّم عليه وتذكر من نزعها فترحّم عليه فأنا قد أمضينا ما صنع عمر ـ رحم الله عمر ـ قُمْ) المعرفة والتأريخ ١/ ٦٠٤.
٣ ـ تواضع هشام بن عبد الملك للعلماء والعامة على حد سواء:
أ ـ أخرج ابن الجوزي من طريق عمير بن مرداس قال ثنا الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة يقول دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال له يا سالم: سلني حاجة فقال له إني لأستحي من الله أن أسأل في بيت الله غيره فلما خرج في أثره فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة فقال له سالم من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة فقال من حوائج الدنيا فقال له ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها [المنتظم ٧/ ١١٤].
ب ـ وأخرج البسوي قال: ثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان بن عيينة حدثني أبي قال حجّ هشام بن عبد الملك فطاف في البيت ومعه سالم بن عبد الله فأراد أن يدخل الحجر فزاحمه=

= سالم هكذا وأشار سفيان بمنكبيه ، فطاف من وراء الحجر ، قال سفيان : شهده أبي [المعرفة والتأريخ ٢/ ٢٢٦].
ج - أخرج البلاذري من طريق المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قال خالد بن صفوان: دخلت على هشام بن عبد الملك في يوم شديد الحر وهو في بركة ماؤها يغمر الكعبين وقد وضع له كرسي فجلس عليه فلما رآني دعا لي بكرسي ثم جلس يسائلني فأقبلت أحدثه ثم قال: يا خالد لربّ خالدٍ جلس مجلسك كان أحب إليّ منك - يعني خالد بن عبد الله القسري - قال: فقلت: يا أمير المؤمنين لو تفضلت عليه بصفحك وتغمّدته بحلمك؟ فقال: إن خالداً أدلَّ فأملَّ وأوجف فأعجف فسكت [كتاب جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٣٦٠٠] ومسلمة أخباري مأمون وأما خالد بن صفوان فقد قال فيه الذهبي أحد فصحاء العرب ومن مشاهير الأخباريين [تأريخ الإسلام/ المجلد السابق/ ٨١].
وهذه أمثلة على تواضع هشام واختلاطه بالعامة والخاصة في الأيام العادية ومشاركة الناس في مناسباتهم وأحزانهم وما إلى ذلك فقد صح عن هشام بن عبد الملك أنّه صلّى على عددٍ من أئمة التابعين حين حضر جنازتهم - فكان يحج معهم ويزاحمونه عند الحجر ويموتون فيصلي عليهم ويدخل عليه الناس في وقت استجمامه وراحته - يا ترى كم تتغيّر الصورة لو قبلنا فقط روايات المؤرخين الثقات وبأسانيدهم الصحيحة بدلاً من أكوام الروايات المهلهلة التي لفّقها أبو مخنف والكلبي وغيرهما - ولقد أخرج ابن عساكر من طريق أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيد قال دخل عقال بن شبة على هشام فأراد أن يقبل يده فمنعه وقال مَهْ لا يفعل هذا من العرب إلا الهلوع ولا من العجم إلا الخضوع [٤٠/ ٤٨١].
٤ - حب هشام لمجالس العلم والعلماء وتكفله لمعاشهم والسؤال عنهم واستشارتهم في أمور الحكم:
أ - معلوم لدى المؤرخين (متقدمين ومتأخرين) أن الإمام الزهري رحمه الله تعالى كان كالظل للخليفة هشام يشير عليه في أمور الخير ويعينه على الحكم بكتاب الله وسنة نبيّه وكان هشام يُحُبه ويُجلّه - فقد أخرج البسوي من طريق الوليد بن مسلم عن سعيد أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يملي على بعض ولده فدعا بكاتب فأملى عليه أربعمئة حديث ثم خرج الزهري من عند هشام فقال أين أنتم يا أصحاب الحديث فحدثهم تلك الأربعمئة حديث ثم أقام هشام شهراً. . . إلى آخر الخبر [المعرفة والتأريخ ١/ ٦٤٠/ و١/ ٦٣٠] وأخرج البسوي قال: حدثني عبد العزيز بن عبد الله الأويسي ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه: أن هشام بن عبد الملك قضى دين ابن شهاب ثمانين ألف درهم [المعرفة والتأريخ ١/ ٦٣٠] وهذا إسناد صحيح وأخرج ابن العديم من طريق الوليد بن شجاع قال حدثني محمد بن شعيب بن شابور قال أخبرنا الوليد بن سليمان بن أبي الساري عن رجاء بن حيوة أنه حدثه قال: كتب هشام بن=

= عبد الملك إلى عامله أن يسأله عن حديث قال رجاء فكنت قد نسيته لولا أنه كان عندي مكتوباً [بغية الطلب ٨/ ٣٦٢٣].
وأخرج الفسوي من طريق محمد بن أبي عمر عن سفيان قال: قال هشام بن عبد الملك لأبي حازم يا أبا حازم ما النجاة من هذا الأمر؟ قال: يسير. قال وما ذاك؟ قال لا تأخذن شيئاً إلا من حلّه ولا تضعنّ شيئاً إلاّ في حقه قال ومن يطيق ذلك يا أبا حَازم؟ قال من طلب الجنة وهرب من النار [المعرفة والتأريخ ١/ ٦٧٩].
٥ ـ هشام كان يجد من يعينه على الحق ويزيد الذي سبقه لم يجد.
لعلّ القارىء الكريم يتسائل وما علاقة هذه المسألة بمناقب خليفة الوقت هشام ـ فأقول وبالله التوفيق:
إن الباحث المنصف حين يتدبّر روايات التأريخ الصحيحة يجد أن كوكبة من العلماء برزوا في عهد عمر بن عبد العزيز أعانوه على عمله الإصلاحي والتغييري نحو إرجاع الخلافة إلى ما كان عليه أيام الراشدين ومعاوية وكذلك هشام وإن لم يصل إلىٰ مستوى ابن عبد العزيز ولكنه بلغ قمة سامقة أعانه في ذلك البلوغ كوكبة من العلماء كالزهري وغيره ليس فقط في ميدان تذكير الحاكم بالحق والخير وإعانته على البرّ وإنما في مجال ترشيد الناس وتربيتهم وتوجيههم فكانوا بذلك مدارس عظيمة لتنشئة الجيل على الهدى والحق ـ فقال البسوي سعيد (بن عبد العزيز) قال كان سليمان بن موسى يقول إذا جاءنا العلم من الحجاز عن الزهري قبلناه وإذا جاءنا من الجزيرة عن ميمون بن مهران قبلناه وإذا جاءنا من العراق عن الحسن قبلناه وإذا جاءنا من الشام عن مكحول قبلناه] قال سعيد: فكان هؤلاء الأربعة علماء الناس في خلافة هشام] [المعرفة والتأريخ ٢/ ٤١٠] وهذا يذكرنا بما تعلّمناه من أساتذتنا من أن التأريخ الإسلامي تأريخ أمة وليس تأريخ أسر حاكمة ونضيف إلى كلامهم الكريم فنقول: إن الأمة بكل صنوفها حكاماً ومحكومين شاركوا في تسطير صفحات ذلك التأريخ بما فيه من قمم، وبما فيه غير ذلك، ولقد كان هشام حريصاً على تولية العلماء مناصب في إدارته؛ فقد أخرج الأصبهاني في حلية الأولياء عن التابعي الجليل إبراهيم بن أبي عبلة قال: أرسل إليّ هشام بن عبد الملك فقال: لي يا إبراهيم إنا قد عرفناك صغيراً واختبرناك كبيراً فرضينا سيرتك وحالك وقد رأيت أن أخلطك بنفسي وخاصتي واشركك في عملي وقد وليتك خراج مصر فقلت (أي إبراهيم) أما الذي عليه رأيك يا أمير المؤمنين فالله يجزيك ويثيبك وكفى به جازياً ومثيباً وأما الذي أنا عليه فمالي بالخراج بصر ومالي عليه قوة، قال: فغضب حتى اختلج وجهه وكان في عينه (حول) فنظر إلي نظر منكظاً ثم قال: لتلين طائعاً أو لتلينَ كارهاً؟ قال فأمسكت عن الكلام حتى رأيت غضبه انكسر وسورته قد طفئت فقلت يا أمير المؤمنين أتكلم؟ قال: نعم قلت: إن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾. =

= فوالله يا أمير المؤمنين ما أغضب عليهن إذ أبين ولا أكرههن إذ كرهن ، وما أنت بأحق أن تغضب علي إذا أبيت ، ولا تكرهني إذا كرهت . قال : فضحك حتى بدت نواجذه .
ثم قال : يا إبراهيم قد أبيت إلا فقهاً ، لقد رضينا عنك ووافيناك (تهذيب الحلية ٢/ ١٩٥/ تر ٣٢١).
وقبل أن نغادر هذه المسألة نقول : ليس هذا فقط من صنف العلماء وإنما كان من بين قواده وأمراءه وخاصة (أقاربه) من يعينه على الحق كخاله وأخيه (مسلمة) وأخيه الآخر محمداً فمسلمة كان قائداً شجاعاً صالحاً شديداً على أعداء الخلافة الإسلامية .
وكثير من القادة والعلماء كانوا يسمعون ويطيعون للخليفة هشام ومن قبله يزيد وعمر بن عبد العزيز وسليمان ولكن في طاعة الله فإذا أمر بمعصية لم يسمعوا له بل أنكروا عليه ولكن بالحجة واللسان دون اللجوء إلى السيف الذي طالما فرّق الجماعة وأحدث جراحات في الأمة وكان هذا دأب كثير من أئمة المسلمين كمحمد بن الحنفية وابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم ومن بعدهم الحسن البصري وغير واحد فالحسن البصري والشعبي عندما سألهما والي العراق في عهد يزيد هل ينفذ أوامر الخليفة بحذافيرها أم يسمع له في المعروف والحق فقط فأشارا عليه بالسمع في الطاعة فقط فإن يزيداً لا يملك له عند الله شيئاً ولا يغني عنه .
وأمر الله أولى بالاتباع فقد أخرج البلاذري من طريق المدائني عن المفضل بن فضالة قال بعث ابن هبيرة إلى الحسن والشعبي فاجتمعا عنده فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك عبد من عباد الله أخذ عهده لهم وأعطوه عهودهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، وإنه يأتيني منه أمور لا أجد من إنفاذها بُدّاً ، والحسن ساكت فقال له ما تقول يا أبا سعيد؟ قال : إنّ الله مانعك من يزيد وإن يزيداً غير مانعك من الله ، وإنه يوشك أن ينزل بك أمر من السماء فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فلا يوسعه إلا عملك ، يابن هبيرة إني أنهاك عن الله أن تتعرض له ، فإن الله إنما جعل السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تركبوا عباد الله بسلطان الله فتذلوهم ، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . [كتاب جمل من أنساب الأشراف ٨/ ٣٤٦٢].
ورواية أخرى أخرجها الكندي المصري (أبو عمر) قال :
حدَّثنا أبو بشر الدُولابيّ قال : حدَّثني معاوية بن صالح الأشعري قال : أخبرني منصور بن أبي مُزاحم قال : سمعت أبا عبد الله يقول : ولّى هشام أخاه محمداً مصر فقال له : أنا أليها على أنك إن أمرتني بخلاف الحقّ تركتها . فقال : ذلك لك ، فوليها شهراً فأتاه كتاب لم يعجبه فرفض العمل وانصرف إلى الأردن وكان منزله بها في قرية يقال لها ريسون فكتب : أتترك مصر لريسون حسرة ستعلم يوماً أيّ بيعتك أربح قد أدرك هشام مثل هذا . فأجابه محمد : إنّي لست أشكّ في أن أربح البيعتين ما صنعتُ [كتاب الولاة والقضاة/ ٧٣].

٦ ـ الجهاد ومعارك الفتوح أيام الخليفة هشام بن عبد الملك: (١٠٥ ـ ١٢٥هـ) لو راجعنا أسماء القادة والأمراء الذين ولّاهم هشام على الجيوش الفاتحة لتبيّن لنا أن هشام كان يرسل أبناءه وإخوانه وأبناء عمومته على رأس الجيوش الفاتحة ـ بالله عليك أخي القارىء كم حقائق تأريخية طمست في خضم الروايات الملفقة ـ فها هو الخليفة هشام يختار أقرب المقربين إليه ليحاربوا في بلادٍ سحيقة البعد منقطعة الطرق فيها عدو شرس تمرّن على الكرّ والفرّ والغدر والحيلة!!!

إلا أنها عقيدة التوحيد حين استقرت في تلك النفوس فدفعتها إلى تسجيل تلك الصفحات الناصعة من التاريخ الإسلامي ولكن أنّى لأقلام مستشرقة أن تذكر هذه الدرر وهذه الصفحات الناصعة البياض وإليك أسماء القادة والأمراء المجاهدين في عهده:

١ ـ معاوية بن هشام بن عبد الملك (ابن الخليفة).

٢ ـ سليمان بن هشام بن عبد الملك (ابن الخليفة).

٣ ـ مسلمة بن عبد الملك (أخو الخليفة).

٤ ـ محمد بن مروان (ابن عم الخليفة هشام).

حركة الفتوحات والجهاد في عهد الخليفة هشام: غزا معاوية بن هشام أرض الروم فبعث ابن بطّال (البطل المعروف) إلى حنجرة ففتحها (تاريخ خليلة/ ٣٢٥).

وفي سنة (١٠٩ هـ) غزا مسلمة بن عبد الملك وسرع الجيوش في أذربيجان فشتّوا بها (خليفة/ ٣٢٥).

وفي سنة (١٠٩ هـ) غزا معاوية بن هشام أرض الروم وافتتح حصناً يقال له القطاسين (خليفة/ ٣٥٢) وفي سنة (١١٠هـ) غزا معاوية أرض الروم وافتتح حصنين من حصونهم صملة والبوة (ص٣٥٣) (والطبري ٧/ ٥٤) وفي سنة (١٢١هـ) هزم سعيد بن عمرو الحرشي ابن خاقان وقتل منهم مقتلة عظيمة فهرب طاغية الخزر وكتب إلى هشام بن عبد الملك (خليفة/ ٣٥٧) (وانظر أحداث ١١٣ هـ عند الطبري ٥/ ٨٨) وفي سنة (١٢١ هـ) غزا مروان بن محمد من أرمينية غزوة السائحة فدخل من باب اللان ضمر بأرض اللان حتى خرج منها إلى بلاد الخزر ضمر ببلنجر وسمندر فانتهى إلى البيضاء التي يكون فيها خاقان فهرب خاقان (خليفة/ ٣٦٤).

وفي سنة (١٢١ هـ) خرج مروان بن محمد منطلقاً من أرمينية فأتى قلعة بيت السري وحصن نحو مسلم ثم دخل أرض تومان وصالح ملكها ثم سار إلى أرض زروبكرزان (تاريخ خليفة/ ٣٦٧) وفي سنة (١١٤هـ) سار مروان غازياً حتى جاوز نهر أرم (خليفة/ ٣٥٩) وفي سنة (١١٤هـ) التقى البطل المسلم المعروف بابن بطال مع قسطنطين فهزم الله العدو وأسر قسطنطين في هذه المعركة (تاريخ خليفة/ ٣٦٠) وفي سنة (١١٦هـ) أغزى أرض السوس وأرض السودان فظفر وأصاب ذهباً كثيراً (خليفة/ ٣٦١) وما ذكرناه جزء من فتوحات أخرى

= حدثت في عهد أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك الذي كان حريصاً على إبقاء جذوة الجهاد متقدة وقدّم من أجل ذلك أبناءه وأخاه وابن عمه في مقدمة الجيوش الفاتحة ويوم أن جاء البشير إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بالفتح وانتصار المسلمين على خاقان فكبر (البشير) على الباب وهشام يكبر لتكبيره حتى انتهى إليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين وأخبره فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر (الطبري ٧/ ١٢٦) فرحم الله الخليفة العادل الزاهد المجاهد هشام بن عبد الملك وبهت أعداء الإسلام وأعداء تاريخه العظيم.

٧ ـ وهذه آراء بعض أئمة التأريخ في هشام بن عبد الملك:

قال الحافظ ابن كثير: لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية وتولّى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطراب أمرهم جداً وإن كانت تأخرت أيامهم بعده نحواً من سبع سنين ولكن في اختلاف وهيج وما زالوا كذلك حتى خرج عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة] البداية والنهاية ٩/ ٣٦٩ وقال المدائني والهيثم وغيرهما: السوّاس من بني أمية ثلاث: معاوية، وعبد الملك، وبهشام اختتمت أبواب السياسة وحسن السير [شذرات الذهب ٢/ ١٠٥] وقال عماد الدين أبو الفداء: وكان هشام حازماً سديد الرأي غَزيرَ العقل [المختصر بأخبار البشر ١/ ٢٠٥] هذا بالإضافة إلى شهادة خصومه بني العباس وقد ذكرناها في قسم الصحيح من قبل.

ونختتم مناقبه بكلام المؤرخ الإمام الثقة ابن الجوزي إذ قال نقلاً عن علماء السير:

قال علماء السير: كان هشام إذا صلّى الغداة كان أول من يدخل عليه صاحب حرسه فيخبره بما حدث في الليل ثم يدخل عليه موليان له مع كل واحد منهما مصحف فيقعد أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره حتى يقرأ عليهما جزأه، ويدخل الحاجب فيقول فلان بالباب وفلان وفلان فيقول ائذن، فلا يزال الناس يدخلون عليه فإذا انتصف النهار وضع طعامه ورفعت الستور فيدخل الناس وأصحاب الحوائج وكاتبه قاعد خلف ظهره فيقوم أصحاب الحوائج فيسألون حوائجهم، فيقول لا ونعم، والكاتب خلفه يرفع بما يقول حتى إذا فرغ من طعامه وانصرف الناس صار إلى قائلته فإذا صلى الظهر دعى بكاتبه فناظره فيما ورد من أمور الناس حتى يصلي العصر ثم يأذن للناس فإذا صلى العشاء الآخرة حضر سمّاره؛ الزهري وغيره [المنتظم ٧٢/ ٩٨].

وأما مثالب الخليفة هشام بن عبد الملك:

١ ـ تأخّره في عزل والي العراق خالد بن عبد الله القسري:

ومن باب عدم بخس الناس أشياءهم نقول: إن خالداً قام بأعمال خير، منها: استصلاح الأراضي الزراعية وحفر الأنهار، وإكرام أئمة أهل البيت كالإمام زيد وأبناء عمومته ـ وكان في الوقت نفسه حرباً على الزنادقة وأهل البدع والأهواء وكما قال ابن كثير كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد وقد نسب إليه =

= صاحب العقد أشياء لا تصح لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع [البداية: ١/ ٢٢] وكذلك قال الذهبي: إن من حسناته قَتلهُ مغيرة بن سعيد الكذاب [سير أعلام ٥/ ٤٣٢] ولعل ذلك كان سبباً دفع أهل البدع والأهواء إلى نسج روايات ملفقة عن سوء سلوكه وحكمه ولكن كل ذلك لا يخفي ما ذكرته الروايات الصحيحة من إسرافه وتبذيره للمال العام وإنفاقه على الناس دون ضابط على العكس تماماً من الخليفة يزيد بن عبد الملك وتأخّر هشام في عزله من مثالبه رحمه الله تعالى.

والنقد نفسه يوجه إلى هشام لعدم عزله يوسف بن عمر بعد قتله لإمام من أئمة أهل البيت ألا وهو زيد بن علي رضي الله عنه.

٢ ـ بالرغم من حزم هشام وصبره وتواضعه فَقَدْ فَقَدَ توازنه المعهود حين بلغه أن يزيد يطمح إلى الخلافة وازداد حنقاً عندما حاوره في سنة (١٢١ هـ) وعلم من فصاحته وبلاغته ومنطقه الأخّاذ، فأساء معاملته وأغلظ في الكلام معه ولم يكرمه حق الإكرام الذي يستحق كإمام من أئمة أهل البيت الكرام، فكانت تلك المواجهة الكلامية السيئة التي قابل بها زيداً سبباً أو شرارة أذكت روح الإباء والخروج عند الإمام زيد كما قال ابن عساكر: وفد على هشام بن عبد الملك فرأى منه جفوة فكان ذلك سبب خروجه وطلبه للخلافة [تأريخ دمشق ١٩/ ٤٥٠/ تر ٢٣٤٤].

والمعروف عن هشام كرهه الشديد لسفك الدماء وكان حريصاً على إقناع زيد بأي شكل من الأشكال بالرجوع إلى الحجاز وترك الكوفة ولقد طلب من والي العراق وبإلحاح أن يسرع في حثه على العودة إلى الحجاز وقد نجح في ذلك لولا تشبث شيعة الكوفة به وهو خارج الكوفة. وسوء تعامله مع الإمام زيد في لقائهما الأخير سنة (١٢١ هـ) من مثالبه الكبيرة وقد ترك أثره من بعد هشام.

قال خليفة تحت عنوان: تسمية عمال هشام بن عبد الملك:

مكة والمدينة والطائف: محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي سنة ست ومئة في جمادى الأولى، فلم يزل والياً على مكة حتى مات هشام.

المدينة: ولاها مع مكة محمد بن هشام بن إسماعيل، ثم عزله سنة أربع عشرة ومئة وولى خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، ثم عزله سنة تسع عشرة ومئة، وكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فكان يصلي بالناس حتى قدم محمد بن إبراهيم بن هشام سنة تسع عشرة، فلم يزل والياً حتى مات هشام.

اليمن: ولاها هشام يوسف بن عمر الثقفي، فقدمها لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست ومئة، فلم يزل والياً حتى كتب إليه في سنة عشرين ومئة بولايته على العراق، فسار واستخلف ابنه الصلت بن يوسف. ثم ولّاها أخاه القاسم بن عمر، فلم يزل والياً حتى مات هشام.

=

= البصرة: ولاّها خالد بن عبد الله القسري عند ولايته العراق أبان بن ضبارة بن عفير بن سيف بن ذي يزن من أهل حمص.
والشرط: عقبة بن عبد الأعلى الكلاعي من أهل دمشق، ثم ولّى الشرط مالك بن المنذر بن الجارود العبدي، فقدمها في ذي القعدة سنة ست ومئة، ثم عزل مالك بن المنذر بن الجارود وولّى بلال بن أبي بِردة سنة، ثم ولّى النضر بن عمر المُقرىء الحميري من أهل دمشق الصلاة، ثم عزله في اخر سنة عشر ومئة، وجمع الصلاة والشرط والقضاء لبلال بن أبي بردة حتى عزل خالد عن العراق سنة عشرين ومئة، وولى يوسف بن عمر الثقفي العراق فبعث الوازع بن عباد الكلبي فأخذ بلالاً، ثم ولّى يوسف كثير بن عبد الله السلمي ويكنى أبا العاج ثم عزله سنة اثنتين وعشرين ومئة وولّى القاسم بن محمد فلم يزل والياً حتى مات هشام.
الكوفة: ولاها خالدُ بن عبد الله عبد الملك بن جزء بن حدرُجان الأزدي من أهل فلسطين، ثم عزله وولّى إسماعيل بن أوسط البجلي، ثم عزله وولى عبد الله بن عمرو البجلي ثم عزله وولّى أخاه عاصم بن عمرو، ثم عزله وولى ضبيس بن عبد الله البجلي، ثم عزله وولّى نوفاً الأشعري، ثم عزله وولّى زياد بن عبيد الله الحارثي، ثم عزل خالداً سنة عشرين ومئة وولّى يوسف بن عمر، فولّى الحكم بن الصلت الثقفي، ثم عزله وولّى يوسف بن محمد بن القاسم الثقفي، ثم عزله وولّى محمد بن عبيد الله الثقفي، ثم عزله وولى زياد بن صخر اللخمي، ثم عزله وولّى عبيد الله بن العباس الكندي، ثم عزله وولّى أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، فأقام جمعة حتى هرب يوسف بن عمر.
خراسان: ولّى خالد بن عبد الله أخاه أسد بن عبد الله خراسان، ثم عزله هشام سنة ثمان ومئة وولى أشرس بن عبد الله السلمي ثم عزله سنة ثلاث عشرة ومئة وولّى الجنيد بن عبد الرحمن من مرة غطفان، ثم عزله سنة خمس عشرة ومئة وولّى عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي، ثم جمعت لخالد بن عبد الله الثانية فولّى أخاه أسد بن عبد الله، فمات أسد سنة عشرين ومئة قبل عزل خالد بقليل، واستخلف جعفر بن حنظلة البهراني ثم ولّى هشام نصر بن سيار الليثي حتى مات هشام.
سجستان: ولاّها خالد بن عبد الله يزيد بن الغريف الهمداني، ثم الأصفح الكندي أبا خالد بن الأصفح الكندي، ثم عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فلم يزل والياً حتى عزل خالد وولّى يوسف بن عمر العراق، فولاّها محمد بن حجر بن قيس العبدي، ثم إبراهيم بن عاصم العقيلي فمات إبراهيم فولاّها يوسف حرب بن قطن بن قبيصة بن مخارق الهلالي، فلم يزل والياً حتى مات هشام.
السند: أقرَّ عليها خالد بن عبد الله الجنيد بن عبد الرحمن من مرة غطفان سنتين، ثم عزله وولّى تميم بن زيد القيني، ثم عزله وولّى الحكم بن عوانة، فقتلت الميذ الحكم، =

= واستخلف محمد بن عرار الكلبيٍ ، فعزله يوسف سنة اثنتين وعشرين ومئة وولّى عمرو بن محمد بن القاسم ، فلم يزل والياً حتى مات هشام.
البحرين: عمال خالد عليها محمد بن زياد بن جرير بن عبد الله البجلي وهزان بن سعيد ، ويحيى بن إسماعيل ، ويحيى بن زياد بن الحارث الحارثي.
وعمال يوسف على البحرين: عبد الله بن شريك النميري ، ومحمد بن حسان بن سعد الأسيدي ، وغلب عليها المسيب بن فضالة نحواً من ثلاث سنين.
اليمامة: ولاها هشام المهاجر بن عبد الله من بني أبي بكر بن كلاب فمات المهاجر فولّاها ابنه حتى قتل الوليد.
مصر: ولّى هشام محمد بن عبد الملك بن مروان ثم ولّاها عبيدة بن الحبحاب مولى بني سلول.
إفريقية: كان عليها بشر بن صفوان الكلبي ، فخرج عنها وافداً إلى يزيد بن عبد الملك ، واستخلف يحيى بن ماعصة الكلبي ، فرد هشام بشر بن صفوان إليها فقدمها سنة ست ، فلم يزل والياً حتى مات سنة تسع ومئة ، واستخلف نعّاس بن قرط الكلبي فعزله هشام وولّى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ، فقدمها سنة عشر ومئة ، ثم شخص عنها واستخلف عقبة بن عبد الله بن قدامة التجيبي ، ثم جمعها لعبيدة بن الحبحاب مع مصر ، فقدمها سنة عشر ومئة ، ثم عزله سنة ثلاث وعشرين ومئة وولّاها كلثوم بن عياض ، ثم ولى حنظلة بن صفوان الكلبي فقدمها في النصف من جُمادى الأولى سنة أربع وعشرين فلم يزل بها إلى سنة تسع وعشرين.

القضاة في ولاية هشام بن عبد الملك

البصرة: «ولى خالد بن عبد الله ثمامة بن أنس بن مالك قضاء البصرة ، ثم عزله سنة تسع ومئة وجمع القضاء لبلال بن أبي بردة ، فلم يزل قاضياً حتى قدم يوسف بن عمر سنة عشرين ومئة فولى عبد الله بن بريدة الأسلمي» ، فلم يلبث أن مات فاستقضى عامر بن عبيدة الباهلي ، فلم يزل قاضياً حتى مات هشام والوليد ، ووقعت الفتنة فاعتزل.
الكوفة: أقر خالد الحسين بن الحسن الكندي عليها ثم عزله ، ثم سعيد بن أشوع الهمداني ، ثم محارب بن دثار سنة ثلاث عشرة ومئة ثم الحكم بن عتيبة العجلي ، ثم أعاد ابن أشوع فلم يزل قاضياً حتى مات ، ثم ولّى عيسى بن المسيب البجلي ، ثم قدم يوسف بن عمر فعزل عيسى بن المسيب وولّى عبد الله بن شُبرمة الضبي ، ثم عزله وولاه بيت المال وولّى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حتى مات هشام والوليد.
المدينة: ولى هشام إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المدينة فاستقضى محمد بن صفوان الجمحي ، ثم استقضى الصلت بن زبيد بن الصلت ثم عزل إبراهيم بن هشام سنة أربع عشرة ، وولى المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص فاستقضى=

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قال الطبري: قد مضى ذكر سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له بالخلافة بعد أخيه هشام بن عبد الملك(١).

[تولية الوليد نصر بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ نصرَ بن سيّار خراسان كلها وأفرده بها(٢).

[تولية الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة](٣).

= خالد أبا بكر بن عبد الرحمن بن حويطب من بني عامر بن لؤي، ثم عزله واستقضى محمد بن صفوان الجمحي، ثم عزل هشام خالداً سنة تسع عشرة ومئة، وكتب إلى أبي بكر (بن محمد) بن عمرو بن حزم فلم يزل قاضياً حتى مات. [تأريخ خليفة/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥].

(١) قد ذكر الطبري أن العلاقة بين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك كانت سيئة والسبب واضح فقد عرف عن الوليد فسقه وعدم التزامه وشربه للخمر.
ثم ذكر الطبري رواية غير صحيحة السند مضطربة المتن وقد تكلّمنا عنها بما فيه الكفاية في القسم الثاني (الضعيف والمسكوت عنه) ونثبت هنا ما نراه أصحّ رواية في الباب والله أعلم.
فقد أخرج ابن الجوزي من طريق علي بن الحسن الهسنجاني حدثنا أصبغ بن الفرج قال سمعت ابن عيينة يقول إن الوليد بن يزيد أمر بقبّة من حديد أن تعمل وتركب على أركان الكعبة ويخرج لها أجنحة لتظله إذا حج وطاف فعملت ولم يبق إلا أن تركب فقام الناس في ذلك؛ الفقهاء والعباد وغضبوا في ذلك وقالوا لا يكون هذا قط وكان من أشدهم في ذلك كلاماً وقياماً سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن وكتب إلى الوليد بذلك [المنتظم ٧/ ٢٣٧] وهذا إسناد صحيح وابن عيينة معاصر لتلك الأحداث وكان سنّه يوم قتل الوليد عشرون سنة.
ولكن بعض الرواة الغلاة المبتدعة حرّفوا هذه الرواية وزاد عليها بعض المؤرخين المنحازين كما ذكرنا في قسم الضعيف فليراجع.

(٢) ذكر الطبري هنا أن الوليد هو الذي ولّى نصراً خراسان أو جمعها كلها له ولكن خليفة ذكر أن نصراً تولّى خراسان أيام هشام وبقي عليها حتى توفي هشام وأيام الوليد كذلك [تأريخ خليفة ٢٣٣/ و٢٣٨] والله أعلم.

(٣) قال خليفة: كتب الوليد إلى محمد بن هشام بن إسماعيل وهو وال على مكة لهشام بن عبد الملك فقدم عليه واستخلف على المدينة محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. =

وفي هذه السنة عزل يوسف بن محمد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة وولاهما يحيى بن سعيد الأنصاري[١].

وتوفي محمد بن علي في مستهلّ ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان بين وفاته ووفاة أبيه علي سبع سنين[٢].

ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي

وفي هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان[٣].

وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل[٤].

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

[ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك]

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد بن يزيد.

ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قُتِل:

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعته ومجانته، وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته ولما وليَ الخلافة وأفضت إليه، لم يزدد في

= فعزله الوليد وجمعها ليوسف بن محمد بن يوسف مع مكة والطائف حتى قتل الوليد (تأريخ خليفة/ ٢٣٨].

(١) كذلك قال خليفة [٢٣٩].

(٢) وكذلك أرخ ابن كثير [البداية والنهاية ٧/ ٢١٨] والذهبي [تأريخ الإسلام/ المجلد السابق/ ٢٢٥] وانظر وفيات الأعيان [٤/ ١٨٨].

(٣) ذكر الطبري في خبر مقتله رضي الله عنه رواية عن ابن الكلبي المتروك عن أبي مخنف التالف الهالك ولم نجد ما يؤيد تفاصيل تلك الرواية من مصدر موثوق.

(٤) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد الوليد.

الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفُسَّاق إلا تمادياً وحدّاً ـ تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها ـ فثقل ذلك من أمره على رعيته وجنده، فكرهوا أمرَه.

وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده على نفسه بني عمّيه بني هشام وولد الوليد، ابني عبد الملك بن مروان، مع إفساده على نفسه اليمانية، وهم عُظْم جند أهل الشأم.

ذكر بعض الخبر عن إفساده بني عمّيه هشام والوليد:

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدّثنا عليّ، عن المنهال بن عبد الملك، قال: كان الوليد صاحبَ لهو وصيد ولذَّات؛ فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي فيها الناس حتى قُتل؛ ولم يزل ينتقل ويتصيد، حتى ثقل على الناس وعلى جنده، واشتدّ على بني هشام؛ فضرَب سليمان بن هشام مئة سوط وحلَق رأسه ولحيته، وغَرّبه إلى عَمّان فحبسه بها؛ فلم يزل بها محبوساً حتى قتل الوليد. قال: وأخذ جارية كانت لآل الوليد، فكلّمه عمر بن الوليد، فيها فقال: لا أردّها، فقال: إذن تكثر الصّواهل حول عسكرك. قال: وحبس الأفقم يزيدَ بن هشام، وأراد البيعة لابنيْه الحكَم وعثمان فشاور سعيد بن بَيْهس بن صُهيب، فقال: لا تفعل؛ فإنهما غلامان لم يحتلما؛ ولكن بايع لعَتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، فغضب وحبسه حتى مات في الحبس. وأراد خالد بن عبد الله على البَيْعة لابنيه فأبى، فقال له قوم من أهله: أرادك أمير المؤمنين على البَيْعة لابنيه فأبيتَ، فقال: ويحكم! كيف أبايع مَنْ لا أصلّي خلفه، ولا أقبل شهادته! قالوا: فالوليد تُقبل شهادته مع مُجونه وفسقه! قال: أمْر الوليد أمر غائب عني ولا أعلمه يقيناً؛ إنما هي أخبار الناس؛ فغضب الوليد على خالد[(١)].

حدّثني أحمد بن زهير، قال: حدّثنا عليّ، عن يزيد بن مصَاد الكلبيّ، عن

(١) أحمد بن زهير ثقة وشيخه علي المدائني صدوق والمنهال ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر مقبول من الثالثة [تقريب/ تر ٤٧٠٦] ومثل هذا قبلنا روايته في قسم الصحيح وبالشروط التي ذكرنا في المقدمة وكررناها مراراً أثناء البحث.

وهذه الرواية تذكر مجونه وفسقه وبعده عن إدارة شؤون الناس وظلمه لرعيته وخاصة أقربائه وأبناء عمومته.

عمرو بن شَراحيل ، قال : سيّرنا هشام بن عبد الملك إلى دَهْلك ؛ فلم نزل بها حتى مات هشام ، واستُخلف الوليد ، فكُلِّم فينا فأبى ، وقال : والله ما عمل هشام عملاً أرْجَى له عندي أن تناله المغفرة به من قَتْله القَدَريّة وتسييره إياهم . وكان الوالي علينا الحجاج بن بشر بن فيروز الديلمي ، وكان يقول : لا يعيش الوليد إلا ثمانية عشر شهراً حتى يقتل ؛ ويكون قتلُه سبب هلاك أهل بيته . قال : فأجمع على قتل الوليد جماعة من قُضاعة واليمانيَة من أهل دمشق خاصّة ، فأتى حُرَيث وشبيب بن أبي مالك الغسانّي ومنصور بن جُمهُور ويعقوب بن عبد الرحمن وحِبال بن عمرو ؛ ابن عمّ منصور ، وحميد بن نصر اللخميّ والأصبغ بن ذؤالة وطُفيل بن حارثة والسَّريّ بن زياد بن عِلاقة خالدَ بن عبد الله ، فدعوْه إلى أمرهم فلم يجبهم ، فسألوه أن يكتم عليهم ، فقال : لا أسمِّي أحداً منكم . وأراد الوليد الحجّ ، فخاف خالد أن يفتكُوا به في الطريق . فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أخّر الحجّ العام ، فقال : ولم؟ فلم يخبره ، فأمر بحبسه وأن يُستأدَى ما عليه من أموال العراق[1] .

---

(١) في هذا الإسناد حذف لاسم الواسطة بين المدائني ويزيد بن مصاد كما أشار الحافظ ابن عساكر عند تخريجه لهذا الخبر من طريق الطبري فقال (ابن عساكر) أظنه أسقط عمر بن مروان بن علي بن محمد ويزيد بن مصاد والله اعلم [تأريخ دمشق/ ٤٦/ ٧٥] .
وأما عن إسناد رواية الطبري فشيخه ثقة والمدائني صدوق ولكن لم نجد ليزيد بن مصاد ترجمة سوى ما ذكره ابن عساكر دون جرح أو تعديل أما راوي الخبر (شاهد) فقد وثقه أبو زرعة وغيره [تأريخ دمشق ٤٦/ تر ٥٣٥١] وللشطر الأخير من الرواية ما يشهد لها كما سنذكر ولعلّ إدراجاً في المتن [لا يعيش إلا ثمانية عشر شهراً] فعلى عادة الرواة المجاهيل وغيرهم من بعض القصاص يروون أخباراً تحدد وفاة كل خليفة سواء كان ذلك عن طريق رؤيا أو تنبؤ أو إخباراً من منجم ، وكل ذلك غير صحيح .
ولقد أخرج ابن عساكر وغيره من طريق ابن أبي خيثمة عن ابن أبي الشيخ عن أبي سفيان الحميري (وصالح بن سليمان) قالا : أراد الوليد بن يزيد أن يحجَّ وهو خليفة فاتّعد فتية من وجوه اليمن أن يفتكوا به في طريقه وسألوا خالداً القسري أن يكون معهم فأبى ، قالوا فاكتم علينا قال نعم فأتاه خالد فقال يا أمير المؤمنين دع الحج عامك هذا فإني خائف عليك قال ومن الذي تخافهم عليَّ؟ فسمّهم لي قال قد نصحتك ولن أسمّيهم لك قال إذاً أبعث بك إلى عدوك يوسف بن عمر قال وإن فعلت ، قال فبعث به إلى يوسف بن عمر فعذبه حتى قتله ولم يسمّ له القوم [مختصر تأريخ دمشق ٢٦/ ٣٧١] وبغية الطلب لابن العديم .
وابن أبي خيثمة هو الإمام الثقة وشيخه سليمان بن أبي الشيخ الواسطي نزيل بغداد وثقه =

حدّثني أحمد ، قال: حدثنا عليّ ، قال: قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك: دخل أبي بشرُ بن الوليد على عمّي العباس ، فكلّمه في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فكان العباس ينهاه ، وأبي يرادّه ، فكنت أفرح وأقول في نفسي: أرى أبي يجترىء أن يكلم عمي ويردّ عليه قوله! وكنت أرى أنّ الصواب فيما يقول أبي ، وكان الصّواب فيما يقول عمّي ، فقال العباس: يا بني مروان؛ إني أظنّ الله قد أذن في هلاككم؛ وتمثّل قائلاً:

إنـي أَعِيـذُكُـمُ بـالله مِـنْ فِتَـنٍ ... مثلِ الجبـالِ تَسَامَـى ثـم تنـدَفـعُ
إنَّ البـريَّـةَ قـد مَلَّـتْ سِيـاسَتَكُـمْ ... فاسْتَمْسِكُوا بِعَمُود الدينِ وارتَدِعُوا
لا تلحِمُـنَّ ذِئـابَ النـاسِ أنفُسَكُـم ... إنَّ الـذئـاب إذا مـا أُلحِمـتْ رَتَعُـوا
لا تَبْقَـرُنَّ بـأيـديكـم بُطـونكـمُ ... فثَـمّ لا حَسَـرةٌ تغْنـي ولا جَـزعُ[(١)]

حدّثني أحمد بن زُهير ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدثنا عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدّثني رَزين بن ماجد ، قال: غَدَوْنا مع عبد الرحمن بنَ مصاد ، ونحن زُهاء ألف وخمسمئة؛ فلما انتهينا إلى باب الجابية ووجدناه مغلقاً ، ووجدنا عليه رسولاً للوليد ، قال: ما هذه الهيئة وهذه العُدّة! أما والله لأعلمنّ أمير المؤمنين. فقتله رجل من أهل المِزّة ، فدخلنا من باب الجابية ، ثم أخذنا في زُقاق الكلبيّين ، فضاق عنا ، فأخذ ناس منا سوق القمح؛ ثم اجتمعنا على باب المسجد ، فدخلنا على يزيد ، فما فرغ آخرُنا من التَّسليم عليه؛ حتى جاءت

= أبو داود وذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٢٧٤/ تأريخ بغداد/ ٩/ ٥١) وأبو سفيان الحميري صدوق وسط ولقد ولد سنة ١١٢ هـ كما جزم كشل صاحب تأريخ واسط / ١٧٥/ وهذا يعني أنه عاصر تلك الأحداث في الرابعة عشر من عمره ولكنه نزيل واسط ورحل إلى بغداد ولم نجد من يذكر أنه كان في الشام حين نوى الوليد الحج ودار الحوار بينه وبين القسري ولم يحضر ذلك الحوار بلا شك ، وصاحبه الذي شاركه في هذه الرواية ليس بالمرضي كما قال الذهبي في الميزان وهذه طرق تتعاضد ببعضها والله أعلم.

(١) لرواية الطبري هذه ما يؤيدها فقد أخرج خليفة بن خياط قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني عبد الله بن واقد الجرمي وكان شهد قتل الوليد قال: لما أجمعوا على قتل الوليد قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وبايعه من أهل بيته عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فخرج يزيد بن الوليد فأتى أخاه العباس ليلاً فشاوره في قتل الوليد فنهاه عن ذلك إلى آخر الخبر كما سنذكر بعد قليل. [تأريخ خليفة/ ٢٣٧].

السَّكاسك في نحو ثلثمئة ، فدخلوا من باب الشرقيّ حتى أتوا المسجد ، فدخلوا من باب الدّرَج ، ثم أقبل يعقوب ابن عُمير بن هانىء العبسيّ في أهل داريّا ، فدخلوا من باب دمشق الصغير ، وأقبل عيسى بن شبيب التغلَبيّ في أهل دُومَة وحرَسْتا ، فدخلوا من باب تُوما ، وأقبل حُمَيد بن حبيب اللخميّ في أهل دير المرّان والأرْزَة وسَطْرا ، فدخلوا من باب الفراديس ، وأقبل النَّضْر بن الجَرَشيّ في أهل جَرَش وأهل الحديثة وديْر زكّا ، فدخلوا من باب الشرقيّ ، وأقبل ربْعيّ بن هاشم الحارثيّ في الجماعة من بني عُذْرة وسَلامان ، فدخلوا من باب توما ، ودخلت جُهَينة ومن والاهم مع طلحة بن سعيد ، فقال بعض شعرائهم:

فجـاءَتهُـمْ أنصـارهُـمْ حيـن أَصْبَحُـوا سكـاسِكُهـا أهـلُ البُيُـوتِ الصَّنـادِدِ
وكلْـبٌ فجـاؤُوهُـمْ بِخَيـلٍ وعُـدَّةٍ مـنَ البَيْـض والأَبـدانِ ثـمّ السَّـواعِـدِ
فـأَكْـرِمْ بهـم أحيـاءَ أنصـار سُنَّـةٍ هـمُ مَنَعُـوا حُـرْمـاتِهـا كـلَّ جـاحـدِ
وجـاءتهُـمُ شعبـان والأَزْدُ شُـرَّعـاً وعَبْـسٌ ولخـمٌ بيـن حـامٍ وذائِـدِ
وغَسّـانُ والحَيَّـانِ قيـسٌ وتَغْلِـبٌ وأَحْجَـمَ عنهـا كـل وانٍ وزاهِـدِ
فمـا أَصْبَحُـوا إلا وهُـمْ أَهـلُ مُلْكِهـا قَد استَوثَقوا من كلِّ عاتٍ ومارِدِ[1]

حدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدّثني قُسَيم بن يعقوب ورَزين بن ماجد وغيرهما ، قالوا: وجّه يزيد بن الوليد عبدَ الرحمن بن مصاد في مئتي فارس أو نحوهم إلى قَطَن؛ ليأخذوا عبدَ الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، وقد تحصّن في قصره ، فأعطاه الأمانَ فخرج إليه ، فدخلْنا القصر ، فأصبنا فيه خُرْجَيْن ، في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار. قال: فلما انتهينا إلى المِزّة قلت لعبد الرحمن بن مَصاد: اصرف أحد هذين الخُرْجين إلى منزلك أو كليهما ، فإنك لا تصيب من يزيد مثلهما أبداً ، فقال: لقد عجلتُ إذاً بالخيانة ، لا والله لا يتحدّث العرب أني أوّل من خان في هذا الأمر ، فمضى به إلى يزيد بن الوليد. وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فأمره فوقف بباب الجابية ، وقال: من كان له عطاء فليأت إلى عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معُونة. وقال

---

(١) هذا إسناد حسن إلى رزين بن ماجد ، ورزين هذا الذي شهد الوقعة لعلّه الأعرج مولى آل عباس يروي عن علي بن عبد الله بن عباس [الثقات ٦/ ٣٠٨] والله أعلم.

لبني الوليد بن عبد الملك ومعه منهم ثلاثة عشر: تفرّقوا في الناس يرَوْنكم وحضورهم، وقال للوليد بن رَوْح بن الوليد: أنزل الرّاهب، ففعل[١].

حدثني أحمد عن عليّ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ، قال: قال نوح بن عمرو بن حويّ السكسكي: خرجنا إلى قتال الوليد في ليالٍ ليس فيها قمر؛ فإن كنت لأرى الحصى فأعرف أسوَده من أبيضه. قال: وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليدُ بن خالد، ابن أخي الأبرش الكلبيّ في بني عامر ـ وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز ـ فلم تقاتل ميسرة الوليد ميمنةَ عبد العزيز، ومالوا جميعاً إلى عبد العزيز بنِ الحجاج. قال: وقال نوح بن عمرو: رأيت خدَم الوليد بن يزيد وحشَمه يوم قُتِل يأخذون بأيدي الرجال، فيدخلونهم عليه.

وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة، كذلك قال أبو معشر؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وكذلك قال هشام بن محمد ومحمد بن عمر الواقديّ وعليّ بن محمد المدائنيّ.

واختلفوا في قَدْر المدة التي كان فيها خليفةً؛ فقال أبو معشر: كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمّن ذكره. عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وقال هشام بن محمد: كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً.

واختلفوا أيضاً في مبلغ سنّه يوم قتل، فقال هشام بن محمد الكلبيّ: قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقال محمد بن عمر: قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة، وقال بعضهم، قتل وهو ابن اثنتين وأربعين سنة. وقال آخرون: وهو ابن إحدى

---

(١) هذا إسناد حسن إلى قسيم ورزين اللذين شهدا الحادثة أي أن (عمرو بن مروان الكلبي) رواه عن شاهدين هما رزين وقد تقدمت ترجمته وقسيم بن يعقوب وقسيم هذا لعله قسيم مولى عمارة الذي يروي عن قزعة ويروي عنه أبان بن صالح [الجرح والتعديل ٧/ ١٤٨/ تر ٨٢٣] والثقات [٧/ ٣٤٨] وإلا لم ندر من هو والله أعلم.

وأربعين سنة ، وقال آخرون: ابن خمس وأربعين سنة ، وقال بعضهم: وهو ابن ست وأربعين سنة[(١)].

خبر قتل خالد بن عبد الله القسري

وفي هذه السنة قتل خالد بن عبد الله القسري[(٢)].

---

(١) ذكر الطبري هنا أقوال الأخباريين المشهورين في تتبع هذه الأمور (أبو معشر - الواقدي والمدائني) وكذلك ذكر خليفة تأريخ مقتله من طرق فقال حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن مغيرة عن أبيه وأبو اليقظان وغيرهم قالوا: قتل الوليد بالنجراء من تدمر على أميال يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة وهو ابن خمس وثلاثين أو ست وثلاثين [تأريخ خليفة/ ٢٣٦] وانظر تأريخ دمشق لابن عساكر [٦٣/ تر ٨٠٦٤] وأنساب الأشراف [٨/ ٣٧٨٨].

(٢) لقد ذكر الطبري مقتله ضمن أحداث سنة ١٢٦هـ ولكن خليفة ذكر وفاته ضمن أحداث سنة ١٢٥هـ والخلاف ليس كبيراً لأنهما متفقان على أن مقتله كان في أول عهد الوليد بن يزيد فقد قال خليفة: وفي سنة خمس وعشرين ومئة كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر فقدم عليه ، فدفع إليه خالد بن عبد الله القسري ومحمداً وإبراهيم ابني هشام بن إسماعيل المخزوميين وأمره بقتلهم فحدثني إسماعيل بن إبراهيم العتكي قال: حدثني السري بن مسلم أبو بشر بن السري قال: رأيتهم حين قدم بهم يوسف بن عمر الحيرة وخالد في عباءة في شق محمل فعذّبهم حتى قتلهم [تأريخ خليفة/ ٢٣٦].

خلاصة القول في الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦ هـ)

أكدت الروايات التأريخية التي ذكرنا والمصادر التأريخية المتقدمة والمتأخرة أن الوليد بن يزيد الذي لم يدم حكمه أكثر من سنة وشهرين كان فاسقاً شروباً للخمر مستهتراً ظالماً عذّب كثيراً من أقاربه وأمراء سلفه هشام بن عبد الملك رحمه الله.

وإليك أخي القارىء الكريم آراء الأئمة المؤرخين فيه:

قال الطبري: وكان شاعراً شروباً للخمر [تأريخ الطبري ٧/ ٢٥٣] وقال ابن خلدون: ولما ولي الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمجون [تأريخ ابن خلدون ٣/ ١٢٨].

وقال الذهبي: مقت الناس الوليد بن يزيد لفسقه وتأثموا من السكوت عنه وخرجوا عليه [تأريخ الإسلام حوادث السنوات/ ١٢١ - ١٤٠ هـ/ ص ٢٩١].

وقال ابن كثير: لكن الذي يظهر أنه كان عاصياً شاعراً ماجناً متعاطياً للمعاصي [البداية والنهاية ٧/ ٤٣٩].

ولقد أخذنا على أنفسنا أن لا نميل مع الهوى ونحاول جهدنا أن نصل إلى حقيقة الواقعة =

= التأريخية ـ ولا نريد أن نزيّف الحقائق ونشوّهها ونظهر التأريخ الإسلامي كما نريد ولكن كما هو دون تحريف أو مبالغة ونقول هنا من باب بيان الحقيقة التأريخية أن الوليد بن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ) كان فاسقاً شارباً للخمر ظالماً لم يستحق الخلافة فخلعته الأمة بقيادة بني أمية أنفسهم ولكنه لم يصل إلى حدّ الزندقة أو الكفر والعياذ بالله بل كان يصلي الصلوات ويؤدي المناسك ولكن غلب عليه فسقه وفجوره وظلمه وكعادة المتروكين فإنهم قد جعلوا من الحبة قبّة وزادوا في مثالب الرجل وكما بيّنا في قسم المسكوت عنه أن أحدهم أقرّ بأن الشعراء قالوا على لسانه شعراً في ذم اليمانييّن كي يحرّضوهم عليه إضافة إلى أن أهل البدع من القدرية والغيلانية كانوا قد تضرروا في عهد سلفه هشام فاغتنموا أقرب فرصة لشفاء أحقادهم وصبِّ جام غضبهم على خليفته الوليد بن يزيد الذي كان يترحم على هشام لفتكه بأهل الضلال ، إضافة إلى أن تأريخ بني أمية كتب في عهد بني العباس (خصومهم التقليديين) فلا غرابة في المبالغة والدسّ والتزوير ، يقول ابن خلدون: ولقد ساءت المقالة فيه كثيراً وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به [٣/ ١٢٨].
ثم يذكر ابن خلدون رواية عن شبيب بن شبة قال: كنا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد . . . الرواية) وفيها [لقد أخبرني عنه (الكلام للفقيه ابن علانة) من كان يشهده في ملاعبه وشربه ويراه في طهارته وصلاته فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المصيبة المصبغة ثم يتوضأ بثياب بيض نقية فيلبسها ويشتغل بربه أترى هذا فعلٍ من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي: بارك الله عليك يابن علانة وإنما كان الرجل محسوداً في خلاله ومزاحماً بكبار عشيرته بيته وبني عمومته مع ما كان يصاحبه من الأشرار ، حتى أوجد لهم به السبيل على نفسه وكان من خلاله قرض الشعر ونظم الكلام البليغ] (ابن خلدون٣/ ١٢٨) ولهذه الرواية ما يؤيدها عند الطبري من رواية ذكرناها في قسم المسكوت عنه (٧/ ٢٤٦) وفيه يردّ الوليد على أبناء عمومته الذين حاصروه: ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ألم أعط فقراءكِم ألم أخدم زمناكم؟ فقال (أي يزيد بن عنبسة السكسكي) إنا ما ننقم عليه في أنفسنا ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرَّم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيكِ واستخفافك بأمر الله ، قال حسبك يا أبا السكاسك فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وإنّ فيما أُحلّ لي لسعة عما ذكرت. قلت ويؤيد ما ورد في هذا المتن من زيادته في عطائهم وخدمة مرضاهم وزمناهم ما أخرجه البلاذري من طريق المدائني عن الهيثم ومسلمة قالا: استعمل الوليد بن يزيد العمال وجاءته البيعة من الآفاق فأجرى على زمنى أهل الشام وعميانهم وكساهم وأمر لكل إنسان منهم بجائزة وخادم يخدمه وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسى وزاد في أعطياتهم عشرات نقصهم إياها يزيد بن الوليد بعد ذلك فسمي يزيد الناقص [كتاب جمل من أنساب الأشراف / ٨/ ٣٧٥٩].
قلت والهيثم متروك إلا أن متابعه مسلمة بن محارب أخباري مأمون. ومن باب عدم بخس =

= الناس أشياءهم نقول إن الوليد الفاسق (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ) لم يخل من خير تماماً فقد كان سخياً في مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين كما ذكرنا آنفاً مع كرهه للمبتدعة كأتباع غيلان وغيرهم الذين لاقوا الأمرّين في عهد هشام بن عبد الملك وكان الوليد يكره هشام كرهاً شديداً ولا يترحم عليه إلا حين يُذكر أهل البدع فيقول لو كان له من الأعمال ما يرجى بسببه المغفرة له فبمحاربته أهل البدع وما عدا هاتين الخصلتين فإن عمله السيىء هو الطاغي على سيرته وقد أجمع المؤرخون على كونه فاسقاً شارباً للخمر ظالماً والحق يقال كذلك فإن الحسّاد من بني قومه وخصومه وكذلك المبتدعة والوضاعون زادوا وبالغوا وضخموا وأضافوا إلى مثالبه بل تقولوا على لسانه أشعار الهجاء وغيره كما ذكرنا آنفاً.
وبالنتيجة فإن الذين خرجوا عليه وتحت راية بني أمية أنفسهم لم يكونوا جميعاً من الصلحاء والأولياء [وهذه كلمة حق نقولها في وجه من يقول بأن القوم يكتبون التأريخ بمنهج انتقائي كما يريدون] بل حقيقة الواقعة التأريخية تؤكد أن الجموع المتألبة والخارجة عليه كانت تضم الصالحين والعبّاد والعلماء الذين كرهوا سيرته السيئة وفسقه ورأوا الواجب في تغييره بالإضافة إلى أهل البدع من بقايا الغيلانية والقدرية انتقاماً لأسلافهم الذين اضطهدوا من قبل الخليفة السابق وبالإضافة إلى بني عمومته ممن نافسوه السلطة ونازعوه وذلك أيام الفتنة عادي وواقع فقد أخرج البلاذري قال: وحدثني هشام بن عمار (صدوق) عن صَدَقة بن خالد (ثقة ت ١٧٠ هـ) قال: دعا يزيد إلى نفسه فبايعة أهل المزة وأكثرهم غيلانية وقدرية وبايعه أهل الشام ودمشق وجميع من أنكر سيرة الوليد وشغله بالهوى ولعبه وبالشرب... [جمل من أنساب الأشراف / ٣٧٨٨].

قوائم الولاة والقضاة وغيرهم
في عهد الوليد بن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ)

لقد ذكرنا أسماء الولاة في كل سنة كما أثبتها الطبري وكعادتنا فإننا نؤيد كلام الطبري بما ذكره خليفة والذي وافق الطبري في أسماء الولاة ومدة حكمهم في أغلب الأحيان وما لم يوافقه ذكرناه في موضعه وهذه قائمة بأسماء العمال والقضاة والكتبة أيام الوليد بن يزيد كما ذكرها المؤرخ المتقدم الثقة خليفة بن خياط:
تسمية عمال الوليد بن يزيد:
المدينة: كتب الوليد إلى محمد بن هشام بن إسماعيل وهو وال على مكة لهشام بن عبد الملك، فقدم عليه واستخلف على المدينة محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فعزله الوليد وجمعها ليوسف بن محمد بن يوسف مع مكة والطائف حتى قتل الوليد.
اليمن: الضحاك بن زمل حتى قتل الوليد. =

= البصرة: كان القاسم بن محمد بن القاسم عليها حتى مات هشام، فأقرّه الوليد حتى قتل.
الكوفة: عبيد الله بن العباس الكندي، ثم عزله يوسف وولى أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، فأقام جمعة حتى هرب يوسف بعد قتل الوليد.
خراسان: أقرَّ عليها نصر بن سيار الليثي حتى قتل الوليد.
سجستان: حرب بن قطن بن قبيصة الهلالي حتى قتل الوليد.
السند: عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي حتى قتل الوليد.
البحرين: محمد بن حسان بن سعيد الأسدي حتى قتل الوليد، ويقال: قتل بشر بن سلام العبدي المسيب بن فضالة وبقي حتى قدم ابن هبيرة.
اليمامة: المهاجر بن عبد الله الكلابي حتى قتل الوليد.
إفريقية: مات هشام وعليها حنظلة بن صفوان، فلم يزل والياً حتى قتل الوليد، وخرج سنة تسع ومئة.
عمان: ولاها يوسف بن عمر الفيض بن محمد بن كردم بن بيهس.

القضاة

قضاء البصرة: عامر بن عبيدة حتى قتل الوليد ووقعت الفتنة فاعتزل.
الكوفة: ابن أبي ليلى حتى قتل الوليد.
المدينة: ولاها يوسف بن محمد بن يوسف سعد بن إبراهيم، ثم عزله وولى يحيى بن سعيد حتى قتل الوليد.
الموسم: يوسف بن محمد بن يوسف سنة خمس وعشرين ومئة.
الجزيرة وأرمينية وأذربيجان: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم حتى قتل الوليد، فاستخلف مروان على أرمينية وأذربيجان عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي وانصرف إلى الشام.
الصائفة: الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.
شرط الوليد: عبد الرحمن بن حنبل الكلبي، ثم عزله وولى عبد الله بن عامر الكلاعي.
كاتب الرسائل: سالم مولى سعيد بن عبد الملك، ثم كتب له ابنه عبد الله بن سالم.
الخراج والجند: عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف، ثم ولى الحجاج بن عمير.
الخاتم والخزائن وبيوت المال: عبد الرحمن بن حنبل الكلبي مع الشرط.
الخاتم الصغير: رباح بن أبي عمارة.
حاجبه: عيسى بن مقسم.
الحرس: غيلان ختن أبي معن.

ولاية يوسف بن عمر العراق

حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده ، وعبد الله بن مغيرة عن أبيه ، وأبو اليقظان ، وغيرهم قالوا: جمع هشام بن عبد الملك بن مروان العراق ليوسف بن عمر الثقفي سنة عشرين ومئة فكان على شرطة الحيرة العباس بن سعد ابن مرة (مرة غطفان) ، وجعل شرط البصرة والكوفة إلى عمالها يولّون من شاؤوا وكاتب الخراج قحذم بن سليمان مولى آل بكرة.

وعلى رسائل الخليفة: رشد بن مولاه وعلى رسائل العمال: عقبة.

قتل يوسف سنة سبع وعشرين ومئة وهو ابن نيّف وستين سنة [تأريخ خليفة ٢٣٩ ـ ٢٤٠].

ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص

وفي هذه السنة بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك؛ الذي يقال له يزيد الناقص وإنما قيل: يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادهموها الوليد بن يزيد في أعطياتهم وذلك عشرة عشرة ، فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة؛ وردّ أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك.

وقيل: أوّل من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد ، حدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: شتم مروان بن محمد يزيدَ بن الوليد فقال: الناقص بن الوليد؛ فسمّاه الناس الناقصَ لذلك[١].

ذكر اضطراب أمر بني مروان

وفي هذه السنة اضطرب حبل بني مروان وهاجت الفتنة[٢].

---

(١) وكذلك قال خليفة بن خياط (تأريخ خليفة/ ٢٤٠) وكذلك ابن كثير إذ قال: بويع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة في هذه السنة ـ أعني سنة ست وعشرين ومئة [البداية والنهاية ٧/ ٢٢٣].

(٢) أجمعت المصادر التأريخية على هيجان الفتن واضطراب الأمور بعد وفاة هشام بن عبد الملك=

ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن:

فكان في ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتل الوليد بن يزيد بعمَّان. فحدثني أحمد بن زهير، عن عليّ بن محمد قال: لما قتل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن، وكان محبوساً بعمَّان، فأخذ ما كان بعمَّان من الأموال، وأقبل إلى دمشق، وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر.

ذكر خلاف أهل حمص

وفيها كان وثوب أهل حمص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد.

ذكر الخبر عن ذلك:

حدّثني أحمد عن عليّ، قال: كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حمص، وكان من سادة بني مروان نبلاً وكرماً وعقلاً وجمالاً، فلما قُتل الوليد بلغ أهلَ حمص قتلُه، فأغلقوا أبوابها، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد، وسألوا عن قتله، فقال بعض من حضرهم: ما زلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم؛ حتى جاء العباس بن الوليد، فمال إلى عبد العزيز بن الحجاج، فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس وانتهبوها وسلبوا حرمه، وأخذوا بنيه فحبسوهم وطلبوه، فخرج إلى يزيد بن الوليد. وكاتبوا الأجناد، ودعوهم إلى الطلب بدم الوليد؛ فأجابوهم. وكتب أهل حمص بينهم كتاباً؛ ألاّ يدخلوا في طاعة يزيد؛ وإن كان وليًا عهد الوليد حيَّين قاموا بالبيعة لهما وإلا جعلوها لخير من يعلمون؛ على أن يُعطيهم العطاء من المحرّم إلى المحرَّم، ويعطيهم للذريّة، وأمَّرُوا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بحمص في دار الإمارة، فلما قرأه قال: هذا كتاب حضره من الله حاضر، وتابعهم على ما أرادوا.

= وخاصة عند مقتل الوليد الفاسق وتولية يزيد حتى نهاية إدارة الأمويين للخلافة سنة ١٣٢هـ كما قال ابن كثير: ولكن لم تطل أيامه فإنه توفي من آخر هذه السنة واضطربت عليه الأمور وانتشرت الفتن واختلفت كلمة بني مروان. البداية والنهاية [٧/ ٢٢٣].

فلما بلغ يزيدَ بن الوليد خبرهم ، وجّه إليهم رسُلاً فيهم يعقوب بن هانىء ، وكتب إليهم: إنه ليس يَدْعو إلى نفسه ، ولكنه يدعوهم إلى الشورى. فقال عمرو بن قيس السَّكونيّ: رضينا بوليّ عهدنا ـ يعني ابن الوليد بن يزيد ـ فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته ، فقال: أيها العَشَمة ، إنك قد فيّلت وذهب عقلُك؛ إن الذي تعني لو كان يتيماً في حجرك لم يحلّ لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الأمَّة! فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم.

وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد بن حُصَيْن ، وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شيء ، وكان معهم السّمط بن ثابت ، وكان الذي بينه وبين معاوية بن يزيد متباعداً. وكان معهم أبو محمد السفيانيّ فقال لهم: لوقد أتيتُ دمشق ، ونظر إليّ أهلها لم يخالفوني. فوجّه يزيد بن الوليد مسرور بن الوليد والوليد بن رَوْح في جمع كبير ، فنزلوا حُوّارين ، أكثرهم بنو عامر من كلب. ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد ، وتزوّج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك. وردّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ، ووجَّهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن رَوْح ، وأمرهما بالسمع والطاعة له. وأقبل أهل حِمْص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية[1].

حدّثني أحمد ، قال: حدَّثنا عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدّثني عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البهرانيّ ، قالا: قام مروان بن عبد الله ، فقال: يا هؤلاء؛ إنكم خرجتم لجهاد عدوّكم والطلب بدم خليفتكم وخرجتم مخرجاً أرجو أن يعظم الله به أجركم ويحسن عليه ثوابكم. وقد نجم لكم منهم قرن. وشال إليكم منهم عُنُق ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم فقال السمط: هذا والله العدوّ القريب الدار ، يريد أن ينقض جماعتكم وهو ممايل للقدريّة. قال فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه ورفعوا رأسيهما للناس وإنما أراد السمط بهذا الكلام خلاف معاوية بن يزيد فلما قتل مروان بن عبد الله ولّوا عليهم أبا محمد السفياني وأرسلوا إلى سليمان بن هشام إنا آتوك فأقم بمكانك فأقام.

---

(١) لم يسند المدائني كلامه هنا إلى أحدٍ من شيوخه وله ما يتابعه في الروايات الآتية.

قال فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ومضوا إلى دمشق وبلغ سليمان مضيّهم ، فخرج مُغِذّاً فلقيهم بالسليمانية ـ مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء دمشق على أربعة عشر ميلاً[١] ـ.

قال علي: فحدثني عمرو بن مروان بن بشار والوليد بن علي قالا: لما بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبد العزيز بن الحجاج فوجهه في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يثبت على ثنية العقاب ودعا هشام بن مصاد فوجّهه في ألف وخمسمئة وأمره أن يثبت على عقبة السلامة وأمرهم أن يمد بعضهم بعضاً[٢].

ذكر خلاف أهل الأردن وفلسطين

وفي هذه السنة وثب أهلُ فلسطين والأردنّ على عاملهم فقتلوه

ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم:

حدّثني أحمد ، عن عليّ بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدثني رجاء بن رَوْح بن سلامة بن روح بن زنباع ، قال: كان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فلسطين ، وكان حسن السيرة ، وكان يزيد بن سليمان سيّد ولد أبيه ، وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين ، فكان أهلُ فلسطين يحبّونهم لجوارهم؛ فلما أتى قتلُ الوليد ـ ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح بن زنباع ـ كتب إلى يزيد بن سليمان: إن الخليفة قد قُتِل فاقدم علينا نولّك أمرنا. فجمع له سعيد قومه ، وكتب إلى سعيد بن عبد الملك ـ وهو يومئذ نازل بالسبع: ارتحل عنّا ، فإنّ الأمر قد اضطرب؛ وقد ولينا أمرنا رجلاً قد رضينا أمره. فخرج إلى يزيد بن الوليد ، فدعا يزيد بن سليمان أهل فلسطين إلى

---

(١) عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص الأموي عم عبد العزيز بن أبان روى عنه ابنه خالد بن عمرو ووفد على هشام بن عبد الملك (ابن عساكر ٤٦/ ٣٢٤/ تر ٥٣٨٩) ويحيى بن عبد الرحمن البهراني أغلب الظن أنه تصحيف والصواب أنه يحيى بن عبيد البهراني الكوفي روى عنه الأعمش وشعبة قال أبو حاتم صدوق [الجرح والتعديل ٩/ ١٧٢/ تر ٧٠٣].
وهذا يعني أن عمر بن مروان روى هذه الحادثة من طريقين يتعاضدان من طريق عمرو بن محمد ويحيى البهراني.

(٢) هذا الخبر أخرجه المدائني من طريقين [عمرو بن مروان والوليد بن علي].

قتال يزيد بن الوليد ، وبلغ أهل الأردنّ أمرهم ، فولَّوا عليهم محمد بن عبد الملك ـ وأمرُ أهل فلسطين إلى سعيد بن روح وضبعان بن روح ـ وبلغ يزيد أمرهم ، فوجّه إليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني (١) .

قال عليّ: قال عمرو بن مروان: حدّثني محمد بن راشد الخُزاعيّ أنّ أهل دمشق كانوا أربعة وثمانين ألفاً ، وسار إليهم سليمان بن هشام. قال محمد بن راشد: وكان سليمان بن هشام يرسلني إلى ضِبعان وسعيد ابني روح وإلى الحكم وراشد ابني جرو من بلقين ، فأَعِدُهم وأمنّيهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد ، فأجابوا (٢) .

خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قَتْل الوليد ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد ﷺ .

أيها الناس؛ إني والله ما خرجت أشَراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراء نفسي؛ إني لظلوم لنفسي إن لم يرحمْني ربي؛ ولكني خرجتُ غضباً لله ورسوله ودينه ، داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه ﷺ؛ لمّا هدمت معالم الهدى وأطفىء نور أهل التقوى ، وظهر الجبّار العنيد ، المستحلّ لكل حرمة ، والرّاكب لكلّ بدعة؛ مع أنه والله ما كان يصدّق بالكتاب ، ولا يؤمن بيوم الحساب؛ وإنه لابنُ عمّي في الحسب ، وكفيِّي في النسب؛ فلما رأيتُ ذلك استخرت الله في أمره ، وسألته ألاّ يكلني إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من

---

(١) ذكر الطبري هذا العنوان ثم جاء بالخبر من طريق رجاء بن روح ذكره عبد الرزاق في مصنفه فقال كتب رجاء بن روح إلى الثوري. . . إلخ وذكره الذهبي في ترجمة أيوب بن سويد ولم نعلم أحداً وثقه أو جرحه وللخبر ما يؤيد من الرواية التالية.

(٢) أما محمد بن راشد الخزاعي فقد وثقه أحمد وابن معين وقال أبو حاتم كان صدوقاً حسن الحديث [الجرح والتعديل ٧/ ٢٥٣] [العلل ٢/ ٤٢] وهذه الأخبار تتعاضد ببعضها لتؤكد حدوث الفوضى والهيجان والصراع على السلطة وتدهور الأمور إلى أسوأ بعد وفاة هشام بن عبد الملك رحمه الله تعالى.

أجابني من أهل ولايتي ، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ، إنّ لكم عليَّ ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة ؛ ولا أكري نهراً ، ولا أكثر مالاً ، ولا أعطيه زوجة ولا ولداً ، ولا أنقل مالاً من بلدة إلى بلدة حتى أسدَّ ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يُعينُهم ؛ فإن فَضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه ؛ ممن هو أحوج إليه ؛ ولا أجمّركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ؛ ولا أغلق بابي دونكم ؛ فيأكل قويّكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم ؛ وإنّ لكم أعطياتكم عندي في كلّ سنة وأرزاقكم في كلّ شهر ؛ حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن وفيتُ لكم بما قلت ؛ فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أف فلكم أن تخلعوني ؛ إلا أن تستتيبوني ؛ فإن تبت قبلتم مني ، فإن علمتم أحداً ممن يُعرَفُ بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه ؛ فأنا أوّل مَن يبايعه ، ويدخل في طاعته .

أيّها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا وفاء له بنقض عهد ؛ إنما الطاعة طاعة الله ؛ فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع ، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية ؛ فهو أهل أن يُعصَى ويُقتل . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[1] .

---

(١) ذكر الطبري هذه الخطبة بدون إسناد وقد أوردها خليفة بإسناد.
قال خليفة : فحدثني إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني إبراهيم بن إسحاق : أن يزيد بن الوليد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أما بعد : أيها الناس إني والله ما خرجتُ أشراً ، ولا بطراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراء نفسي ، ولا تزكية عملي ، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ، ولكني خرجتُ غضباً لله ودينه ، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيِّه حين دَرَسَت معالم الهدى ، وطفىء نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد ، المستحل الحرمة ، والراكب البدعة ، والمُغَيِّر السُّنة ، فلمّا رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمةٌ لا تقلِعُ اعنكم على كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من قلوبكم ، وأشفَقْتُ أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيجيبه من أجابه منكم ، فاستخرتُ الله في أمري ، وسألتُهُ ألا يكلني إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهلي وأهل ولايتي ، وهو ابن عمي في نسبي وكفئي في حسبي ، فأراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، ولاية من الله وعوناً بلا حول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه . أيها الناس : إن لكم عندي إن وليتُ أموركم=

ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد

وفي هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة ، وجعله وليّ عهده ، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم ابن الوليد؛ وكان السبب في ذلك - فيما حدثني أحمد بن زهير عن عليّ بن محمد - أن يزيد بن الوليد مرض في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومئة ، فقيل له: بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده. قال: فلم تزل القَدرِية يحثُّونه على البيعة ، ويقولون له: إنه لا يحلّ لك أن تهمل أمْرَ الأمة فبايع لأخيك؛ حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده(١).

= ألا أضع لبنة على لبنة ، ولا حجراً على حجر ، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد ثغره ، وأقسم بين مسالحه ما يقوون به ، فإن فضل فضلٌ رددته إلى البلد الذي يليه وهو أحوج إليه حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيها سواء ولا أجمّر بعوثكم فتفتتنوا ويفتتن أهاليكم ، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن ملت فلا بيعة لي عليكم ، وإن رأيتم أحداً هو أقوى عليها مني فأردتم بيعته فأنا أول من بايع ودخل في طاعته ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم» [تأريخ خليفة/ ٢٣٨] وانظر البيان والتبيين للجاحظ [٢/ ١٤١].

(١) ذكر الطبري هنا من طريق شيخه الثقة عن المدائني الأخباري وهو صدوق أن يزيداً قد بايع لأخيه من بعده بالخلافة تحت تأثير من الناس وخاصة القدرية إلاّ أن خليفة قال غير ذلك وذكر بطريق مسند موصول أن يزيد بن الوليد لم يوصِ له بالخلافة وإنما تقوّلوا عليه أثناء موته وصدقهم الناس فقد أخرج خليفة بن خياط قال: فحدثني العلاء بن برد بن سنان قال حدثني أبي قال حضرت يزيد بن الوليد حين حضرته الوفاة فأتاه قطن فقال أنا رسول من وراء بابك يسألونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك إبراهيم فقطب وقال بيده على جبهته: أنا أولّي إبراهيم!! ثم قال يا أبا العلاء إلى من ترىٰ أن أعهد؟ فقلت أمر نهيتك عن الدخول في أوله فلا أشير عليك في آخره قال: وأصابته إغماءة حتى ظننت أنه قد مات ففعل ذلك غير مرة. قال فقعد قطن فافتعل عهداً على لسان يزيد بن الوليد ودعا ناساً فأشهدهم عليه ، قال أبي لا والله ما عهد إليه يزيد شيئاً ولا إلى أحدٍ من الناس [تأريخ خليفة/ ٢٤١] قلت وراوي الخبر وهو الشاهد على الحادثة ثقة. ولكن ابنه العلاء بن برد وهو شيخ خليفة فقد ضعفه أحمد وترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه وذكره ابن حبان في الثقات [ميزان/ تر ٦١٥٢] [الجرح والتعديل ٦/ تر ١٩٥٠] [الثقات ٨/ ٥٠٢].

وسواء أكانت رواية خليفة صحيحة أم لا فإن البيعة تمت لأخيه من بعده ولا نستبعد رواية =

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة ، وولاّها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. قال محمد بن عمر: يقال إن يزيد بن الوليد لم يولِّه ، ولكنه افتعل كتاباً بولايته المدينة ، فعزله يزيد عنها ، وولاّها عبد العزيز بن عمر ، فقدمها لليلتين بقيتا من ذي القعدة(١) .

[ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد]

وفي هذه السنة مات يزيد بن الوليد ، وكانت وفاته سلخ ذي الحجة من سنة ست وعشرين ومئة ، قال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه: توفِّيَ يزيد بن الوليد في ذي الحجة بعد الأضحى سنة ست وعشرين ومئة ، وكانت خلافته في قول جميع من ذكرنا ستة أشهر ، وقيل كانت خلافته خمسة أشهر وليلتين.

وقال هشام بن محمد: ولي ستة أشهر وأياماً. وقال عليّ بن محمد: كانت ولايته خمسة أشهر واثني عشر يوماً.

وقال عليّ بن محمد: مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومئة ، وهو ابن ست وأربعين سنة.

وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليلتين ، وتوفي بدمشق.

واختلف في مبلغ سنه يوم توفّي فقال هشام توفي وهو ابن ثلاثين سنة(٢) .

وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التي كان الوليد زادها الناس في

= خليفة فلقد كانت الفتنة يومها واقعة وأمور الناس مضطربة والصراع على السلطة قائم فلا عجب إن وقع هذا والله أعلم.

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد يزيد.

(٢) وانظر وفاته في تأريخ الإسلام للذهبي [وفيات وحوادث ١٢١ ـ ١٤٠هـ/ ص ٣١٣] فقد ذكر أنه توفي في سابع ذي الحجة من سنة ست وعشرين فكانت خلافته ستة أشهر ناقصة وانظر البداية والنهاية لابن كثير [٧/ ٢٢٦] إذ ذكر وفاته ضمن وفيات سنة ١٢٦هـ وذلك في ذي الحجة وقال ابن كثير وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأَشْهَر. ا. هـ.

قول الواقدي وأما علي بن محمد فإنه قال سبّه مروان بن محمد فقال: الناقص ابن الوليد فسماه الناس الناقص[١].

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مَروان في قول الواقديّ، وقال بعضهم: حجّ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد الله بن عبد الملك. بعثه يزيد بن الوليد، وخرج معه عبد العزيز وهو على المدينة ومكة والطائف.

وكان عامله على العراق في هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وعلى قضاء الكوفة ابن أبي لَيلى، وعلى أحداث البصرة المسور بن عمر بن عبّاد. وعلى قضائها عامر بن عبيدة، وعلى خراسان نصر بن سيار الكنانيّ[٢].

خلافة أبي إسحاق إبراهيم بن الوليد

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان غير أنه لم يتمّ له أمر فحدثني أحمد بن زهير، عن عليّ بن محمد، قال: لم يتمّ لإبراهيم أمره، وكان يسلّم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالإمرة؛ وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة؛ فكان على ذلك أمره حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وقال هشام بن محمد: استخلف يزيد بن الوليد أبا إسحاق إبراهيم بن الوليد؛ فمكث أربعة أشهر ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ست وعشرين ومئة. ثم لم يزل حيّاً حتى أصيب في سنة اثنتين وثلاثين ومئة، أمه أمّ ولد.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد، قال: كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة[٣].

---

(١) لقد نسب الطبري هذا القول قبل صفحات إلى المدائني والواقدي فلينظر ولم نجد لهذه التسمية سبباً بإسناد موصول صحيح والله أعلم.

(٢) انظر قوائم الولاة فيما بعد.

(٣) انظر البداية والنهاية [٨/ ٣] والمنتظم [٧/ ٢٥٧].

لقد درجنا على ذكر العمال والقضاة كما ذكرها خليفة في نهاية عهد كل خليفة وهو في أغلبه مؤيد لما ذكره الطبري في نهاية كل سنة والله أعلم. =

قال خليفة: تسمية عمال يزيد بن الوليد:

ولّى العراق منصور بن جمهور الكلبي، ويقال: افتعل عهداً على لسانه، ولي نحواً من أربعين يوماً وجعل على شرطه الحجاج بن أرطاة الفقيه.

مكة والمدينة والطائف: ولاها يزيد بن الوليد عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم عزله وولاها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

البصرة: قتل الوليد وعليها محمد بن القاسم بن محمد، فهرب فاصطلح أهل البصرة على عبد الله بن عبد الله بن أمية يقال له: الأفوه، فصلى بها جمعة، ثم قدم جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، ثم ولي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز العراق، فكتب إلى عبد الله بن أبي عثمان فصلى بالناس حتى قدم ابن سهيل، ويقال: ولى عبد الله بن عمر بعد عبد الله بن أبي عثمان سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي، فأخرجه أهل البصرة فولى عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، وبعث الضحاك بن قيس الخارجي حين غلب عمارة.

الكوفة: ولاها منصور بن جمهور عبيد الله بن العباس، فعزله ابن عمر وولى أخاه عاصم بن عمر.

سجستان: قتل الوليد وعليها حرب بن قطن، فولاها منصور بن جمهور محمد بن عزار فعزله ابن عمر وولاها حرب بن قطن فأقام شهراً ثم خرج عنها واستخلف سوار بن الأشعر المازني فلم ترض بكر بن وائل، وقاتلوا تميماً، فبعث ابن عمر سعيد بن عمرو من آل سعيد بن العاص فلم ترض تميم وبكر.

خراسان: نصر بن سيار حتى انقضى أمر بني أمية.

السند: لما عزل منصور بن جمهور عن العراق أتى السند فغلب عليها ونزل العسكر وسماها المنصورية.

إفريقية: عبد الرحمن بن حبيب غلب عليها[1].

---

(١) القضاة

قضاء البصرة: اعتزل عامر بن عبيدة في الفتنة. =

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد

فمما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشأم والحرب التي جرت بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجرّ.

ذكر ذلك والسبب الذي كانت عنه هذه الوقعة:

قال أبو جعفر: وكان السبب ما ذكرتُ بعضه؛ من أمر مسير مروان بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينية، وغلَبته عليها، مظهراً أنه ثائر بالوليد، منكرٌ قتله، ثم إظهاره البيْعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولاّه عمل أبيه محمد بن

= الكوفة: ابن أبي ليلى.
المدينة: ولاها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان سعد بن إبراهيم، ثم عزل يزيد عبد العزيز بن عبد الله وولى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، فعزل سعد بن إبراهيم واستقضى عثمان بن عمر التيمي. [تاريخ خليفة: ٢٤٢].

خلاصة القول في أمير المؤمنين
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ هـ)

قال الحافظ ابن كثير في وصفه [وهو من سادات بني أمية وكان يُنسبُ إلى الصلاح والدّين والورع فبايعه الناس على ذلك] (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٠) وقال أيضاً في ترجمته [كان عادلاً، ديّناً محبّاً للخير مبغضاً للشر قاصداً للحق] البداية والنهاية [٧/ ٢٢٦].
وقد ذكرنا خطبته في قسم الصحيح وتبدو فيها ملامح إصلاحية إلاّ أنها جاءت بعد فوات الأوان ونضوج الدعوة العباسية وكانت الإدارة الأموية للخلافة قد أصيبت بالهرم بعد وفاة هشام بن عبد الملك ـ يقول العلامة ابن خلدون وربما عند آخر الدولة قوة تتوهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك، ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدّر فيه ولكل أجل كتاب. [المقدمة/ ٢٧٥] ويقول الأستاذ يوسف العش رحمه الله: ولقد حاول يزيد بن الوليد وهو يزيد الثالث أن يقوم بالإصلاح كما وعد فأخذ في التقشف وأنقص أعطيات الجند التي كان زاد فيها سلفه فأعادها إلى ما كانت عليه فسماه الناس بالناقص [الدولة الأموية / ٣٠٤].

مروان ، وإظهاره ما أظهر من ذلك ، وتوجيهه وهو بحرّان محمد بن عبد الله بن عُلاثة وجماعة من وجوه أهل الجزيرة. فحدثني أحمد ، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد ، قال: لما أتى مَرْوانَ موتُ يزيد أرسل إلى ابن عُلاثة وأصحابه فردّهم من مَنْبِج ، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد ، فسار مَرْوان في جند الجزيرة ، وخلّف ابنه عبد الملك في أربعين ألف من الرَّابطة بالرقَّة. فلما انتهى إلى قِنَّسرين ، وبها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشْر ، كان ولاه قنَّسرين فخرج إليه فصافّه ، فنادى الناس ، ودعاهم مرْوان إلى مبايعته ، فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسيّة ، وأسلموا بشراً وأخاً له يقال له مسرور بن الوليد ، ـ وكان أخا بِشْر لأمه وأبيه ـ فأخذه مرْوان وأخاه مسرور بن الوليد؛ فحبسهما وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قِنَّسرين ، متوجّهاً إلى أهل حِمْص؛ وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج ، فوجّه إليه إبراهيم عبدَ العزيز بن الحجاج وجندَ أهل دمشق ، فحاصرهم في مدينتهم ، وأغذّ مَرْوان السَّير ، فلما دنا من مدينة حمْص ، رحل عبد العزيز عنهم ، وخرجوا إلى مَرْوان فبايعوه ، وساروا بأجمعهم معه ، ووجّه إبراهيم بن الوليد الجنودَ مع سليمان بن هشام ، فسار بهم حتى نزل عين الجَرّ ، وأتاه مروان وسليمان في عشرين ومئة ألف فارس ومروان في نحو من ثمانين ألفاً فالتقيا ، فدعاهم مَرْوان إلى الكفّ عن قتاله ، والتخلية عن ابني الوليد: الحكَم وعثمان ، وهما في سجن دمشق محبوسان ، وضمِن عنهما ألا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما ، وألا يطلبا أحداً ممن ولى قتله؛ فأبوْا عليه ، وجدُّوا في قتاله؛ فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر ، واستحرّ القتل بينهم؛ وكثر في الفريقين. وكان مَرْوان مجرّباً مكايداً ، فدعا ثلاثة نفر من قوّاده ـ أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى ـ فأمرهم بالمسير خلف صَفّه في خيله وهم ثلاثة آلاف ، ووجّه معهم فَعلة بالفؤوس ، وقد ملأ الصفّان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرْج ، وبين العسكرين نهر جرّار ، وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشَّجَر ، فيعقدوا جسوراً ، ويجوزوا إلى عسكر سليمان ، ويغيروا فيه.

قال: فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلاّ بالخيل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلْفهم، فلما رأوْا ذلك انكسروا؛ وكانت هزيمتهم، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحَردهم عليهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، وكفّ أهلُ الجزيرة وأهل قنَّسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحداً، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل عدّة القتلى وأكثر، واستبيح عسكرهم. فأخذ مَرْوان عليهم البَيْعة للغلامَين: الحكم وعثمان، وخلّى عنهم بعد أن قوّاهم. بدينار دينار، وألحقهم بأهاليهم، ولم يقتل منهم إلاّ رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقّار وللآخر الوليد بن مَصاد الكلبيّان؛ وكانا فيمن سار إلى الوليد ووَلِيَ قتله. وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ معهم، فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق؛ وكان أحدهما ـ يعني الكلبيّين ـ على حرس يزيد والآخر على شُرَطه؛ فإنه ضربهما في موقفه ذلك بالسياط، ثم أمر بهما فحبسا فهلكا في حبسه.

قال: ومضى سليمان ومَن معه من الفلّ حتى صبّحوا دمشق، واجتمع إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج رؤوس من معهم. وهم يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكسكي والأصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم فقال بعضهم لبعض: إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما والرأي أن نقتلهما. فولّوا ذلك يزيد بن خالد ومعهما في الحبس أبو محمد السفياني ويوسف بن عمر فأرسل يزيد مولى لخالد يقال له أبا الأسد في عدة من أصحابه فدخل السجن فشدخ الغلامين بالعمد وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه وضربت عنقه. وأرادوا قتل أبي محمد السفياني فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه وألقى خلفه الفرش والوسائد، واعتمد على الباب فلم يقدروا على فتحه فدعوا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها، حتى قيل قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد، وتغيَّب وأنهب سليمان ما كان في بيت المال وقسّمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة[١].

(١) للخبر تتمة سيذكرها الطبري فيما بعد وبالإسناد نفسه وانظر تعليقنا (٧/ ٣١١ ـ ٣١٢).

ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة دعا إلى نفسه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة، وحارب بها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مَرْوان، فهزمه عبدُ الله بن عمر، فلحق بالجبال فغلب عليها.

ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه

وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلاف على عبد الله بن عمر ونصبِه الحرب له ـ فيما ذكر هشام عن أبي مخنف ـ في المحرَّم سنة سبع وعشرين ومئة. وكان سبب خروجه عليه ـ فيما حدثني أحمد، عن عليّ بن محمد، عن عاصم بن حفص التميميّ وغيره من أهل العلم ـ أنّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، يلتمس صلته، لا يريد خروجاً، فتزوَّج ابنة حاتم بن الشرقيّ بن عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبْعيّ، فلما وقعت العصبيَّة قال له أهل الكوفة: ادعُ إلى نفسِك، فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مَرْوان، فدعا سرّاً بالكوفة وابن عمر بالحيرة، وبايعه ابن ضَمْرة الخُزاعيّ، فدسّ إليه ابن عمر فأرضاه، فأرسل إليه: إذا نحن التقيْنا بالناس انهزمتُ بهم. وبلغ ابن معاوية، فلما التقى الناس قال ابن معاوية: إنّ ابن ضَمْرة قد غَدَر، ووعد ابن عمر أن ينهزم بالناس؛ فلا يهولنّكم انهزامه، فإنه عن غَدْر يفعل. فلما التقوْا انهزم ابن ضَمْرة، وانهزم الناس، فلم يبق معه أحد، فقال:

تَفَـرَّقَـتِ الظبـاءُ علـى خِـداشٍ فمـا يَـدْرِي خـداش مـا يَصِيُـد

فرجع ابنُ معاوية إلى الكوفة؛ وكانوا التقوْا ما بين الحيرة والكوفة، ثم خرج إلى المدائن فبايعوه، وأتاه قوم من أهل الكوفة، فخرج فغلب على حلْوان والجبال[1].

---

(١) لقد ذكر الطبري خبر ظهور عبد الله بن معاوية بن جعفر هذا عن طريق شيخه الثقة أحمد عن شيخه الصدوق المدائني عن الأخباري عاصم بن حفص وهو النسابة أبو يقظان وقد مرّت ترجمته ويؤيده ما أخرجه خليفة عن شيخه إسماعيل بن إبراهيم فقد قال خليفة: خبر بيعة عبد الله بن معاوية بالكوفة وفيها وهي سنة سبع وعشرين ومئة بايع أهل الكوفة عبد الله بن =

وأما أبو عُبيدة: فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسَوْا قالوا لعمر بن الغضبان وأصحابه: يا معشرَ ربيعة ، قد رأيتم ما صنع الناس بنا؛ وقد أعلَقْنا دماءَنا في أعناقكم؛ فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم؛ وإن كنتم تَرَوْن الناس خاذلينا وإيّاكم؛ فخذوا لنا ولكم أماناً؛ فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا ، فقال لهم عمر بن الغضبان: ما نحن بتاركيكم من إحدى خَلَّتين: إما أن نقاتل معكم ، وإما أن نأخذ لكم أماناً كما نأخذ لأنفسنا ، فطِيبوا نفساً ، فأقاموا في القصر ، والزيديّة على أفواه السكك يَغْدُو عليهم أهل الشأم ويروحون ، يقاتلونهم أياماً. ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدّية ولعبد الله بن معاوية أماناً؛ ألاّ يتبعوهم ويذهبوا حيث شاؤوا. وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية ، فأرسل إليه ابنُ الغضبان فرحّله ومَن معه من شيعته ومَن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل الكوفة ، فسار بهم رسلُ عمر حتى أخرجوهم من الجَسْر فنزل عمر من القصر[1] .

= معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ومعه أخواه الحسن ويزيد ابنا معاوية فحدثني إسماعيل بن إبراهيم قال قدم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وأخواه الحسن ويزيد ابنا معاوية على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الكوفة في ولاية يزيد بن الوليد فأكرمهم وحملهم وأجرىٰ عليهم كل يوم ثلاثمئة درهم فلما مات يزيد وبايع إبراهيم بن الوليد مروان ثار ناس من الشيعة فدعوا إلى بيعة ابن معاوية وكان الذي فعل ذلك هلال بن الورد مولى بني عجل وأتوا به وأدخلوه القصر وبايعه أهل الكوفة وإسماعيل بن عبد الله ومن كان من أهل الشام بالكوفة ودخل فأقام أياماً يبايعه الناس وأتته بيعته من المدائن ومن كل وجه وخرج يوم الأربعاء يريد ابن عمر فلم يكن بينهم قتال ثم أصبح الناس غادين إلى القتال فقتل مكبر بن الحواري في ناس كثير من أهل اليمن مع ابن معاوية وانهزم فدخل القصر وبقيت الزيدية فقاتلوا قتالاً شديداً ولزموا أفواه السكك حتى أخذ لعبد الله بن معاوية وأخويه أن يأخذوا حيث شاؤوا من البلاد ولا يتبعوا وأرسل ابن عمر إلى عمر بن الغضبان بن القبعثري يأمره بنزول القصر وإخراج ابن معاوية فأرسل إليه عمر بن الغضباء فرحله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل الكوفة فسارت بهم رسل عمر حتى أخرجوهم من الجسر ونزل عمر القصر ثم بعث ابن عمر إسماعيل بن عبد الله أميراً [تأريخ خليفة/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥].

(١) هذا الخبر ذكره الطبري ونسبه إلى الأخباري اللغوي الثقة أبي عبيدة (معمر بن مثنى) من قوله ويؤيده ما ذكره خليفة كما ذكرنا في تخريج الرواية السابقة فهاتان روايتان للطبري ورواية لخليفة تتأيّد ببعضها والله أعلم وإن كان في متونها اختلاف يسير فالفحوى واحد كما ترى.

ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مَرْو

وفي هذه السنة وافى الحارث بن سريج مَرْو ، خارجاً إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتب له يزيد بن الوليد ، فصار إلى نصر بن سيار ، ثم خالفه وأظهر الخلاف له ، وبايعه على ذلك جمع كبير(١) .

خلافة مروان بن محمد

وفي هذه السنة بويع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة :

ذكر الخبر عن سبب البيعة له :

حدّثني أحمد ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد مولى عثمان بن عفان ، قال : لما قيل : قد دخلت خيلُ مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب ، فانتهب سليمان ما كان في بيت المال وقسّمه فيمن معه من الجند ، وخرج من المدينة ، وثار مَنْ فيها من موالي الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مَرْوان دمشق فنزل عالية ، وأتِيَ بالغلامين مقتولَيْن وبيوسف بن عمر فأمر بهم فدفِنوا ، وأُتِي بأبي محمد السفيانيّ محمولاً في كُبُوله ، فسلم عليه بالخلافة ، ومروان يومئذ يسلَّم عليه بالإمرة ، فقال له : مه ، فقال : إنهما جعلاها لك بعدهما ، وأنشده شعراً قاله الحكم في السجن .

قال : وكانا قد بلغا ، ووُلد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم قبل ذلك بسنتين ، قال : فقال الحكم :

أَلاَ مَنْ مبْلِغٌ مَرْوانَ عنِّي ... وعَمِى الغَمْرَ طالَ بذا حَنِينا

بأَنِّي قد ظُلمتُ وَصارَ قَوْمِي ... على قَتْلِ الوَلِيد متابِعِينا

أَيذْهَب كلبهم بِدَمِي ومالي ... فلا غَثّاً أَصَبْتُ وَلا سمينا

---

(١) ذكر الطبري عنوان الخبر كعادته قبل سرده للرواية المسندة في ذلك ويؤيد ذكر هذا العنوان ما ذكره خليفة كما سنذكر عند الحديث عن مقتل الحارث بن سريج وأما تفاصيل عودته كما ذكر الطبري عن المدائني عن شيوخه ، فلم نجد ما يؤيدها والله أعلم .

ومَـرْوانٌ بـأَرْضِ بَنِـي نِـزارٍ كليـثِ الغـاب مفْتَـرِسٌ عَـرِينـا
أَلَـمْ يَحْـزُنـكَ قَتْـل فَتَـى قـرَيـشٍ وشَقُّهُـمُ عصـا المسْلِمينـا
أَلا فـاقْـرَ السَّـلاَمَ علـى قُـرَيْـشٍ وقيْـسٍ بـالجَـزِيـرَةِ أَجْمَعينـا
وسـادَ النـاقِـصُ القَـدَرِيّ فينـاً وأَلقَـى الحَـرْبَ بَيْـنَ بَنِـي أَبينـا
فلـوْ شَهِـدَ الفَـوَارس مـن سلَيـمٍ وكعْـب لَـمْ أَكُـنْ لهـمُ رَهينـا
وَلـو شَهِـدَتْ لُيـوثُ بَنـي تمِيـمٍ لمـا بِعْنـا تُـرَاثَ بَنِـي أَبِينـا
أَتُنْكَـثُ بَيْعَتِـي مـنْ أَجْـلِ أُمِّـي فقـد بـايعتُـمُ قَبْلِـي هَجينـا
فلَيْـتَ خُـؤلتـي مـن غيـر كَلْـبٍ وكـانـت فـي ولادَة آخَـرينـا
فـإِنْ أَهْلِـك أَنَـا وَوَلِـيُّ عَهْـدِي فمـرْوانٌ أَمِيـر المـؤمِنينـا

ثم قال: ابسط يدك أبايعك، وسمعه مَن مع مروان من أهل الشام؛ فكان أوّل من نهض معاوية بن يزيد بن الحُصين بن نمير ورؤوس أهل حمص، فبايعوه، فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم، فاختار أهلُ دمشق زاملٍ بن عمرو الجبرانيّ، وأهل حِمْص عبدَ الله بن شجرة الكنديّ، وأهل الأردنّ الوليدَ بن معاوية بن مروان، وأهل فلسطين ثابتَ بن نعيم الجذاميّ الذي كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينيَة، فأخذ عليهم العهود المؤكّدة والأيمان المغلظة على بيعته، وانصرف إلى منزله من حَرّان[١].

---

(١) هذا الخبر تتمة الروايات السابقة والخبر يرويه الطبري عن مخلد بن محمد وقد سبقت ترجمته قبل صفحات في المقدمة ولا نستطيع أن نجزم بصحة كل هذه التفاصيل الدقيقة عن مسار مروان من مكانه وحتى تمام بيعته في دمشق إلاّ أن الفقرات الرئيسية من المتن هي من مظان الصحيح (بالنسبة للخبر التأريخي) يؤيدها ما أخرجه خليفة بإسناد مرسل وآخر موصول عن شاهد عيان فقد أخرج خليفة ضمن تدوينه لوقائع سنة ١٢٧ هـ بعنوان: خبر بيعة مروان بن محمد وخلع إبراهيم بن الوليد: فيها وقعت الفتنة، قال إسماعيل بن إبراهيم قتل الوليد بن يزيد ومروان بن محمد بن مروان بأرمينية والياً فلما أتاه قتل الوليد دعا الناس إلى بيعة من رضيه المسلمون فبايعوه فلما أتاه وفاة يزيد بن الوليد دعى قيساً وربيعة ففرض لستة وعشرين ألفاً من قيس وسبعة آلاف من ربيعة فأعطاهم أعطياتهم وولى على قيس إسحاق بن مسلم العقيلي وعلى ربيعة المساور بن عقبة ثم خرج يريد الشام واستخلف على الجزيرة أخاه عبد العزيز بن محمد بن مروان فلقيه وجوه قيس: الوثيق بن الهذيل بن زفر ويزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري وأبو الورد بن الهذيل بن زفر بن عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي في أربعة آلاف من قيس (أو خمسة آلاف) فساروا معه حتى قدم حلب وبها بشر ومسرور ابنا الوليد بن =

قال أبو جعفر: فلما استوتْ لمروان بن محمد الشام وانصرف إلى منزله بحرّان طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم، فقدم عليه سليمان ـ وكان سليمان بن هشام يومئذ بتدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكْوانيّة ـ فبايعوا مروان بن محمد[١].

= عبد الملك أرسلهما إبراهيم بن الوليد حين بلغه مسير مروان فصاف القوم فخرج أبو الورد بن الهذيل بن زفر في ثلاثمئة وكبروا وحملوا على مروان حتى كانوا قريباً منه ثم حولوا وجههم وقلبوا أترستهم ولحقوا بمروان وحمل مروان ومن معه فانهزم مسرور وبشر من غير قتال فأخذهما مروان فحبسهما حتى أتىٰ حمص فدعاهم إلى المسير معه والبيعة لوليّي العهد الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد وهما محبوسان عند إبراهيم بن الوليد بدمشق فبايعوه وخرجوا معه حتى أتىٰ عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد وحوىٰ مروان عسكره وبلغ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ما لقي سليمان وهو معسكر في ناحية أخرى فأقبل إلى دمشق وخرج إبراهيم بن الوليد من دمشق ونزل باب الجابية وتهيأ للقتال ومعه الأموال على العجل ودعى الناس فخذلوه وأقبل عبد العزيز بن الحجاج وسليمان بن هشام فدخلا مدينة دمشق يريدان قتل الحكم وعثمان ابني الوليد وهما في السجن وجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسري فدخل السجن فقتل يوسف بن عمرو والحكم بن عثمان ابني الوليد بن يزيد وهم الحملان / تأريخ الخليفة/ ثم أخرج خليفة: قال إسماعيل فحدثني عبد الله بن واقد الجرمي أن يزيد بن خالد قتلهما ويقال ولي قتلهما مولى لخالد بن عبد الله يقال له أبو الأسد شدخهما بالعمد وأتاهم رسول إبراهيم فتوجه عبد العزيز بن الحجاج إلى داره ليخرج عياله فثار به أهل دمشق فقتلوه واحتزوا رأسه فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية وكان محبوساً مع يوسف بن عمر وأصحابه فأخرجوه فوضعوه على المنبر في قيوده ورأس عبد العزيز بين يديه وحلوا قيوده وهو على المنبر فخطبهم وبايع لمروان وشتم يزيد وإبراهيم ابني الوليد وأشياعهم وأمر بجسد عبد العزيز فصلب على باب الجابية منكوساً وبعث برأسه إلى مروان بن محمد وبلغ إبراهيم فخرج هارباً واستأمن أبو محمد لأهل دمشق فأمنهم مروان ورضي عنهم ثم أتى يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية وأبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ومحمد بن عبد الملك بن مروان وأبو بكر بن عبد الله بن يزيد فأذن لهم وكان أول من تكلم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية فسلم عليه بالخلافة وعزاه على الوليد وابنيه الحكم وعثمان ابني الوليد فقال وأصيب الغلامان إنا لله إن كانا الحملين الذين يؤكلان ويوضعان ثم بايعوه ثم أتى دمشق فأمر بيزيد بن الوليد فنبش وصلب وأتته بيعة أهل الشام [تأريخ خليفة/ ٣٩٣] وانظر تعليقنا على الرواية التالية. وأما نبش قبر يزيد بن الوليد فمسألة فيها نظر.

(١) ويؤيده خليفة في قوله هذا إذ قال: وفيها (١٢٧ هـ) أتى إبراهيم بن الوليد مروان بن محمد=

ذكر الخبر عن انتقاض أهل حمص على مروان

وفي هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشام فحاربهم(١) وفي هذه السنة دخل الضّحاك بن قيس الشيباني الكوفة.

ذكر الأخبار عن خروج الضحاك محكّماً ودخوله الكوفة، ومن أين كان إقباله إليها

اختلف في ذلك من أمره، فأما أحمد، فإنه حدّثني عن عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدّثني أبو هاشم مخلَّد بن محمد، قال: كان سبب خروج الضحاك أنّ الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حرَوريّ يقال له سعيد بن بهدل

= بالجزيرة فخلع نفسه وبايعهُ فقبل منه وأمنه وسار إبراهيم فنزل الرقة على شاطىء الفرات ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأمنه فأمنه فأتاه فبايعه واستقامت لمروان بن محمد وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع أشهراً، وأخرج ابن عساكر عن الوليد بن مسلم قال بايع الناس مروان بن محمد يوم الإثنين النصف من صفر سنة سبع وعشرين ومئة [تأريخ دمشق/ ٥٧/ ٣٢٦] وأخرج عن محمد بن يزيد قال: ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكنيته أبو عبد الملك لأربع عشرة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومئة [تأريخ دمشق/ ٥٧/ ٣٢٧] وأخرج عن إسماعيل الخطي قال: واستخلف مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وبويع له بدمشق يوم الإثنين للنصف من صفر سنة سبع وعشرين ومئة [تأريخ دمشق/ ٥٧/ ٣٢٨] وانظر البداية والنهاية لابن كثير [٨/ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠].

(١) ووافق خليفة بن خياط الطبري في هذه المسألة دون التفاصيل بينما أورد الطبري رواية مطوّلة ذكر فيها تفاصيل كثيرة ومبالغات لم نجد لها ما يؤيدها من مصدر آخر موثوق ولقد دأبنا على ذكر الأمور التي اتفق عليها خليفة والطبري في قسم الصحيح وخاصة إذا أوردا الخبر بالإسناد وإن كان في إسناد أحدهما مجهول شريطة أن لا نعلم فيه جرحاً ولم نجد في المتن نكارة. وبالنسبة لانتقاض أهل حمص على مروان فقد أيد ذلك خليفة فقال وفيها خلع أهل حمص ودمشق مروان فسار مروان حتى أتىٰ حمص فظهر عليهم فقتل رؤساء من رؤسائهم وأمر بهدم ناحية من مدينتهم ونادىٰ في الناس بالأمان ثم وجه الوليد بن معاوية بن مروان إلى ثابت بن نعيم وهو بطبرية فحاصر أهلها وانهزم ثابت وقتل من أصحابه مقتله عظيمة وهرب ثابت فأتىٰ فلسطين مستخفياً وأتبعه مروان عمرو بن الوضاح وأبا الورد فعلم بمكانه فأخذ فبعث به إلى مروان بدمشق فقطع يديه ورجليه / تأريخ خليفة/ ٣٩٤ وانظر [البداية والنهاية ٨/ ١٠ ـ ١١].

الشيبانيّ في مئتين من أهل الجزيرة؛ فيهم الضحّاك ، فاغتنم قتلَ الوليد واشتغال مرْوان بالشام ، فخرج بأرض كَفرْتُوثا ، وخرج بِسطام البيهسيّ وهو مفارق لرأيه في مثل عِدّتهم من ربيعة ، فسار كلّ واحد منهما إلى صاحبه؛ فلما تقارب العسكران وَجه سعيد بن بهدل الخَيْبريّ ـ وهو أحد قواده ، وهو الذي هزم مَرْوان ـ في نحو من مئة وخمسين فارساً ليبيّته ، فانتهى إلى عسكره وهم غارُّون ، وقد أمر كلّ واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلّل به رأسَه ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فبكّروا في عسكرهم فأصابوهم في غرّة ، فقال الخيبريّ :

إن يــك بسْطــامٌ فــإنــي الخَيْبَــرِي أَضْـرِبُ بـالسَّيـف وأَحْمِـي عَسْكَـري

فقتلوا بِسطاماً وجميعَ من معه إلا أربعة عشر ، فلحِقوا بمروان ، فكانوا معه فأثبتهم في روابطه ، وولّى عليهم رجلاً منهم يقال له مقاتل ، ويكنى أبا النعثل ، ثمّ مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تَشْتيت الأمر بها واختلاف أهل الشام ، وقتال بعضهم بعضاً مع عبد الله بن عمر ، والنّضْر بن سعيد الحرَشيّ وكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة ، والمضريّة ، مع ابن الحرَشيّ بالكوفة؛ فهم يقتتلون فيما بينهم غَدوة وعشيّة .

قال : فمات سعيد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصابه؛ واستخلف الضحاك بن قيس من بعده؛ وكانت له امرأة تسمى حوْماء ، فقال الخيبريّ في ذلك :

سَقى الله يا حَـوْمـاءُ قَبْـرَ ابْـنِ بَهْـدَلٍ إذا رَحَــل الســارونَ لَــمْ يَتَــرَحَّــل

قال : واجتمع مع الضّحاك نحوٌ من ألف ثمّ توّجه إلى الكوفة ، ومرّ بأرض الموصل ، فاتّبعه منها ومن أهل الجزيرة نحوٌ من ثلاثة آلاف ، وبالكوفة يومئذ النَّضْر بن سعيد الحَرَشيّ ومعه المضريّة ، وبالحيرة عبد الله بن عمر في اليمانية ، فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة ، فلما دنا إليه الضحاك فيمن معه من الكوفة اصطلح ابن عمر والحَرَشيّ ، فصار أمرهم واحداً ، ويداً على قتال الضحاك ، وخندقا على الكوفة ، ومعهما يومئذ من أهل الشام نحوٌ من ثلاثين ألفاً ، لهم قوّة وعدّة ، ومعهم قائد من أهل قِنّسْرِين ، يقال له عبّاد بن الغُزَيّل في ألف فارس ، قد كان مروان أمدّ به ابن الحَرَشيّ ، فبرزوا لهم ، فقاتلوهم ، فقتِل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكنديّ ، وهزموهم أقبح

هزيمة ، ولحق عبد الله بن عمر في جماعتهم بواسِط ، وتوجّه ابنُ الحَرشيّ ـ وهو النّضر ـ وجماعة المضريّة وإسماعيل بن عبد الله القسْريّ إلى مَرْوان ، فاستولى الضحاك والجزريّة على الكوفة وأرضها ، وجَبَوُا السواد. ثم استخلف الضّحاك رجلاً من أصحابه ـ يقال له مِلْحان ـ على الكوفة في مئتي فارس ، ومضى في عظْم أصحابه إلى عبد الله بن عمر بواسط ، فحاصره بها ؛ وكان معه قائد من قواد أهل قِنَّسرين يقال له عطية الثعلبي ـ وكان من الأشدّاء ـ فلما تخوّف محاصرة الضّحاك خرج في سبعين أو ثمانين من قومِه متوجهاً إلى مَرْوان ، فخرج على القادسيّة ، فبلغ مِلْحان ممرُّه ، فخرج في أصحابه مبادراً يريده ، فلقيه على قنطرة السَّيْلَحِين ـ ومِلْحان قد تسرع في نحو من ثلاثين فارساً ـ فقاتله فقتله عطية وناساً من أصحابه ، وانهزم بقيتهم حتى دخلوا الكوفة ، ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان[١] .

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنَّى ، فإنه قال: حدثني أبو سعيد ، قال: لما مات سعيد بن بَهدل المرّيّ ، وبايعت الشراة للضّحاك ، أقام بشهرزُور وثابت إليه الصُّفْريّة من كلّ وجه حتى صار في أربعة آلاف ، فلم يجتمع مثلهم لخارجيّ قطّ قبله. قال: وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر ، فانحطّ مروان من أرمينيَة حتى نزل الجزيرة ، وولّي العراق النَّضْر بن سعيد ـ وكان من قوّاد ابن عمر ـ فشخص إلى الكوفة ، ونزل ابن عمر الحيرة ، فاجتمعت المضريّة إلى النّضر واليمانية إلى ابن عمر ، فحاربه أربعة أشهر ، ثم أمدّ مروان النَّضْر بابن الغزيِّل ، فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك في سنة سبع وعشرين ومئة ، فأرسل ابن عمر إلى النّضْر: هذا لا يريد غيري وغيرك ، فهلمَّ نجتمع عليه [فتعاقدا عليه] ، وأقبل ابن عمر ، فنزل تلّ الفتح وأقبل الضّحاك ليعبر الفرات ، فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ ليمنَعه من العبور ، فقال عبيد الله بن العباس الكنديّ: دعه يعبر إلينا ، فهو أهون علينا من طلبه. فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفُّه عن ذلك ، فنزل ابنُ عمر الكوفة ، وكان يصلي في مسجد

---

(١) لقد تحدثنا عن رجال هذا الإسناد في المقدمة وسيورد الطبري روايات أخرى للمقارنة ولكنها متحدة في الفحوى وهي جميعاً تحكي خروج الضحاك الخارجي وسيطرته على الكوفة وقتاله كما سيأتي.

الأمير بأصحابه ، والنضر بن سعيد في ناحية الكوفة يصلِّي بأصحابه ، لا يجامع ابن عمر ولا يصلي معه؛ غير أنهما قد تكافآ واجتمعا على قتال الضّحاك ، وأقبل الضّحاك حين رجع حمزة حتى عَبَر الفرات ، ونزل النُّخَيلة يوم الأربعاء في رجب سنة سبع وعشرين ومئة ، فخفّ إليهم أهلُ الشام من أصحاب ابن عمر والنضر ، قبل أن ينزلوا ، فأصابوا منهم أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة. ثم نزل الضّحاك وضرب عسكره ، وعبّى أصحابه ، وأراح ، ثم تغادوا يوم الخميس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكشفوا ابنَ عمر وأصحابَه ، وقتلوا أخاه عاصماً؛ قتله البِرْذَون بن مرزوق الشيبانيّ ، فدفنه بنو الأشعث بن قيس في دارهم ، وقتلوا جعفر بن العباس الكنديّ أخا عبيد الله ، وكان جعفر على شرْطة عبد الله بن عمر ، وكان الذي قتل جعفراً عبد الملك بن علقمة بن عبد القيس ، وكان جعفر حين رهقه عبد الملك نادى ابنَ عمّ له يقال له شاشلة ، فكرّ عليه شاشلة ، وضربه رجل من الصُّفْريّة ، ففلق وجهه.

قال أبو سعيد: فرأيته بعد ذلك كأنّ له وجهين ، وأكبّ عبد الملك على جعفر فذبحه ذبحاً ، فقالت أم البرذون الصُّفْرِيّة:

نَحْـنُ قَتَلْنَـا عـاصمـاً وجَعْفَـرا والفـارِسَ الضَّبّـيَّ حِيـنَ أَصْحَـرا
ونَحْـن جئنـا الخَنْـدق المقَعَّـرا

فانهزم أصحاب ابن عمر ، وأقبل الخوارج ، فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا ، ثم تغادينا يوم الجمعة؛ فوالله ما تتاممنا حتى هَزُمونا ، فدخلنا خنادقنا ، وأصبحنا يوم السبت؛ فإذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط ، ورأوا قوماً لم يروْا مثلهم قطّ أشدّ بأساً؛ كأنهم الأسْد عند أشبالها ، فذهب ابن عمر ينظر أصحابَه ، فإذا عامّتهم قد هربوا تحت الليل ، ولحق عظْمهم بواسط فكان ممّن لحق بواسط النضر بن سعيد وإسماعيل بن عبد الله ومنصور بن جمهور والأصبغ بن ذؤالة وابناه: حمزة وذؤالة ، والوليد بن حسان الغسانيّ وجميع الوجوه ، وبقي ابن عمر فيمن بقي من أصحابه مقيماً لم يبرح [(١)].

---

(١) وهذه هي الرواية الثانية التي أخرجها الطبري وهي من مرويات الأخباري الثقة معمر بن المثنى والذي يرويه بدوره عن شاهد عيان (أبي سعيد) ويؤد الروايتين ما أخرجه خليفة ضمن حديثه عن وقائع سنة ١٢٧ هـ ، قال خليفة: وفي هذه السنة وهي سنة سبع وعشرين ومئة مات =

= سعيد بن بحدل الخارجي فحدثني إسماعيل بن إبراهيم أن سعيد بن بحدل لما حضرته الوفاة بشهرزور اجتمع إليه قواده فدعاهم أن يستخلف عليهم رجلاً منهم. . . إلخ وفيه أن قادة الخوارج اختاروا الضحاك أميراً عليهم بعد عملية الشورى.
ثم أخرج خليفة قال: قال إسماعيل بن إبراهيم حدثني الوليد بن سعيد الشيباني أن سعيد بن بحدل جعلها شورى بين ستة منهم الضحاك والخيبري وشيبان وعبيدة بن سوار التغلبي وكان غائباً بأذربيجان فبايعوا الضحاك ثم قدم عبيدة فأبى أن يرضى بالضحاك فقالوا له لتدخلن فيما دخلنا فيه أو لنسعدنك برماحنا فبايعه ثم وجه الضحاك حبناء بن عصمة الشيباني في خيل إلى تكريت فغلب عليها فبعث بمالها إلى الضحاك ووجه أبا الريش خالد بن الريش إلى حولايا وأرضها فلقي جميع بن مقرن الكلبي وحريث بن أبي الجهم فقتل جميع وانهزم حريث فأتى المدائن ووجه عبد الله بن عمر الأصبغ بن ذؤالة فنزل المدائن فأقبل أبو الريش وعبثل وحبناء بن عصمة فالتقوا جميعاً بالمدائن فقطع الأصبغ بن ذؤالة الجسر وانصرف إلى الكوفة وأقبل الضحاك بن قيس يريد الكوفة فنزل دير الثعالب في ثلاثة آلاف والمكثر يقول في أربعة آلاف وبعث عبد الله بن عمر عبد الله بن العباس الكندي في عشرة آلاف فتواقفوا وبينهم الفرات فقال مسكين يا عبيد الله اختر إن شئت أن تعبر إلينا ولك الذمة ألا نحركك حتى تقطع جميع من معك وإما أن تعطينا مثل ذلك فنعبر إليكم فأبى ذلك عبيد الله وانصرف إلى الكوفة وعبر مسكين الفرات وأقبل الضحاك فنزل بشاطىء الفرات وضرب الناس معابر فعبروا وسار مسكين فوجد ابن عمر وأهل الشام وأهل الكوفة على أفواه السكك وقد خندقوا وذلك يوم الأربعاء لليالٍ خلون من شعبان سنة سبع وعشرين ومئة فاقتحم أصحاب مسكين الخنادق فأصيب منهم سبعة عشر إنساناً من رجل وامرأة وبلغ ذلك الضحاك فبعث حبناء بن عصمة في ناس وعزم عليهم ألا يقاتلوا تلك الليلة وأقبل الضحاك فيمن معه فحمل عليهم حتى إذا كان حيث تناله النشاب أنزل من كل كردوس عصابة نشطوا للقتال فلم يلبث أهل الشام أن انهزموا وعبروا الخنادق فدخلوا الكوفة ثم رجعوا من ساعتهم وذلك يوم الخميس فرجعوا إلى مواقفهم وحمل بعضهم عليهم فقتل عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن العباس وانهزم أهل الشام ثم غدا ابن عمر يوم الجمعة وحضض الناس ووجه الأصبغ بن ذؤالة في عشرة آلاف فأخذ المحجة كأنه يريد الشام والضحاك ومن معه وقوف وهو يريد أن يخالفهم إلى عسكرهم وقد كان بلغهم فخلفوا شيبان في العسكر فانطلق الأصبغ ومن معه حتى إذا كانوا بإزاء الضحاك على ابن عمر وعليهم فلم يلو أحد منهم على صاحبه فلما جنّهم الليل خرج أهل الشام من الكوفة متوجهين في كل وجه فلم يبق فيها منهم أحد فأصبح ابن عمر فخرج متوجهاً إلى واسط فنادى الضحاك ألاّ تتبعوا مولياً ولا تجرحوا أحداً وقد أجلناكم يا أهل الشام ثلاثاً فمن دخل فيما دخلنا فيه فله ما لنا ومن أحب أن يتوجه حيث شاء من الأرض فليتوجه آمناً فمن أتاهم ألحقوه بهم ومن شخص لم يعرضوا له وبعث حبناء بن عصمة إلى =

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على المدينة والطائف حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي عمن ذكره عن إسحاق بن عيسىٰ عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي وغيره [(١)].

وكان العامل على العراق النَّضر بن الحرشيّ وكان من أمره وأمر عبد الله بن عمر والضحاك الحَرُوريّ ما قد ذكرت قبلُ. وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرمانيّ والحارث بن سُرَيج [(٢)].

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومئة

ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان

فمما كان فيها من الأحداث قتل الحارث بن سريج بخراسان [(٣)].

= قصر الكوفة فباع الفيء وأصاب خزائن كثيرة وسلاحاً وأموالاً فلما كان أول يوم من شهر رمضان سار الضحاك إلى واسط فاستخلف على الكوفة ملحان وسار الضحاك حتى نزل على ابن عمر بواسط فقاتله وفارس أهل الشام والقائم بتلك الحرب منصور بن جمهور فقتل جحشنة ابن أخي منصور في تلك الحرب وحمل منصور على عكرمة فقتله [تأريخ خليفة/ ٣٩٧] فهذه الروايات (للطبري وخليفة) وإن اختلفت في التفاصيل ولكنها تتحد في أصل الخبر ألا وهو خروج الضحاك الخارجي وجريان الأمور في بداية المعارك لصالحه ووصوله إلى الكوفة وحصاره لواسط وللخبر تتمة كما سيأتي. وانظر البداية والنهاية (٨/ ١٣) فقد ذكر ابن كثير الخبر مختصراً.

(١) قال خليفة : وأقام الحج سنة سبع وعشرين ومئة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان [تأريخ خليفة/ ٣٩٨].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد مروان.

(٣) وكذلك قال خليفة: وفي هذه السنة وهي سنة ثمان وعشرين ومئة لجأ الحارث بن سريج إلى الكرماني وإلى الأزد ، وقال: تعالوا نقاتل هذا الباغي يعني نصر بن سيار فقاتلوا نصراً فهزموه فلما جنّ نصراً الليلُ خرج متوجهاً إلى أبرشهر فطمع الحارث أن تجتمع عليه تميم وشامهم فقالوا نحن معك فمال إليهم فاجتمعت مضر مع الحارث وبايعوه واجتمعت اليمن وربيعة مع الكرماني فاقتتلوا فقتل الحارث لا يدرى من قتله وهزمت تميم وغلب الكرماني على مرو وكتب العهود وفي ذلك يقول نصر بن سيار في قتل الحارث بن سريج :

يا مدخل الذلّ على قومه بعداً وسحقاً لك من هالك
ما كانت الأزد وأشياعها تطمع في عمرو ولا مالك

(تأريخ خليفة/ ٤٠٥). =

قال عليّ: قال زهير بن الهُنَيْد: خرج الكرمانيّ إلى بِشْر بن جُرْموز، وعسكر خارجاً من المدينة؛ مدينة مَرْو، وبشر في أربعة آلاف، فعسكر الحارث مع الكرمانيّ، فأقام الكرمانيّ أياماً بينه وبين عسكر بِشْر فرسخان، ثم تقدّم حتى قرب من عسكر بشر، وهو يريد أن يقاتله، فقال للحارث: تقدّم. وندم الحارث على اتباع الكرمانيّ، فقال: لا تعجل إلى قتالهم، فإني أردّهم إليك، فخرج من العسكر في عشرة فوارس؛ حتى أتى عسكر بِشْر في قرية الدّرزِيجان، فأقام معهم وقال: ما كنتُ لأقاتلكم مع اليمانية، وجعل المضرِيّون ينسلّون من عسكر الكرمانيّ إلى الحارث حتى لم يبق مع الكِرمانيّ مضريّ غير سَلَمة بن أبي عبد الله، مولى بني سُلَيم؛ فإنه قال: والله لا أتبع الحارث أبداً فإني لم أره إلا غادراً ومهلّب بن إياس، وقال: لا أتبعه فإني لم أره قطّ إلا في خيل تطّرد. فقاتلهم الكرمانيّ مراراً، يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم، فمرَّةً لهؤلاء ومرّة لهؤلاء، فالتقوْا يوماً من أيامهم، وقد شرب مَرْثد بن عبد الله المجاشعيّ، فخرج سكران على بِرْذون للحارث، فطُعن فصُرع، وحماه فوارس من بني تميم؛ حتى تخلص، وعار البرذون، فلما زجع لامه الحارث، وقال: كدتَ تقتل نفسك، فقال للحارث: إنما تقول ذلك لمكان برْذونك، امرأتي طالق إن لم آتك ببرذَوْن أفرَه من برذونك من عسكرهم، فالتقوا من غد، فقال مرثد: أيّ برذون في عسكرهم أفره؟ قالوا: برذون عبد الله بن دَيْسَم العَنَزيّ ـ وأشاروا إلى موقفه ـ حتى وصل إليه، فلما غشيَه رمى ابن ديسم نفسه عن برْذوْنه، وعلّق مرثد عنان فرسه في رمحه، وقاده حتى أتى به الحارث، فقال: هذا مكان بِرْذونك، فلقي مخلد بن الحسن مرثداً، فقال له يمازحه: ما أهيأ برذون ابن ديسم تحتَك! فنزل عنه، وقال: خذه، قال: أردت أن تفضحني! أخذتَه منا في الحرب وآخذه في السلم! ومكثوا بذلك أياماً، ثم ارتحل الحارث ليلاً، فأتى حائط مَرْو فنقب باباً، ودخل الحائط، فدخل الكِرماني، وارتحل، فقالت المضريّة للحارث: قد تركنا الخنادق فهو يومنا، وقد فررت غير مَرّة، فترجّل. فقال: أنا لكم فارساً

= وأما ما ذكره الطبري من تفاصيل كثيرة فلم نجد لها ما يؤيدها ولم يروه الطبري بطريق مسند موصول صحيح. فذكرناها في قسم المسكوت عنه فليراجع هناك (٧/ ٣٣٠ ـ ٣٤٠).

خير مني لكم راجلاً ، قالوا: لا نرضى إلا أن تترجّل ، فترجّل وهو بين حائط مَرْو والمدينة ، فقتِل الحارث وأخوه وبشر بن جرموز وعدّة من فرسان تميم ، وانهزم الباقون ، وصُلِب الحارث وصَفتْ مَرْو لليمن ، فهدموا دور المضريّة ، فقال نصر بن سيار للحارث حين قتلِ:

يا مُدْخِلَ الذلِّ على قومِهِ بعْداً وسُحْقاً لك مِنْ هالِكِ!
شُؤمُكَ أَرْدَى مُضراً كلَّها وغضَّ مِنْ قَومِكَ بالحارِكِ
ما كانتِ الأَزدُ وأَشياعُها تطْمَعُ فِي عمرو ولا مالكِ
ولا بَنِي سَعْدٍ إذا أَلجَمُوا كُلَّ طِمِرٍّ لونُهُ حالِكِ

ويقال: بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة المازنيّ[1].

ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجيّ

وفي هذه السنة قُتِل الضحاك بن قيس الخارجيّ ، فيما قال أبو مخنف ، ذكر ذلك هشام بن محمد عنه.

ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك:

ذكر أنّ الضحاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، وبايعه منصور بن جُمْهور ، ورأى عبد الله بن عمر أنه لا طاقة له به ، أرسل إليه: إن مقامكم عليّ ليس بشيء؛ هذا مروان فسرْ إليه؛ فإن قاتلته فأنا معك ، فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين فيه.

فذكر هشام ، عن أبي مخنف؛ أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقيَ مَرْوان بكفرْتوثَا من أرض الجزيرة ، فقتِل الضحاك يوم التقوْا.

وأما أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، فقال فيما حدثني أحمد بن زهير ، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضّحاك لما قتل عطية الثعلبيّ صاحبَه

(١) هذا الخبر ذكره الطبري من مرويات المدائني الصدوق الأخباري عن زهير بن هنيد (أبي الذيال) وهو صدوق حسن الحديث وفي متن هذه الرواية ما يقوي رواية خليفة السابقة مع مثيلتها (أي رواية الطبري) من هزيمة الحارث ومقتله وانتصار الكرماني مع اليمانية الذين تحالفوا معه.

وعاملَه على الكوفة مِلْحان بقنطرة السَّيْلحِين ، وبلغه خبرُ قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط ، وجّه مكانه من أصحابه رجلاً يقال له مطاعن؛ واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك عن أن يدخل في طاعته؛ فدخل وصلى خلفه ، وانصرف إلى الكوفة ، وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط ، ودخل الضّحاك الكوفة ، وكاتبه أهلُ الموصل ودعوْه إلى أن يقدم عليهم فمكّنوه منها؛ فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهراً ، حتى انتهى إليها ، وعليها يومئذ عامل لمرْوان؛ وهو رجل من بني شَيْبان من أهل الجزيرة يقال له القَطِران بن أَكْمَه ، ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك وقاتلهم القطِران في عدّة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا ، واستولى الضَّحاك على الموصل وكورها. وبلَغ مَرْوان خبرُه وهو محاصِرٌ حِمْص ، مشتغل بقتال أهلها ، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة ، يأمره أن يسير فيمن معه من رَوابطه إلى مدينة نَصِيبين ليشغل الضحاك عن توسط الجزيرة ، فشخص عبد الله إلى نَصِيبين في جماعة روابطه؛ وهو في نحو من سبعة آلاف أو ثمانية ، وخلّف بحرّان قائداً في ألف أو نحو ذلك؛ وسار الضحاك من الموْصِل إلى عبد الله بنصيبين ، فقاتله فلم يكن له قوّة لكثرة من مع الضحاك؛ فهم فيما بلغنا عشرون ومئة ألف ، يرزق الفارس عشرين ومئة والراجل والبغال المئة والثمانين في كلّ شهر؛ وأقام الضحاك على نَصِيبين محاصراً لها ، ووجّه قائدين من قوّاده يقال لهما عبد الملك بن بشر التغلبيّ ، وبدر الذّكوانيّ مولى سليمان بن هشام ، في أربعة آلاف أو خمسة آلاف حتى وردا الرّقة ، فقاتلهم مَنْ بها من خيل مروان؛ وهم نحو من خمسمئة فارس ، ووجّه مَرْوان حين بلغه نزولهم الرَّقة خيلاً من روابطه؛ فلما دنوا منها انقشع أصحابُ الضَّحاك منصرفين إليه ، فاتبعتهم خيله ، فاستسقطوا من ساقتهم نيّفاً وثلاثين رجلاً ، فقطعهم مَرْوان حين قدم الرَّقة ، ومضى صامداً إلى الضّحاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغزّ من أرض كَفرْتوثا ، فقاتله يومَه ذلك؛ فلما كان عند المساء ترجّل الضحاك وترجَّل معه من ذوي الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه ، وأحدقت بهم خيولُ مروان فألحُّوا عليهم حتى قتلوهم عند العَتَمة ، وانصرف مَنْ بقي من أصحاب الضَّحاك إلى عسكرهم؛ ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضّحاك قد قُتِل فيمن قتل حتى فقدوه في وسط الليل. وجاءهم بعض مَن عاينه حين ترجّل ، فأخبرهم بخبره ومقتله ،

فبكوْه وناحوا عليه ، وخرج عبد الملك بن بشر التغلبيّ القائد الذي كان وجّهه في عسكرهم إلى الرّقة حتى دخل عسكر مَرْوان ، ودخل عليه فأعلمه أنّ الضحاك قتِل ، فأرسل معه رسلاً من حرَسه ، معهم النيران والشَّمْع إلى موضع المعركة ، فقلّبا القتلى حتى استخرجوه ، فاحتملوه حتى أتوْا به مَرْوان ، وفي وجهه أكثر من عشرين ضَرْبة ، فكبّر أهل عسكر مَرْوان ، فعرف أهل عسكر الضّحاك أنهم قد علموا بذلك ، وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة ، فطِيف به فيها[1] .

---

(١) أورد الطبري هذين الخبرين أحدهما عن التالف أبي مخنف مختصراً والثاني بسنده الموصول عن مخلد بن محمد (انظر المقدمة) وقد أوردنا روايات أبي مخنف المختصرة جداً كهذه في قسم الصحيح شريطة أن تكون مؤيّدةً بروايات أخرى من مصادر موثوقة وكما الحال هاهنا فإن رواية الطبري الثانية عن مخلد بن محمد تؤيد هذه الحادثة وأعني مقتل الضحاك الخارجي سنة ١٢٨ هـ في العراق في معركة أمام جيش عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وكذلك أخرج خليفة بن خياط عدة روايات تؤيد وقوع هذه الحادثة وهزيمة الضحاك ومقتله مع اختلاف يسير في بعض التفاصيل لا تؤثر على أصل الخبر وإليك أخي القارىء الكريم ما أخرجه خليفة.
قال خليفة: قال إسماعيل بن إسحاق فحدثني الوليد بن سعيد قال خرج منصور يوماً فحمل على عبد الملك بن علقمة فطعنه فأنفذ الرمح من ظهره فقتله فتقوضت صفوف الضحاك وانصرفوا جزعاً عليه يقال كان القتال ستة أشهر ويقال سنة حتى صالحه ابن عمر فأرسل ابن عمر إلى الضحاك على أن يعطيه الرضا ويقره على عمله (تأريخ خليفة/ ٣٩٧) ثم أخرج خليفة: قال إسماعيل فحدثني عون بن يزيد الباهلي قال إني بواسط إذ رأيت عبد الله بن عمر أتىٰ الضحاك فأعطاه الرضا وفي ذلك قال شبيل بن عزرة الضبعي:
ألـــم تـــر أن الله أظهـــر دينـــه وصلـت قـريـش خلـف بكـر بـن وائـل
[تأريخ خليفة بن خياط/ ٣٩٨].
ولما كان خليفة والطبري يتبعان نظام الحوليات في تدوين التأريخ فإنهما يجزّئان الحادثة ويقطّعانها بين السنين وإلى هنا كانت الروايات عند خليفة (عن معارك الضحاك) ضمن أحداث سنة ١٢٧ هـ ثم بدأ بتتمة الحديث عن خروج الضحاك ومقتله ضمن أحداث سنة ١٢٨ هـ وكما فعل الطبري من بعده ، فقال خليفة ضمن حديثه عن وقائع سنة ١٢٨ هـ: خبر القتال بين الضحاك ومروان: فيها (أي ١٢٨ هـ) سار الضحاك بين قيس حتى أتى الموصل فخرج إليه عاملها فقتله الضحاك واستولى على المدينة فبلغ مروان فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان وهو يومئذ على الجزيرة يأمره أن ينزل بنصيبين وسار إليه الضحاك فحاصره نحواً من شهرين فلم يظفر منه بشيء وبثّ الخيول في الغارة على أرض الجزيرة حتى بلغت خيله الرقة ، واجتمعت إلى الضحاك ملوك أهل الشام ممن هرب من مرو من قريش وغيرهم وسار=

= مروان يريد نصيبين فرحل من عين الوردة فنزل الأكدر ثم رحل من الأكدر يوم الإثنين زحفاً على تعبئة ، ورجالته تمشي وخيوله مجففات وهو في القلب فاستقبله الضحاك على قريب من فرسخين من عسكر الضحاك قريباً من صلاة الظهر ، قال إسماعيل فحدثني السري بن مسلم والوليد بن سعيد أن العسكرين لما تقاربا قام إلى الضحاك أشراف من معه من أهل الشام فقالوا له: إنه والله ما اجتمع إلى داع دعا إلى هذا الرأي منذ كان الإسلام ما اجتمع معك فتأخر وقدم من خيلك ورجالتك وفرسانك من يلقى هذا الطاغية فقال إني والله ما لي في دنياكم هذه حاجة وإنما أردت هذا الطاغية وقد جعلت لله عليّ إن رأيته أن أحمل عليه حتى يحكم الله بيني وبينه وعليّ دين سبعة دراهم في كميّ منها ثلاثة دراهم ، ثم أقبل مروان فالتقوا فاقتتلوا حتى غابت الشمس وقتل الضحاك في المعركة ولا يعلم به وحجز بينهم الليل ورجع الفريقان إلى معسكرهم وقتل منهم نحو من ستة آلاف وأكثر القتلى أصحاب الضحاك وقتل من الشراة نحو من ثمانمئة امرأة وأمر مروان حين أصبح فنصب راية أمان ودعا إليها وخرج الخيبري ودعى في شراته: من أراد الجنة والموت فلينتدب معي فانتدب معه ثلاثمئة وخمسون فارساً فحملوا على مروان في القلب فانكشف وأعرى القلب وشدّ رجل من الخوارج على مروان فضربه بالسيف على عاتقه فقطع الحمائل وسقط الجفن وضربه مروان فأصاب يده وولّىٰ هارباً [تأريخ خليفة/ ٤٠٠]. قلت وهذا إسناد مركب والسري شاهد عيان كما سيأتي فقد أخرج خليفة بعد هذا: قال إسماعيل حدثني السري وكان شهد ذلك اليوم قال هاجت يومئذ ضبابة فما كان الرجل يبصر عرف فرسه ولا سوطه ومضى فلّ مروان في كل وجه ، وبقي ابنه عبد الله بن مروان في الميمنة وإسحاق بن مسلم في الميسرة على حالهما لا يعلمان حال مروان وجاء الخيبري فدخل عسكر مروان فقطع أطناب رواقه وقعد على سريره وتفرّق أصحابه حول الحجرة في النهب والقتل وشعارهم يا خيبري ولا يعلم سائر أصحاب الخيبري بالأمر للنقع والضباب ولا يرون الخيبري إلا وقد قتل فلما رأى من في عسكر مروان قلتهم ثار مولى لمحمد بن مروان وكان في حرسه رجل يقال له سليمان بن مسروح من البرابرة فنادى في العبيد من اتبعني فهو حرّ فاجتمع إليه من العبيد وغيرهم نحو من ثلاثة آلاف رجل أو أربعة آلاف رجل فقتل الخيبري وانجلت الضبابة عن مجنبتي مروان ـ عبد الله بن مروان وإسحاق بن مسلم ـ فرأوا أعلام الشراة في موضع مروان فقالوا قد قتل الخيبري واحتمله أصحابه فدفنوه فلم يقدروا على رأسه ولا جسده وخرج مولى لمروان يقال له غزوان يركض على فرسه حتى أتى مروان فأخبره الخبر فرجع مروان إلى عسكره وتابعت الشراة مكانهم فارتحل شيبان راجعاً حتى نزل الزابين من أرض الموصل فخندق على نفسه وأتاه مروان فقاتلهم عشرة أشهر كل يوم راية مروان مهزومة ثم انحدر على ماه ثم على الصيمرة ثم أتى جزيرة بركاوان ثم أتى عمان فقاتلوه فقتل بها [تأريخ خليفة/ ٤٠١]. =

وقيل: إن الخيبريّ والضحاك إنما قتِلا في سنة تسع وعشرين ومئة.

ذكر الخبر عن مقتل الخيبريّ وولاية شيبان

وفي هذه السنة كان أيضاً ـ في قول أبي مخنف ـ قتل الخيبريّ الخارجيّ، كذلك ذكر هشام عنه.

ذكر الخبر عن مقتله:

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثني أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح، قال: لما قتِل الضحاك أصبح أهل عسكره بايعوا الخيبريّ، وأقاموا يومئذ وغادوه من بعد الغد، وصافُّوه وصافّهم، وسليمان بن هشام يومئذ في مواليه وأهل بيته مع الخيبريّ؛ وقد كان قدم على الضحاك وهو بنَصِيبين؛ وهم في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه، فتزوّج فيهم أخت شيبان الحَروريّ الذين بايعوه بعد قتل الخيبريّ، فحمل الخيبري على مَرْوان في نحو من أربعمئة فارس من الشُّراة، فهزِم مَرْوان وهو في القلب، وخرج مروان من المعكسر هارباً، ودخل الخيبريّ فيمن معه عسكره، فجعلوا ينادون بشعارهم: يا خيبريّ يا خيبريّ، ويقتلون مَنْ أدركوا حتى انتهوا إلى حجرة مَرْوان فقطعوا أطنابها، وجلس الخيبريّ على فرشه. وميمنة مروان عليها ابنه عبد الله ثابتة على حالها، وميسرته ثابتة عليها إسحاق بن مسلم العُقَيليّ، فلما رأى أهل عسكر مَرْوان قلة من مع الخيبري ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام، فقتلوا الخيبريّ وأصحابه جميعاً في حجرة مَرْوان وحولها، وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزماً، فانصرف إلى عسكره وردّ خيوله عن مواضعها ومواقفها، وبات ليلته تلك في عسكره. فانصرف أهل عسكر الخيبريّ فولّوْا عليهم شيبان وبايعوه، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس، وأبطل الصفّ منذ يومئذ. وكان مروان يوم الخيبريّ بعث محمد بن سعيد، وكان من ثقاته وكتابه إلى الخيبريّ، فبلغه أنه مالأهم وانحاز إليهم يومئذ، فأتِيَ به

= وكذلك أورد ابن كثير خبر خروج الضحاك وَقْتله ضمن أحداث سنة ١٢٨ هـ [البداية والنهاية ١٦/٨].

مروان أسيراً فقطع يده ورجله ولسانه[(١)].

وفي هذه السنة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج[(٢)].

وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بن عمر بن عبد العزيز؛ كذلك قال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره، عن أسحاق بن عيسى عنه. وكذلك قال الواقديّ وغيره[(٣)].

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف ـ فيما ذكر ـ في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وبالعراق عمّال الضحاك وعبد الله بن عمر. وعلى قضاء البصرة ثُمامة بن عبد الله، وبخراسان نَصْر بن سيّار وخراسان مفتونة.

خبر أبي حمزة الخارجيّ مع عبد الله بن يحيى

وفي هذه السنة لقي أبو حَمْزة الخارجيّ عبدَ الله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه.

ذكر الخبر عن ذلك:

حدثني العباس بن عيسى العُقيليّ، قال: حدّثنا هارون بن موسى الفرويّ، قال: حدثني موسى بن كثير مولى الساعديِّيْن، قال: كان أوّل أمر أبي حمزة ـ وهو المختار بن عوف الأزديّ السَّليميّ من البصرة ـ قال موسى: كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كلّ سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مَرْوان بن محمد وإلى خلاف آل مروان. قال: فلم يزل يختلف في كلّ سنة حتى وافى عبد الله بن

---

(١) هاتان روايتان للطبري تحكيان خبر قتل الخيبري الخارجي وقد تأيّد ذلك من رواية خليفة التي ذكرناها سابقاً فلينظر.

(٢) وكذلك قال خليفة: وفي هذه السنة وهي سنة ثمان وعشرين ومئة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على العراق وذلك قبل قتل الضحاك وبلغ الخبر المثنى بن عمران العائذي من قريش وهو عامل الضحاك على الكوفة فوجه إليه منصور . . . إلخ [تأريخ خليفة/ ٤٠٣].

(٣) ووافقهم خليفة فقال: وأقام الحجّ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز [تأريخ خليفة/ ٤٠٣].

يحيى في آخر سنة ثمان وعشرينَ ومئة ، فقال له: يا رجل ، أسمَعُ كلاما حسناً ، وأراك تدعو إلى حقّ ، فانطلق معي ، فإني رجل مطاع في قومي ، فخرج حتى ورد حَضْرَمَوْت ، فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مَرْوان وآل مروان[1] .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحروريّ

فمن ذلك ما كان من هلاك شيبان بن عبد العزيز اليشكريّ أبي الدّلفاء.

ذكر الخبر عن سبب مهلكه:

وكان سبب ذلك أنّ الخوارج الذين كانوا بإزاء مَرْوان بن محمد يحاربونه لمّا قتِل الضحاك بن قيس الشيبانيّ رئيس الخوارج والخيبريّ بعده ولَّوْا عليهم شيبان وبايعوه؛ فقاتلهم مرْوان ، فذكر هشام بن محمد والهيثم بن عدّي أنّ الخيبريّ لما قُتل قال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج ـ وكان معهم في عسكرهم: إنّ الذي تفعلون ليس برأي؛ فإن أخذتم برأيي ، وإلا انصرفت عنكم. قالوا: فما الرأي؟ قال: إنّ أحدكم يظفر ثم يستقتِل فيقتَل ، فإني أرى أن ننصرف على حاميتنا حتى ننزل الموصل ، فنخندق. ففعل ، وأتبعه مروان والخوارج في شرقيّ دجلة ومروان بإزائهم؛ فاقتتلوا تسعة أشهر ، ويزيد بن عمر بن هبيرة بقرقِيسيا في جُنْد كثيف من أهل الشام وأهل الجزيرة ، فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة ،

---

(١) سبق الحديث عن هذا الإسناد في المقدمة وأما خليفة فقد ذكر الخبر عن عبد الله بن يحيى (طالب الحق) وأبي حمزة ضمن أحداث سنة ١٢٩ هـ ولا يضر فالاختلاف ليس كبيراً فإن الطبري قد ذكر هذا في أواخر أحداث سنة ١٢٨ هـ وعلى أية حالةٍ فقد أخرج خليفة خبر خروج طالب الحق بحضرموت فقال: وفي هذه السنة وهي تسع وعشرين ومئة خرج عبد الله بن يحيى الأعور الكندي الذي يسمى طالب الحق بحضرموت وعليها إبراهيم بن جبلة. . . الخبر وفيه: ثم وجه إلى مكة رجلاً من أهل البصرة من الأزد يقال له بلج بن المثنىٰ ثم وجه أبا حمزة المختار بن عوف الأزدي في عشرة آلاف وأمره يقيم بمكة [تأريخ خليفة/ وانظر روايات وقعة قديد (١٢٩ هـ)].

وعليها يومئذ المثنَّى بن عمران من عائذة قريش من الخوراج[١].

وحدثني أحمد بن زهير، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثني أبو هاشم مخلّد بن محمد، قال: كان مَرْوان بن محمد يقاتل الخوارج بالصّفّ، فلما قتل الخيبريّ وبويع شيبان، قاتلهم مَرْوان بعد ذلك بالكراديس، وأبطل الصفّ منذ يومئذ، وجعل الآخرون يكردِسون بكراديس مَرْوان كراديس تكافئهم وتقاتلهم، وتفرَّق كثير من أصحاب الطمع عنهم وخَذلوهم، وحصلوا في نحو من أربعين ألفاً، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى مدينة الموصل، فيصيِّروها ظهراً وملجأً ومِيرةً لهم، فقبلوا رأيه، وارتحلوا ليلاً، وأصبح مروان فأتبعهم؛ ليس يرحلون عن منزل إلا نزله؛ حتى انتهوْا إلى مدينة الموصل، فعسكروا على شاطىء دِجْلة، وخندقوا على أنفسهم، وعقدوا جسوراً على دِجْلة من عسكرهم إلى المدينة؛ فكانت ميرتهُم ومرافقهم منها، وخندق مَرْوان بإزائهم، فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكْرة وعشيّةً.

قال: وأتِيَ مَرْوان بابن أخ لسليمان بن هشام، يقال له أمية بن معاوية بن هشام، وكان مع عمه سليمان بن هشام في عسكر شيبان بالموصل؛ فهو مبارز رجلاً من فرسان مَرْوان، فأسره الرجل فأتِيَ به أسيراً، فقال له: أنشدك الله والرحِم يا عمّ! فقال: ما بيني وبينك اليوم من رَحِم، فأمر به ـ وعمه سليمان وإخوته ينظرون ـ فقطِعَت يداه وضربت عنقه.

قال: وكتب مَرْوان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قَرْقيسيا بجميع مَن معه إلى عُبيدة بن سوّار خليفة الضَّحاك بالعراق، فلقي خيوله بعين التَّمْر، فقاتلهم فهزمهم؛ وعليهم يومئذ المثّنى بن عمران من عائذة قريش والحسن بن يزيد؛ ثم تجمّعوا له بالكوفة بالنُّخيلة، فهزمهم، ثم اجتمعوا بالصَّرَاة ومعهم عُبيدة؛ فقاتلهم فقتل عبيدة، وهزم أصحابه، واستباح ابن هبيرة عسكرهم، فلم يكن لهم بقيّةَ بالعراق، واستولى ابنُ هبيرة عليها، وكتب إليه مَرْوان بن محمد من الخنادق يأمره أن يمدّه بعامر بن ضبارة المُرّيّ، فوجَّهه في نحو من ستة آلاف أو ثمانية؛ وبلغ شيبان خبرهم ومن معه من الحَرُوريّة، فوجَّهوا

---

(١) انظر تعليقنا على أحداث سنة (١٢٩ هـ).

إليه قائدين في أربعة آلاف ، يقال لهما ابن غوث والجَوْن ، فلقوا ابن ضُبارة بالسنّ دون الموصل ، فقاتلوه قتالاً شَديداً ، فهزمهم ابن ضُبارة ، فلما قدم فلُّهم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل ، وأعلمهم أنه لا مقام لهم إذا جاءهم ابنُ ضبارة من خلفهم ، وركبهم مروان من بين أيديهم؛ فارتحلوا فأخذوا على حُلْوان إلى الأهواز وفارس ، ووجّه مروان إلى ابن ضُبارة ثلاثة نفر من قوّاده في ثلاثين ألفاً من روابطه؛ أحدهم مصعب بن الصّحصح الأسديّ وشقيق وعطيف [السليماني] ، وشقيق الذي يقول فيه الخوارج :

قـد عِلمَـتْ أُخْتـاك يـا شقيـقُ أَنـكَ مِـنْ سُكْـرِك مـا تُفِيـقُ

وكتب إليه يأمره أن يتبعهم ، ولا يقلع عنهم حتى يُبِيرهم ويستأصلهم ، فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارسَ ، وخرجوا منها وهو في ذلك يستسقط مَن لحق من أخريَاتهم ، فتفرّقوا ، وأخذ شيبان في فرقته إلى ناحية البحرين ، فقتِل بها ، وركب سليمان فيمن معه من مواليه وأهل بيته السفن إلى السند ، وانصرفَ مَرْوان إلى منزله من حَرّان ، فأقام بها حتى شخص إلى الزّاب (١) .

وأمّا أبو مخنف فإنه قال ـ فيما ذكر هشام بن محمد عنه ـ قال : أمر مروان يزيد بن عمر بن هبيرة ـ وكان في جنود كثيرة من الشام وأهل الجزيرة بقَرْقيسيا ـ أن يسير إلى الكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ رجل من الخوارج يقال له المثنَّى بن عمران العائذيّ؛ عائذة قريش ، فسار إليه ابن هبيرة على الفرات حتى انتهى إلى عين التّمْر ، ثم سار فلقي المثنَّى بالرّوْحاء ، فوافى الكوفة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومئة ، فهزم الخوارج ، ودخل ابن هبيرة الكوفة ثم سار إلى الصرَّاة ، وبعث شيبان عُبيدة بن سوّار في خيل كثيرة ، فعسكر في شرقيّ الصرَّاة ، وابن هبيرة في غربيّها ، فالتقوْا ، فقتل عُبيدة وعدّة من أصحابه؛ وكان منصور بن جمهور معهم في دَوْر الصراة ، فمضى حتى غلب على الماهَيْن وعلى الجبل أجمع ، وسار ابنُ هبيرة إلى واسط؛ فأخذ ابن عمر فحبسه ، ووجّه نُبَاتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كُور الأهواز ، وبعث إليه سليمان داود بن حاتم ، فالتقوْا بالمريان على شاطىء دُجيل ، فانهزم الناس ، وقتل

(١) انظر تعليقنا في نهاية هذه الروايات.

داود بن حاتم. وفي ذلك يقول خلف بن خليفة:

نَفْسي لِدَاوُدَ الفِدَا والحِمَى إذ أسلَمَ الجَيْشُ أَبا حاتِمِ
مُهَلَّبِيٌّ مُشْرِقٌ وَجْهُهُ ليسَ على المعرُوفِ بالنادِمِ
سألتُ من يعلَمُ لي علمَهُ حقّاً [وما الجاهل كالعالِم]
قالوا عَهِدْناه على مَرْقَبٍ يحْمِلُ كالضِّرْغامَةِ الصّارِمِ
ثمَّ انثنى منجَدِلا في دَمٍ يسفَحُ فَوْقَ البَدن الناعِمِ
وأَقبَلَ القِبطُ على رَأْسِهِ واختصموا في السَّيْفِ والخاتَمِ

وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفريّ بفارس. وأقام ابن هبيرة شهراً. ثم وجّه عامر بن ضُبارة في أهل الشام إلى الموصل؛ فسار حتى انتهى إلى السنّ فلقيه بها الجون بن كلاب الخارجيّ، فهزم عامر بن ضُبارة حتى أدخله السنّ فتحصّن فيها، وجعل مَرْوان يُمِدّه بالجنود يأخذون طريق البرّ؛ حتى انتهوا إلى دِجْلة، فقطعوها إلى ابن ضبارة حتى كثروا، وكان منصور بن جُمهور يمدّ شيبان بالأموال من كُور الجبل؛ فلما كثر من يتبع ابن ضُبارة من الجنود؛ نهض إلى الجون بن كلاب فقتِل الجوْن، ومضى ابن ضبارة مصعداً إلى الموصل؛ فلما انتهى خبر الجوْن وقتله إلى شيبان ومسير عامر بن ضُبارة نحوه، كره أن يقيم بين العسكرين؛ فارتحل بمَنْ معه وفرسان الشام من اليمانية، وقدم عامر بن ضُبارة بمن معه على مَرْوان بالموصل، فضمّ إليه جنوداً من جنوده كثيرة، وأمره أن يسير إلى شيبان؛ فإن أقام أقام؛ وإن سار سار؛ وألاّ يبدأه بقتال؛ فإن قاتله شيبان قاتله؛ وإن أمسك أمسك عنه، وإن ارتحل اتّبعه؛ فكان على ذلك حتى مرَّ على الجبل، وخرج على بيضاء إصطخر، وبها عبد الله بن معاوية في جموع كثيرة؛ فلم يتهيّأ الأمرُ بينه وبين ابن معاوية، فسار حتى نزل جيرَفت من كرْمان، وأقبل عامر بن ضُبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية أياماً، ثم ناهضه القتال، فانهزم ابن معاوية، فلحق بَهَرَاة وسار ابن ضُبارة بمن معه، فلقيَ شيبان بجيرفت من كِرْمان، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الخوارج، واستبيح عسكرهم؛ ومضى شيبان إلى سِجِسْتان، فهلك بها؛ وذلك في سنة ثلاثين ومئة[1].

---

(١) انظر تعليقنا بعد.

وأما أبو عبيدة فإنه قال: لما قتِل الخيبريّ قام بأمر الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكريّ، فحارب مَرْوان، وطالت الحرب بينهما؛ وابن هبيرة بواسط قد قتل عُبيدة بن سوار ونفى الخوارج ومعه رؤوس قوّاد أهل الشام وأهل الجزيرة. فوجّه عامرَ بن ضُبارة في أربعة آلاف مدداً لمرْوان، فأخذ على باب المدائن، وبلغ مسيرهُ شيبان، فخاف أن يأتيَهم مروان، فوجّه إليه الجوْن بن كلاب الشيبانيّ ليشغله، فالتقيا بالسنّ، فحصر الجون عامراً أياماً.

قال أبو عبيدة: قال أبو سعيد: فأحرجناهم والله، واضطررناهم إلى قتالنا؛ وقد كانوا خافونا وأرادوا الهرب منا؛ فلم ندَع لهم مسلكاً. فقال لهم عامر: أنتم ميّتون لا محالة؛ فموتوا كراماً، فصدمونا صدمة لم يقم لها شيء، وقتلوا رئيسنا الجوْن بن كلاب، وانكشفنا حتى لحقنَا بشيبان، وابنُ ضبارة في آثارنا؛ حتى نزل منّا قريباً؛ وكنا نقاتل من وجهين؛ نزل ابن ضُبارة من ورائنا ممّا يلي العراق، ومَرْوان أمامنا مما يلي الشام؛ فقطع عنا المادّة والمِيرة، فغلت أسعارنا؛ حتى بلغ الرغيف درهماً؛ ثم ذهب الرغيف فلا شيء يشترى بغالٍ ولا رخيص. فقال حبيب بن خدْرة لشيبان: يا أميرَ المؤمنين؛ إنك في ضِيق من المعاش؛ فلو انتقلت إلى غير هذا الموضع! ففعل ومضى شهرزور من أرض الموصل، فعاب ذلك عليه أصحابُه؛ فاختلفت كلمتهم (١).

وقال بعضهم: لما ولي شيبان أمر الخوارج [رجع بأصحابه] إلى الموصل فاتّبعه مروان ينزل معه حيث نزل [فقاتله شهراً ثم انهزم] شيبان حتى لحق بأرض فارس، فوجه مروان في أثره عامر بن ضبارة [فقطع] إلى جزيرة ابن كاوان، ومضى شيبان بمن معه حتى صار إلى عُمان، فقتله جلندَى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الأزديّ (٢).

---

(١) انظر تعليقنا الآتي.

(٢) هذه عدة روايات سبقها الطبري بخلاصة من رأيه لم ينسبها إلى أحد من الأخباريين ثم روى من طريق شيخه الثقة أحمد بن زهير عن مخلد بن محمد رواية في وصف مسار المعارك بين شيبان الخارجي وجيش الخلافة ثم أخرج رواية أخرى من طريق هشام عن أبي مخنف ثم ثالثة من مرويات الأخباري النحوي الثقة أبي عبيدة (معمر بن المثنى) عن شاهد عيان للمعركة (أبي سعيد) ثم رواية رابعة نسبها إلى مبهمين وهي بمجموعها تتفق على استبسال الطرفين =

= على القتال وتحرك جيش الخلافة على محورين الأول بقيادة والي العراق ابن هبيرة الذي دحر الخوارج وفلولهم في الكوفة وذلك بأمر من الخليفة مروان بن محمد الذي كان يقود الجناح الآخر من جيوش الخلافة قرب الموصل وما أن صدرت الأوامر إلى ابن هبيرة حتى اتجه صوب الكوفة (هكذا تتفق هذه الروايات) وهي تتفق أيضاً على أن المثنى بن عمران العائذي كان على الكوفة من قبل شيبان فهزم جيشه وقتل وكانت الأوامر تأتيه من شيبان الذي نزل الموصل وعسكر على شاطىء دجلة ثم تتفق الروايات على أن شيبان الخارجي وبعد معارك طاحنة أصبح بين فكي كماشة فابن هبيرة أرسل إليه جيشاً بقيادة عامر بن ضبارة الذي تقدم من الجنوب نحو الموصل بينما مروان وجيشه بين يديه بالقرب من الموصل فاضطر شيبان إلى الانسحاب هكذا تتفق هذه الروايات ـ وهي تتفق جميعاً على انسحاب شيبان وهزيمته ثم مقتله ، إلاّ أنها تختلف في مسار انسحابه والبلد الذي قتل فيه فمخلد بن محمد يحكي أنه انسحب إلى فارس ثم مع فلٍّ إلى البحرين حيث قتل هناك ، بينما يذكر أبو مخنف أن الأمر انتهى بشيبان أن يصل إلى جيرفت (كرمان) وأخيراً سجستان حيث هلك سنة ١٣٠ هـ بعد مطاردة طويلة من ابن ضبارة (عامر).

بينما يذكر أبو عبيدة أنه انسحب إلى شهرزور وقد اختلفت كلمة أصحابه ويكتفي بهذا بينما ينسب الطبري إلى بعض الأخباريين أن شيبان هرب إلى أرض فارس حتى وصل إلى جزيرة ابن كاوان وأخيراً إلى عُمان حيث قتله هناك جلندى بن مسعود بن جيفر الأزدي وتتحدث هذه الروايات عن معارك في واسط وعين التمر والصّراة والنخيلة. وهي تتفق تقريباً على المقاطع الرئيسة وتختلف في تفاصيل يسيرة لا تضر ، وهذه روايات متعددة المصادر تؤيد بعضها بعضاً في كثير من التفاصيل. . . وليس في متونها نكارة (على ما نعلم) ويؤيدها كذلك مصدر تأريخي آخر مؤلفه إمام ثقة ومحايد لم يُعْرف بميله إلى طرف دون آخر ألا وهو خليفة بن خياط إذ قال: وفي هذه السنة (١٢٩ هـ) وجه ابن هبيرة عامر بن ضبارة من مرة غطفان إلى شيبان بن عبد العزيز اليشكري بعد أن انحاز شيبان عن مروان فوجه شيبان الجون الشيباني فالتقوا بالسن فقتل الجون وأصحابه فانحدر شيبان إلى شهرزور فكتب مروان إلى ابن ضبارة لا تقاتله وكلما ارتحل من منزل فأنزله وجعل يتفرق عليه أصحابه حتى أتى ماه. (مقتل شيبان وظهور أبي مسلم الخراساني وخبر قتال نصر الكرماني) قال إسماعيل بن إسحاق ثم أتى إلى صميرة ثم أتى جزيرة أبركاوان ثم عبر إلى عمان فقتل بها وكتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة أن يقبل إلى عبد الله بن معاوية الهاشمي فلقيه بإصطخر ومعه أخواه الحسن ويزيد. . . إلخ [تأريخ خليفة ٢/ ٣٩٨] وقد ذكر ابن كثير هذه المعارك باختصار معتمداً على الطبري [البداية ٨/ ١٨].

ذكر إظهار الدعوة العباسية بخراسان

وفي هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس أبا مسلم ـ وقد شخص من خُراسان يريده حتى بلغ قومِس ـ بالانصراف إلى شيعته بخراسان، وأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد(١).

وفي هذه السنة غلب خازم بن خُزَيمة على مروَرُوذ، وقتل عامل نصر بن سيّار الذي كان عليها؛ وكتب بالفتح إلى أبي مسلم مع خُزَيمة بن خازم.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عليّ بن محمد أن أبا الحسن الجُشميّ وزهير بن هُنيد والحسن بن رَشيد أخبروه أن خازم بن خزيمة لما أراد الخروج بمرْوَرُوذ أراد ناس من تميم أن يمنعوه، فقال: إنما أنا رجل منكم، أريد مَرْو لعلي أن أغلب عليها، فإن ظفرتُ فهي لكم، وإن قُتلت فقد كفيتكم أمري. فكفّوا عنه، فخرج فعسكر في قرية يقال

(١) هكذا أرّخ الطبري لأول ظهور علني للدعوة العباسية بخراسان على يد أبي مسلم وبأمر من إمام هذه الدعوة إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين وكذلك أرّخ خليفة لهذا الظهور الذي كان متزامناً مع وصول عبد الله الهاشمي إلى خراسان منهزماً وملاحقاً من قبل عامر بن ضبارة ـ القائد الأموي ـ الذي أرسله والي العراق ابن هبيرة بأمر من مروان الخليفة ـ وتزامن هذا الظهور أيضاً مع اقتتال الوالي على خراسان نصر بن سيّار وخصمه الكرماني فكان توقيتاً مناسباً لظهور الدعوة العباسية بعيداً عن مركز الخلافة قال خليفة وحدثني محمد بن معاوية قال حدثني بيهس بن حبيب الرام قال ظهر أبو مسلم في رمضان سنة تسع وعشرين ومئة فجلس عبد الله بن معاوية وأخويه [تأريخ خليفة/ ٤١٣]. وأخرج خليفة [مقتل شيبان وظهور أبي مسلم الخراساني وخبر قتال الكرماني] قال إسماعيل بن إسحاق ثم أتى إلى صيمرة ثم أتى جزيرة أبركاوان ثم عبر إلى عمان فقتل بها وكتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة أن يقبل إلى عبد الله بن معاوية الهاشمي فلقيه بإصطخر ومعه أخواه الحسن ويزيد ابنا معاوية فهزمه ابن ضبارة حتى أتى خراسان وقد ظهر أبو مسلم في شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومئة فحبس الهاشمي وإخوته [تأريخ خليفة/ ٣٩٨] وكذلك أرخ الحافظ ابن كثير لظهور الدعوة العباسية [البداية والنهاية ٨/ ١٩] ولقد أورد الطبري تفاصيل في ذلك عن المدائني عن شيوخه (أبهم أسماءهم ولم نجد عند خليفة أو غيره من المؤرخين المتقدمين الثقات) ما يؤيد روايات الطبري تلك فوضعنا بعضها في قسم المسكوت عنه وأخرى في قسم الضعيف ففي متونها نكارات واضحات والله أعلم. =

لها كَنْجَ رُستاه ، وقدم عليهم من قبل أبي مسلم النضْر بن صُبيح وبسام بن إبراهيم. فلما أمسى خازم بيّت أهلَ مَرْورُوذ ، فقتل بشر بن جعفر السعديّ ـ وكان عاملاً لنصر بن سيار على مَرْورُوذ ـ في أول ذي القعدة ، وبعث بالفتح إلى أبي مسلم مع خُزيمة بن خازم عبد الله بن سعيد وشبيب بن واج(١).

ذكر خبر مقتل الكرمانيّ

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِل جُديع بن عليّ الكِرمانيّ وصُلب(٢).

غلبة عبد الله بن معاوية على فارس

وفي هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب على فارس(٣).

---

(١) هذا الخبر أخرجه الطبري عن المدائني الصدوق الذي رواه عن ثلاثة من شيوخه أحدهم هو الصدوق أبو الذيال (زهير بن هنيد) وانظر البداية والنهاية [٨/ ٢١].

(٢) هكذا أرّخ الطبري (ابن جرير) لمقتل الكرماني الذي طالما نافس خصمه نصر بن سيار وقاتله وكذلك أرخ خليفة لمقتله في هذه السنة أي سنة ١٢٩ هـ [تأريخ خليفة/ ٤٠٩] ثم ابن جرير الطبري فصَّل كعادته بعد هذا العنوان فجاء بخبر طويل فيه اسم القادة من الطرفين [طرف نصر والكرماني] ثم ذكر عدد القتلى من الطرفين وصفة مقتل الكرماني وكل ذلك دون إسناد أو نسبةٍ إلى أحد من الأخباريين أو الرواة أي أن الخبر بلا إسناد وفي متنه نكارة واضحة فأودعنا الخبر قسم الضعيف وكذلك الحال بالنسبة لخليفة فقد جاء برواية غير مسندة في تفاصيل المعركة ولكن مختصراً جداً مقارنة برواية الطبري مع اختلاف واضح بين الخبرين فالطبري يذكر أن المعركة كانت دائرة بين نصر والكرماني وأدت إلى فضل الكرماني بينما يذكر خليفة أن المعركة حصلت ثم اصطلح الطرفان ودخل طرف ثالث [الحارث بن سريج] وانهزم الكرماني ثم قتل على يد هؤلاء وعلى أية حال لم نجد الخبرين مسندين ولا يؤيد بعضهما بعضاً سوى في قتل الكرماني.

(٣) لم يفرد خليفة لهذه الغلبة عنواناً خاصاً ولكن ذكر طرفاً من أخبار عبد الله بن معاوية بعد خروجه من العراق منهزماً وطرفاً من معاركه في إصطخر وغيرها ومصيره إلى خراسان حيث قتله أبو مسلم الخراساني أما الطبري فقد ذكر خبراً في سبب هذه الغلبة وكيفيتها برواية مطولة لم يؤيدها غيره كخليفة وفي المتن نكارة إضافة إلى ضعف السند وقد ذكرنا الخبر في قسم الضعيف وسنذكر أخبار عبد الله هذا فيما يأتي إن شاء الله.

مجيء أبي حمزة الخارجيّ الموسم

وفي هذه السنة وافى الموسمَ أبو حمزة الخارجيّ من قِبَل عبد الله بن يحيى طالب الحق ، محكّماً مظهراً للخلاف على مَرْوان بن محمد .

ذكر الخبر عن ذلك من أمره :

حدّثني العباس بن عيسى العُقيليّ ، قال: حدثنا هارون بن موسى الفرويّ قال: حدّثنا موسى بن كَثير مولى الساعديّين ، قال: لما كان تمام سنة تسع وعشرين ومئة ، لم يدر الناس بعَرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود حرقانيّة في رؤوس الرماح وهم في سبعمئة ، ففزع الناس حين رأوْهم ، وقالوا: ما لكم! وما حالكم؟ فأخبروهم بخلافهم مع مَرْوان وآل مَرْوان والتبرُّؤِ منه. فراسلهم عبد الواحد بن سليمان ـ وهو يومئذ على المدينة ومكة ـ فراسلهم في الهُدنة ، فقالوا: نحن بحجّنا أضنّ ، ونحن عليه أشحّ. وصالحهم على أنهم جميعاً آمنون؛ بعضهم من بعض ، حتى ينفِر الناس النّفر الأخير ، وأصبحوا من الغد. فوقفوا على حدة بعرفة ، ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فلما كانوا بمنى ندَّموا عبد الواحد ، وقالوا: قد أخطأتَ فيهم ، ولو حملت الحاجّ عليهم ما كانوا إلا أكلَة رأس. فنزل أبو حمزة بقُرين الثعالب ، ونزل عبد الواحد منزل السلطان ، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، في رجال أمثالهم ، فدخلوا على أبي حَمْزة وعليه إزار قُطْن غليظ ، فتقدّمهم إليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له ، فعبَس في وجوههما ، وأظهر الكراهة لهما ، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له ، فهشّ إليهما ، وتبسَّم في وجوههما ، وقال: والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويْكما ، فقال له عبد الله بن حسن: والله ما جئنا لتفضّل بين آبائنا ، ولكنا بعثَنا إليك الأمير برسالة ـ وهذا ربيعة يخبرُكَها ـ فلما ذكر ربيعةُ نقْضَ العهد؛ قال بلج وأبرهة وكانا قائدين له: الساعة الساعة! فأقبل عليهم أبو حمزة ، فقال: معاذ الله أن ننقض

العهد أو نحبسَ ، والله لا أفعل ولو قطِعت رقبتي هذه؛ ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم ، فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبد الواحد ، فلما كان النَّفْر نفر عبد الواحد في النَّفْر الأول ، وخلى مكة لأبي حمزة ، فدخلها بغير قتال[١].

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدعا بالدّيوان ، فضرب على الناس البَعْث ، وزادهم في العطاء عشرة عشرة. قال العباس: قال هارون: أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض ، قال: كنت فيمن اكتتب ، ثم محوْت اسمي[٢].

قال العباس: قال هارون: وحدّثني غير واحد من أصحابنا أنّ عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان علَى الناس فخرجوا؛ فلما كانوا بالحَرّة لقيتهم جُزُر منحورة فمضوا[٣].

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مَرْوان حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر. وكذلك قال محمد بن عمر وغيره[٤].

وكان العامل على مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان ، وعلى العراق يزيد ابن عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربيّ ـ فيما ذكر ـ

---

(١) سبق الحديث عن هذا الإسناد في المقدمة وفي غير موضع. وانظر تعليقنا على الخبر الآتي.

(٢) أما هارون فهو الفروي وهو شيخ صدوق من شيوخ النسائي كما مضى وأما أنس بن عياض (أبو ضمرة) فهو ثقة ولد سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٠٠ هـ وأخرج له الستة [تهذيب الكمال/ تر ٥٥٨]. أي أنه قد بلغ السادسة والعشرين من عمره في تلك الأحداث. وانظر تعليقنا على الخبر الآتي.

(٣) انظر تعليقنا على الخبر التالي.

(٤) هذه مجمل الروايات التي أخرجها الطبري في ذكر بداية ظهور أبي حمزة الخارجي وأصحابه بمكة ـ ويؤيده في ذلك خليفة برواية مسندة إذ أخرج في تأريخه قائلاً: فحدثني محمد بن علي عن إسحاق بن إبراهيم الأزهري قال لما صدر الناس عن مكة وذلك آخر سنة تسع وعشرين ومئة مضى عبد الواحد بن سليمان إلى المدينة وكتب إلى مروان يخبره بخذلان أهل مكة فعزله مروان وكتب إلى عبد العزيز بن عمر واليه على المدينة أن يوجه جيشاً. . . إلخ/ ٤١٣ ونلاحظ اختلافاً يسيراً حول موقف الناس من عبد الواحد.

وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والفتنة بها[١] .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومئة

ذكر خبر الأحداث التي كانت فيها

ذكر دخول أبي مسلم مَرْو والبيعة بها

فممّا كان فيها من ذلك دخول أبي مسلم حائط مَرْو ونزوله دار الإمارة بها ، ومطابقة عليّ بن جُديع الكرمانيّ إيّاه على حرب نصر بن سيَّار[٢] .

وأما عليّ بن محمد ، فإنه ذكر أن الصباح مولى جبريل ، أخبره عن مسلمة ابن يحيى ، أن أبا مسلم جعل على حَرسه خالد بن عثمان ، وعلى شُرَطه مالك ابن الهيثم ، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع ، وعلى الديوان كامل بن مظفر ، فرزق كلَّ رجل أربعة آلاف ، وأنه أقام في عسكره بالماخُوان ثلاثة أشهر ، ثم سار من الماخُوان ليلاً في جمع كبير يريد عسكر ابن الكرْمانيّ ؛ وعلى ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع ، وعلى مقدّمته أبو نصر مالك بن الهيثم. وخلّف على خندقه أبا عبد الرحمن الماخُوانيّ ، فأصبح في عسكر شيبان؛ فخاف نصر أن يجتمع أبو مسلم وابن الكرمانيّ على قتاله؛ فأرسل إلى أبي مسلم يعرض عليه أن يدخل مدينة مَرْو ويوادعه ، فأجابه ، فوادع أبا مسلم نصر ، فراسل نصر بن أحوز يومَه ذلك كله ، وأبو مسلم في عسكر شيبان ، فأصبح نصر وابن الكرمانيّ ، فغدوا إلى القتال ، وأقبل أبو مسلم ليدخل مدينة مَرْو ، فردّ خيل نصر وخيل ابن الكرمانيّ ، ودخل المدينة لسبع ـ أو لتسع ـ خلوْن من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومئة ، وهو يتلو : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ . . . ﴾ إلى آخر الآية[٣] .

قال عليّ : وأخبرنا أبو الذيّال والمفضل الضبيّ ، قالا : لما دخل أبو مسلم

---

(١) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد مروان.

(٢) ووافق خليفة بن خياط الطبري في هذا التأريخ كما سنذكر.

(٣) انظر تعليقنا على الخبر الآتي.

مدينـة مَرْو ، قال نصر لأصحابـه: أرى هذا الرجل قـد قوِيَ أمـره ، وقد سارع إليه الناس ، وقد وادعتُه وسيتمّ له ما يريد؛ فاخرجوا بنا عن هذه البلدة وخلُّوه ، فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم: نعم ، وقال بعضهم: لا ، فقال: أما أنكم ستذكرون قولي. وقال لخاصته من مضر: انطلقوا إلى أبي مسلم فالقوْه ، وخذوا بحظّكم منه ، وأرسل أبو مسلم إلى نَصْر لاهز بن قريظ يدعوه فقال لاهز: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ وقرأ قبلها آيات ، ففطن نصر ، فقال لغلامه: ضع لي وضوءاً؛ فقام كأنه يريد الوضوء ، فدخل بستاناً وخرج منه ، فركب وهرب[(١)].

وقال عليّ: وأخبرنا أبو الذيّال ، قال: أخبرنِي إياس بن طلحة قال: كنت مع أبي وقد ذهب عمِّي إلى أبي مسلم يبايعه؛ فأبطأ حتى صلَّيتُ العصر والنهار قصير؛ فنحن ننتظره؛ وقد هيَّأنا له الغداء؛ فإني لقاعد مع أبي إذ مرّ نصر على بِرْذَون؛ لا أعلم في داره بِرْذَوناً أسرى منه ، ومعه حاجبه والحكَم بن نُميلة النميريّ. قال أبي: إنه لهارب ليس معه أحد ، وليس بين يديه حرْبة ولا راية ، فمرّ بنا ، فسلم تسليماً خفيّاً ، فلما جازَنا ضَرَب بِرْذوْنه ، ونادى الحكم بن نميلة غلمَانه ، فركبوا واتبعوه[(٢)].

قال عليّ: قال أبو الذّيال: قال إياس: كان بين منزلنا وبين مرو أربعة فراسخ ، فمرّ بنا نصر بعد العتَمة ، فضجّ أهل القرية وهربوا ، فقال لي أهلي وإخواني: اخرج لا تُقْتَل؛ وبكوْا؛ فخرجت أنا وعمّي المهلب بن إياس فلحقْنا نصراً بعد هدء الليل؛ وهو في أربعين ، قد قام برذْونه ، فنزل عنه ، فحمله بشر بن بِسْطام بن عمران بن الفضل البُرْجمِيّ على بِرْذَوْنه ، فقال نصر: إني لا آمن الطَّلَب ، فمن يسوق بنا؟ قال عبد الله بن عرعرة الضّبَيّ: أنا أسوق بكم ، قال: أنت لها ، فطرد بنا ليلتَه حتى أصبحنا في بئر في المفازة على عشرين فرسخاً أو أقل ، ونحن ستمئة؛ فسرْنا يومَنا فنزلنا العصر ، ونحن ننظر إلى أبيات سَرَخْس

---

(١) هذا إسناد متعدد المخارج وكلاهما (أبو الذيال والضبي) قد عاصرا تلك المرحلة ولكن لم يشاهدا تلك الأحداث رأي العين وإنما التقوا بشهود عيان كإياس وغيره وهذه روايات من مظان الصحيح بمجموعها ولم نجد فيها نكارة والله أعلم.

(٢) المدائني صدوق وقد اطلع الطبري على مدوناته ، وهو يروي الخبر عن شيخه الصدوق زهير بن هنيد (أبي الذيال) عن إياس الذي شهد الحادثة؛ أي أنه ترقى إلى شاهد عيان.

وقصورها ونحن ألف وخمسمئة ، فانطلقت أنا وعمّي إلى صديق لنا من بني حَنيفة يقال له مسكين ، فبِتْنا نحن عنده لم نطعم شيئاً ، فأصبحنا ، فجاءنا بثَرِيدة فأكلْنا منها ونحن جياع لم نأكل يومنا وليلتنا؛ واجتمع الناس فصاروا ثلاثة آلاف ، وأقمنا بسَرَخْس يومين؛ فلمّا لم يأتنا أحد صار نصر إلى طُوس ، فأخبرهم خبر أبي مسلم ، وأقام خمسة عشر يوماً ، ثم سار وسرنا إلى نيسابور فأقام بها ، ونزل أبو مسلم حين هرب نصر دار الإمارة ، وأقبل ابنُ الكرْمانيّ ، فدخل مَرْو مع أبي مسلم ، فقال أبو مسلم حين هرب نصر: يزعم نصرٌ أني ساحر؛ هو والله ساحر[١].

وقال غير من ذكرت قوله في أمر نصر وابن الكرمانيّ وشيبان الحروريّ: انتهى أبو مسلم في سنة ثلاثين ومئة من معسكره بقرية سليمان بن كثير إلى قرية تدعى الماخُوان فنزلها ، وأجمع على الاستظهار بعليّ بن جُديع ومَن معه من اليمن ، وعلى دعاء نَصْر بن سيار ومَن معه إلى معاونته ، فأرسل إلى الفريقين جميعاً ، وعرض على كلّ فريق منهم المسالمة واجتماع الكلمة والدخول في الطاعة ، فقبِل ذلك عليّ بن جُديع ، وتابعه على رأيه ، فعاقده عليه ، فلما وثق أبو مسلم بمبايعة عليّ بن جُديع إياه ، كتب إلى نصر بن سيّار أن يبعث إليه وفداً يحضرون مقالته ومقالة أصحابه فيما كان وعده أن يميل معه ، وأرسل إلى عليّ بمثل ما أرسل به إلى نَصْر.

ثم وصف من خبر اختيار قوّاد الشيعة اليمانيَة على المضريّة نحواً مما وصف مَن قد ذكرنا الرواية عنه قبلُ في كتابنا هذا ، وذكر أنّ أبا مسلم إذْ وجَّه شبل بن طهمان فيمن وجّهه إلى مدينة مَرْو وأنزله قصر بخاراخذاه؛ إنما وجهه مدداً لعليّ بن الكرمانيّ.

قال: وسار أبو مسلم من خَنْدقه بالماخُوان بجميع مَن معه إلى عليّ بن جُديع ، ومع عليّ عثمان وأخوه وأشراف اليمن معهم وحلفاؤهم من ربيعة ، فلما حاذى أبو مسلم مدينة مَرْو استقبله عثمان بن جُديع في خيل عظيمة ، ومعه أشراف اليمن ومن معه من رَبيعة؛ حتى دخل عسكر عليّ بن الكرمانيّ وشيبان بن

---

(١) انظر تعليقنا على الخبر الآتي.

سلمة الحروريّ ومَن معه من النقباء ، ووقف على حجرة عليّ بن جُدَيع ، فدخل عليه وأعطاه الرضا ، وآمنه على نفسه وأصحابه ، وخرجا إلى حجرة شيبان ، وهو يسلِّم عليه يومئذ بالخلافة ، فأمر أبو مسلم عليّاً بالجلوس إلى جنبِ شيبان ، وأعلمه أنه لا يحلّ له التسليم عليه. وأراد أبو مسلم أن يُسلِّم على عليّ بالإمْرة ، فيظنّ شيبان أنه يسلم عليه. ففعل ذلك عليّ ، ودخل عليه أبو مسلم ، فسلّم عليه بالإمارة ، وألطف لشيبان وعظمه ، ثم خرج من عنده فنزل قصر محمد بن الحسن الأزديّ ، فأقام به ليلتيْن ، ثم انصرف إلى خندقه بالماخُوان ، فأقام به ثلاثة أشهر ، ثم ارتحل من خَنْدقه بالماخُوان إلى مَرْو لسبع خلوْن من ربيع الآخر؛ وخلّف على جنده أبا عبد الرحمن الماخُوانيّ ، وجعل أبو مسلم على ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع ، وعلى مقدّمته مالك بن الهيثم ، وكان مسيره ليلاً ، فأصبح على باب مدينة مَرْو ، وبعث إلى عليّ بن جُديع أن يبعث خيله حتى وقف على باب قصر الإمارة ، فوجد الفريقين يقتتلان أشدّ القتال في حائط مَرْو ، فأرسل إلى الفريقين أن كُفّوا ، وليتفرّقْ كلّ قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا. وأرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البَختريّ ، وداود بن كرّاز إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله والطاعة للرّضا من آل محمد ﷺ .

فلما رأى نصر ما جاءه من اليمانية والرَّبَعية والعجم ، وأنه لا طاقة له بهم؛ ولا بد إن أظهر قبول ما بعث به إليه أن يأتيه فيبايعه ، وجعل يريثهم لما همّ به من الغدر والهرب إلى أن أمسى ، فأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم إلى ما يأمنون فيه؛ فما تيسّر لأصحاب نصر الخروج في تلك الليلة. وقال له سَلْم بن أحوز: إنه لا يتيسّر لنا الخروج الليلة؛ ولكنا نخرج القابلة ، فلما كان صبح تلك الليلة عبأ أبو مسلم كتائبَه ، فلم يزل في تعبيتها إلى بعد الظهر ، وأرسل إلى نصر لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البَختريّ وداود بن كرّاز وعدّة من أعاجم الشيعة ، فدخلوا على نصر ، فقال لهم: لِشرّ ما عدتم ، فقال له لاهز: لا بدّ لك من ذلك؛ فقال نصر: أما إذ كان لا بدّ منه؛ فإني أتوضأ وأخرج إليه ، وأرسل إلى أبي مسلم؛ فإن كان هذا رأيه وأمره أتيتُه ونعمَى لعينه ، وأتهيأ إلى أن يجيء رسولي ، وقام نصر ، فلما قام قرأ لاهز هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ

لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ ، فدخل نصر منزله ، وأعلمهم أنه ينتظر انصرافَ رسوله من عند أبي مسلم ، فلما جنّه الليل ، خرج من خَلْف حجرته ، ومعه تميم ابنه والحكم بن نُميلة النميريّ وحاجبه وامرأته؛ فانطلقوا هُرّاباً ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزلَه ، فوجدوه قد هرب؛ فلما بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر ، وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتَفهم؛ وكان فيهم سَلْم بن أحوز صاحبُ شرْطة نصر والبختريّ كاتبه ، وابنان له ويونس بن عبد ربّه ومحمد بن قطَن ومجاهد بن يحيى بن حُضين [والنضر بن إدريس ومنصور بن عمر بن أبي الحرقاء وعقيل بن معقل الليثيّ ، وسيار بن عمر السلميّ ، مع رجال من رؤساء مُضَر] فاستوثق منهم بالحديد ، [ووكل بهم عيسى بن أعين] ، وكانوا في الحبس عنده حتى أمر بقتلهم جميعاً ، ونزل نصر سَرَخْس فيمن اتّبعه من المضريّة ، وكانوا ثلاثة آلاف ، ومضى أبو مسلم وعليّ بن جُديع في طلبه ، فطلباه ليلتَهما حتى أصبحا في قرية تدعى نصرانيّة؛ فوجدا نصراً قد خلف امرأته المَرْزُبَانة فيها ، ونجا بنفسه.

ورجع أبو مسلم وعليّ بنُ جديع إلى مَرْو ، فقال أبو مسلم لمن كان وجّه إلى نصر: ما الذي ارتاب به منكم؟ قالوا: لا ندري ، قال: فهل تكلم أحد منكم؟ قالوا: لاهز تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ قال: هذا الذي دعاه إلى الهرب ، ثم قال: يا لاهز؛ أتدغل في الدين! فضرب عنقه[١].

---

(١) هذه الرواية المطولة التي نسبها الطبري إلى بعضهم تؤيد في مقاطعها الرئيسة ما رواه المدائني عن شيخيه المفضل الضبي وزهير بن هنيد ولم نجد فيها نكارة أو مخالفة لما هو أصح منها (على ما نعلم) فهذه روايات الطبري في دخول أبي مسلم مدينة مرو وأما خليفة فهو يذكر الخبر مختصراً عما عند الطبري وهو في سياقه العام يؤيد ما ذكره الطبري مع اختلاف يسير واختصار شديد قال خليفة ضمن حديثه عن وقائع سنة ١٣٠ هـ: فيها اصطلح نصر بن سيار وابن الكرماني على أن يقاتلوا أبا مسلم فإذا فرغوا نظروا في أمورهم فدس أبو مسلم إلى علي بن الكرماني أني معك فصالح ابن الكرماني وبايعه فساروا إلى نصر جميعاً وأرسل أبو مسلم إلى ابن الكرماني أن أنشب الحرب بينكما فاقتتلوا يومهم وليلتهم فأصبح أبو مسلم غادياً عليهم من ورائهم فلما رأى ذلك نصر أرسل إلى أبي مسلم أني معك وأنا أحق بك من ابن الكرماني وأنا أبايعك فسار أبو مسلم في أكثر من عشرة آلاف حتى أتى الدار وأرسل أصحابه فضربوا وجوه الأزد وبني تميم فانصرفوا واصطلح الناس وأرسل أبو مسلم إلى نصر أن أجب فقال=

خبر مقتل شيبان بن سلمة الخارجيّ

وفي هذه السنة قتل شيبان بن سلمَة الحروريّ.

ذكر الخبر عن مقتله وسببه:

وكان سبب مقتله ـ فيما ذكر ـ أنّ عليّ بن جُديع وشيبان كانا مجتمعين على قتال نصر بن سيار لمخالفة شيبان نصراً؛ لأنه من عمال مَرْوان بن محمد، وأنّ شيبان يرى رأي الخوارج ومخالفة عليّ بن جُديع نصراً، لأنه يمان ونصر مضريّ، وأن نصراً قتل أباه وصلبه، ولِمَا بَيْن الفريقين من العصبية التي كانت بين اليمانية والمُضرّية؛ فلما صالح عليّ بن الكرمانيّ أبا مسلم، وفارق شيبان، تنحَّى شيبان عن مَرْو، إذ علم أنه لا طاقة له بحرْب أبي مسلم وعليّ بن جُدَيع [مع اجتماعهما على] خلافه، وقد هرب نصر من مَرْو [وسار إلى سرخس].

[فذكر عليّ بن محمد أن أبا حفص] أخبره والحسن [بن رشيد وأبا الذيال أن المدة التي كانت بين أبي مسلم وبين شيبان] لما انقضت، أرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه إلى البَيْعة، فقال شيبان: أنا أدعوك إلى بيعتي؛ فأرسل إليه أبو مسلم: إن لم تدخل في أمرنا فارتحلْ عن منزلك الذي أنت فيه، فأرسل شيبان إلى ابن الكرمانيّ يستنصره، فأبى. فسار شيبان إلى سَرَخْس، واجتمع إليه جمع كثير من بَكْر بن وائل. فبعث إليه أبو مسلم تسعةً من الأزْد، فيهم المنتجع بن الزُّبير؛ يدعوه ويسأله أن يكفّ، فأرسل شيبان، فأخذ رسل أبي مسلم فسجنهم، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث

= أتوضأ فخرج من باب له آخر فركب برذوناً وخرج وترك رسل أبي مسلم قعوداً وذلك بعد العصر فأرسلوا إلى أبي مسلم أنه قد هرب وهرب أصحابه يميناً وشمالاً وسار أبو مسلم من ليلته حتى أتى موضع ثقل نصر بأقصى مرو فأخذ أهله وولده الصغار وهرب ولده الكبار فانتهى نصر إلى سرخس... إلخ [تاريخ خليفة/ ٤١٢] ثم أخرج خليفة بن خياط قال: فحدثني عمرو بن عبيدة قال حدثني قزعة مولى نصر بن سيار قال بعث أبو مسلم إلى نصر أن أجب فخرج نصر من باب له آخر حتى خرج من المدينة وأخذ سلم بن أحوز وكان على شرطة نصر فقتل [تأريخ خليفة/ ٤١٣] فهذه روايات خليفة ومن بعده الطبري أصحّ ما في هذه المسألة التأريخية وبعضها يكمل بعضاً فتبدو لنا صورة انطلاقة الدعوة العباسية واضحة والله أعلم.

ببيوَرْد ، يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله. ففعل ، فهزمه بسّام ، واتبعه حتى دخل المدينة ، فقتِل شيبان وعدّة من بكر بن وائل ، فقيل لأبي مسلم: إنّ بساماً ثائر بأبيه؛ وهو يقتل البريء والسقيم ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، واستخلف على عسكره رجلاً[١] .

قدوم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم

وفي هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم بن محمد بن عليّ ، ومعه لواؤه الذي عقد له إبراهيم ، فوجّهه أبو مسلم حين قدم عليه على مقدّمته ، وضمّ إليه الجيوش ، وجعل له العزلَ والاستعمال ، وكتب إلى الجنود بالسَّمْع والطاعة.

وفيها وجّه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر؛ فذكر عليّ بن محمد أن أبا الذيّال والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجُشَميّ أخبروه أنّ شيبان بن سلمة الحَرُوريّ لما قتِل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسابور ، وكتب إليه النابي بن سويد العجليّ يستغيث ، فوجّه إليه نصر ابنَه تميم بن نصر في ألفيْن ، وتهيأ نصر على أن يسير إلى طُوس ، ووجّه أبو مسلم قحطبة بن شبيب في قُوّاد ، منهم القاسم بن مجاشع وجَهْور بن مرّار ، فأخذ القاسم من قِبَل سرخس ، وأخذ جهور من قِبَل أبيورد ، فوجّه تميم عاصم بن عمير السغديّ إلى جهْور؛ وكان أدناهم منه، فهزمه عاصم بن عمير ، فتحصّن في كبادقان ، وأطلّ قحطبة والقاسم على النابي ، فأرسل تميم إلى عاصم أن ارحل عن جهور وأقبل؛ فتركه ، وأقبل فقاتلهم قحطبة[٢] .

ذكر خبر قتل نباتة بن حنظلة

وفي هذه السنة قُتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمر بن هُبيرة على جُرجان.

---

(١) هذا إسناد متعدد المخارج ومن رواته زهير بن هنيد (أبو الذيال) صدوق ولم نجد في المتن نكارة ، وانظر البداية والنهاية (٨/ ٢٥).

(٢) سبق أن تحدثنا عن هذا الإسناد المركب ولقد وافق خليفة بن خياط ما ذكره الطبري من مسار جيوش العباسيين كما سنذكر ولكن خليفة يكتفي بذلك ويعرض عن ذكر التفاصيل وسيأتي الكلام عن هذا المسار بقيادة قحطبة بعد قليل.

ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر عليّ بن محمد أنّ زهير بن هُنيد وأبا الحسن الجُشميّ وجبلة بن فَرّوخ وأبا عبد الرحمن الأصبهانيّ أخبروه أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة الكلابيّ إلى نصر، فأتى فارس وأصبهان، ثم سار إلى الريّ، ومضى إلى جُرجان، ولم ينضمّ إلى نصر بن سيار، فقالت القيسيّة لنصر: لا تحملنا قومِس، فتحوّلوا إلى جُرجان. وخندق نباتة؛ فكان إذا وقع الخندق في دار قوم رشّوه فأخّره، فكان خندقه نحواً من فرسخ[1].

---

(١) هذا إسناد مركب طالما تحدثنا عنه والمدائني صدوق وشيخه زهير بن هنيد صدوق كذلك ولتراجم البقية انظر المقدمة ـ ثم ذكر الطبري بعد هذا المقطع أن قحطبة قدم إلى جرجان في ذي القعدة من سنة ثلاثين ومئة مع قادة جيشه وجرت المعركة وانتهت بهزيمة نباتة وابنه وانتصار جيش قحطبة ـ وهذا هو القدر المتفق عليه بين خليفة والطبري وأما التفاصيل الأخرى التي ذكرها الطبري ومنها خطبة قحطبة في أهل خراسان ورسالة الإمام إلى أبي مسلم وقحطبة بأنهم سينتصرون في يوم الجمعة من شهر ذي الحجة وغير ذلك فلم ترد رواية أخرى من مصدر تأريخي متقدم وموثوق لتأكيد تلك التفاصيل أضف إلى ذلك فإن في متن الطبري نكارات منها عبارة [وسلط عليهم أذلّ أمة كانت عندهم في الأرض] فإن كان يعني بهم العرب فلم يكن أهل خراسان وهم قبائل متناحرة بأحسن حالاً من العرب قبل الإسلام ـ وأما قول قحطبة: إن الإمام وعدهم بالنصر إذا لقوا عدوهم وأنهم سينتصرون يوم الجمعة من ذي الحجة فكل ذلك لا يصح ولعلّه من تلفيق بعض المجاهيل الذين طعنوا في خلفاء بني أمية وأئمة أهل البيت على حدٍّ سواء فالإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لم يكن متنبئاً ولا منجماً ولا يعلم الغيب ولكن الوضاعين المجهولين تقوّلوا عليه والتقط الطبري هذه الأقاويل من أفواه الرواة دون تثبت رحمه الله وأودعها سجلّه الكبير هذا ـ وكذلك لم يرد من مصدر متقدم ثقة أن أهل الشام قد قتل منهم عشرة آلاف في تلك المعركة من أجل ذلك كله ذكرنا الخبر في قسم الضعيف وأما خليفة فقد أيّدت مروياته ما ذكره الطبري من قدوم قحطبة إلى جرجان ونشوب المعركة بينه وبين نباتة وهزيمة نباتة ومقتله وذلك في سنة (١٣٠ هـ): فقد أخرج خليفة قال: وحدثني محمد بن معاوية (ثقة) قال حدثني بيهس بن حبيب الرام (شاهد عيان) قال ظهر أبو مسلم في رمضان سنة تسع وعشرين ومئة وهرب نصر بن سيار، فبعث أبو مسلم قحطبة بن شبيب فلقي قحطبة بن نباتة أحد بني أبي بكر بن كلاب بجرجان في ذي الحجة سنة ثلاثين ومئة فقتل نباتة وابنه حبة بن نباتة [تأريخ خليفة/ ٤١٣] وسبق أن ذكر خبر خليفة ضمن حديثه عن وقائع سنة (١٣٠ هـ): فيها اصطلح نصر بن سيار وابن الكرماني على أن يقاتلوا أبا مسلم. . . إلخ وفيه: فأرسلوا إلى أبي مسلم=

ذكر وقعة أبي حمزة الخارجي بقُديد

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بقُديد بين أبي حمزة الخارجيّ وأهل المدينة.

ذكر الخبر عن ذلك:

حدّثني العباس بن عيسى العَقيليّ، قال: حدثنا هارون بن موسى الفرْويّ، قال حدثني غير واحد من أصحابنا، أنّ عبد الواحد بن سليمان استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا، فلما كان بالحَرّة لقيتهم جُزُر مَنْحورة، فمضوْا، فلما كان بالعقيق تعلّق لواؤهم بِسَمُرة، فانكسر الرمح، فتشاءَم الناس بالخروج؛ ثم ساروا حتى نزلوا قُدَيد، فنزلوها ليلاً وكانت قرية قُديد من ناحية القصر المبنيّ اليوم، وكانت الحياض هنالك، فنزل قوم مغترّون ليسوا بأصحاب حرب، فلم يرعْهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصر[1].

= أنه قد هرب (أي نصر) وهرب أصحابه يميناً وشمالاً وسار أبو مسلم من ليلته حتى أتى موضع ثقل نصر بأقصى مرو فأخذ أهله وولده الصغار وهرب ولده الكبار فانتهى نصر إلى سرخس فأقام بها وبعث أبو مسلم إلى سرخس إبراهيم بن بسام مولى بني ليث فقاتله شيبان الحروري ومن كان بها من ربيعة فهزمهم وقتل شيبان وجمعاً كثيراً من ربيعة وأرسل أهل طوس إلى نصر أنا معك وبايعوه فأرسل نصر ابنه تميماً مدداً لهم في قريب من ثلاثة آلاف وأرسل أبو مسلم قحطبة واسمه زياد بن شبيب وقحطبة لقب فأتاهم قحطبة من أعلى طوس وأتتهم جنود من قبل أبيورد وأتاهم القاسم بن مجاشع في المسودة من قبل سرخس فسار عاصم بن عمير ومعه معظم الناس إلى قحطبة فهزمه فسار عاصم بن عمير حتى لحق بنصر فارتحل نصر فنزل بقومس [تأريخ خليفة/ ٤١٢] فحدثني عمرو بن عبيدة قال حدثني قزعة مولى نصر بن سيار قال بعث أبو مسلم إلى نصر أن أجب فخرج نصر من باب له آخر حتى خرج من المدينة وأخذ مسلم بن أحوز وكان على شرطة نصر فقتل [٤١٢] وحدثني معاوية بن محمد قال حدثني بيهس بن حبيب الرام قال ظهر أبو مسلم في رمضان سنة تسع وعشرين ومئة فحبس عبد الله بن معاوية وأخويه ثم قتله وخلّى عن أخويه في سنة ثلاثين ومئة وهرب نصر بن سيار فبعث أبو مسلم قحطبة بن شبيب فلقي قحطبة نباتة أحد بني أبي بكر بن كلاب بجرجان في ذي الحجة سنة ثلاثين ومئة فقتل نباتة وابنه حبة بن نباتة [خليفة/ ص ٤١٣].

(١) ووافق خليفة بن خياط في هذا التوقيت وأعني وقوع حادثة قديد سنة ١٣٠ هـ كما سنذكر بعد.

ذكر خبر دخول أبي حمزة المدينة

وفي هذه السنة دخل أبو حمزة الخارجيّ مدينة رسول الله ﷺ وسلم وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام[١].

قال العباس: قال هارون: وأخبرني يحيى بن زكريّاءَ أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة، قال: رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

تعلمون يا أهلَ المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشَراً ولا بَطراً ولا عبثاً، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا لثأر قديم نيل منا؛ ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عُطلتْ، وعنِّف القائل بالحق، وقتِل القائم بالقسط: ضاقت علينا الأرض بما رحُبت، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، فأجبنا داعيَ الله ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أقبلنا من قبائل شتى، النفر منّا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لِحافاً واحداً، قليلون مستضعفون في الأرض؛ فآوانا وأيّدنا بنصره، فأصبحنا والله جميعاً بنعمته إخواناً، ثم لقينا رجالكم بقُديد، فدعوْناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكْم آل مروان؛ فشتّان لعمر الله ما بين الرّشد والغيّ. ثم أقبلوا يهرعون يزفّون، قد ضرب الشيطان فيهم بجِرانه، وغلتْ بدمائهم مراجله، وصدّق عليهم ظنه، وأقبل أنصار الله عزّ وجلّ عصائب وكتائب، بكل مهنّد ذي رَوْنقٍ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضربٍ يرتاب منه المبطلون. وأنتم يا أهلَ المدينة، إن تنصروا مرْوان وآل مرْوان يُسحتكم الله عزّ وجلّ بعذاب من عنده أو بأيدينا. ويشْفِ صُدور قوم مؤمنين. يا أهلَ المدينة، أوّلكم خيرُ أوّل وآخركم شرّ آخر، يا أهل المدينة، الناس منا ونحن منهم؛ إلا مشركاً عابدَ وثن، أو مشرك أهل الكتاب؛ أو إماماً جائراً. يا أهل المدينة مَنْ زعم أنّ الله عز وجلّ كلف نفساً فوق طاقتها، أو سألها ما لم يُؤتِها، فهو لله عزّ وجلّ عدوّ، ولنا حرب. يا أهل المدينة، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله عزّ وجلّ في كتابه على القويّ والضعيف، فجاء تاسع ليس له مِنها ولا سهم

---

(١) انظر تعليقنا على الخبر الآتي.

واحد ، فأخذها جميعها لنفسه ، مكابراً محارباً لربه . يا أهلَ المدينة ؛ بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ؛ قلتم : شباب أحدَاث ، وأعراب جُفاة ، ويلكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً أحداثاً! شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غضيّةٌ عن الشرِّ أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا الله عز وجل أنفساً تموت بأنفس لا تموت ، قد خالطوا كلالهم بكلالِهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنيةٌ أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية [خوفٍ شهقوا خوفاً من النار ، وإذا مروا بآية] شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف قد انتُضيتْ والرماح قد أشرعت ، وإلى السهام قد فُوّقَتْ ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت ، استخفُّوا وعيد الكتيبة لوعيد الله عزّ وجل ، ولم يستخفُّوا وعيد الله لوعيد الكتيبة ، فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين في منقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله عز وجل! وكم من يدٍ زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها في سجوده لله ، وكم من خدّ عتيق وجبين رقيق فُلِق بعَمد الحديد. رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها الجنان. أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيرنا ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب[١].

حدثني العباس ، قال قال هارون : حدّثني جدّي أبو علقمة ، قال : سمعت أبا حمزة على منبر رسول الله ﷺ ، يقول : من زَنى فهو كافر ، ومن شكّ فهو كافر ، ومَنْ سرق فهو كافر ، ومَنْ شكّ أنه كافر فهو كافر[٢].

قال العباس : قال هارون : وسمعتُ جدّي يقول : كان قد أحسن السيرة في أهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوا كلامه ، في قوله : «من زنى فهو كافر»[٣].

قال العباس : قال هارون : وحدّثني بعض أصحابنا : لما رقى المنبر قال : برَح الخفاء ، أين ما بك يذهب! مَنْ زنى فهو كافر ، ومَنْ سرق فهو كافر. قال العباس : قال هارون : وأنشدني بعضهم في قُدَيد :

---

(١) اخترنا هذه الخطبة لنضعها في قسم الصحيح لوجود ما يؤيدها عند خليفة كما سيأتي.

(٢) أبو علقمة (عبد الله بن محمد الغروي) ثقة وانظر تعليقنا الأخير.

(٣) انظر تعليقنا الآتي.

مـــا للـــزمـــان ومـــالِيَـــهْ أفْنـــتْ قُـــدَيـــدُ رجـــالِيَـــهْ
فَـــلأبْكِيـــنَّ سَـــرِيـــرَةً ولأَبكيـــنّ عـــلانيـــه
ولأَبكِيـــن إذا شَجِـــيـــتُ مـــعَ الكـــلابِ العـــاويَـــهْ

فكان دخول أبي حمزة وأصحابه المدينة لثلاث عشرة بقيَتْ من صفر.

واختلفوا في قدْر مدتهم في مقامهم [بها]، فقال الواقديّ: كان مقامهم بها ثلاثة أشهر وقال غيره: أقاموا بها بقيَّة صفر وشهريْ ربيع وطائفة من جُمادى الأولى(١).

---

(١) لقد أخّرنا التعليق على هذه الروايات حتى ننتهي من سردها وهي بمجموعها تفيد أن الخارجي (أبا حمزة) قد انطلق جنوباً من اليمن في موسم الحج وفاجأ الناس بجيشه ودخل مكة دون قتال بعد انسحاب أمير مكة عبد الواحد بن سليمان ومن ثم وقعت معركة قديد بين جيش الخوارج وأهل المدينة وقتل منهم عدد كبير قدّره الواقدي بسبعمئة بينما قدّره خليفة في رواية له عن شيوخه بثلاثمئة وخطب أبو حمزة خطبته التي تعبّر عن فكر الخوارج وغلوّهم وسنذكر هنا مرويات خليفة بن خياط التي تؤيد ما ذكره الطبري وهي بمجموعها تتعاضد وقد ذكرناها هنا في قسم الصحيح والله أعلم.
أما عن الوقعة (قديد) وحدوثها سنة ١٣٠ هـ كما ذكر الطبري فقد أخرج خليفة قال: وفي هذه السنة وهي سنة ثلاثين ومئة كانت وقعة قديد: فحدثني علي بن محمد عن إسحاق بن إبراهيم الأزهري قال لما صدر الناس عن مكة وذلك آخر سنة تسع وعشرين ومئة مضى عبد الواحد بن سليمان إلى المدينة وكتب إلى مروان يخبره بخذلان أهل مكة فعزله مروان وكتب إلى عبد العزيز بن عمر واليه على المدينة أن يوجه جيشاً وسار أبو حمزة في أول سنة ثلاثين ومئة يريد المدينة واستخلف على مكة أبرهة بن الصباح الحميري وجعل على مقدمته بلج بن عقبة السعدي وخرج أهل المدينة فالتقوا بقديد يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة ثلاثين ومئة وبلج في ثلاثين ألف فارس فقال لهم خلوا طريقنا نأتي هؤلاء الذين بغوا علينا وجاروا في الحكم ولا تجعلوا حدنا بكم فإنا لا نريد قتالكم فأبوا وقاتلوهم فانهزم أهل المدينة وجاءهم أبو حمزة فقال له علي بن الحصين بن الحر اتبع هؤلاء القوم وأجهز على جريحهم فإن لكل زمان حكماً والإثخان في هؤلاء أمثل قال ما أرى ذلك وما أرى أن أخالف سيرة من مضى قبلي ومضى أبو حمزة إلى المدينة فدخلها يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاثين ومئة قال أبو الحسن عن شيخ من الأنصار والمصعب وغيرهم قال استعمل عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وراية قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع وأقبل أبو حمزة فنزل بإزائهم فاقتتلوا وصبر الفريقان فأصيب من قريش ثلاثمئة رجل، وأبلى يومئذ آل الزبير... إلخ [خليفة/ ٤١٤]. =

= ثم أخرج خليفة قال: فحدثني إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرني جويرية بن أسماء قال خرج عبد العزيز بن عبد الله يريد قديداً فسقط لواؤه فتطيّر الناس [تأريخ خليفة/ ٤١٥]. وجويرية ثقة من السابعة أخرج له الشيخان توفي سنة ١٧٠ هـ وقد عاصر تلك الأحداث. وأخرج خليفة قال: قال إسماعيل وحدثني غسان بن عبد الحميد (ذكره ابن حبان في الثقات ولا نعلم فيه جرحاً) قال خرج أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان مقنعاً يوم قديد لا يلتفت إلى أحدٍ ولا يكلم أحداً مقبلاً على بثّه حتى قتل (٤١٥) قال أبو الحسن (أي المدائني) ما سمع الناس بواكي أوجع للقلوب من بواكي قديد ما بقي بالمدينة أهل بيت إلا وفيهم بكيّ قالت نائحة تبكيهم:

مـــا للــــزمـــان ومـــاليـــه ... أفنـــى قـــديـــد رجـــاليـــه

فـــلأبكيـــن ســـريـــرة ... ولأبكيـــن عـــلانيـــه

[خليفة/ ٤١٥].

وسنعود للحديث عن مصير أبي حمزة الخارجي وجيشه بعد قليل. وأما عدد القتلى من أهل المدينة يوم قديد فقد قدّره الواقدي بسبعمئة وانفرد بذلك ولا يعتمد عليه في مثل هذه الأمور إذا انفرد وقدّره خليفة بثلاثمئة وقول المدائني الذي لم يحضر الوقعة (بل ولد في تلك السنة أو بعدها): ما بقي بالمدينة أهل بيت إلا وفيهم بكيّ: فمبالغة واضحة والله أعلم بالصواب وأما عن خطبة أبي حمزة الخارجي التي ذكرناها في قسم الصحيح فلها ما يؤيدها عند خليفة عن إسماعيل بن إسحاق: أن بلج قدم في الموسم فلم يشعر الناس وهم بعرفات حتى أطلعت عليهم الخيل من الجبل من طريق الطائف فاجتمع الناس إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو والي مكة والمدينة فكره عبد الواحد قتالهم فمشى عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بينهم حتى أخذ عليهم ولهم ألا يحدثوا حدثاً حتى ينقضي أمر الموسم ففعلوا فوقف عبد الواحد بالناس ووقف بلج في أصحابه بعرفات وبجمع وأقاموا أيام منى فلما كان يوم النفر نفر عبد الواحد فأتى مكة ثم أتى أبو حمزة مكة فخطبهم على المنبر فقال يا أهل مكة تعيّروني بأصحابي تزعمون أنهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله إلا شباباً أما إني عالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم ولولا اشتغالي بغيركم ما تركت الأخذ فوق أيديكم، نعم شباب مكتهلون في شبابهم ثقال عميَّة عن الشر أعينهم بطيّة عن الباطل أرجلهم قد نظر إليهم في جوف الليل منثنية أصلابهم بمثاني القرآن إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه قد وصلوا كلالهم بكلالهم كلال ليلهم بكلال نهارهم قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم، مصفرة ألوانهم ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام مستقلين لذلك في جنب الله موفون بعهد الله منجزون لوعد الله إذا رأوا سهام العدو فوقت ورماحهم قد أشرعت وسيوفهم قد انتضيت وأبرقت الكتيبة وأرعدت بصواعق =

وكانت عِدّة من قُتِل من أهل المدينة بقُديد ـ فيما ذكر الواقديّ ـ سبعمئة.

قال أبو جعفر: وكان أبو حمزة ـ فيما ذكر ـ قد قدّم طائفة من أصحابه، عليهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر القرشيّ، ثم أحد بني عديّ بن كعب، وبلْج بن عيينة بن الهيصم الأسديّ من أهل البصرة، فبعث مرْوان بن محمد من الشام عبدَ الملك بن محمد بن عطيّة أحد بني سعد في خيول الشام[1] فحدّثني العباس بن عيسى، قال: حدّثني هارون بن موسى، عن موسى بن كثير، قال: خرج أبو حمزة من المدينة، وخلّف بعضَ أصحابه، فسار حتى نزل الوادي[1].

قال العباس: قال هارون: حدّثني بعضُ أصحابنا ممن أخبرني عنه أبو يحيى الزهريّ، أن مَرْوان انتخب من عسكره أربعة آلاف، واستعمل عليهم ابنَ عطيّة، وأمره بالجِدّ في السير، وأعطى كلّ رجل منهم مئة دينار؛ وفرساً عربيَّة وبغلاً لثقَلِه، وأمره أن يمضيَ فيقاتلهم؛ فإن هو ظفر مضى حتى بلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى ومَن معه؛ فخرج حتى نزل بالعُلا وكان رجل من أهل المدينة يقال له العَلاء بن أفلح مولى أبي الغيث، يقول: لقيني وأنا غلام ذلك اليوم رجلٌ من أصحاب ابن عطيّة؛ فسألني: ما اسمك يا غلام؟ قال: فقلت: العلاء، قال: ابن مَن؟ قلت: ابن أفلح، قال: مولى مَن؟ قلت: مولى أبي الغيث، قال: فأين نحن؟ قلت: بالعُلا، قال: فأين نحن غداً؟ قلت: بغالب، قال: فما كلّمني حتى أردفني وراءه، ومضى بي حتى أدخلني على ابن عطيّة، فقال: سل هذا الغلام: ما اسمه؟ فسألني، فرددت عليه القول الذي قلت، قال: فسرّ بذلك ووهب لي دراهم[1].

= الموت استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، مضى الشاب منهم قدماً حتى تختلف رجلاه عن عنق فرسه قد رملت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه في الثرىٰ وأسرعت إليه سباع الأرض فكم من عين في منقار طائر طال ما بكىٰ صاحبها من خشية الله وكم من خدٍّ رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد، رحمة الله على تلك الأبدان وأدخل أرواحها الجنان ثم قال: الناس منا ونحن منهم إلا عابد وثن أو كفرة أهل كتاب أو سلطاناً جائراً أو شاداً على عضده [تأريخ خليفة/ ٤٠٨].

(١) انظر تعليقنا فيما بعد.

قال العبّاس: قال هارون: وكان أبو حمزة حين خرج ودّع أهل المدينة للخروج إلى مروان يقاتله، قال: يا أهل المدينة، إنا خارجون إلى مَرْوان؛ فإن نظفر نعدلْ في أحكامكم، ونحملكم على سنة نبيكم محمد ﷺ، ونقسم فيئكم بينكم؛ وإن يكن ما تَمنّون؛ فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون. قال العباس: قال هارون: وأخبرني بعضُ أصحابنا أنّ الناس وثبوا على أصحابه حين جاءهم قتلُه فقتلوهم[١].

قال محمد بن عمر: سار أبو حَمْزة وأصحابه إلى مَرْوان، فلقيهم خيلُ مرْوان بوادي القرى؛ عليها ابن عطيّة السعديّ من قيس، فأوقعوا بهم، فرجعوا منهزمين منهم إلى المدينة، فلقيهم أهلُ المدينة فقتلوهم. قال: وكان الذي قاد جيش مَرْوان عبد الملك بن محمد بن عطية السعديّ سعد هوازن، قدم المدينة في أربعة آلاف فارس عربيّ؛ مع كلّ واحد منهم بغل، ومنهم مَن عليه درعان أو دِرْع وسنّوْر وَتجافيف؛ وعدّة لم ير مثلها في ذلك الزمان، فمضوْا إلى مكة[١].

وقال بعضهم: أقام ابنُ عطية بالمدينة حين دخلها شهراً، ثم مضى إلى مكة، واستخلف على المدينة الوليد بن عُروة بن محمد بن عطية، ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن واستخلف على مكة ابن ماعز؛ رجلاً من أهل الشام.

ولما مضى ابنُ عطيّة بلغ عبدُ الله بن يحيى ـ وهو بصنعاء ـ مسيرهُ إليه، فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية، فقتل ابن عطية عبد الله بن يحيى، وبعث ابنه بشير إلى مروان، ومضى ابن عطية فدخل صنعاء وبعث برأس عبد الله بن يحيى إلى مروان، ثم كتب مروان إلى ابن عطيّة يأمره أن يُغِذّ السير، ويحجّ بالناس، فخرج في نفر من أصحابه ـ فيما حدثني العباس بن عيسى، عن هارون ـ حتى نزل الجُرْف ـ هكذا قال العباس ـ ففطن له بعض أهل القرية، فقالوا: منهزمين والله، فشدّوا عليه، فقال: ويحكم! عامل الحجّ؛ والله كتب إليّ أمير المؤمنين[٢].

قال أبو جعفر: وأما ابن عمر، فإنه ذكر أنّ أبا الزبير بن عبد الرحمن حدّثه،

---

(١) انظر تعليقنا على الخبر الآتي.
(٢) انظر تعليقنا عن الخبر الآتي.

قال: خرجتُ مع ابن عطية السعديّ؛ ونحن اثنا عشر رجلاً ، بعهد مَرْوان على الحجّ ، ومعه أربعون ألف دينار في خُرْجه ، حتى نزل الجُرْف يريد الحجّ ، وقد خلَف عسكره وخيله وراءه بصنعاء؛ فوالله إنا آمنون مطمئنون؛ إذ سمعتُ كلمة من امرأة: قاتلَ الله ابنيْ جمانة ما أشأمهما! فقمت كأني أهريق الماء ، وأشرفت على نَشز من الأرض؛ فإذا الدُّهْم من الرجال والسلاح والخيل والقذّافات؛ فإذا ابنا جُمانة المراديّان واقفان علينا ، قد أحدقوا بنا من كلّ ناحية ، فقلنا: ما تريدون؟ قالوا: أنتم لصوص؛ فأخرج ابن عطية كتابه ، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده على الحجّ وأنا ابن عطية ، فقالوا: هذا باطل ، ولكنكم لصوص؛ فرأينا الشرّ. فركب الصفر بن حبيب فرسه ، فقاتل وأحسن حتى قتل؛ ثم ركب ابن عطية فقاتل حتى قُتِل ، ثم قتل مَنْ معنا وبقيت ، فقالوا: من أنت؟ فقلت: رجل من هَمْدَان ، قالوا: من أيّ همدان أنت؟ فاعتزيت إلى بطن منهم ـ وكنت عالماً ببطون هَمْدان ـ فتركوني ، وقالوا: أنت آمن؛ وكلّ ما [كان] لك في هذا الرحل فخذْه ، فلو ادّعيتُ المال كله لأعطوْني. ثم بعثوا معي فرساناً حتى بلغوا بي صَعْدة ، وأمنتُ ومضيتُ حتى قدمتُ مكة[1].

---

(١) هذه عدة روايات أخرجها الطبري وبالأسانيد المعروفة التي تحدثنا عنها في المقدمة وفي غير موضع ـ وبعضها من طريق الواقدي المتروك وليس من عادتنا أن نذكر مرويات الواقدي (إذا انفرد) في الصحيح ولكن ذكرناها هنا لأن ما ذكره قد جاء من طريق آخر عند الطبري مسنداً وغير مسند وكذلك أخرج خليفة طرفاً من هذه التفاصيل مسنداً وغير مسند كما سنذكر فقد أخرج خليفة قائلاً: حدثنا إسماعيل العسكر وقتل منهم مقتلة عظيمة وبلغ عبد الله بن يحيى الأعور فسار في نحو ثلاثين ألفاً فنزل ابن عطية تبالة ونزل الأعور صعدة ثم اقتتلوا فانهزم الأعور فسار إلى جرش وسار ابن عطية والتقوا فاقتتلوا حتى حال بينهم الليل وأصبح ابن عطية مكانه فنزل الأعور في نحو من ألف رجل من أهل حضرموت فقاتل حتى قتل ومن معه وبعث برأس الأعور إلى مروان وسار ابن عطية حتى أتى صنعاء فثار به رجل من حمير . . . الخبر وفي آخره ثم أتاه كتاب مروان يأمره بالصلاة بالموسم فدعا أهل حضرموت إلى الصلح فصالحوه فانطلق ابن عطية في خمسة عشر رجلاً من وجوه أصحابه مبادراً وخلف ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد وأقبل ابن عطية متعجلاً فنزل وادياً من أودية مراد بقرية يقال لها شيام فشدوا عليه فقتلوه وأصحابه واحتزوا رأسه [خليفة/٤١٧] قلت: وإلى هنا يتفق خليفة والطبري وكما ترى على الأمور الكبيرة في هذه الواقعة من خروج أبي حمزة ومقتله إلى مقتل حليفه الأعور (عبد الله بن يحيى) والله تعالى أعلم. =

وكان سبب نزول نصر قومس ـ فيما ذكر عليّ بن محمد ـ أن أبا الذيَّال حدّثه والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجشميّ؛ أن أبا مسلم كتب مع المنهال بن فتّان إلى زياد بن زرارة القشيريّ بعهده على نيسابور بعدما قتل تميم بن نصر والنابي بن سويد العجليّ، وكتب إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصراً؛ فوجه قحطبة العكّيّ على مقدّمته. وسار قحطبة حتى نزل نيسابور، فأقام بها شهرين؛ شهري رمضان وشوال من سنة ثلاثين ومئة، ونصر نازل في قرية من قرى قُومِس يقال لها بذش، ونزل مَن كان معه من قيس في قرية يقال لها الممد؛ وكتب نصر إلى ابن هبيرة

= ابن إسحاق قال: بعث مروان بن محمد بن مروان محمد بن عطية السعدي (سعد بن بكر) في أربعة آلاف من جنده عامتهم رابطة فشرطوا على مروان إذا قتلنا الأعور قفلنا لا سلطان لك علينا فأعطاهم ذلك فأقبل ابن عطية فلقي بلجاً بوادي القرى وقد سار يريد الشام فاقتتلوا فقتل بلج وعامة أصحابه ولم يزل يقتلهم حتى دخلوا المدينة ولحق نحو من ألف رجل منهم عليهم رجل منهم يقال له الصباح من همدان فتحصن في جبل من الجبال فقاتلهم فيه ثلاثة أيام ثم انحاز ليلاً في نحو من ثلاثمئة فترقى في الجبال حتى لحق بمكة ودخل ابن عطية المدينة ثم سار إلى مكة فلقي أبا حمزة بالأبطح ومع أبي حمزة خمسة عشر ألفاً ففرق عليه ابن عطية الخيل فأتته خيل من أسفل مكة وخيل من منى وأتى هو بنفسه من أعلى الثنية فاقتتلوا حتى كاد النهار أن ينتصف وخرجت الخيل إليهم ببطن الأبطح فألجؤوهم إلى عسكرهم وقتل أبرهة بن الصباح عند بئر ميمون وقتلت معه امرأته وقتل أبو حمزة واستباح قال: فحدثني محمد بن معاوية عن بيهس أبي حبيب بن حبيب قال توجه قحطبة فلقي عامر بن ضبارة وداود فالتقوا بجابلق رستاق من أصبهان في رجب يوم السبت لسبع بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين ومئة فقتل عامر وانهزم داود فلحق بأبيه ولحق قحطبة بمن معه حتى حصر أهل نهاوند مع ابنه الحسن بن قحطبة [خليفة/ ٤١٨] وقال خليفة أيضاً: وفي هذه السنة وهي سنة إحدى وثلاثين ومئة قتل عامر وكتب نصر بن سيار إلى مروان وابن هبيرة يستمدهما فلم يأته مدد حتى سار قحطبة فانحاز نصر فنزل الري ومرض ثم سار فمات بهمذان [تأريخ خليفة/ ٤١٩].

ثم أخرج خليفة: وحدثني عمرو بن عبيدة قال حدثني قزعة مولى نصر بن سيار قال: مات نصر بساوة من أرض الري فدفناه وأجرينا الماء على قبره، قال قزعة لمّا حضرته الوفاة دعا بنيه فقال إياكم والمدن الحقوا بالشام فإن تكن لبني مروان مدة كنتم معهم وإن كان غير ذلك أصابكم ما أصابهم وأنشدني لنصر بن سيار حين أبطأ المدد:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... خليق أن يكون له ضرام
فإن النار بالزندين تورى ... وإن الفعل يقدمه الكلام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام؟

يستمدّه وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان؛ يعظّم الأمر عليه ، فحبس ابن هبيرة رسلَه ، وكتب نَصْر إلى مروان: إني وجَّهت إلى ابن هبيرة قوماً من وجوه أهل خُراسان ليعلموه أمرَ الناس من قِبَلنا ، وسألته المدد فاحتبس رسلي ولم يمدّني بأحد؛ وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ، ثم أخرج من حجرته إلى داره ، ثم أخرج من داره إلى فناء داره؛ فإن أدركه مَنْ يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له؛ وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فِناء.

فكتب مَرْوان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّ نصراً ، وكتب إلى نصر يعلمه ذلك ، فكتب نصر إلى ابن هبيرة مع خالد مولى بني ليث يسأله أن يعجِّل إليه الجند ، فإنّ أهل خُراسان قد كذبتُهم حتى ما رجل منهم يصدّق لي قولاً؛ فأمدّني بعشرة آلاف قبل أن تمدّني بمئة ألف ، ثم لا تغني شيئاً[1] .

وحجّ في هذه السنة بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره؛ عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر[2] وكانت إليه مكة والمدينة والطائف.

وكان فيها العراق إلى يزيد بن عمر بن هبيرة.

وكان على قضاء الكوفة الحجّاج بن عاصم المحاربيّ ، وكان على قضاء البصرة عبّاد بن منصور. وعلى خُراسان نصر بن سيار، والأمر بخراسان على ما ذكرت[3] .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ذكر خبر موت نصر بن سيار

فممّا كان فيها من ذلك توجيه قحطبة ابنه الحسن إلى نصر وهو بقومِس. فذكر

---

(١) انظر تعليقنا على خبرمحاربة قحطبة أهل نهاوند فيما بعد.

(٢) هكذا قال الطبري بينما قال خليفة وأقام الحج محمد بن عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي). وانظر [خليفة بن خياط ٤١٧ و٤٣١].
وواقق ابن كثير ابن جرير الطبري فقال: قال أبو معشر وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان وقد جعلت إليه إمرة المدينة ومكة والطائف [البداية والنهاية ٨/ ٢٩].

(٣) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد مروان (سنة ١٣٢ هـ).

عليّ بن محمد؛ أن زهير بن هنيد والحسن بن رشيد وجبَلة بن فرّوخ التاجيّ ، قالوا: لما قُتِل نُباتة ارتحل نصر بن سيَّار من بَذَش ، ودخل خُوار وأميرها أبو بكر العقيليّ ، ووجّه قحطبة ابنه الحسن إلى قُومِس في المحرّم سنة إحدى وثلاثين ومئة ، ثم وجّه قحطبة أبا كامل وأبا القاسم محرز بن إبراهيم وأبا العباس المروزيّ إلى الحسن في سبعمئة ، فلما كانوا قريباً منه ، انحاز أبو كامل وترك عسكره ، وأتى نصراً فصار معه ، وأعلمه مكان القائد الذي خلّف ، فوجَّه إليهم نصر جنداً فأتوْهم وهم في حائط فحصروهم ، فنقب جميل بن مهران الحائط ، وهرب هو وأصحابُه ، وخلّفوا شيئاً من متاعهم فأخذه أصحاب نصر ، فبعث به نصر إلى ابن هُبيرة ، فعرض له عطيف بالريّ ، فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع ، وبعث به إلى ابن هبيرة ، فغضب نصر ، وقال: أبِي يتلعّب ابن هبيرة! أيَشغَب عليّ بضَغابيس قيس! أما والله لأدعنّه فليعرفنّ أنه ليس بشيء ولا ابنه الذي تربّص له الأشياء. وسار حتى نزل الريّ ـ وعلى الريّ حبيب بن بُديل النهشليّ ـ فخرج عطيف من الرّيّ حين قدمها نصر إلى هَمَذان ، وفيها مالك بن أدهم بن محرز الباهليّ على الصَّحْصَحيَّة ، فلما رأى مالكاً في هَمَذان عدل منها إلى أصبَهان إلى عامر بن ضُبارة ـ وكان عُطَيف في ثلاثة آلاف ـ وجّهه ابن هُبيرة إلى نَصْر ، فنزل الريّ ، ولم يأت نصراً. وأقام نصر بالريّ يومين ثم مرض ، فكان يُحْمل حَمْلاً؛ حتى إذا كان بساوَة قريباً من هَمَذان مات بها؛ فلما مات دخل أصحابه هَمَذان. وكانت وفاة نصر ـ فيما قيل ـ لمضيّ اثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، وهو ابن خمس وثمانين سنة[1].

وقيل إن نصراً لما شخص من خُوار متوجِّهاً نحو الريّ لم يدخل الريّ ولكنه أخذ المفازة التي بين الرّيّ وهمذَان فمات بها[1].

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن شيوخه. قالوا: ولما مات نصر بن سيّار بعث الحسن خازم بن خزيمة إلى قرية يقال لها سِمْنان ، وأقبل قَحْطبة من جُرْجان ، وقدّم أمامه زياد بن زرارة القشيريّ؛ وكان زياد قد ندم على اتباع أبي مسلم ، فانخزل عن قحطبة ، وأخذ طريق أصبهان يريد أن يأتي عامر بن

---

(١) انظر تعليقنا على خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند فيما بعد.

ضُبارة ، فوجَّه قحطبة المسيّب بن زهير الضبيّ ، فلحقه من غد بعد العصر فقاتله ، فانهزم زياد ، وقتِل عامة من معه ، ورجع المسيَّب بن زهير إلى قحطبة ، ثم سار قَحْطبة إلى قومِس وبها ابنه الحسن ، فقدم خازم من الوجه الذي كان وجهه فيه الحسن ، فقدّم قحطبة ابنه الحسن إلى الريّ. وبلغ حبيب بن بديل النهشليّ ومَنْ معه من أهل الشام مسير الحسن ، فخرجوا من الريّ ودخلها الحسن ، فأقام حتى قدم أبوه.

وكتب قحطبة حين قدم الريّ إلى أبي مسلم يعلمه بنزوله الرّيّ[1].

أمر أبي مسلم مع قحطبة عند نزوله الريّ

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تحوّل أبو مسلم من مَرْو إلى نيسابور فنزلها.

ذكر الخبر عما كان من أمر أبي مسلم هنالك ومن قَحْطبة بعد نزوله الريّ

ولما كتب قحطبة إلى أبي مسلم بنزوله الرّيّ ارتحل أبو مسلم ـ فيما ذكر ـ من مَرْو ، فنزل نيسابور وخندق بها ، ووجَّه قحطبة ابنَه الحسن بعد نزوله الرّيّ بثلاث إلى هَمَذان؛ فذكر عليّ عن شيوخه وغيرهم أنّ الحسن بن قحطبة لما توجه إلى هَمَذان؛ خرج منها مالك بن أدهم ومَن كان بها من أهل الشام وأهل خُراسان إلى نَهاوَنْد ، فدعاهم مالك إلى أرزاقهم ، وقال: من كان له ديوان فليأخذْ رزقه ، فترك قوم كثير دواوينَهم ومضوا ، فأقام مالك ومَن بقيَ معه من أهل الشام وأهل خُراسان ممَّن كان مع نصر ، فسار الحسن من هَمَذان إلى نهاونْد ، فنزل على أربعة فراسخ من المدينة ، وأمدّه قحطبة بأبي الجهْم بن عطيَّة مولى باهلة في سبعمئة ، حتى أطاف بالمدينة وحصرها[1].

---

(١) انظر تعليقنا على خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند فيما بعد.

ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قتِل عامر بن ضبارة.

ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك:

وكان سبب مقتله أنّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضُبارة مضى هارباً نحو خراسان، وسلك إليها طريق كِرْمان، ومضى عامر بن ضُبارة في أثره لطلبه، وورد على يزيد بن عمر مقتلُ نباتة بن حنظلة بجُرجان؛ فذكر عليّ بن محمد أن أبا السريّ وأبا الحسن الجشميّ والحسن بن رشيد وجبلة بن فرّوخ وحفص بن شبيب أخبروه، قالوا: لما قُتل نباتة كتب ابنُ هبيرة إلى عامر بن ضُبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قَحْطبة ـ وكانا بكرْمان ـ فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلوا أصبهان بمدينة جَيّ ـ وكان يقال لعسكر ابن ضُبارة عسكر العساكر ـ فبعث قَحْطبة إليهم مقاتلاً وأبا حفص المهلبيّ وأبا حمّاد المروزيّ مولى بني سُليم وموسى بن عَقِيل وأسلم بن حسان وذؤيب بن الأشعث وكُلثوم بن شبيب ومالك بن طريف والمخارق بن غفار والهيثم بن زياد، وعليهم جميعاً العَكيّ، فسار حتى نزل قمّ. وبلغ ابنَ ضُبارة نزول الحسن بأهل نَهاوَنْد، فأراد أن يأتيَهم مُعيناً لهم، وبلغ الخبر العَكيّ، فبعث إلى قحطبة يعلمه، فوجّه زهير بن محمد إلى قاشان، وخرج العكيّ من قمّ وخلف بها طريف بن غَيْلان، فكتب إليه قحطبة يأمره أن يُقيم حتى يقدم عليه، وأن يرجع إلى قمّ، وأقبل قحطبة من الرّيّ، وبلغه طلائع العسكرين؛ فلما لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم العكيّ ضمّ عسكر العكيّ إلى عسكره، وسار عامر بن ضُبارة إليهم وبينه وبين عسكر قَحْطبة فرسخ، فأقام أياماً، ثم سار قَحْطبة إليهم، فالتقوْا وعلى ميمنة قَحطبة العكيّ ومعه خالد بن بَرْمك، وعلى ميسرته عبد الحميد بن ربعيّ ومعه مالك بن طريف ـ وقحطبة في عشرين ألفاً وابن ضبارة في مئة ألف، وقيل في خمسين ومئة ألف ـ فأمر قَحطبة بمصحف فنُصِب على رُمْح ثم نادى: يا أهل الشام، إنا ندعُوكم إلى ما في هذا المصحف، فشتموه وأفحشوا في القول، فأرسل إليهم قحطبة: احملوا عليهم، فحمل عليهم العكيّ، وتهايج الناس، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهلُ الشام، وقُتِلوا

قتلاً ذريعاً، وحَوَوْا عسكرهم، فأصابوا شيئاً لا يُدرَى عدده من السلاح والمتاع والرقيق، وبعث بالفتح إلى ابنه الحسن مع شُريح بن عبد الله(١).

قال علي: وأخبرنا أبو الذّيال، قال: لقي قحطبة عامر بن ضُبارة؛ ومع ابن ضُبارة ناس من أهل خُراسان؛ منهم صالح بن الحجاج النميريّ وبشر بن بِسطام بن عمران بن الفضل البرجميّ وعبد العزيز بن شماس المازنيّ وابن ضُبارة في خيل ليست معه رَجَّالة، وقحطبة معه خيل ورجَّالة. فرموا الخيل بالنُّشاب، فانهزم ابن ضُبارة حتى دخل عسكره، واتّبعه قحطبة، فترك ابن ضُبارة العسكر، ونادى: إليّ، فانهزم الناس وقتِل(٢).

(١) انظر تعليقنا الآتي.

(٢) هذه مجمل الروايات التي ذكرها الطبري في وفاة نصر بن سيار ودخول الجيوش الزاحفة بقيادة قحطبة وابنه الحسن أصبهان ومن عادة المدائني هنا أن يروي الخبر بإسناد جمعي فهو يدمج متون شيوخه ويذكر أسماءهم ثم يذكر متونهم بلا فصل بين متن وآخر ولقد دأبنا أن نذكر هذه الروايات بهذا الإسناد الجمعي في قسم الصحيح بشرط خلوها من نكارة واضحة وبشرط وجود ما يقويها من رواية خليفة وذكرنا هذه الروايات في قسم الصحيح لا يعني أننا نجزم بصحة هذه التفاصيل وإنما ذكرناها لأنها تتأيد في مفاصلها ومقاطعها الرئيسة بمرويات خليفة كما سنذكر:
قال خليفة: سنة إحدى وثلاثين ومئة: فيها توجه قحطبة بن شبيب من جرجان بعد مقتل نباتة فبلغ ابن هبيرة فحدر عامر بن ضبارة إلى اصطخر ووجه ابنه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة فسار داود وعامر من إصطخر إلى أصبهان وبعث ابن هبيرة مالك بن أدهم الباهلي في خيل عظيمة والمصعب بن صحصح الأسدي وغطيفاً السلمي متساندين فنزل بعضهم ماه وبعضهم همذان فوجه قحطبة ابنه الحسن إلى تلك الجيوش فبلغهم مسير الحسن فانضموا إلى نهاوند ونزل بهم الحسن فحاصرهم [تأريخ خليفة/ ٤١٨] ثم أخرج خليفة:
وخلاصة ما اتفقت عليه روايات خليفة والطبري والتي ذكرناها في قسم الصحيح أن قحطبة لاحق نصراً الذي توجه إلى قومس ومن قومس إلى الري ومن الري متوجهاً إلى همدان حيث توفي قريباً من همدان وفي هذه الأثناء وجّه ابن هبيرة ابنه داود مع عامر بن ضبارة لصدّ قحطبة وابنه الحسن مع جيشهما الزاحف فوقعت معركة شرسة قرب أصبهان التي توجه إليها الحسن وانتهت بهزيمة داود وابن ضبارة ومقتل ابن ضبارة ثم تجمعت فلول المنهزمين في نهاوند حيث بدأ الحصار الذي دام أشهراً كما سنذكر وكان لموت نصر بن سيار أثراً واضحاً في تقدم الجيوش الزاحفة من خراسان كما قال ابن كثير [فلما مات نصر بن سيار تمكن أبو مسلم الخراساني وأصحابه من بلاد خراسان وقويت شوكتهم جداً] البداية والنهاية: (٨/ ٢٩).

ذكر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها

وفي هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمنْ كان لجأ إليها من جنود مروان بن محمد. وقيل: كانت الوقعة بجابَلْق من أرض أصبَهان يوم السبت لسبع بقين من رجب.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة:

ذكر عليّ بن محمد أن الحسن بن رشيد وزهير بن الهنيد أخبراه أن ابن ضُبارة لما قتِل كتب بذلك قحطبة إلى ابنه الحسن، فلما أتاه الكتاب كبّر وكبّر جنده، ونادوا بقتله، فقال عاصم بن عمير السُّغديّ: ما صاح هؤلاء بقتل ابن ضُبارة إلا وهو حقّ، فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة وأصحابه؛ فإنكم لا تقومون لهم، فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدده. فقالت الرّجالة: تخرجون وأنتم فرسان على خيول فتذهبون وتتركوننا! فقال لهم مالك بن أدهم الباهليّ: كتب إليّ ابن هبيرة ولا أبرح حتى يقدم عليّ. فأقاموا وأقام قحطبة بأصبهان عشرين يوماً، ثم سار حتى قدم على الحسن نهاوَنْد فحصرهم أشهراً، ثم دعاهم إلى الأمان فأبوْا، فوضع عليهم المجانيق، فلما رأى ذلك مالك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشام ـ وأهلُ خراسان لا يعلمون ـ فأعطاه الأمان فوفَى له قَحْطبة، ولم يقتل منهم أحداً، وقتل من كان بنَهاوند من أهل خراسان، إلا الحكَم بن ثابت بن أبي مسعر الحنفيّ، وقتل من أهل خراسان أبا كامل وحاتم بن الحارث بن شُريح وابن نصر بن سيّار وعاصم بن عمير وعليّ بن عقيل وبَيْهس بن بديل من بني سليم؛ من أهل الجزيرة، ورجلاً من قريش يقال له البختريّ، من أولاد عمر بن الخطاب ـ وزعموا أن آل الخطاب لا يعرفونه ـ وقَطَن بن حرب الهلاليّ (١).

قال عليّ: وحدّثنا يحيى بن الحكم الهمْدانيّ، قال: حدّثني مولى لنا قال: لمّا صالح مالك بن أدهم قَحْطبة قال بيهس بن بديل: إنّ ابنَ أدهم لمصالح علينا؛ والله لأفتكنّ به؛ فوجد أهل خُراسان أن قد فتح لهم الأبواب، ودخلوا وأدخل

---

(١) انظر تعليقنا في نهاية الرواية (٤٠٨).

قَحْطبة من كان معه من أهل خراسان حائطاً(١).

وقال غير عليّ: أرسل قَحْطبة إلى أهل خُراسان الذين في مدينة نَهاوند يَدْعوهم إلى الخروج إليه، وأعطاهم الأمان، فأبوْا ذلك. ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك فقبلوا، ودخلوا في الأمان بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر: شعبان ورمضان وشوّال، وبعث أهل الشام إلى قَحْطبة يسألونه أن يشغل أهل المدينة حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون، ففعل ذلك قَحْطبة، وشغل أهل المدينة بالقتال، ففتح أهل الشام البابَ الذي كانوا عليه؛ فلما رأى أهلُ خراسان الذين في المدينة خروجَ أهل الشام، سألوهم عن خروجهم، فقالوا: أخذنا الأمان لنا ولكم، فخرج رؤساء أهلِ خراسان، فدفع قحطبة كلَّ رجل منهم إلى رجُل من قوّاد أهل خراسان، ثم أمر مناديه فنادى: مَن كان في يده أسير ممّن خرج إلينا من أهل المدينة فليضرب عنقه، وليأتنا برأسه، ففعلوا ذلك، فلم يبق أحدٌ ممن كان قد هرب من أبي مسلم وصاروا إلى الحصن إلاّ قتل، ما خلا أهل الشام فإنه خلَّى سبيلَهم، وأخذ عليهم ألا يمالئوا عليه عدوّاً(٢).

---

(١) انظر تعليقنا في نهاية الرواية الثانية.

(٢) قبل أن نعلق على هذه المتون نودّ أن نذكر روايات خليفة بن خياط في هذه الواقعة فقد أخرج عن بيهس بن حبيب الرام (الذي عاصر هذه الأحداث وكان في جيش ابن هبيرة في مواجهة قحطبة (١٣١ هـ) قال بيهس بن حبيب: كتب ابن هبيرة إلى مروان يخبره بقتل ابن ضبارة فوجه إليه الحوثرة بن سهيل الباهلي من بني فراس في عشرة آلاف من قيس خاصة فاجتمعت الجيوش بنهاوند وكتب ابن هبيرة بعهد مالك بن أدهم عليها قال بيهس فحاصر قحطبة أهل نهاوند نحواً من أربعة أشهر [خليفة/ ٤١٩] قال عمرو بن عبيدة عن قزعة قال: جمرنا بها حتى أكلنا دوابنا وأصابنا جوع وجهد شديد [خليفة/ ٤٢٠].

قال بيهس: ثم صالح مالك بن أدهم قحطبة وفتحت المدينة في شوال سنة إحدى وثلاثين ومئة فقتل قحطبة أهل خراسان الذين هربوا مع نصر بن سيار وقال إني لم أصالح على أهل خراسان إنما صالحت على أهل الشام وادّعى مالك أنه صالح على أهل الشام وأهل خراسان، [خليفة/ ٤٢٠] قال أبو الذيال: أمّن أهل الشام غير رجلين من قريش [٤٢٠] قال قزعة: أقام قحطبة رجالاً على أبواب المدينة فلم يدع أحداً له نباهة من أهل خراسان إلاّ قتله وأخذ بني نصر بن سيار فقتلهم [خليفة/ ٤٢٠].

وتتفق روايات الطبري وخليفة حول محاصرة قحطبة لنهاوند عدة أشهر اصطلح بعدها مالك بن أدهم مع قحطبة على أن يُعطى الأمان لأهل الشام فكان لهم ذلك وفتحت الأبواب =

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن شيوخه الذين ذكرت: ولما أدخل قحطبة الذين كانوا بنَهاوند من أهل خُراسان ومن أهل الشام الحائط ، قال لهم عاصم بن عمي: ويلكم! ألا تدخلون الحائط! وخرج عاصم فلبس درعَه ، ولبس سواداً كان معه ، فلقيه شاكريّ كان له بخراسان فعرَفه ، فقال: أبو الأسود؟ قال: نعم ، فأدخله في سَرَب ، وقال لغلام له: احتفظ به ولا تطلعنّ على مكانه أحداً ، وأمَر قحطبة: مَن كان عنده أسيراً فليأتنا به. فقال الغلام الذي كان وُكِلَ بعاصم: إن عندي أسيراً أخاف أن أغلَب عليه ، فسمعه رجلٌ من أهل اليمن ، فقال: أرنيه ، فأراه إياه فعرفه ، فأتى قحطبة فأخبره ، وقال: رأس من رؤوس الجبابرة ، فأرسل إليه فقتله ، ووفَّى لأهل الشام فلم يقتل منهم أحداً[(١)].

ذكر خبر مسير قحطبة إلى ابن هبيرة بالعراق

وفي هذه السنة سار قَحْطبة نحو ابن هبيرة؛ ذكر عليّ بن محمد أن أبا الحسن أخبره وزهير بن هُنيد وإسماعيل بن أبي إسماعيل وجبلة بن فرّوخ ، قالوا: لما قدم على ابن هبيرة ابنه منهزماً من حُلوان ، خرج يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقاتل قحطبة في عدد كثير لا يُحصى مع حوثرة بن سهيل الباهليّ ، وكان مروان أمدّ ابنَ هبيرة به ، وجعل على الساقة زياد بن سهل الغَطَفانيّ ، فسار يزيد بن عمر بن هُبيرة ، حتى نزل جَلُولاء الوقيعة وخندق ، فاحتفر الخندق الذي كانت العجم احتفرتْه أيام وَقْعة جلولاء؛ وأقبل قحطبة حتى نزل قرماسين ، ثم سار إلى حُلوان ، ثم تقدّم من حُلوان ، فنزل خانقين ، فارتحل قحطبة من خانقين ، وارتحل ابن هبيرة راجعاً إلى الدّسْكرة[(٢)].

= إلا أن جيش خراسان الذي انهزم من قبل ودخل نهاوند لم ينجُ من القتل فقتل شجعانهم أو على الأقل رؤساءهم.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) لقد وضعنا هذه الروايات التي رواها المدائني الأخباري الصدوق عن شيوخه وخاصة إذا كان فيهم رجل ثقة أو صدوق كما هاهنا [زهير بن هنيد] شريطة خلو المتن من نكارة وتأييدها من قبل خليفة في تأريخه وهو الحال هاهنا وقد أخرج خليفة هذا الخبر (مسير قحطبة إلى ابن هبيرة بالعراق] ضمن أحداث سنة (١٣١ هـ) فقال نقلاً عن بيهس بن حبيب الرام (شاهد =

وفي هذه السنة حجّ بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعديّ؛ سعد هوازن، وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد بن عطية الذي قتل أبا حمزة الخارجيّ. وكان والي المدينة من قبَل عمه، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقديّ وغيره(١).

وكان عامل مكة والمدينة والطائف في هذه السنة الوليد بن عروة السعديّ من قبَل عمه عبد الملك بن محمد، وعامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة.

وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربيّ، وعلى قضاء البصرة عبّاد ابن منصور الناجيّ(٢).

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومئة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب

فممّا كان فيها هلاك قحطبة بن شبيب.

ذكر الخبر عن مهلكه وسبب ذلك:

فكان السبب في ذلك أنّ قحطبة لما نزل خانقين مقبلاً إلى ابن هبيرة، وابن هُبيرة بجَلولاء، ارتحل ابن هُبيرة من جَلولاء إلى الدّسْكرة، فبعث ـ فيما ذُكر ـ قحطبة ابنه الحسن طليعةً ليعلم له خبرَ ابن هبيرة، وكان ابن هبيرة راجعاً إلى

= عيان): قال بيهس بن حبيب لما فرغ قحطبة من نهاوند أقبل يريد ابن هبيرة ونهض ابن هبيرة على مقدمته عبيد الله بن العباس الليثي حتى نزل براز الروز بين حلوان والمدائن قال بيهس وانتهى إلينا حوثرة بن سهيل على نهر يقال له تامرا وانضم إلينا من كان من أصحاب عامر بن ضبارة ومن خرج من نهاوند فاجتمعا في ثلاثة وخمسين ألفاً ممن يرتزق وسار الحسن بن قحطبة على مقدمة أبيه فنزل حلوان وأتاه أبوه فاجتمع القوم جميعاً وتوجه ابن هبيرة فنزل جلولاء الوقيعة ونزل قحطبة خانقين بين العسكرين أربعة فراسخ وذلك في آخر ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين ومئة فجعلت طلائعنا وطلائعهم تلتقي أياماً لا تبرح ولا يبرحون [خليفة/ ٤٢١].

(١) قال خليفة وأقام الحج الوليد بن عروة بن محمد بن عطية [خليفة/ ٤٢١].

(٢) انظر قوائم الولاة في نهاية عهد مروان.

خندقه بجلولاء ، فوجد الحسن بنَ هبيرة في خندقه ، فرجع إلى أبيه فأخبره بمكان ابن هُبيرة؛ فذكر عليّ بن محمد ، عن زهير بن هنيد وجبلة بن فرُّوخ وإسماعيل بن أبي إسماعيل والحسن بن رشيد ، أنّ قحطبة ، قال لأصحابه لما رجع ابنه الحسن إليه وأخبره بما أخبره به من أمر ابن هبيرة: هل تعلمون طريقاً يخرجنا إلى الكوفة ، لا نمرّ بابنِ هُبيرة؟ فقال خلف بن المورّع الهمَذانيّ ، أحد بني تميم: نعم ، أنا أدلّك ، فعبر به تامراً من رُوستُقْباذ ، ولزم الجادّة حتى نزل بُزُرْج سابور ، وأتى عَكْبراء ، فعبر دِجْلة إلى أوانا[1].

قال عليّ: وحدّثنا إبراهيم بن يَزيد الخراسانيّ ، قال: نزل قحطبة بخانِقِين وابن هبيرة بجَلُولاء؛ بينهما خمسة فراسخ ، وأرسل طلائعه إلى ابنِ هبيرة ليعلم علمه ، فرجعوا إليه ، فأعلموه أنه مقيم ، فبعث قَحْطبة خازمَ بن خزيمة ، وأمره أن يعبر دِجْلة ، فعبَر وسار بين دجلة ودُجَيْل؛ حتى نزل كوثبا؛ ثم كتب إليه قحطبة يأمره بالمسير إلى الأنبار ، وأن يُحْدر إليه ما فيها من السفن وما قدَر عليه يعبرها ، ويوافيه بها بدمِمّا ، ففعل ذلك خازم ، ووافاه قحطبة بدِممّا ، ثم عبر قحطبة الفُرات في المحرّم من سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

ووجه الأثقال في البرية ، وصارت الفرسان معه على شاطىء الفرات وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلُّوجة العليا ، على رأس ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة ، وقد اجتمع إليه فَلُّ ابن ضُبارة ، وأمدّه مَرْوان بحوثرة بن سهيل الباهليّ في عشرين ألفاً من أهل الشام[2].

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبي مخنف أنّ قحطبة انتهى إلى موضع مخاضة ذكِرَت له ، وذلك عند غروب الشمس ليلة الأربعاء؛ لثمان خلوْن من المحرّم سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، فلما انتهى قحطبة إلى المخاضة اقتحَم في عِدّة مِن أصحابه ، حتى حمل على ابن هبيرة ، وولى أصحابُه منهزمين؛ ثم نزلوا فم النيل ، ومضى حوثرة حتى نزل قصْرَ ابن هبيرة ، وأصبح أهل خراسان وقد فقدوا أميرهم ، فألقوا بأيديهم ، وعلى الناس الحسن بن قحطبة[1].

---

(١) بعض هذا المتن مكرر وانظر تعليقنا في نهاية هذه الروايات.

(٢) انظر تعليقنا لاحقاً.

قال عليّ: أخبرنا خالد بن الأصفح وأبو الذيّال، قالوا: وُجِد قحطبة فدفنه أبو الجهم، فقال رجل من عُرض الناس: من كان عنده عَهْد من قحطبة فليخبرنا به، فقال مقاتل بن مالك العَكيّ: سمعت قحطبة يقول: إن حدَث بي حدث فالحسن أمير الناس، فبايع الناس حُميداً للحسن، وأرسلوا إلى الحسن، فلحقه الرسول دون قرية شاهي، فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة، وبايعوه، فقال الحسن: إن كان قحطبة مات فأنا ابن قحطبة. وقتل في هذه الليلة ابن نَبْهان السدوسيّ وحرب بن سلم بن أحوز وعيسى بن إياس العدويّ ورجل من الأساورة، يقال له مصعب، وادّعى قتل قحطبة معن بن زائدة ويحيى بن حُضين(١).

قال عليّ: قال أبو الذيّال: وجدوا قحطبة قتيلاً في جدول وحرب بن سلم بن أحوز قتيل إلى جَنْبه، فظنوا أن كلّ واحد منهما قتل صاحبه(٢).

---

(١) انظر تعليقنا الآتي.

(٢) هذه مجمل روايات الطبري حول مسار قحطبة إلى العراق والتقائه بجيش والي العراق ابن هبيرة ونشوب المعركة المعروفة في الثامن من محرم سنة ١٣٢ هـ بالقرب من نهر الفرات ومقتل قحطبة بن شبيب وهزيمة جيش ابن هبيرة وتفرّقه ـ ولقد تحدثنا عن الأسانيد في مقدمة عهد مروان بن محمد ـ فلينظر.

وأما عن روايات خليفة التي تؤيد ما ذكره الطبري في النقاط الرئيسة وقد سبق أن ذكرنا رواية خليفة في مسار قحطبة نحو حلوان ثم العراق وصولاً إلى خانقين بالقرب من جلولاء حيث عسكر ابن هبيرة.

ثم ذكر خليفة تتمة الحدث ضمن وقائع سنة ١٣٢ هـ فقال: سنة اثنين وثلاثين ومئة: خبر القضاء على ابن هبيرة بواسط: فيها لقي قحطبة بن شبيب يزيدَ بن عمر بن هبيرة فحدثني محمد بن معاوية عن بيهس بن حبيب قال بلغ ابن هبيرة أن قحطبة خرج متوجهاً نحو الموصل فقال ابن هبيرة لأصحابه ما بال القوم تنكبونا؟ قالوا: يريدون الكوفة فنادى ابن هبيرة بالرحيل ولم يحل عقدة حتى بلغ براز الروز من خندقنا على ستة فراسخ وتركنا أعلافنا وأطعمتنا وجاء قحطبة فنزل خندقنا ونزلنا وصرنا في العراء فأقام نحواً من عشرين يوماً حتى أسمن وأجم ثم سار معارضاً لمهب الشمال حتى قطع دجلة من باحمشا وذلك في الصيف والبسر قد احمر وقلت المياه فأخاض فأقبل وأقبلنا جميعاً نريد الكوفة حتى انتهينا جميعاً إلى الفرات فنزل الفلاة ونزلنا على مسناة الفرات من أرض الفلوجة العليا وذلك يوم الثلاثاء لثمان خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومئة ثم عبر قحطبة الفرات وعبر معه نحو من سبعمئة وتتام إلينا نحو ذلك وجاء ابن هبيرة ولا يشعر به فصاروا على المسناة ونحن تحتهم فطاعناهم فأزالونا ـ

ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوّداً

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة خرج محمد بن خالد بالكوفة، وسوّد قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة، وخرج عنها عامل ابن هبيرة، ثم دخلها الحسن.

ذكر الخبر عمّا كان من أمر من ذكرت:

ذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: خرج محمّد بن خالد بالكوفة في ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثيّ، وعلى شُرَطه عبد الرحمن بن بشير العجليّ؛ وسوّد محمد وسار إلى القَصْر، فارتحل زياد بن صالح

= عن مكاننا نحواً من مئتي ذراع ثم رجعنا عليهم فهزمناهم حتى أتوا المسناة وأصابت قحطبة طعنة في وجهه فوقع في الفرات فهلك ولا نعلم به ولا يعلمون... قال بيهس لم نزل ندافعهم ويدافعوننا حتى سقط القمر وذلك لثمان خلون من المحرم ثم مضينا لا ندري أين نسكع حتى أدركنا الناس بسوراء فقطعنا مخاضة سوراء فغرق ناس كثير وذهبت أثقال كثيرة واجتمع الناس بعدما قطعنا فنادى منادٍ من أراد الشام فهلم فذهب معه عنق من الناس ولا نعرفه ونادى آخر من أراد الجزيرة ونادى آخر من أراد الكوفة كل واحد يذهب معه عنق من الناس فقلت من أراد واسطاً فهلم فأصبحنا بقناطر السيب وأقبل ابن هبيرة فنزلنا جميعاً فم النيل وأقبل حوثرة بن سهيل ولم يكن دخل الكوفة حتى وافانا بفم النيل ثم ارتحلنا حتى دخلنا واسط يوم الجمعة يوم عاشوراء وأصبح السودان وفقدوا أميرهم فالتمسوه فأخرجوه وفيه طعنة في جبهته فدفنوه يوم الأربعاء وولوا عليهم الحسن بن قحطبة وتوجهوا إلى الكوفة وهرب زياد وكاتب لابن هبيرة يقال له عاصم بن أبي عاصم من موالي أبي سفيان بن حرب ووجه أبو سلمة الحسن بن قحطبة ومعه خازم بن خزيمة إلى واسط قال بيهس جاءنا الحسن بن قحطبة في آخر المحرم سنة اثنين وثلاثين ومئة فنزل الماحوز ثم أتانا في صفر لا يريد قتالاً إنما يريد أن يرتاد منزلاً وجاء بالفعلة ليخندق فقال الناس لابن هبيرة خلّ عنا نقاتل القوم فأبىٰ فما زالوا حتى قال يا مسلم افتح الأبواب واستعمل ابنه داود ومحمد بن نباتة ومعن بن زائدة في القلب مما يلي الحسن بن قحطبة وخرج حوثرة بن سهيل مما يلي خازم بن خزيمة وذلك يوم الأربعاء فاقتتلنا فهزمنا وقتل منا حكيم بن المسيب من جديلة قيس وقتل يزيد بن قحطبة فلما أمسوا رجعوا وأصبحنا فدفنا قتلانا الذين على الخندق [تأريخ خليفة/ ٤٢٢ ـ ٤٢٤] هذه الرواية المطولة رواها خليفة (الصدوق) عن شيخه محمد بن معاوية (ثقة) عن شاهد عيان شارك في المعركة (بيهس) وأخرج خليفة رواية أخرى عن شيخه الصدوق كذلك (أبي الذيال) قال: قتل قحطبة وانهزم أصحاب ابن هبيرة حتى أتوا فم النيل [تأريخ خليفة/ ٤٢٣]. =

وعبد الرحمن بن بشير العِجْليّ ومَنْ معهم من أهل الشام ، وخلّوا القصر ، فدخله محمد بن خالد ، فلما أصبح يوم الجمعة ـ وذلك صبيحة اليوم الثاني من مهلك قحطبة ـ بلغه نزولُ حوثرة ومَنْ معه مدينة ابن هبيرة ، وأنه تهيّأ للمسير إلى محمد ، فتفرّق عن محمد عامة مَن معه حيث بلغهم نزول حَوْثرة مدينة ابن هبيرة ، ومسيره إلى محمد لقتاله؛ إلاّ فرساناً من فرسان أهل اليمن ، ممن كان هرب من مَرْوان ومواليه. وأرسل إليه أبو سلمة الخلال ـ ولم يظهر بعد ـ يأمره بالخروج من القصر واللحاق بأسفل الفرات؛ فإنه يخاف عليه لقلة مَن معه وكثرة مَن مع حوثرة ـ ولم يبلغ أحداً من الفريقين هلاكُ قحطبة ـ فأبى محمد بن خالد أن يفعلَ حتى تعالى النهار ، فتهيّأ حوثرة للمسير إلى محمد بن خالد؛ حيث بلغه قلّة مَن معه وخذلان العامة له ، فبينا محمد في القصر إذْ اتاه بعض طلائعه ، فقال له: خيلٌ قد جاءت من أهل الشام ، فوجّه إليهم عدّة من مواليه ، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد؛ إذ طلعت الرّايات لأهل الشام ، فتهيَّؤوا لقتالهم ، فنادى الشاميون: نحن بجَيلة ، وفينا مليح بن خالد البَجليّ ، جئنا لندخلِ في طاعة الأمير. فدخلوا ، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بَحْدل ، فلما رأى ذلك حوثرة من صنيع أصحابه ، ارتحل نحو واسط بمن معه ، وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قحطبة وهو لا يعلم بهلكه ، يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة وعجل به مع فارس؛ فقدم على الحسن بن قحطبة ، فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس، ثم ارتحل نحو الكوفة، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة والسبت والأحد وصبّحه الحسن يوم الإثنين ، فأتوا أبا سلمة وهو في بني سلَمة فاستخرجوه ، فعسكر بالنُّخيلة يومين ، ثم ارتحل إلى حمّام أعين ، ووجّه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هُبيرة[1].

وأما عليّ بن محمد ، فإنه ذكر أن عمارة مولى جبرائيل بن يحيى أخبره ، قال: بايع أهلُ خراسان الحسن بعد قحطبة ، فأقبل إلى الكوفة ، وعليها يومئذ عبد الرحمن بن بشير العِجليّ ، فأتاه رجل من بني ضَبّة ، فقال: إن الحسن داخل اليوم أو غداً؛ قال: كأنك جئت تُرهبني! وضربه ثلثمئة سوط. ثم هرب فسوّد محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ ، فخرج في أحد عشر رجلاً ، ودعا الناس إلى

---

(١) انظر تعليقنا على الخبر الآتي.

البيعة ، وضبط الكوفة ، فدخل الحسن من الغد ، فكانوا يسألون في الطريق : أين منزل أبي سلمة ، وزير آل محمد؟ فدلُّوهم عليه ، فجاؤوا حتى وقفوا على بابِه ، فخرج إليهم ، فقدّموا له دابة من دوابّ قحطبة فركبها ، وجاء حتى وقف في جبّانة السَّبِيع ، وبايع أهل خراسان ، فمكث أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السَّبِيع ـ يقال له وزير آل محمد ـ واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ على الكوفة ـ وكان يقال له الأمير ـ حتى ظهر أبو العباس[(١)] .

وقال عليّ : أخبرنا جبلة بن فرّوخ وأبو صالح المروزيّ وعُمارة مولى جبرائيل وأبو السريّ وغيرهم ممّن قد أدرك أوّلَ دعوة بني العباس ، قالوا : ثم وجّه الحسنَ بن قحطبة إلى ابن هبيرة بواسط ، وضمّ إليه قُوّاداً ، منهم خازم بن خزيمة ومقاتل بن حكيم العكيّ وخفّاف بن منصور وسعيد بن عمرو وزياد بن مشكان والفَضْل بن سليمان وعبد الكريم بن مسلم وعثمان بن نَهِيك وزهير بن محمد والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزيّ وغيرهم ، ستة عشر قائداً وعلى جميعهم الحسن بن قحطبة. ووجّه حُميد بن قحطبة إلى المدائن في قوّاد؛ منهم عبد الرحمن بن نعيم ومسعود بن علاج؛ كلّ قائد في أصحابه. وبعث المسيّب بن زُهير وخالد بن بَرْمك إلى دَيْرقُنَّى ، وبعث المهلبيّ وشَراحيل في أربعمئة إلى عَيْن التْمر ، وبسَّام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز ، وبها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة. فلما أتى بسام الأهواز خرج عبد الواحد إلى البَصْرة ، وكتب مع حفص بن السَّبِيع إلى سفيان بن معاوية بعهدِه على البصرة ، فقال له الحارث أبو غسان الحارثيّ وكان يتكهّن وهو أحد بني الدّيان : لا ينفذُ هذا العهد. فقدم الكتاب على سفيان ، فقاتله سَلْم بن قتيبة ، وبطل عهد سفيان. وخرج أبو سلمة فعسكر عند حمّام أعيَن ، على نحو من ثلاثة فراسخ من الكوفة ، فأقام محمد بن خالد بن عبد الله بالكُوفة[(٢)] .

---

(١) انظر تعليقنا على الخبر الآتي.

(٢) هذه روايات ثلاث في خروج محمد بن خالد بن عبد الله القسري مسوّداً بالكوفة مستغلاً بذلك دخول الجيش العباسي المدينة وظهور أول خليفة عباسي من مخبئه ليبايعه الناس علناً وهذه هي المرة الأولى التي ذكرنا فيها خبراً انفرد به الطبري دون خليفة بن خياط ولم نذكر الخبر هنا لنجزم بصحة كل هذه التفاصيل وإنما لنبيّن أن هذه الروايات (وبهذه الأسانيد الضعيفة)=

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بويع لأبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر؛ كذلك حدّثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال هشام بن محمد وأما الواقديّ فإنه قال: بويع لأبي العباس بالمدينة بالخلافة في جمادى الأولى في سنة ثنتين وثلاثين ومئة.

قال الواقديّ: وقال لي أبو معشر: في شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلاثين ومئة؛ وهو الثَّبت[1].

= تتفق على أمر واحد: خروج محمد بن خالد بن عبد القسري مسوداً بالكوفة فأزاح بذلك عقبة كبرى أما الحركة الجديدة وجنّب بذلك الجيوش الزاحفة معركة دامية في الكوفة وحولها.

وأما فيما يتعلق بسفيان بن معاوية وقتاله ضد مسلم بن قتيبة والي البصرة من قبل ابن هبيرة فالذي ذكره خليفة أن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب سوّد بالبصرة (أي رفع السواد عمامة أو راية كناية عن شعار بني العباس) ودعا إلى بيعة بني هاشم فأرسل إليه سالم بن قتيبة وهو وال لابن هبيرة على البصرة يسأل أن يكف حتى ينظر ما يصنع ابن هبيرة [تأريخ خليفة/ ٤٢٦] ثم أخرج خليفة عن أبي عبيدة وأبي اليقظان وغيرهما أن أعياناً من الناس سفروا بينهما فقبل الموادعة واصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يقيم سالم في دار الإمارة وسفيان في الأزد حتى ينظروا ما يفعل ابن هبيرة فبلغ ذلك أبا سلمة الخلال فكتب إلى بلج بن المثنى بن مخرمة العبدي إن قاتل سفيان سالماً وإلا فأنت الأمير فأجمع سفيان على القتال وسار إلى سالم وقدّم ابنه معاوية فقتل معاوية وانهزم سفيان [تأريخ خليفة/ ٤٢٧].

(١) لقد ذكر الطبري أن بيعة أبي العباس (الخليفة العباسي الأول) كانت في شهر ربيع الآخر من سنة ١٣٢ هـ وذكر هذا الرأي عن أبي معشر وهشام بن محمد الكلبي بينما ذكر عن الواقدي أنه اختلف معهم في الشهر فقال ربيع الأول بدلاً من الآخر.

وأما خليفة فقد قال عن هذه البيعة أنها كانت ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومئة بالكوفة في بني أود في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم فركب حين أصبح فصلى بالناس يوم الجمعة وبويع ذلك اليوم بيعة العامة [تأريخ خليفة/ ٤٢٤] ولقد أخرج الخطيب بسنده الموصول إلى عمر بن حفص السدوسي حدثنا محمد بن يزيد قال: واستخلف أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم سنة اثنين وثلاثين ومئة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول [تأريخ بغداد/ ١٠/ ٤٧].

وأخرج عن محمد بن أحمد بن البراء قال: أبو العباس المرتضى والقائم... إلخ ولد بالشراة=

= وبويع بالكوفة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومئة [تأريخ بغداد/ ١٠/ ٤٠٧].
أما ابن كثير فقد قال: وفي هذه السنة (١٣٢) ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر منها أخذت البيعة [البداية والنهاية/ ٨/ ٣٢].
وأخيراً فلا اختلاف بين المؤرخين في أن الخليفة العباسي الأول (أبا العباس) قد بويع بالخلافة يوم الجمعة سنة (١٣٢ هـ) في الكوفة ولكنهم اختلفوا في الشهر وهو اختلاف يسير فبعضهم قال من شهر ربيع الأول والآخرون قالوا من ربيع الثاني والله أعلم.
لقد بيّنّا فيما مضى أننا نستشهد بما ذكره خليفة من أسماء الولاة والعمال تأييداً لما ذكره الطبري وهما مصدران موثوقان لهذه التقاسيم الإدارية وقوائم الولاة.
قال خليفة: تسمية عمال مروان بن محمد:
البصرة: كانت فتنة حتى قدم ابن هبيرة في سنة تسع وعشرين ومئة فكتب إلى المسور بن عباد بن حصين يأمره أن يصلي بالناس، فنزل دار الإمارة، فمنعته بنو سعد، واصطلح الناس على عباد بن منصور وهو قاضٍ فصلّى بالناس، «ويقال طلب ابن هبيرة إلى عبد الله بن ...، فصلّى بالناس» حتى قدم سلم بن قتيبة بن عمرو الباهلي والياً على البصرة من قبل ابن هبيرة، فسوَّد سفيان بن معاوية وحارب سلماً فظهر سلم عليه ثم خرج سلم من البصرة حين سلم ابن هبيرة واستخلف على البصرة محمد بن جعفر الهاشمي من بني نوفل؛ ثم بعث أبو العباس أسد بن عبد الله بن مالك الخزاعي فصلّى بالناس جمعة، ثم ولى أبا سلمة سفيان بن معاوية.
الكوفة: ولاّها الضحاك بن قيس ملحان الشيباني فقتل، فولّى سعداً الخصيّ، وإنما سمي الخصي لأنه لم تكن له لحية، وهو رجل من الأزد، ثم عزله وولّى المثنى بن عمران العائذي من قريش حتى صالح ابن عمر الضحاك فانصرف الضحاك إلى مروان فولّى ابن عمر الكوفة عمر بن عبد الحميد، ثم عزله وولّى اسماعيل بن عبد الله، ثم عزله وولّى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن بشير الأنصاري، ثم قدم ابن هبيرة فولّى الكوفة زياد بن صالح الحارثي، فلم يزل عليها حتى أقبل قحطبة فسوَّد محمد بن خالد بن عبد الله القسري وأخرج زياد بن صالح ودعا إلى بني هاشم، فبعث ابن هبيرة حوثرة بن سهيل الباهلي فلم يصل إلى الكوفة ورجع إلى ابن هبيرة، ودخل الحسن بن قحطبة الكوفة فسلَّم إلى أبي سلمة الخلال، فأقرَّ أبو سلمة محمد بن خالد بن عبد الله، ثم ظهر أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي.
خراسان: لم يزل نصر بن سيار عليها حتى نفاه عنها أبو مسلم.
سجستان: غلب عليها بجير بن السلهب حتى قدم ابن هبيرة، فولّى عامر بن ضبارة المري، فوجه أبو مسلم مالك بن الهيثم من أهل خراسان، ثم بعث عمر بن العباس بن عمير بن=

= عطارد بن حاجب بن زرارة ثم بعث إسماعيل بن عمران.
السند: غلب عليها منصور بن جمهور، فقتل مروان وهو بها.
البحرين: قتل الوليد وعليها بشر بن سلام العبدي، فلم يزل حتى قدم ابن هبيرة، فأقرّه عليها حتى قتل مروان.
اليمامة: غلب عليها البهيّ رجل من بني حنفية، فمات فولّى عبد الله بن النعمان الحنفي، فلم يزل عليها حتى بويع أبو العباس.
المدينة: أقرّ مروان عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ثم عزله سنة تسع وعشرين ومئة، وولّى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، ثم انحاز من أبي حمزة ودخل أبو حمزة المدينة فوجه مروان عبد الملك بن محمد بن عطية بن سعد بن بكر، فقتل أبا حمزة وضمَّ إليه مكة، ثم خرج عبد الملك إلى اليمن واستخلف الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، ثم ولّاها مروان بن يوسف بن عروة بن محمد بن عطية حتى جاءت بيعة أبي العباس.
مكة: أقرّ عليها عبد العزيز بن عمر مع ولاية المدينة، ثم ولّاها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فانحاز عن أبي حمزة الخارجي وأقام بها أبو حمزة الخارجي، ثم خرج يريد المدينة فاستخلف أبرهة بن الصباح ثم رجع أبو حمزة فقتله عبد الملك بن محمد بن عطية، ثم خرج إلى الطائف وولّى رومي بن ماعز الكلابي ثم عزله وولّى محمد بن عبد الملك، ثم قتل عبد الملك بن محمد ببعض بلاد اليمن، فولى مروان يوسف بن عروة بن محمد، فلم يزل والياً حتى جاءت بيعة أبي العباس.
إفريقية: غلب عليها عبد الرحمن بن حبيب الفهري حتى قتل سنة ثمان وثلاثين ومئة.
اليمن: لما وقعت الفتنة وثب عبد الله بن يحيى. فأخرج الضحاك بن زمل عنها، فوجه مروان عبد الملك بن محمد فقتل عبد الله بن يحيى، ثم انحدر يريد مكة فقتل ببعض البلاد غيلة فولاها مروان يوسف بن عروة مع ولاية مكة والمدينة، فبعث إلى اليمن أخاه الوليد بن عروة، فلم يزل والياً حتى جاءت بيعة أبي العباس.
أرمينية: قفل مروان من أرمينية عند قتل الوليد، واستخلف عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي، فبعث الضحاك بن قيس مسافر بن القصاب، فقتل عاصم بن عبد الله، وبلغ الخبر مروان فولّى عبد الله بن مسلم فمات، فولّى إسحاق بن مسلم فخرج إسحاق واختار أهل برذعة مسافر بن بجير حتى قام أبو العباس.
[تأريخ خليفة/ ٤٢٩ ـ ٤٣٢].
انتهى بعونه تعالى تأريخ الخلافة في عهد الأمويين قسم الصحيح ويليه فصل في تقييم معطيات تلك الفترة [٤١ ـ ١٣٢ هـ] وما للأمويين وما عليهم بالإضافة إلى أسباب انحسار =

= الأمويين وانتقال إدارة الخلافة إلى بني العباس والله ولي التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

أسباب انحسار أمر بني أمية في الشرق الإسلامي
وانتقال إدارة الخلافة إلى بني العباس

وقبل أن ندخل في التفاصيل نحاول أن نفسّر جانباً من تأريخ القرون الأولى الفاضلة تفسيراً إسلامياً فبعد أن ميّزنا الصحيح من السقيم من بين الروايات التأريخية نريد أن تتوضح لدينا صورة التأريخ الإسلامي أكثر فأكثر حين نربطها بسنن وكليات عن التفسير الإسلامي للتأريخ علماً بأن هذا التفسير لا يغفل العوامل المادية والبشرية بل هي تحتل مساحة كبيرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وكما أننا دافعنا عن عدالة الصحابة وحاولنا ما استطعنا أن نظهر حقائق التأريخ الإسلامي كما هي ونفينا تلك الشبه الموجهة إلى الخلفاء الأمويين وأئمة أهل البيت على حد سواء فإننا نرى لزاماً أن نبيّن المظالم التي حدثت في عهد بعضهم وكانت معاول هدم في جسد الخلافة.

١ ـ من السنن التأريخية التي تحدث عنها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ وخصوص السبب لا ينفي عموم اللفظ ونسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: (دولة الإسلام لا تدوم مع الظلم، ودولة الكفر تدوم مع العدل) ومن أسباب انحسار أمر بني أمية وتخليهم عن إدارة الخلافة وقوع هذه المظالم: [وقعة الحرة، وقعة كربلاء، حصار الكعبة] هذه الوقائع المعروفة أدت إلى استشهاد عدد من الصحابة والتابعين من بينهم سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي رضي الله عنهما، وابن حواري رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وابن غسيل الملائكة، وآخرون ذكرنا أسماءهم في حينها.

أضف إلى ذلك تولي الحجاج بن يوسف إمارة العراق وما جاورها من الشرق لعقدين من الزمان واستبداده وظلمه معروف للقاصي والداني وقد ختم مظالمه بقتله إمام التابعين وسيدهم سعيد بن جبير رضي الله عنه.

نقول إن ما سبق ذكره من المظالم ترك جرحاً كبيراً في جسد الأمة أرّق وأقلق علماءها وخواصها قبل عوامّها، وكما هو معلوم فإنّ من الكليات التي تحدث عنها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فقد أفل نجمهم في تلك البلاد نتيجة لما كسبت أيديهم ـ ومع ذلك فإن الدارس لتأريخ الطبري (قسم الصحيح) فيما يتعلق بأيام الخلافة في عهد الأمويين يتبيّن له أن مساحة تلك المظالم ضئيلة بالنسبة لأعمال الخير والعدل والجهاد والإعمار ونشر الإسلام في أرجاء المعمورة والتي قام بها أولئك الخلفاء والقادة العظام ومن ورائهم أمة محمد ﷺ ـ ولقد أثبتنا أن سيرة كثير من الخلفاء الأمويين راحت ضحية التزوير والتلفيق التأريخي. =

= يقول العلامة المؤرخ ابن خلدون رحمه الله تعالى في مقدمته وهو يتحدث عن توالي خلفاء بني أمية وأحوالهم (ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابة جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نعوا لأفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية فيهم وولي رجالها الأمر فكانوا من العدالة بمكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح (المقدمة/ ٩٩).

فهذا كلام العلامة ابن خلدون يبيّن أن الناس نصروا الدعوة بقيادة بني العباس وساعدوهم لاستلام دفة الحكم الإسلامي لأنهم شعروا بأن بعض الخلفاء من بني أمية أخذوا يبتعدون شيئاً فشيئاً عن سيرة الخلفاء الراشدين والخليفة الجليل معاوية بن أبي سفيان وإن كان من بينهم من طغى عمله الصالح على غير ذلك كسليمان ومن بعده عمر بن عبد العزيز الذي بلغ أفقاً سامياً في العدل ومن ثم يزيد بن عبد الملك ، وهشام ، ويزيد الملقب بالناقص.

٢ - إن حركات الخروج المسلحة على اختلف مشاربها قد أنهكت قوى الخلافة واستنزفت طاقاتها وهدرت أموالها العامة وأضرت بالأمة حكاماً ومحكومين وكل ذلك عامل آخر يضاف إلى بقية العوامل والأسباب.

٣ - ولقد مارس بعض الخلفاء مخالفات شرعية كالوليد بن يزيد الملقب بالفاسق ، فتعاونت الأمة فيما بينها وبقيادة بني أمية أنفسهم فأطاحوا به ونصبوا يزيد خليفة من بعده لظهور تنسكه وتدينه ، ولكن الأمر ازداد سوءاً بعد وفاة يزيد هذا ، فاستكمل الظلم حلقاته فكان أن نزع الله الملك من بني أمية وآتاه بني العباس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ . . . تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ . . . ﴾.

٤ - إن ابتعاد الأمويين (في أكثر الأحيان) عن نظام الشورى فيما يتعلق باختيار الخليفة كان له الأثر الكبير في مسار الخلافة وولد هذا الابتعاد كما يقول أستاذنا الفاضل عماد الدين خليل (كثيراً من ردود الأفعال وبالتالي من حركات المعارضة المسلحة والسلمية والتي استنفذت من جسد الأمة الإسلامية الكثير من العناء والدماء بل إن بعضها تحول إلى تعصب مذهبي وصل حد الإنغلاق في عدائه مع خصومه) [تحليل للتأريخ الإسلامي/ ٣٧].

٥ - وأخيراً فإن الهرم سبب طبيعي جعله الله بداية النهاية للأفراد والجماعات على حدّ سواء وإذا أصيبت دولة بالهرم فلا ينفع معها إصلاح الحكام المتأخرين كما حصل ليزيد الناقص سنة ١٢٦ هـ والذي سنتحدث عنه فيما بعد ، ولقد عقد العلامة ابن خلدون فصلاً في مقدمته وهو الفصل السادس والأربعون يبين فيه أن الهرم إذا نزل بدولة لا يرتفع عنها ، وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية ، فالهرم من الأمراض المزمنة=

= والأمور الطبيعية تتبدل. (المقدمة/ ٢٧٥). قلنا ويقصد ابن خلدون بقول أمور طبيعية أي سنن كونية تأريخية لا تتبدل لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.
ويقول ابن خلدون في نهاية هذا الفصل: (وربما عند آخر الدولة قوة تتوهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك، ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في إطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب. (المقدمة/ ٢٧٥).
ورحم الله المراغي المفسر وهو يفسر آية عظيمة من القرآن الكريم فيها سنة من السنن التأريخية التي تمثل أصلاً من أصول التفسير الإسلامي للتأريخ، ألا وهو قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، قال المراغي: أي وتلك الأيام نداولها بين الناس ليقوم بذلك العدل ويستقر النظام ويعلم الناظر في السنن العامة والباحث في الحكم الإلهية أنه لا محاباة في هذه المداولة ا. هـ (تفسير المراغي ٤/ ٨٠).
أما بقية الأسباب الآتية الذكر عن نجاح الدعوة التغييرية الجديدة فهي تتعلق ببني العباس:
٦ - لقد رفع بنو العباس شعار (الرضا من آل محمد) وبذلك استطاع دعاة بني العباس أن يجمعوا عدداً كبيراً من الوجهاء والقادة والعلماء حولهم - ولا داعي إلى البحث عن عوامل لم يكن لها ذكر يومها كالأحقاد الفارسية والتعصب القومي وما إلى ذلك من أقاويل المستشرقين.
وقد بينا في قسم الصحيح أن الجيش الذي زحف من خراسان بقيادة قحطبة بن شبيب كان يتألف من عشرات الآلاف من الفاتحين من القبائل العربية التي لحقت بجيش الفتح الإسلامي بالإضافة إلى أهالي خراسان المتكونين من التركمان الفرس والعرب، ولعل البعض يتصور أن خراساني تعني فارسي وقد رد هذه الشبهة العلامة شاكر رحمه الله في موسوعته التأريخية ويؤيد ذلك ما ذكره الطبري من وجود آلاف من جنود الشام والعراق والحجاز الذين رابطوا في أراضي خراسان وما تاخمها وخاضوا معارك شرسة ضد الترك والسغد وفتح الله على أيديهم بلداناً كثيرة، ثم شاركوا في هذا التغيير الجديد وعلى أية حال لا داعي لتحميل النصوص التأريخية أكثر مما تحتمل فالأمة يومها ما كانت تعرف التعصب للفارسية، أو العربية، أو التركية بل كان شعارها ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ولكن من لا يفهم التفسير الإسلامي للتأريخ يحاول أن يلوي أعناق الروايات كي يفسر ذلك التأريخ تفسيراً مادياً فتبدو تلك الصورة الوضاءة مشوهة بعيدة عن الحقيقة.
٧ - لقد أبدى دعاة بني العباس وقادتهم بساطة وتواضعاً هو من صلب الخلق الإسلامي، قال ابن خلدون: وكان أبو مسلم ليس له حرس ولا حجاب ولا غلظة الملك فكان الناس يأنسون بذلك (٣/ ١٤٧).
٨ - إن أئمة أهل السنة منذ القدم يكنون لآل بيت رسول الله ﷺ حباً خاصاً وتقديراً ليس=

= لغيرهم من الأئمة ومرويات الحديث مليئة بالمتون الصحيحة في مناقب آل البيت ووصايا الرسول ﷺ لأمته بأن يوقروا آل بيته وذلك عامل مهم وسرّ من أسرار نجاح الحركة التغييرية الجديدة الداعية إلى الكتاب والسنة والعودة بالخلافة إلى رشدها والرضا من آل محمد.
٩ ـ إن آل علي (الحسين، زيد بن علي، وابنه يحيى، وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم) كانوا متسرعين في حركاتهم ولم يسبقوا الخروج بعمل منظم ودؤوب مع طول نفس بل اعتمدوا على عواطف جياشة تجاه أهل البيت دون تنظيم لتلك العواطف والطاقات والصبر على ذلك وإعدادها لساعة الانطلاق، على عكس ما فعله بنو العباس إذ استغرقت مرحلة الإعداد فترة طويلة (قرابة ربع قرن).
١٠ ـ ولا تكتمل الصورة للقارىء الكريم إلا بعد مراجعته لعوامل انحسار بني أمية واختفائهم من الساحة، إنّ خلفاء بني أمية فقدوا سيطرتهم على الأطراف فضلاً عن زعزعة سلطتهم داخل الشام حيث دار الخلافة وقد ساعد تولي الفاسق (الوليد بن يزيد) في كسر شوكة الخلافة والحط من هيبة الخليفة في أعين الناس.
ويروي لنا ابن خياط رواية تبين ضعف السلطة المركزية للخلافة وانهيار هيبة الخليفة إلى حدّ أمكن المتنفذين من حوله أن يزوروا كتاباً باسم الخليفة الصالح يزيد بن الوليد الملقب بالناقص، فقد أخرج خليفة: (قال: فحدثني العلاء بن برد بن سنان، قال: حدثني أبي، قال: حضرت يزيد بن الوليد حين حضرته الوفاة فأتاه (قطن) فقال: إن رُسل من وراء بابك يسألونك بحق الله لمّا وليت أمرهم أخاك إبراهيم. فقطب وقال بيده على جبهته: أنا أولي إبراهيم؟! ثم قال لي يا أبا العلاء: إلى من ترى أعهد؟ فقلت: أمر نهيتك عن الدخول في أوله، فلا أشير عليك في آخره، قال وأصابته إغماءة حتى ظننت أنه قد مات، ففعل ذلك غير مرة، قال: فقعد قطن فافتعل عهداً على لسان يزيد بن الوليد ودعا ناساً فأشهدهم عليه، قال أبي: لا والله ما عهد إليه يزيد شيئاً ولا إلى أحد من الناس) (تأريخ خليفة/ ٣٨٧). قلنا ورجال هذا الإسناد ثقات.
١١ ـ وأخيراً التوقيت الموفق لانطلاق أبي مسلم الخراساني ومعاونيه:
قدر الله سبحانه وتعالى لقادة الحركة التغييرية الجديدة التوفيق في اختيار الوقت المناسب للانطلاق فالخلافات بين مراكز القوى في خراسان على أشدها، والصراع بين أمراء بني أمية على أشده وهم يتنافسون منصب الخلافة كما أرخ خليفة لذلك الصراع ضمن أحداث سنة سبع وعشرين ومئة، فبوب قائلاً: (خبر بيعة مروان بن محمد وخلع إبراهيم بن الوليد، فيها وقعت الفتنة) (خليفة/ ٣٩١).
قلنا فحصل بين أمراء بني أمية ما حصل من القتال والصراع الشديد انتهى بانهيار إبراهيم بن الوليد وخلعه نفسه وبيعته لمروان بن محمد في نهاية المطاف، وفيها (أي سنة ١٢٧ هـ) خلع أهل حمص ودمشق مروان بن محمد فسار إليهم وهزمهم وقتل رؤساءهم، ومن جهة =

= ثانية ثارت الكوفة (موطن القلاقل) بايع أهلها عبد الله بن عبد الله بن جعفر، ومن جهة ثالثة ثار الخوارج وجرت بين الطرفين معارك دامية وقد عرف عن الخوارج شراستهم في الحرب وانتهت تلك المعارك بقتل قائدهم، ولقد ذكر الطبري تفاصيل هذه المعارك، وكذلك خليفة في تأريخه (ص٣٩٥ ـ ٤٠٠) ثم في سنة ١٢٩ هـ خرج طالب الحق بحضرموت (تأريخ خليفة/ ٤٠٥)، واجتمعت حوله طوائف منها الإباضية، وبعد استيلاءه على صنعاء وما حولها وجه قواده كأبي حمزة إلى مكة في عشرة آلاف مقاتل وألقى في الناس خطبته المعروفة (تأريخ خليفة/ ٤٠٧).
وفي هذه السنة ١٢٩ هـ تحركت الإباضية (تأريخ خليفة/ ٤١١)، وفي أواخر سنة ١٢٩ هـ وبداية ١٣٠ هـ تجهز أبو حمزة وسار نحو المدينة المنورة إلخ ما ذكره خليفة في تأريخه.
نقول هذه هي الظروف التي انطلقت فيها حركة التجديد التغييرية رافعة شعار الرضا من آل محمد، فقدر الله للجموع الزاحفة أن تتقدم وتدخل المدن الواحدة تلو الأخرى ابتداءً من خراسان وانتهاءً بالكوفة حيث بايع الناس أمير المؤمنين أبا العباس عبد الله سنة ١٣٢ هـ، وأرخ خليفة لأول ظهور للدعوة على الملأ برمضان من سنة ١٢٩ هـ إذ يقول خليفة رواية عن شيخه الصدوق محمد بن معاوية قال: حدثني بيهس بن حبيب الرام، قال: ظهر أبو مسلم في رمضان سنة تسع وعشرين ومئة (تأريخ خليفة/ ٤٣١). وقبل أن ننتهي من هذا الفصل نعود فنقول إن الأمة بكل صنوفها شاركت في هذه الحركة التغييرية التجديدية (علماء، وقادة، وأمراء، وعامة) وكما ذكرنا في قسم الصحيح فإن ابن الأمير الأموي القسري وهو محمد بن خالد بن عبد الله القسري قد رفع الأعلام السوداء ودعا إلى البيعة لآل محمد في مدينته الكوفة فسهل دخول الحسن بن قحطبة على رأس الجيش الزاحف ودون إراقة دماء وهيأ بذلك الأجواء لخروج الخليفة العباسي الأول من مخبأه بالكوفة ليبايعه الناس علناً وبفتح الكوفة اجتازت هذه الحركة مرحلة حرجة للغاية، وخرجت من عنق الزجاجة كما يقولون ـ ورواية أخرى عند الطبري ـ كما في قسم الصحيح تبين أن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب سليل ذلك القائد الأموي الشجاع يسوّد بالبصرة قبل دخول الجيوش الزاحفة والبصرة ثاني أكبر مدينة آنذاك بولاية العراق وكل ذلك يعني أن القيسي واليماني والخراساني والعراقي والشامي والقرشي، وبعبارة أخرى الأمة بجميع شرائحها شاركت في هذا التغيير، فأين يذهب أعداء التأريخ الإسلامي من هذه الحقيقة التأريخية؟
وعبارات الروايات الصحيحة واضحة، منها على سبيل المثال لا الحصر: (وفي سنة اثنين وثلاثة ومئة سوّد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بالبصرة ودعي إلى بيعة . . . الخبر) (تأريخ خليفة/ ٤٢٦).
الصراع القيسي اليماني بين الحقيقة والمبالغة:
إن غياب السلطة الإدارية الجازمة للخليفة (من أمثال هشام بن عبد الملك) وغياب قادة الفتح =

= العمالقة كالمهلب بن أبي صفرة وقتيبة والجراح وموسى بن نصير مع تدني مستوى التدين لدى بعض الخلفاء وفسوق بعضهم كالوليد الثاني الفاسق مع توقف عمليات الفتوح العظيمة كل ذلك أدى إلى بروز هذه الصراعات التي استغلها العباسيون ولكن هذه الصراعات لم تكن متأصلة أولاً ولم تظهر بوادرها إلا في عهد أسد بن عبد الله القسري والي خراسان الذي أثار هذه النعرة ولذلك عزله الخليفة هشام ولم يظهر هذا الصراع بصورة جلية ومؤثرة إلا بعد وفاة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ومن ثم اختفت بمجرد انضواء الأمة تحت قيادة الدعوة الجديدة الداعية إلى الرضا من آل محمد والرجوع بالخلافة إلى راشديتها ولو كان ذلك الصراع متأصلاً بالفعل لما اختفى بهذه السهولة وهذا يكذب مزاعم بعض المستشرقين الذين أرادوا أن يجعلوا من الصراع القبلي عاملاً متأصلاً من عوامل حركة التأريخ الإسلامي يقول الدكتور عماد الدين خليل ومنذ وفاة هشام بن عبد الملك عام (١٢٥) وحتى سقوط الدولة الأموية عام (١٣٢ هـ) أخذت الأفعال وردود الأفعال القبلية تتصاعد وتزداد استشراء وكانت من بين الثغرات العديدة التي نفذت منها الدعوة العباسية لتحقيق أهدافها (في التأصيل الإسلامي للتأريخ/ ٧٩).

الصفات العامة للنظام الإداري في عهد الأمويين وآراء المؤرخين المعاصرين في تقييم ذلك ونقدنا لبعض آرائهم:

لقد حاول كثير من أساتذة التأريخ الإسلامي المعاصرون إظهار الوجه المشرق للتأريخ الإسلامي إلاّ أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا بالكلية من تأثير الروايات الملفقة والتي رواها متروكون ، أو رويت بلا إسناد (وخاصة فيما يتعلق بالقرن الأول) ولا نبرىء أنفسنا من الخطأ ولا ندعي أننا استطعنا التخلص تماماً من تأثير هذه الروايات المتروكة ورواسبها ، ولكن بذلنا ما في وسعنا لتفادي الاحتجاج بها ، ولم تنج المناهج الجامعية من تأثير الروايات الضعيفة جداً ، أو المكذوبة في مختلف أنحاء العالم وسنورد هنا مثالاً لجهد قام به أستاذان للتأريخ الإسلامي (بجامعة بغداد ـ كلية الآداب) فقد ألفا مجلداً ضخماً من خمسمئة صفحة تحت عنوان (عصر النبوة والخلافة الراشدة) وذلك سنة ١٩٨٦ م ، (الكتاب المنهجي لكليتي الشريعة والآداب) ، وفيه مقارنات قيمة بين النظم الإدارية والمالية في عهود مختلفة منها (الخلفاء الراشدون ، عهد الأمويين ، ثم العباسيين) والذي يهمنا هنا هو ما ذكره الأستاذان تحت عنوان طبيعة النظام الإداري الأموي (ص٣٧٠) وسنذكر كلامهما فإن نوزعا فيه ذكرنا مواضع النقد: ـ قال المؤلفان: ومن ملاحظاتنا للنظام الإداري الأموي يمكنا أن نستخلص النقاط التالية ـ:

(كان الأمويّون يدققون بعناية في اختيار الوالي الذي يولونه على الإقليم). قلنا وهذا صحيح ، وإن كانت هناك حالات شاذة فلا قياس عليها وسنذكر أمثلة تؤيد قول المؤلفين. =

= المثال الأول: أخرج أبو نعيم في الحلية عن الوضيف بن عطاء قال: أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد... إلخ (تذهيب حلية الأولياء تر/ ٣١٣/ ٢/ ١٧٧). قلنا والمعروف عن يزيد بن مرثد أنه إمام تابعي زاهد عابد.

المثال الثاني: أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء عن هارون أبي محمد البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة على قضائها وخراجها (تذهيب الحلية/ ٣/ ٥٥/ تر ٢٥١). ومعلوم أن ميمون بن مهران إمام تابعي جليل.

المثال الثالث: أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي هانىء عن إبراهيم بن أبي عبلة: بعث إليّ هشام بن عبد الملك فقال لي: يا إبراهيم إننا قد عرفناك صغيراً، واختبرناك كبيراً، فرضينا سيرتك وحالك، ورأيت أن أخلطك بنفسي وخاصتي وأشركك في عملي، وقد وليتك خراج مصر... الخبر (تهذيب حلية الأولياء/ ٢ ـ ١٩٥/ ٣٢١). قلنا ولقد قال أبو نعيم في إبراهيم هذا وهو تابعي كان أميناً قارئاً، وكان في علمه وقراءته هنياً مرياً.

المثال الرابع: قال أبو نعيم في الحلية في ترجمة التابعي الجليل رجاء بن حيوة (ت ١٢١ هـ) الفقيه المفهم المطعام مشير الخلفاء والأمراء. (تهذيب الحلية / ٢/ ١٧٨ تر ٣١٥). قلنا وكان رجاء مستشاراً مخلصاً ومقرباً من سليمان، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما من خلفاء بني أمية، وهو الذي أعان سليمان على تسليم ولاية العهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

المثال الخامس: أخرج الروياني في مسنده (١/ ٣٢٦/ ح٤٩٥) ثنا أحمد بن عبد الرحمن ثنا عمي عبد الله بن عياش عن أبيه أن يزيد بن المهلب لما ولي خراسان قال: دلوني على رجل كامل لخصال الخير فدلّ على أبي بردة الأشعري، فلما جاءه رآه رجلاً فائقاً، فلما كلمه رأى من مخبرته أفضل من مرآته، فقال: إني وليتك كذا وكذا من عملي فاستعفاه، فأبى أن يعفيه، فقال: يا أيها الأمير ألا أخبرك بشيء حدثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ، قال: هاته، قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من تولى عملاً وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل فليتبوأ مقعده من النار، وأنا أشهد أيها الأمير أني لست بأهل لما دعوتني إليه، فقال: ما زدت عليّ أن حرّضتنا على نفسك ورغّبتنا فيك فاخرج إلى عهدك فإني غير معفيك، فخرج ثم أقام فيهم ما شاء الله أن يقيم، فاستأذن في القدوم عليه، فأذن له... الخبر وفي آخره: قال أبو بردة: وأنا أسألك بوجه الله إلاّ ما أعفيتني أيها الأمير من عملك، فأعفاه.

٢ ـ كان الوالي على الإقليم يترك لأهل كل بلد، أو مدينة أن يختاروا لأنفسهم من يريدون ليكون عاملاً عليهم (٣٢١).

٣ ـ كان الخليفة الأموي يبعد أهل الرشوة والخيانة عن الإدارة (٣٧١).

٤ ـ وكان من البدع الجديدة في الإدارة الأموية إعطاء الولاية طعمة، أو ضماناً للوالي كما فعل معاوية بن أبي سفيان حين عيّن عمرو بن العاص على مصر سنة ٣٨ هـ... وكانت مصر =

= جعلت له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتهم ، وهذه بدعة غير صحيحة في الإدارة الإسلامية إذ لا يجوز التخلي عن حقوق بيت مال المسلمين/ ص٣٧١/ ، قلنا: لا يصح ما ذكره المؤلفان عن هذه البدعة الملصقة بأمير المؤمنين معاوية والله أعلم ، وما ورد في هذا المجال لا يصح سنداً ولا متناً كما ذكرنا في أثناء التحقيق.

٥ - قال المؤلفان ومن المظاهر الجديدة في العهد الأموي الزيادة في مظاهر الأبهة والفخامة في موكب الأمير أو الوالي ويبدو أن أبا سفيان أول من بدأ بها ، ولذلك قال له عمر بن الخطاب أكسرويه يا معاوية؟ ، قلنا هذا كلام فيه نظر ولو أكمل الأستاذان الرواية دون تركها مبتورة لكانت الصورة أوضح ، فالإيضاح الذي ذكره سيدنا معاوية على استفسار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه خير شاهد نستشهد به ، وسنذكر معه تعليق ابن خلدون رحمه الله وهو إمام من أئمة التأريخ الإسلامي ، قال العلامة المؤرخ ابن خلدون رحمه الله تعالى: (ولما لقي معاوية عمر رضي الله عنهما عند قدومه إلى الشام في أبهة الملك وزينة من العديد استنكر ذلك ، وقال: أكسرويه يا معاوية؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنا في ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة ، فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين ، . . . إلى أن يقول ابن خلدون: وأما عمر أراد بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي وسلوك سبله والغفلة عن الله وأجابه معاوية بأن القصد من ذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وإنما قصده وجه الله فسكت (مقدمة ابن خلدون/ ١٩٧).

قلنا: وفي عبارة معاوية رضي الله عنه (بزينة الحرب والجهاد) ما يدفع الظن المتبادر إلى الذهن من أن الأبهة التي ذكرت تعني أبهة كسرى وقيصر وأبهة الملوك من المشي على البسط والفخامة وما إلى ذلك من الأمور المعهودة ، وإنما هي عدة الحرب والجهاد تخويفاً وترهيباً لأعداء الله على حدود الخلافة. والله أعلم.

٦ - يقول المؤلفان: تميز العديد من عمال الأمويين وولاتهم بالدهاء ، والشجاعة ، والقدرة الإدارية والفصاحة والبلاغة في الخطبة ، والكتابة ، وبالسخاء ، والكرم. . . إلى أن يقولا: وترك الخليفة لأهل مصر حرية اختيار شخص يعينه ويشير عليه في الشريعة والقضاء ، فاختاروا الليث بن سعد كما يشير إلى ذلك الكندي (ص ٣٧٢) ، وهو كما قالا.

٧ - يقول المؤلفان كان الخليفة الأموي في اختياره لولاته وعماله يوازن بين التكتلات القبلية اليمنية والمضرية والربيعية موازنة دقيقة بحيث يرضي مختلف الأطراف ، وقد نجح بعض الخلفاء الأمويّون مثل معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عبد الملك ، إلى حد كبير في حفظ التوازن بين تلك التكتلات وخاصة في الأقاليم الحساسة (ص ٣٧٢). قلنا: لم يكن لهذه الموازنة مبرراً في عهد سيدنا معاوية فلم يظهر صراع بين القيسية واليمانية إلا في نهاية العهد الأموي ، ولعل بوادر ذلك=

= الصراع بدأ في نهاية عهد عمر بن عبد العزيز. وإن كنا نعتقد بأن هذا الصراع لم يظهر إلى السطح كعامل من العوامل المشتركة في إحداث التغيير إلا بعد وفاة الخليفة هشام رحمه الله.

٨ - كان الخليفة الأموي يستعين بفقهاء الأقاليم، أو علماء الأمصار ويأخذ برأيهم ويشجعهم على الكتابة إليه إذا سمعوا، أو شاهدوا ظلامة وتعسف من عامل، أو والٍ (ص ٣٧٢) وتوضيحاً للحقيقة التأريخية. أقول من السنن الحسنة التي أحدثت أيام معاوية كما أخرج المدائني (أنساب الأشراف ٤/ ١٣٦)، والطبري من طريق محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: (كان عامل معاوية على المصر من الأمصار إذا أراد أن يكتب إلى معاوية نادى مناديه: من يكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب زر بن حبيش كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب... الخبر)، وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٨٤) عن الشعبي قال: كتب زر بن حبيش إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه... الخبر). أي أن هذه السنة صارت دارجة من بعد معاوية رضي الله عنه. وخلاصة القول أن سيدنا معاوية رضي الله عنه أوصى ولاته أن يحثوا الناس على رفع شكاواهم إلى أمير المؤمنين كلما أرسل الوالي بريده إلى دار الخلافة وهذه درة من درر التأريخ الإسلامي.

٩ - ويقول الأستاذان ورغم أن معاوية بن أبي سفيان سنَّ سنة غير صحيحة إدارياً وهي (لا قود من العمال) حيث اشتكى عنده جماعة من أهل البصرة على عامله عبد الله بن عمرو لأنه قطع يد أصحابهم ظلماً، فأجابهم معاوية: أما القود من عمالي فلا يصح ولا سبيل إلى ذلك ولكن إذا شئتم وديت صاحبكم) ولكن لم يتبع خلفاء بني أمية هذه البدعة الإدارية (عصر النبوة والخلافة/ ص ٣٧٣). قلنا: صحيح أن خلفاء بني أمية لم يتبعوا هذه البدعة لأنها لم تصح عن معاوية سنداً ولا متناً، وأصل الرواية عند الطبري في تأريخه (٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وأخرجها الطبري عن الوليد بن هشام، والمدائني من قولها، وكلاهما لم يدرك تلك السنة بل ولد المدائنيّ بعد أكثر من ثمانين سنة من السنة التي ذكر الطبري فيها الحادثة (٥٥ هـ) الآنفة الذكر فأنّى للمدائني أن يتأكد من صحة هذا الخبر (هذا بالنسبة للإسناد)، أما المتن ففيه نكارة شديدة فكيف بسيدنا معاوية وهو من علماء الصحابة يخالف نصاً صريحاً لرسول الله ﷺ (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ولقد قال رسول الله ﷺ كلمته هذه على الملأ وشهرتها غنية عن التعريف بها، والحق يقال فإنّ رواية الطبري معضلة الإسناد، ومنكرة المتن، وهي من الروايات الملفقة من قبل المتروكين والوضاعين تلقفها المدائني رحمه الله، ثم سجلها الطبري، وفي تأريخه روايات كثيرة قال عنها في مقدمة تأريخه (مستشنعة) ولا أصل لها من الصحة. إلى هنا انتهى عرضنا لهذا الكتاب الجامعي وتعليقنا على ما ذكره الأستاذان.

١٠ - وإضافة أخرى هي التي أشار إليها الأستاذ مالك بن نبي مع بعض تعديل؛ فالأستاذ مالك يرى أن من حسنات الأمويين أنهم عملوا على تثبيت وترسيخ دعائم الحكم الإسلامي ونحن=

= نقول صدق مالك فالحكم الإسلامي لم يتحول في سنة ١٣٢ هـ من ملكي إلى جمهوري أو من ليبرالي إلى اشتراكي وما إلى ذلك وإنما بقي الحكم الإسلامي على هيئة الخلافة المعهودة بل على العكس مما يقول المستشرقون فإنها رجعت لتكون أقرب إلى صورة الخلافة في أيامها الأولى قبل قرن من ذلك اليوم والتعديل الذي نريد أن نجريه على عبارة مالك هي أن الأمة كلها وبقيادة أهل الحل والعقد (في ذلك الوقت) شاركت في ترسيخ مفهوم الحكم الإسلامي الذي وضع لبنته الأولى المباركة رسول الله ﷺ ثم تجلت معالم الخلافة الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين الخمسة ثم العادلين من بني أمية . . . ونعني بأهل الحل والعقد هنا أمراء بني أمية وعلماء الأمة يومها سواء كانوا صحابة أو تابعين والذي يراجع أحداث ذلك القرن الفاضل يتبين له وبكل وضوح أن الأمة جمعاء قد شاركت في تسجيل ذلك التاريخ . . وقريباً من هذا المعنى قال الأستاذ شاكر مصطفى (وبالرغم من أنها تحمل اسم العباسيين إلا أنها مرحلة متصلة الجذور والأعماق والتطورات بالمرحلة الأموية السابقة ولم تكن انعطافاً في ذلك التاريخ بقدر ما كانت تتمة واستمراراً) [من كتاب دولة بني العباس ١/ ١٠]. ونحن نوافق الأستاذ شاكر في الشطر الأول من كلامه فالخلافة متصلة الجذور . . . إلخ. ولكن لنا تعقيب على شطر كلامه الأخير . . . صحيح أن الإدارة العباسية للخلافة لم تكن انعطافاً في ذلك التأريخ ولكنها كانت تجديداً ثم استمراراً في ذلك التاريخ .

١١ - وأخيراً فإن الحق ما شهد به الأعداء كما يقولون ومن بين أعداء التأريخ الإسلامي كثير من المستشرقين الذين يصطادون في الماء العكر المتكون من روايات المتروكين والوضّاعين ومن هؤلاء أندريه مايكل الذي طفحت كتاباته بتزوير التاريخ الإسلامي ومع ذلك لم يتمالك نفسه في لحظة من اللحظات واعترف بعظمة التاريخ الإسلامي وأشاد بدور الأمويين فقال (لقد أقام الأمويون نظاماً من أقوى النظم التي عرفتها البشرية بأسرها وبفضلهم دخل الإسلام في ذروة العصور الوسطى . . . وكان لهذا الحدث عواقب يصعب حسابها فلأول مرة تقع هاتان المنطقتان ـ من مصاب السند إلى إسبانيا ـ تحت سلطة واحدة وتندمج في مجال إقتصادي واحد وتنظمها ثقافة واحدة) من كتاب الإسلام وحضارته الباب الرابع/ ٩٧ ولا نريد أن نكرر ما قد كتبناه متفرقاً ضمن حديثنا عن سيرة الخلفاء من بني أمية مخافة السآمة والملل .

وهكذا انتهينا من تأريخ الخلافة في عهد الأمويين (قسم الصحيح) والحمد لله. ويليه القسم المتبقي من تأريخ الطبري ابتداءً من (٧/ ٤٢١) وانتهاءاً بـ(١٠/ ١٥٢) أي ما يقرب من مجلدين ونصف . . . وهو متعلق بتأريخ الخلافة في عهد العباسيين كما سجله الطبري ابتداءً من أحداث سنة ١٣٢ هـ وحتى سنة ٣٠٢ هـ حيث توقف الطبري عن كتابة هذا التأريخ .

* * *

فهرس الموضوعات

سنة ست وسبعين

سنة سبع وسبعين

سنة ثمان وسبعين

سنة تسع وسبعون

سنة ثمانون

سنة إحدىٰ وثمانين

سنة اثنتين وثمانين

سنة أربع وثمانين

سنة خمس وثمانين

سنة ست وثمانين

سنة سبع وثمانين

سنة ثمان وثمانين

سنة تسع وثمانون

سنة تسعين